

مذكرات

فرانز فون پاپن

ترجمة: فاروق الحريري



مذكرات
فرانز فون پاپن

ترجمة : فاروق الحريري

الطبعة الاولى الجزء الثاني

الثورة تمضي قدماً

الفصل التاسع عشر

حل الاحزاب . النازيون يستهينون بالقوانين . اعترضت علنا . هندنبورغ يغادر برلين . روهم والجيش الالماني . حساب مع هتلر في ماربورغ . غوبلز يمنع الاجتماعات العامة . انقلاب روهم . مقتل بوزه ويونغ وغيرهما . هندنبورغ . مسؤوليتي .

قلت في خطاب لي بمدينة دريسدن في يوم ١٣ تموز ١٩٣٣ بأن السلطات الاستثنائية التي حازها المستشار هتلر اتاحت له امكانية الاطاحة بجميع الاحزاب السياسية الاخرى والقضاء على النظام الديموقراطي والحياة الدستورية بشكل لم يسبق له مثيل وخلال فترة لم تتجاوز الاربعة اشهر وهذا ما اعطاه صلاحيات لم يحزها أي امبراطور من اباطرة المانيا .

ومما لا شك فيه ان حل الاحزاب السياسية كان اشد ضربة وجهها هتلر للنظام البرلماني الديموقراطي . وكنت قد حاولت ابان فترة حكومتي تحسين وضع النظام الديموقراطي وجعل الأحزاب أكثر تقاربا في سبيل رفعة شأن الوطن.

وكنت انتقد بريونينغ لأنه اهمل شأن الاحزاب وجعلت ديدني اصلاح النظام البرلماني.

ألا ان الحقيقة الدامغة هي ان هذه الاحزاب سرعان ما ذابت في خضم المجتمع واختفت بكل هدوء. ولما ناقشنا هذا الموضوع فيجلسة لمجلس الوزراء لم يبد أي من الوزراء اهتمامه بالاحزاب المنحلة وكان هذا هو موقفالرئيس فون هندنبورغ نفسه من الاحزاب. اما الشخص الوحيد الذي ايدني ووقف الى جانبي فكان وزير مالية بروسيا الدكتور يوهانس پوپيتس الا ان ذكاء هذا الرجل والمعيته وقوة حجته لم تجد فتيلا ازاء عناد هتلر المشهور.

ومع انهيار احزاب المانيا اختلفت تصرفات الاحزاب حيث اعلن حزبا الوسط والشعب الباڤاري انهما يضعان انفسهما تحت التصرف المباشرلزعامة هتلر في سبيل رفعة المانيا الجديدة . واعلن الحزب الديموقراطي الاشتراكي في اجتماعه الختامي في اقليم بادن ڤيرتمبرغ يوم ١٠ مايس ١٩٣٣ بأنه يتمنى الحظ السعيد للقيادة السياسية الالمانية الجديدة ويبدي استعداده لأسناد الخطط التي اقرها الحزب النازي ولطالما سألني الكثيرون فيما بعده لماذا لم أفضح الاهمال الذي تعرضت له والتجريد السافر من أي اسناد يسهل مهمتي الوظيفية الرفيعة؟

والجواب على هذا السؤال هو انني سبق ان قلت كل ما ينبغي ان يقال في خطابي الذي سبق ان المعت عنه آنفا والذي القيته بمدينة دريسدن ولم ادع أية ملحوظة الا واوضحتها بكل جلاء. وكان من رأيي ان الاطاحة بنظام هتلر كانت ممكنة جدا في تلك الاشهر المبكرة من عهده . لكنني بينما كنت القى العنت والتجاهل كان هتلر يفسح المجال لاتباعه في تسلق مراقي التسلط باعطائهم المزيد من الصلاحيات حتى برز للميدان السياسي رجال امثال غوبلز وهملر وهايدريش. وسواء أوافقني منتقدي ام لم يوافقونني فثمة حقيقة لا سبيل لتجاهلها مطلقا وهي أن منصب نائب المستشار اهمل في عهد هتلر اهمالا بالغا لدرجة اصبح معها عديم القيمة.

ولقد تلقى مكتبي من ايام تسنمي هذه المسؤولية وحتى انقلاب روهم آلاف الشكاوى والتحذيرات والاعتراضات من مختلف طبقات الشعب الالماني اما بصورة رسمية او شخصية عرضت على اعواني ڤيده ماير وزابات وسافغني وبوسه وكيتيلر وتشيرشكي فكنت اتصل بالوزير المختص وبخاصة بالوزير هرمان غورنغ أو اعرض المشكلة على مجلس الوزراء.

في نهاية خريف ١٩٣٣ شرع النازيون بالاعتداء على حرمة القانون والاعتداء على الحرية الشخصية للافراد والتجاوز على استقلال رجال القضاء.

وفي ١٦ كانون الاول ١٩٣٣ دعيت لحضور احتفال اقيم بنادي مدينة بريمن بمناسبة مرور مائتين وخمسين عاما على تأسيس النادي فألقيت فيه خطابا عن الحرية الشخصية والمساواة في المانيا الحديثة وقلت في ذلك الخطاب ما لم يشأ هتلر سماعه.

وكان الرئيس فون هندنبورغ قد غادر برلين في مايس ١٩٣٣ الى ضيعته الاثيرة (نوي ديك) طلبا للراحة والهدوء وكان الرجل مريضا ولما ودعته بمناسبة سفره كان ذلك لقائي الاخير معه شد على يدي قائلا بنبرته الحانية:

« تسير الأمور بشكل سيء يا پاپن فحاول ان تصلح الحال »

وقد ذكرتني هذه المصافحة بالوعد الذي سبق أن قطعته له في ٢ كانون الأول ١٩٣٢ عندما رجاني رفض منصب السفير بباريس كي أبقى الى جانبه.

ولما ظهر للعيان تبادل الشكوك بين الجيش الالماني ونظام هتلر بسبب اسناده لقوات العاصفة ساد التذمر في صفوف ابناء الشعب الالماني وصار الكل يتوقع نشوب قتال شديد بين الجيش النظامي وقوات العاصفة التي كان قائدها أرنست روهم. وكان السبب الذي حدى بهتلر لتقوية قطعات العاصفة هو رغبته في الالتفاف على معاهدة فرساي التي قيدت قوة الجيش

الالماني[1] وجعلتها محدودة لدرجة تضمن ابقائه عاجزا عن حماية الوطن.

ولما وجد هتلر نفسه بين نارين تتمثل اولاهما برفيقه اللدود روهم الذي تعاظمت سطوته بتعاظم قوة وحدات العاصفة وظهرت بوادر تهديده لوجود هتلر وكثر حوله اللغط لترؤسه زمرة مشبوهة من الموسومين بالفساد وثانيهما الجيش الالماني البروسي النزعة والملكي الاهواء والذي صار العوبة بيد المغامرين والدساسين امثال فون شلايخر فانه آثر استمالة الجيش الالماني فضمن ولائه وتعهد برعايته واضمر لروهم شرا مستطيرا .

ولما حاولت في تلك الايام جلب نظر هتلر نحو تفاقم خطر أرنست روهم لاحظت انه يحاول التهرب من اعطائي فكرة عن موقفه بهذا الصدد .

وهكذا بقيت في جهل بشأن تفاصيل سير احداث هذه القضية التي أخذت معالمها تتبين للرأي العام الالماني يوما بعد يوم . كما لاحظت في تلك الفترة ان روهم نفسه وغورنغ وغوبلز وهملر وغيرهم ليست لديهم أية فكرة عن الخطوة التي سيقدم عليها هتلر . لكنني لاحظت انه لم يقطع معهم جسوره لأنه ادرك ان من الخطأ الانحياز الى تكتلات المحافظين على حساب علاقاته مع اعضاء حزبه. وسرعان ما وجد لنفسه الحل المثالي الامين فوطد علاقاته بالجيش الالماني وكسب ثقته وضمن ولائه فأصبح بذلك سيد المانيا بلامنازع.

---

(١) نصت معاهدة فرساي ـ التي تعتبر من أسباب نشوب الحرب العالمية الثانية ـ على جعل قوة الجيش الالماني مائة الف رجل منهم اربعة آلاف ضابط بمن فيهم الاطباء والبياطرة وحرمت المانيا من هيئة الركن ومن تأسيس قوة جوية وحددت قوتها البحرية . الا ان المانيا تحايلت على هذه التقييدات منذ عام ١٩٢٦ فعقدت اتفاقا سريا مع الاتحاد السوفيتي تضمن التعاون في مجالات تطوير التسليح وتقديم الخبرات في مجال عمل هيئة الركن للاتحاد السوفيتي لقاء قيام المانيا بانشاء مدارس للطيران العسكري على الاراضي الروسية ومواصلة تطوير انتاج الاسلحة . كما ان المانيا دابت على تسريح الجنود بعد تدريبهم تدريبا اساسيا واستدعاء وجبات اخرى بدلهم . اما هيئة الركن فقد ابدل منها اسمها فقط وجعل ضابط الركن (ضابط ادارة) تمويها للحلفاء وفتحت دورات الاركان في مقرات الحاميات تحت ستار (دورات الارتباط) الى أن الغى هتلر معاهدة فرساي كما سيأتي ذكره . ـ المترجم ـ

في بداية حزيران ١٩٣٤ شعرت بأن من واجبي تحذير هتلر من مغبـة الخطر المتفاقم نتيجة لوقوع البلاد تحت وطأة وحدات العاصفة التي كثرت تجاوزات افرادها وعزمت على تقديم استقالتي في حالة رفضه وضع حد لتلك التجاوزات.

وفي ١٧ حزيران ١٩٣٤ القيت خطابا امام جمع حاشد جاوز المائتين بالقاعة الكبرى لجامعة ماربورغ. وكنت قد استعددت لذلك الخطاب وانتقيت النقاط الحساسة التي عزمت على بحثها بكل اعتناء لأنني كنت على ثقة من ان المانيا كلها ترهف السمع لاقوالي في تلك المرحلة العصيبة من تأريخها. فأستعرضت الموقف السياسي منذ عهد حكومتي حتى قبولي لمنصب نائب المستشـار في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ وناقشت موقف الحكومة (التي كنت احد اعضائها) ازاء القوانين والهيئة القضائية والكنيسة ومختلف طبقات الشعب الالماني ثم تطرقت للوضع السائد بنقـد مرير جعل الحضور يديرون رؤوسهم عجبـا ولا يصدقون ما تسمعه آذانهم للصراحة غير المألوفة التي عالجت بها موضوع الساعة.

وكنت قد اتفقت مع وزير الدعاية الدكتور يوسف غوبلز على اذاعة نص الخطاب في مساء ذلك اليوم. الا انه ادرك الخطر الذي تنطوي عليـه اذاعة خطابي المسهب على الملأ فأسرع في منع اذاعته ونكل عن وعده مستعيضا عن ذلك باشارة عابرة كتبتها صحيفة (فرانكفورتر تسايتونغ) المسائية ذكرت بها في عدد اليوم التالي انني القيت محاضرة في جامعة ماربورغ.

ما ان علمت بتصرف غوبلز هذا الا وقابلت هتلر محتجا وقلت له انني وجدت ان من واجبي مصارحة ابناء الشعب بكل تفاصيل سير الاحداث في هذه المرحلة الدقيقة التي تمر بها المانيا. وانتقدت امامه وزير الدعاية لأنه احجم عن اذاعة خطابي ومنع نشره في الصحف. ثم قلت له بأنني خدمت وطني بكل اخلاص طوال فترة اشتغالي معه التي بلغت سنة ونصف وأرى ان من واجبي الاستقالة من منصبي وسأتقدم بطلب الاستقالة للرئيس فون هندنبورغ.

كان هتلر يصغي لأقوالي بكل اهتمـام ثم أخـذ يهدئني معترفا بالخطـأ الذي ارتكبه غوبلز بحقي، وتعهد لي بعدم السماح بتفاقم الموقف الداخلي وقال انه سيضع حدا لتجاوزات رجال وحدات العاصفة • ثم رجاني ألا أتعجل بتقديم استقالتي للرئيس في ذلك الظرف وارجاء تقديمها الى ما بعد مقابلته للرئيس في ضيعته (نوي ديك) ورجاني ان ارافقه لنذهب سوية لمقابلة الرئيس ثم خلص للقول بأنه يرجو ألا تكون محاضرتي في جامعة ماربورغ السبب الذي يدعوني للاستقالة لا سيما وان الموقف سيتحسن وشيكا •

وقد قبلت بتبريرات هتلر ووجدت ان الاخلاص للوطن يفرض علي مرافقته لمقابلة الرئيس لكي اسمع وجهة نظره بصدد الاحداث •

لكنني لم ابق مكتوف الايدي ازاء هذا التعتيم المدبر على محاضرتي فأوعزت بطبعها في (مطابع جرمانيا) وقام رجال مكتبي بتوزيعها على السفارات الاجنبية والصحف الاجنبية وبين مختلف اوساط الشعب الالماني وقد علمت فيما بعد ان الشرطة السرية للدولة جمعت نسخا كثيرة من المحاضرة باقتناصها من دوائر البريد وعدم ايصالها للمرسلة اليهم، كما ان احد اصدقائي وهو غراف فيليب ڤيستفـالن تعرض للاعتقـال بسبب توزيعه لنسخ من تلك المحاضرة،

دعيت الى هامبورغ بعـد عـودتي من ماربورغ بخمسة ايام لحضور سباق الخيل في المعرض السنوي بصفتي من محبي رياضة الفروسية • ومع انني شاهدت مئات السباقات في مختلف الاقطار لكنني لم احضر أي سباق ذي صفة سياسية، وفي ذلك السباق بالذات تعرضت لمأزق كنت في غنى عن لتعرض له، اذ ما ان عرفني بعض مشاهدي السباق الا وصاروا يهتفون لي وسرعان ما تجمع حولهم عدد آخر من رواد السباق ثم هتف أحـدهم « تحيا ماربورغ» فتعجبت لتغير الطبيعة الرياضية لاهل هامبورغ وتصرفهم بهذا الشكل غير المألوف منهم ولم اجد مفرا من مجاملة تلك المئات من المعجبين الذين استمروا على الهتاف لي ومتابعتي حيثما سرت،

لكنني شعرت بحرج شديد ولو انني تأكدت من ان الحرج الذي تعرض له الدكتور غوبلز كان اكثر شدة من حرجي لأنه كان مدعوا هو الآخر لنفس السباق وقد لحظت وجوده في صالة مجاورة وقد ران عليه صمت عميق وبدى شاحبا وصار يتصرف ببرود وعدم اكتراث. ولما اقيمت وليمة العشاء في ذلك اليوم تخلف الدكتور غوبلز عن الوليمة وكلف نائبه (نائب محافظ برلين) السيد آرتور غورليتزر بالحضور قائلا:

« لهذا الياپن اتباع اكثر مما ينبغي بين ابناء الشعب الالماني فحاول ان تجعله في الصحافة شخصية مضحكة».

وبعد ثمانية أيام من هذه الواقعة انتقم «المستبد الصغير»[٢] من خصمه اللدود روهم اشر انتقام.

وكانت الأزمة الداخلية قد تفاقمت من يوم الى آخر ولكنني لم أتمكن من متابعة ما كان يدور وراء الستار آنذاك. لاسيما وانني لاحظت فتورا في معاملة رجال الحزب النازي وأغلب زملائي الوزراء لي .

وفي ٢٥ حزيران ١٩٣٤ حدثت قضية عائلية خاصة أستوجبت سفري الى اقليم ويستفاليا .

وقد علمت بعد الحرب العالميه الثانيــة وفي سجن نورمبرغ من السيد ڤالترفونك[٣] الذي كان في تلك الاثناء رئيسا للصحافة الالمانية ثم صــار فيما بعــد وزيرا لاقتصــاد المانيا بأن هتلر كلفه في تلك الفترة بالسفر الى (نوي ديك) ومقابلة الرئيس فون هندنبورغ واخباره بأن واقعة ماربورغ هي القشة التي قصمت ظهر البعير وان التعــاون بيني وبين المستشار هتلر أصبح متعذرا . وكان هذا الاعتراف دليلا على كذب هتلر الذي كان قد قال لي آنذاك بأن خطته المحتملة تتضمن التقــدم برجاء للرئيس فون هندنبورغ كي يقبل استقالتي من الحكومة.

---

(٢) المقصود ادولف هتلر .

(٣) حكم على ڤالتر فونك في محاكمات نورمبرغ بالسجن المؤبد في سجن شپانداو ببرلين ومكث في ذلك السجن حتى وفاته .

ـ المترجم ـ

في ٢٦ حزيران ١٩٣٤ اتصل بي تشيرشكي هاتفيا واخبرني بأن الشرطة السرية للدولة القت القبض على ادغار يونغ وهو احد اعواني غير الرسميين وأودعته السجن وقال لي ان عودتي من ويستفاليا أصبحت اكثر من ضرورية. وهكذا عدت في اليوم التالي الى برلين بالطائرة . ولما كان لقائي مع هتلر وغورنغ متعذرا في ذلك اليوم الحافل فقد اتصلت بهاينريش هملر مدير الشرطة السرية للدولة واحتججت بأشد لهجة على اعتقال السيد يونغ الذي قيل لي ان تهمته تتلخص باقامته علاقة غير مسموح بها مع أحد الاجانب ولم اسمع اكثر من ذلك. الا ان هملر وعدني باطلاق سراح الرجل بعد مدة قصيرة.

في ٣٠ حزيران ١٩٣٤ ترددت انباء محاولة انقلاب روهم الفاشلة وصار كل جانب يلقي ضوءا باهتا على زاوية معينة من الواقعة المذكورة. أما انا فقد وجدت نفسي بلا حول ولا قوة بعد ان تم قبول استقالتي.

ولم يعد سرا ان رئيس اركان قوات العاصفة أرنست روهم طالب هتلر بمنحه منصب وزير الحرب لكي يحوز سلطتي قائد الجيش النظامي وقائد قطعات العاصفة . الا انه فاته بأن هتلر كان قد آلى على نفسه الا يسمح لأية شخصية او منظمة بأن تصبح قوية لدرجة تهدد مقامه الرفيع.

وقد استطار الشر بين الرجلين في ربيع ١٩٣٤ عندما قال روهم لهتلر بأنه عازم على مطالبة الرئيس فون هندنبورغ بمنح عدد كبير من قادة قطعات العاصفة رتب ضباط صف في الجيش الالماني. وبعد ان مارس روهم ضغطا شديدا على هتلر اخبره الاخير بموافقته على تنفيذ رغبته. الا ان الذي حدث هو ما توقعه هتلر بالضبط حيث رفض الرئيس فون هندنبورغ ذلك الطلب . لكن روهم واصل تقديم طلباته غير المشروعة محاولا فرض رغباته مستندا على قوة قطعات العاصفة. وهكذا تواترت الاشاعات خلال الاشهر القليلة التالية وكلها تشير الى عزم قطعات العاصفة على ايصال روهم الى ذروة السلطة في المانيا وازاحة هتلر عن سبيله والقضاء على الجيش الالماني النظامي. كما تأكد في تلك الفترة تزود قطعات العاصفة بمقادير وفيرة من

الاسلحة من خارج المانيا وبخاصة من بلجيكا، وقد ارسل الفريق فونبوك[٤] قائد منطقة شتيتين قوائم بمقادير البنادق والرشاشات البلجيكية الصنع التي وصلت الى المانيا من بلجيكا، وكان ان علم هتلر وغورنغ ومقر الجيش الالماني بتفاصيل الخطة التي يزمع قائد قطعات العاصفة تنفيذها واتخذوا الاجراءات المضادة لاحباطها بالوقت المناسب . الا ان مساعدي البارون فون بوسه اخبرني بوجود اشاعة مفادها ان قطعات العاصفة توشك على القيام بثورة ثانية الا ان النزاع الناشب بين هتلر وروهم ستتم تسويته نهائيا في أواخر حزيران ١٩٣٤ .

ولم تكن قيادة وحدات العاصفة جاهلة بشأن الاجراءات المضادة التي اتخذها الجيش الألماني . ولذا فقد أخبرني البارون فون بوسه في ٢٦ حزيران ١٩٣٤ بأن قيادة قطعات العاصفة ارجأت تنفيذ الانقلاب من ٣٠ حزيران ١٩٣٤ الى اشعار آخر . وأوضح ان هذه الاشاعة كانت مقصودة لتضليل الشرطة الالمانية واقامة الدليل على خطأ كل الاشاعات لكي تكون اجراءات الجيش الألماني موجهة نحو فعل وهمي وهذا من شأنه تقوية مركز قطعات العاصفة واظهار قادتها بمظهر الابرياء.

في ٢٩ حزيران ١٩٣٤ سافر هتلر الى ايسن فتبعه غوبلز باللحظة الاخيرة ليخبره بتجمع افراد قطعات العاصفة بكامل اسلحتهم في مراكز تحشدهم انتظارا لأوامر روهم وقد ساد التصور بأن غوبلز مارس اللعب على الحبلين في تلك الايام الحرجة لكي يضمن لنفسه مكانة لدى الفريق الذي سيفوز في لعبة الحياة والموت.

وفي الصباح الباكر من يوم ٣٠ حزيران ١٩٣٤ طار هتلر الى ميونيخ حيث أطبق بقبضته الفولاذية على غرمائه الذين كانوا يغطون بنوم عميق بعد سهرة شراب حافلة فأستأصل شأفتهم بلا شفقة . وقد توضحت معالم القضية فيما بعد للقاصي والداني.

---

(٤) ذاعت شهرة فون بوك فيما بعد عندما أبلى بلاء حسنا في الحرب العالمية الثانية ومنح رتبة مشير .

ـ المترجم ـ

في صباح يوم ٣٠ حزيران ١٩٣٤ هتف لي تشيرشكي وطلب حضوري الى مكتبي بالسرعة الممكنة. ولما وصلت الى مكتبي بالساعة التاسعة من ذلك اليوم اتصل بي اللواء كارل بودن شاتس امين سر الوزير هرمان غورنغ ورجاني الحضور الى مكتب غورنغ لامر عاجل. فأسرعت بالتوجه الى مقر وزارة النقل الجوي(٥) ولم تكن لدي ادنى فكرة عن ذلك الامر العاجل.حيث زرت غورنغ بمكتبه الكائن بمنزله المشيد في حديقة الوزارة وسرعان ما لاحظت بأن المكان محاط بحراسة مشددة من رجال حرس الحماية المسلحين بالرشاشات.

قابلت غورنغ بمكتبه وكان الى جانبه هاينريش هملر فصارحني الأول بأن هتلر تمكن شخصيا من القضاء على رؤوس مؤامرة روهم في صباح ذلك اليوم وانه عندما طار الى ميونيخ خوّل غورنغ كامل الصلاحيات للقضاءعلى فعاليات المتآمرين بمنطقة برلين فأعترضت فورا على ذلك التخويل وقلت له:

« انني انا نائب المستشار ولابد له ان يكلفني بأية مهمة تتطلب الصلاحيات التامة في حالة غيابه عن برلين».

فأبدى غورنغ استعداده للتخلي عن هذه المهمة ومنحي الصلاحيات التامة لانجاز المهمة التي كلفه بها هتلر . الا انني ادركت من الوهلة الاولى انمركز غورنغ اقوى من مركزي الرسمي نظرا لكونه القائد الاعلى للشرطة البروسية وقائد القوات الجوية(٦) في وقت معاه. فأقترحت على غورنغ ضرورة عرض

---

(٥) لما لم تسمح معاهدة فرساي لالمانيا بتاليف قوة جوية فقد انشات المانيا وزارة النقل الجوي التي بقيت واجهة تختفي ورائها فعاليات اعداد قوة جوية كبيرة بصورة سرية وتهيأة كل مستلزماتها بدءا من صناعة الطائرات الحربية ووصولا للتدريب الراقي على تعاون القوة الجوية مع قطعات الميدان وبخاصة الدرع .
ــ المترجم ــ

(٦) كانت قوات المظليين وقطعات مدفعية مقاومة الطائرات من صنوف القوة الجوية الالمانية التي انشاها وقادها هرمان غورنغ .
ــ المترجم ــ

الموقف على الرئيس فون هندنبورغ والتقدم اليه بطلب اعلان حالةالطواريء لكي تتمكن من استخدام الجيش الالماني لاعادة النظام العام للبلاد لكن غورنغ رفض هذا المقترح متذرعا بأنه يسيطر على الموقف بوجوده على رأس قطعات الحماية ومدعيا بعدم وجود ضرورة لاخبار الرئيس بما يحدث في المانيا.

وقد اخبرني تشيرشكي ـ الذي كان ينتظرني في غرفة مجاورة ـ فيما بعد بأنني عندما كنت أتحدث الى غورنغ تحدث هتلر بالهاتف وكان كمن يتلقى الاوامر من الطرف الآخر ولم يتمكن تشيرشكي من التقاط فحوى المكالمة الا انه سمع هملر يقول:

« ان ذلك يتم الآن »

وواضح ان المقصود بقوله هذا انني ينبغي ان اتنحى عن منصب نائب المستشار . وبعد مناقشة قصيرة مع غورنغ تقدم لي بطلب البقاء في مسكني حفظا لحياتي وعدم ترك المسكن الا بعد احاطته علما بذلك. فأحتججت على قوله هذا وقلت له ان هذا الاجراء معناه وضعي سجينا رهن منزلي.

وكان هملر دائم التردد على غورنغ والهمس بأذنه وواضح انه كان يتفق معه على تفاصيل التصرف معي من قبل الشرطة السرية للدولة وقطعات الحماية وتفتيش دائرة نائب المستشـار ولربما كان هملر يلح على غورنغ بتسليمي له لكي يضمن السيطرة علي تماما ثم تصفيتي على طريقته المعلومة.

اما الذي حدث بمكتبي في تلك الفترة فكان قتل معاوني البارون فون بوسـه بزعم مقاومته للشـرطة والقاء القبض على أمينـات السـر البارونة شتوتسنغن وفون سافيغني وهوملسهايم وارسالهن الى معسكرات الاعتقال. وكان القصد من هذه الاجراءات كلها اثارة حفيظتي . والمؤسف ان امينة السر هوملسهايم لم تكن من موظفات مكتبي. كما تم استيلاء الشرطة على الاضابير والوثائق الموجودة بالمكتب وتم تحطيم باب الخزانة الحديد الكبيرة للاستيلاء على محتوياتها وكم كانت خيبة الشرطة السرية شديدة لأنها كانت خاوية بطبيعة الحال.

أما بالنسبة لي فقد حاول رجال قطعات الحماية التعرض لي ولتشيرشكي عندما هممنا بمغادرة بيت غورنغ مما حدى بتشيرشكي الاستعانة بأمين سر غورنغ اللواء بودن شاتس الذي اصدر امره للحراس باخلاء سبيلنا وفتح الباب لنا . والملاحظ في تلك الثواني الحرجة ان اللواء بودن شاتس وجه عبارة تهديدية للحراس بقوله:

« سنرى من الذي يصدر اوامر هنا رئيس الوزراء غورنغ أم قطعات الحماية ».

ولما ركبنا السيارة طلبت من السائق التوجه الى مكتب نائب المستشار اولا لكي احمل معي الاضابير المهمة . ولما وصلنا الى هناك وجدت البناية تحت الحراسة المشددة حيث وقف عند مدخل مكتبي حراس مسلحون بالغدارات. وسرعان ما اخبرني احد موظفي مكتبي بأن البارون فون بوسه قد تم قتله رميا بالرصاص . ثم افترقنا على عجل عندما طلب الي الحراس مغادرة المكتب والرجوع الى سيارتي فأمتثلت للأمر يحيط بي عدد من رجال قطعات الحماية وآخرون من شرطة غورنغ السرية[٧]. ثم تنازعت الفئتان كل تريد فصل تشيرشكي عني والقاء القبض عليه لدرجة حصل معها اطلاق نار متبادل بينهما واخيرا تمكنت الشرطة السرية للدولة من القاء القبض عليه والذهاب به الى مكان مجهول .

أما انا فقد صحبتني جماعة حرس من قطعات الحماية لضمان ايصالي الى منزلي ولما وصلت الدار وجدت ان خطوط الهاتف كانت مقطوعة وان عرفة الضيوف يشغلها نقيب من الشرطة كانت مهمته عزلي تماما عن أي اتصال مع العالم. وقد افضى لي الرجل بعدئذ بأن غورنغ حمّله مسؤولية المحافظة على حياتي وهدده بالموت ان هو فشل في تنفيذ هذه المهمة ومنعه من السماح لأي فرد من وحدات العاصفة او من رجال الشرطة السرية للدولة بالتقرب مني الا بعد اتصال شخصي مباشر معه. وقد شعرت آنذاك بالطمأنينة التامة لكنني

(٧) كان هرمان غورنغ هو المؤسس والقائد الاول لتشكيلات الشرطة السرية للدولة عندما كان رئيسا لوزراء بروسيا ثم تخلى عن هذا المنصب لهاينريش هملر لكي يتفرغ لمهماته الاخرى العديدة . ـ المترجم ـ

لسوء الحظ كنت قد ارسلت زوجتي وبنتي لزيارة اسرة احد اصدقائي في بريمن تلبية لدعوة تلقيناها قبل يومين • وكنت متأثرا لانهم لابد وان سمعوا من الاذاعة والصحف بتدهور الموقف الداخلي في المانيا وأصابهم قلق شديد بشأن مصيري•

بقيت خلال الايام الثلاثة التالية في جهل مطبق عما دار ببرلين وفي الاجزاء الاخرى من المانيا لانني بقيت في بيتي الذي جعل سجني• وكنت على ثقة من ان غوبلز وهملر وهايدريش[8] كانوا يتحرقون رغبة في تصفيتي انتقاما للمحاضرة التي سبق ان القيتها في جامعة ماربورغ• لكنني ادركت بعد الحرب العالمية الثانية ان غورنغ حرص على الابقاء على حياتي وجعل نفسه حاميا لي اكراما للرئيس فون هندنبورغ• وكان يرى بأن القضاء علي سيكون وزرا لا موجب له يتحمله النظام•

انصب تفكيري في تلك الاثناء على كيفية اقناع هتلر للرئيس فون هندنبورغ لاصدار قراره باعلان حالة الطواريء • وقد علمت فيما بعد ان البارون فونكيتيلر وهو من أمناء سري ومن أصدقائي الحميمين حاول الوصول الى ضيعة نوي ديك بطريق ملتوية بقصد تجنب التعرض للأسر ومقابلة الرئيس فون هندنبورغ• والمؤسف انه وصل للضيعة المجاورة لها فقط حيث ضيعة آل فوناولدنبورغ فأستقبله هناك السيد فون دير شولنبيرغ الذي أخبره بأن حالة المشير لا تساعد مع الاسف على قبول اية زيارة له•

وواضح ان الرئيس فون هندنبورغ لم يكن بموقف يساعد على ارسال برقيات التهنئة التي زعمت الاذاعة الالمانية آنذاك بأنه وجهها الى كل من هتلر وغورنغ بمناسبة القضاء على محاولة روهم الأنقلابية أو أنه لم يعط صورة صادقة عما جرى في تلك الفترة• ولست ادري عما اذا قام هتلر وغورنغ

(٨) كان راينهارد هايدريش نائبا لهملر في قيادة الشرطة السرية للدولة ولما استولت المانيا على تشيكوسلوفاكيا أبدلت تسميتها الى بوهيميا ومورافيا وعين هايدريش حاكما عاما لهما واتخذ من قصر (هرادشتين) ببراغ مقر له . ثم انه اغتاله التشيكيون بالقاء رمانة انكليزية الصنع على سيارته المكشوفة فانتقم الالمان لمقتله اشد الانتقام .

ـ المترجم ـ

بعزل الرئيس فون هندنبورغ عن الحقائق ولو تم هـذا فعلا فان الملام على تضليل الرئيس هو أمين سر الدولة الدكتور اوتو مايسنر.

كان الخيط الواهي الذي ربطني بالعالم الخارجي في تلك الايام السود هو مرور بعض أصدقائي المخلصين من تحت شباك بيتي في شارع (لينيه) وكأنهم يتنزهون بينما كانوا يتأكدون من وجودي على قيد الحياة وكان منهم وليام دود السفير الامريكي ببرلين وصديقي الاستاذ الدكتور مونك وهو رجل شجاع ونطاسي بارع سأبقى معتزا بوفائه ما حييت. ولم يأبه الدكتور مونك للحرس المشدد على منزلي فكان يرابط قرب البيت ولا يغادر المكان الا بعد ان يؤشر لي بابهامه مشجعا على الصمود . وفي اليوم الرابع لاعتقالي بالدار تمكن بعض المارة من تعبير بعض المعلومات المهمة لي. وكانت تتضمن مقتل البارون فون بوسه واعتقال عدد من اعواني. وان محاولة الانقلاب التي أراد روهم تنفيذها قد احبطت. ثم حصل ولدي المحصور معي في الدار على اذن بمغادرة المنزل لكي يشترك بالامتحان النهـائي حيث كان بقـائه مضطرا على المكوث في الدار خلال تلك الفترة في غير صالحه بطبيعة الحال. كما حصلت زوجتي وابنتاي ـــ اللائي عدن لتوهن من بريمر هافن ـــ على اذن خاص بزيارتي وكانت زيارتهن مدعاة اطمئنانهن على حياتي.

في تلك الفترة بالذات اعيد الاتصال الهاتفي للمنزل وكان اول المتصلين معي هاتفيـاً الوزير هرمان غورنغ الذي سألني بكل بلاهة لماذا لم احضر الاجتماعات الاخيرة لمجلس الوزراء فوجب ان تكون اجابتي جافية ومجردة من أية كياسة . الا أن الرجل أبدى دهشته لبقائي قيد الاقامة الاجبارية واعتذر عن هذه (الهفوة) وأصدر أمره بسحب نقطة الحرس عن منزلي مما أتاح لي الفرصة لمغادرة المنزل والتوجه الى مقر المستشارية .

وقد أيقنت في تلك الليلة بأن هملر جعلني ورجال مكتب نائب المستشار ضمن المشبوهين بالمساهمة في انقلاب روهم وظننت ـــ مدفوعا بسلامة النية ـــ ان هتلر لم يشترك في عملية التنكيل المدبرة ضدي . وقد لاقيته عنـدما كان يوشك على ترؤس جلسة لمجلس الوزراء ورجاني أن اتخذ مقعدي حول مائدة

المناقشة فأخبرته بأن ذلك لم يعد يهمني وانني اريد الاختلاء به لكي أحدثه في مسألة شخصية • ولما استجاب لطلبي سـردت عليه ما حدث لي خلال الأيام القليلة المنصرمة وطالبته بفتح التحقيق بما تعرض له موظفي مكتبي وأخبرته بهذه المناسبة بأنني أعتبر نفسي في حل من الاستمرار على الاشتراك بالحكم وانني اكرر الرجاء بقبول استقالتي التي سبق ان قدمتها يوم ١٨ حزيران ١٩٣٤ واعلان ذلك للملأ •

الا ان هتلر رفض طلبي قائلا :

« لا أريد أن ازيد من توتر الموقف الداخلي السائد باعلان الموافقة على قبول استقالتك رغم انني افكر جديا بالغاء منصب نائب المستشار لكنني ارجوك حضور جلسة مجلس النواب الذي سيلتئم باجتماع خاص بناء على طلبي »•

لكنني أعدت على مسامعه اصراري على الرغبة في الاستقالة من الحكومة• وافترقنا دون ان يتوصل أي منا للنتيجة التي يرجوها من الآخر • واتجهت لتوي من دار المستشارية الى رئاسة أركان الجيش في شارع « بيندلر » لزيارة صديقي الفريق البارون فون فريتش ولما قابلت مرافقه ـ وهو فارس من هواة سباقات الخيل المعروفين ـ ابتدرني قائلا :

« ما الذي حدث يا سيادة نائب المستشار ؟ »

فأجبته على الفور :

« انني ـ كما ترى ـ لا ازال على قيد الحياة ولكنني سوف لن اواصل المساهمة في هذه اللعبة القذرة » •

بدى لي الفريق فون فريتش مسلوب الارادة وقد حدثني عن اعدام الفريق فون شلايخر وعقيلته والفريق فون بريدوف • وان الجيش الالماني جعل في حالة انذار • فسألته لماذا لم يتخذ موقفا مضادا لهتلر بعد ان قتل اثنين من قادة الجيش الالماني ونكل بالمئات من المواطنين فقتل منهم عددا واعتقل عددا آخر فأجابني بأنه لم يكن ليتخذ مثل هذا الموقف ما لم يتلق أمرا بذلك من الوزير فون بلومبرغ أو من القائد الاعلى الرئيس فون هندنبورغ •

ذلك لأن الجيش الالماني الذي جُبل على حب النظـام والمحافظة على استقرار البلد لابد أن يرعى سيادة القانون • الا أن فون فريتش فاته بأن الوزير فون بلومبرغ لقي أقسى معاملة وان الرئيس فون هندنبورغ عزل عن العـالم بحيث أصبح الوصول اليه متعذرا بينما أعطي معلومات مغلوطة عن الواقعة • ولكنني سرعان ما عرفت السبب الذي دعا الجيش الالماني للبقاء سـادرا دون تدخل • اذ مما لا شك فيه ان قادة الجيش الكبار أمثـال فون فريتش وبيك وفون هامرشتاين اكوورد وفون بوك وآدم وفون كلوغه وفون كلايست وغيرهم كانوا قد انذروا بالحركة في وقت مبكر • وكانوا على ثقة من ان ازالة المغامر روهم وطغمته ستزيح عن كاهل المانيا كابوسا ثقيلا يتهددها بالمصير القـاتم • ولم يخطر على بالهم أن هتلر سيتخذ من هذه العملية ذريعـة لتصفية خصومه كلهم وانه لن يكتفي بالقضاء على زعماء وحدات العاصفة وحدهم •

والواقع ان هتلر عندما وصل الى السلطة بذل قصارى جهوده لتجهيز الجيش الالماني بأحسن التجهيزات ولم يكن غريباً ان يحصل على ولاء رجال ذلك الجيش لدرجة فـاقت ولائهم لجمهوريـة ڤايمار• لاسيما وان ضباط الجيش الالماني كانوا من اشد الناس تمسكا بالتقاليد وولاء للوطن وللدولة ممثلة بزعيم الامة • كما ان ثقافة الضبـاط الالمان المستمدة من التقـاليد العسكرية البروسية كانت تفرض على كل قائد عسكري ان يتصرف تنفيذا لأمر يتلقاه من مرجعه المباشر • كما ان بعض قادة الجيش الذين كانوا معجبين بالفريق فون بلومبرغ تصوروا ان هذا القائد يستفيد من هتلر لرفع مستوى القوات المسلحة الالمانية من جميع الوجوه• ثم ان الحقيقـة التي لا سبيل لانكارها هي ان الجيش الالماني يعتبر الهيئة التي حققت الانتصار بالقضاء على خصمها اللدود المتمثل بروهم وقادة وحدات العاصفة•

كما ان موقف الجيش الالماني يمكن ان يتوضح بصورة اجلى اذا مـا علمنا بأن لقاء حصل بين روهم ورئيس اركان الجيش الفريق فون فريتش في كوخ صيد يعود للسيد ڤيرنر فون الفينز لبين قبيل قيام روهم بمحاولته الانقلابية وتعهد فون فريتش في ذلك الاجتماع بابقاء الضباط وضباط الصف

المعلمين الذين يدربون وحدات العاصفة تحت امرة روهم بينما يتعهد الاخير بجعل قوته احتياطا للجيش الالماني في حالة اشتراكه بحرب ما دفاعا عن المانيا . كما تعهد روهم بتجنب اثارة اية فعاليات ضد الجيش الالماني او التدخل بشؤونه. ولما علم هتلر بهذا الاجتماع استشاط غضباً واضمرها لكليهما لأنه قدر مدى خطورة تضامن قادة الجيش مع قادة وحدات العاصفة وتصور انهم سيجعلونه بموقف غير مريح.

ولو كان الجيش الالماني قد تحرك ضد هتلر لما لقي الا مقاومة تافهة. ذلك لأن قادة وحدات العاصفة كانوا يبادلون هتلر عداء بعداء لأنهم ادركوا سوء نواياه بعد ان قام بتصفية عدد كبير من قادتهم. اما قطعات الحماية فكانت لا تزال ضعيفة لانها كانت في مرحلة التكوين الاساسي.

بعد ذلك التأريخ بمدة طويلة وعندما اعتقلت متهما امام محاكم نورمبرغ سألت غورنغ وكايتل عن تفاصيل مقتل الفريق فون شلايخر. فقال لي المشير كايتل بأنه لا علم له بتفاصيل تلك الواقعة الا ان فون بلومبرغ حدثه آنذاك بأنه تناهى للاسماع اسناد فون شلايخر لخطة روهم الانقلابية.

وان فون شلايخر ارسل صديقه الفريق فون بريدوف سرا للاتصال مع بعض السياسيين الفرنسيين . عندئذ قاطعه غورنغ معقباً بأن الشرطة السرية للدولة تلقت امرا مباشرا من هتلر شخصيا باعتقال فون شلايخر لكن رجال الشرطة ما ان قابلوا فون شلايخر الا وسحب مسدسه مستعدا للمقاومة بينما دخلت عقيلته الغرفة مما اضطرهم على مهاجمتها فأصيبت بجرح قاتل ولما تبادل فون شلايخر مع مهاجميه اطلاق النار سقط قتيلا. الا ان هذه لم تكن هي الحقيقة وانما ورد في كتاب «فريق بين الشرق والغرب» الذي يروي سيرة الفريق فون شلايخر ان الرجل وعقيلته القي القبض عليهما وقتلا صبرا دون ان تتاح لهما اية فرصة للاعتراض او المقاومة . وعليه فان رواية غورنغ تعتبر نموذجا لتبرير القتل الذي درجت عليه الشرطة السرية للدولة لجرائمها التي شملت اوربا المحتلة فيما بعد.

ثم ان غورنغ استرسل في حديثه بسجن نورمبرغ قائلا:
« في مساء ٣٠ حزيران ١٩٣٤ كنت قد رجوت هتلر منحي الصلاحيات الضرورية لاصدار الاوامر لكي تتاح لي امكانية التصرف في تلك المرحلة الحرجة . وبعد محادثة طويلة أخبرني هتلر بأن عملية التصفية هذه ستؤدي الى قتل عدد كبير من خصومه ».

الا ان السيد هانز فرانك[٩] الذي كان معنا في السجن ذكر رواية اخرى عندما قال بأنه كان في تلك الفترة وزيرا للعدل في حكومة باقاريا وان هتلر اراد اعدام مائتين من الذين اعتقلهم في سجن شتادلهايم بميونيخ وان هانز فرانك تمكن من اقناعه بعد مناقشة مطولة لتقليص عدد الذين قرر هتلر اعدامهم وجعلهم زهاء ستين فردا من اولئك المنكودين.

ولما سألت غورنغ في السجن عما اذا كان الرئيس فون هندنبورغ قد رأى البرقية التي أرسلت بأسمه لتهنئة هتلر اثر واقعة ٣٠ حزيران ١٩٣٤ اجاب بأن البرقية ارسلت بتدبير من السيد مايسنر رئيس ديوان رئاسة الجمهورية آنذاك . ولعلني غالبت نفسي كثيرا لكظم غضبي وعانيت الكثير لاخفاء الرعب والخجل اللذين اعترياني نتيجة للطريقة التي قتل بها فون بوسه ويونغ وكلاوسنر وفون شلايخر والكثيرون غيرهم بحيث يتعذر علي سرد التفاصيل المؤلمة التي اقدم القتلة الجبناء على اتيانها . لاسيما وان المرء لم يكن ليتصور في أول سنوات عهد هتلر اقدام النظام على تصفية خصومه بتلك الطريقة الاجرامية التي لم تكن مألوفة والتي اصبحت فيما بعد السيماء المميزة لنظام هتلر في المراحل الاخيرة من عهده. ومع انه من الصعوبة بمكان اعطاء الوصف التأريخي للملابسات التي حصلت في تلك الفترة . الا أنه قتل الناس بالجملة رميا بالرصاص دون محاكمة أو اجراءات قانونية اصولية . وقد ساد التصور آنذاك بأن هتلر افتتح بتلك الفعلة سلسلة من اعمال القتل

(٩) كان هانز فرانك محاميا نابها وقد عينه هتلر حاكما عاما لبولندا بعد احتلالها عام ١٩٣٩ ولما خسرت المانيا الحرب العالمية الثانية احيل الى محاكمات نورمبرغ فحكم بالاعدام ونفذ فيه شنقا في تشرين الثاني ١٩٤٦ .
ـ المترجم ـ

المدبر استمرت طوال عهده • ووجدت نفسي اتسائل بالحاح• ما الذي يجب علي ان افعله في تلك الفترة المظلمة؟

فالملابسات التأريخية التي اعتورت قضية روهم لابد ان تدعو المؤرخ المنصف ان يحمل رجال الدولة في ذلك العهد مسؤولية انسانية بدرجة قلت أم كثرت وعلى اولئك الساسة ــ وانا منهم ــ ان يدافعوا عن انفسهم• ومن الطبيعي ان المسؤولية التي يتحملها كل فرد تتناسب مع المنصب الذي كان يتبوأه•

أما انا فكان شغلي الشاغل بذل كل ما بوسعي لانقاذ المسجونين من الرجال الذين كانوا قد عملوا معي واجابة عوائلهم بما يطمنها بعد ان اخذ منها القلق كل مأخذ واصبحت لهم الملاذ الوحيد الذي يمكن ان يمنحهم بصيص الامل بنجاة اولئك المنكودين من براثن الشرطة السرية للدولة • فلم أخيب املهم وواصلت الليل بالنهار سعيا لانقاذ رفاقي من محنتهم•

لقد حصل لدي انطباع مؤكد بأن محاولة روهم الانقلابية كانت خطرا داهما لا شك فيه• الا ان التصفية الجسدية التي شملت قادة وحدات العاصفة وعدد كبير آخر من خصوم هتلر انطوت على فقدان سيادة القانون مما ادى الى تدهور الشعور العام بالطمأنينة واشاع الرعب في نفوس الالمان لدرجة كانت معها عقابيل تلك التصفية وخيمة العواقب•

في الايام القليلة التالية لمقتل روهم وغيره كتبت لهتلر سلسلة من الرسائل الشخصية التي اتخذها الادعاء العام في محاكمات نورمبرغ بعد الحرب العالمية الثانية قرائن مادية ضدي لم اتمكن من تفنيدها الا بشق الانفس• وللمرء ان يقدر طبيعة الظرف الرهيب الذي كتبت به تلك الرسائل • لقد كان الغرض من تلك الرسائل محاولة العمل على اخلاء سبيل العاملين معي ذوي المصير المجهول لقاء تعهدي بالاستقالة من منصب نائب المستشار • فقد كان اربعة منهم قيد الاعتقال وهم معرضون للقتل في اية لحظة على غرار ما حصل لضحايا يوم ٣٠ حزيران ١٩٣٤ • كما انني حاولت تبرئة نفسي بعد ان اقتحم رجال الشرطة السرية للدولة في ذلك اليوم مكتب نائب المستشار وأجروا

تحريات محمومة بحثا عن أية أدلة لادانتي والعاملين معي تمهيـدا لتصفيتنا جسديا . لاسيما وان اضبارات مكاتبنا كانت حافلة بالشكاوي من النظام وحاوية لمعلومات ضد الكثيرين من رجال الحكومة.

ولم يكلف الوزراء انفسهم اية مشقة للمساهمة معي في انقاذ السجناء. كما ان اية مساعدة من خـارج المانيا كانت غير واردة اطلاقا . وعليه فان المسلك الوحيد الذي كان مفتوحا امامي هو استعطاف هتلر والتشفع لديه بالولاء والتأكيد له بعـدم علاقتنا بالمحاولة الانقلابية الفاشلة من قريب أو من بعيد .

احتججت برسالتي المؤرخة ٤ تموز ١٩٣٤ على اعتقال معـاوني الذين اعتقلوا وعلى نهب اضبارات مكتبي وهددت بالاتصال بالنائب العام واعطيت للصحافة نتفا مما جاء في تلك الرسالة لكن هتلر لم يجب عليهـا. فجددت الكتابة اليه في ١٠ تموز ١٩٣٤ وحدثته هذه المرة عن مناقشتي مع غورنغ وأعدت عليه رغبتي بالسفر معه سويـة الى نوي ديك لمقابلة الرئيس فون هندنبورغ واستحصال موافقته على قبول استقالتي. ولما اتصلت بالدكتور اوتو مايسنر هاتفيا ورجوته ترتيب مقابلتي للرئيس اجابني هذا بأن الرئيس في حالة صحية تستدعي ركونه للراحة التامة ورجاني التصبر لبضعة ايام أُخر انتظارا لتحسن حالة الرئيس . وطلبت في رسالتي المذكورة من هتلر موافقتـه على استقالتي واعلان ذلك للرأي العام.

وفي ١١ تموز ١٩٣٤ التقيت بهتلر وعلمت منه بأنه عازم على القاء خطبة في البرلمان يعلن فيها تحمله كامل المسؤولية عما حدث من اعمال نتيجةلاحباط محاولة روهم الانقلابية . كما انـه سيشرح للبرلمان قضيـة منصب نائب المستشار بكل وضوح . الا أنه اعتذر عن تبرير مقتل بوسه واتهمني بالتشهير به بسبب هذه الواقعة مؤكدا بأن المانيا تمر بمرحلة دقيقة من تأريخها تتطلب التضامن ورص الصفوف.

وكتبت رسالة أخرى لهتلر في ١٢ تموز ١٩٣٤ واعقبتها بمذكرة كتبتها له في ١٣ تموز ١٩٣٤ رجوته فيها اعفائي من حضور جلسة البرلمان. وفي هذه الفترة تم اطلاق سراح اعواني تدريجيا ما عدا ادغار يونغ الذي ساورتنا الشكوك ببقائه على قيد الحياة.

وعلى الرغم من الاوامر التي تظاهر هتلر وغورنغ باصدارها لاعادة وثائق مكتب ديوان نائب المستشار الا ان الوثائق المذكورة لم تعد ابدا. وبقيت البناية غير مشغولة على أمل انشاء جناح جديد لنائب المستشار في بناية دار المستشارية الجديدة التي صممها المهندس البرت شبير.

ولم تحتو الاضابير التي غنمها رجال الشرطة السرية على أية وثائق تكون مصدرا لادانة أي فرد منا عدا الشكاوي المرسلة الينا من عدد كبير من المواطنين . لكنني قدرت بأن لهملر وهايدريش مبررات او قرائن استوجبت بنظر احدهما اتخاذ قرار باعدام بوسه.

ثم انني حررت رسائل اخرى لهتلر في ١٤ و١٥ و١٧ تموز ١٩٣٤ قلت له فيها بأن اجراءاته اصبحت واضحة امام التاريخ وقد تبين له بجلاء براءة شخصي من المحاولة الخيانية التي اقدم عليها روهم.

وقد ذكرت له في رسالتي الاخيرة بعدم تنفيذ أي من اوامره المتعلقة باعادة اضبارات مكتبي وقلت له ان عدم ارجاع تلك الاضبارات معناه تعذر مواصلتي لفعالياتي الرسمية.

أما هتلر فقد اجاب على رسائلي بوسائله المعهودة حيث اوفد لي امين سر الدولة الدكتور هانس هاينريش لاميرز يوم ٦ أو ٧ تموز ١٩٣٤ الذي عرض علي منصب سفير المانيا لدى الفاتيكان ومعه عرض آخر بأن المستشار على استعداد لتلبية أي طلب آخر ان لم اوافق على المنصب المعروض . ومع انني رجل مهذب احسن التحكم بأعصابي ونادرا ما تنتابني سورة الغضب. فانني ما ان سمعت ذلك العرض الا وصرخت محتجا بوجه السيد لاميرز:

« هل تظن انت والمستشار بأنني رجل يبيع نفسه ؟ انه لمن قلة الحياء ان يعرض علي مثل هذا العرض • ارجو ان تبلغ اجابتي هذه للمستشار »•

ولما شيعت ضيفي الى باب المنزل وجدت زوجتي وأمينة سري تسترقان السمع من وراء جدار الغرفة المجاورة لكنهما قالتا بعدئذ بأن جملتي الاخيرة كانت بصوت مرتفع غير معهود مني•

استمررت على تكرار محاولات الاتصال مع الرئيس فون هندنبورغ لاخباره بتطورات الاحداث شخصيا ولكن دون جدوى لأن الاجابة الوحيدة التي كنت احصل عليها من المرافق او من الدكتور مايسنر كان فحواها ان صحة الرئيس الجليل لا تساعد على اجراء أي لقاء معه•

في هذه الفترة زارني الفريق فون آيزنهاردت روته وهو رجل مخلص ومستقيم وقال لي ان استمراري على البقاء في حكومة هتلر يعتبر أمرا منافيا لشرفي ثم أقسم لي قائلا بأنني الوحيد الذي يعتبر من المتمسكين بالنظام والقانون•

اقر مجلس الوزراء اجراءات هتلر بجلسته المؤرخة ١٤ تموز ١٩٣٤ ما عدا وزير العدل الذي قاوم اقرار تلك الاجراءات بكل ما اوتي من قوة• وكان من رأيه ان ادانة روهم وحده كان يمكن ان تتم بمحاكمة اصولية لكي ينال جزاءه العادل وان الضحايا الآخرين لم يكن هناك ما يبرر سفك دمائهم•

ثم اننا علمنا فيما بعد بأن ادغار يونغ قد اطلقت عليه النار في احد اقباء الشرطة السرية للدولة بشارع البرشت ببرلين فلقي حتفه • فبادرت بالشكوى الرسمية لدى وزير العدل الذي اخبرني بأن الواقعة مسجلة ضد مجهول•

أما أنا فقد فقدت بوفاة يونغ رجلا شابا نابها وحصيفا من المحافظين الشباب ومعاونا مقربا من أخلص الرجال الذين خدموا معي عن كثب•

وكان صديقي هانس هومان هو الذي عرفني على الدكتور يونغ وجلب انتباهي نحو ذلك الشاب الرائع الذي كان يعمل بالمحاماة في ميونيخ• ولما

عرضت عليه الاشتغـال معي ابدى استعـداده للعمل بمكتبي بكل سرور فطفقنا نعمل بتعاون تام في المجالات السوقية والتعبويـة لخوض المعركة الانتخابية التي كانت قد احتدمت خلال تلك الفترة فأعددنا مواضيع الخطب المقرر القائها بينما كان يونغ يضع ادق تفاصيل الاخراج الكامل لكل خطاب. ثم دأب على مثل هذا النشاط حتى وصل الأوج في الخطبة التي القيتها بجامعة ماربورغ حيث استغرق اخراجها منه عدة اسابيع من العمل المتواصل بالاضافة للمعونة التي لقيتها من الكنيسة الكاثوليكية بهذا الشأن.

وعلى الرغم من كون الدكتور يونغ مسيحيا بروتستانتيا الا انه كان وثيق الصلة بالكنيسة ومتعاونا معها وفق ضرورات المفاهيم السائدة في القرون الوسطى. وقد استفدت من امكاناته وعلاقاته الكنسية في حملة اعادة انتخاب الرئيس فون هندنبورغ. وفي النصف الثاني من عام ١٩٣٣ ـ عندما اصبح بالامكان عودة الحياة الطبيعية ـ كنا لا نرى بعضنا الا لماما . ولما تفاقم خطر هملر وشرطته السرية في اقليم بروسيا الشرقية بصورة خاصة في مايس ١٩٣٤ ولما تدهورت صحة الرئيس فون هندنبورغ بحيث لم يعد بمقدوره التدخل اتفقت مع يونغ على اعداد خطبتي الملمع عنها آنفا والتي القيتها في جامعة ماربورغ وحذرت فيهـا الشعب الالماني من الخطر المتمثل باستبداد هتلر وحركته النازية.

لم يكن بمقدور اعدائي وكارهي من الزعم اكثر من انني كنت غير ذكي لدرجة تكفي لكتابة مثل ذلك الخطاب الرائع او حتى اتيان تلك الافكار المتسلسلة الواردة فيه . الا ان البارون فون بوسه سبق ان قال لي على سبيل المزاح: «الافضل ان تدبج محاضراتك لوحدك يا حضرة نائب المستشار . اذ لابد ان تكون الافكار الواردة فيها هي الافضل».

كما شهد وكيل الوزارة زابات الذي كان احد اعواني السـابقين في مكتب نائب المستشار امام محكمة نورمبرغ بعد اداء اليمين قائلا:

« لم ترد في تلك الخطبة التي القاها السيد فون پاپن بجامعة ماربورغ أية خاطرة او فكرة لم تكن من بنات افكار السيد فون پاپن فنحن في مكتب

نائب المستشار نعلم علم اليقين ما انطوت عليه روحيته بحكم اشتغالنا معه لمدة طويلة » اليس من امتيازات رجل الدولة ان يحف به عدد من افضل المفكرين الذين يمكنه ايجادهم فيتلقى منهم افكارهم الصائبة ولكنه هو الذي يتحمل المسؤولية الكاملة والنهائية وليس اولئك الرجال العاملين من وراء الستار؟ ولابد للناس ان يشيروا بالبنان لرجل السياسة المشهور الذي يطلق الآراء في مختلف المناسبات دون التحري عمن اوحى له بها او حتى حررها له. وليس لأحد ان يحزن مثلي على مصير السيد ادغار يونغ الذي كانت غلطته القاتلة هي ادعائه بمناسبة وبدون مناسبة انه صاحب افكار فون پاپن ومحفزه الاول على مقاومة النظام النازي. ولولا ادعائه هذا لما لقي مصيره المحزن ولاستمتعنا ببقائه بيننا الى يوم الناس هذا .

عند اعتقالي بعد الحرب العالمية الثانية في معسكر الاشغال الشاقة بغارميش أجريت محادثة مع قائد قطعات الحماية السابق هوبر الذي كان يعمل في الشرطة السرية للدولة خلال عام ١٩٣٣ وكان من رأيه ان هتلر كان قد جعل مهمة تصفية أقطاب محاولة روهم الانقلابية من مسؤولية مصلحة الأمن التي يقودها راينهارد هايدريش أكثر من الشرطة السرية للدولة . وان شعبة برلين من مصلحة الأمن كانت تحت ادارة رجل يدعى باهرنز وان هذا الرجل هو الذي أمر بقتل ادغار يونغ عن تهمة وضع خطبة جامعة ماربورغ .

بذلت اهتمامي في تموز ١٩٣٤ للعناية بأسرة البارون فون بوسه حيث اصيبت زوجته ــ التي لديها منه طفلين لم يبلغا سن النطق آنذاك ــ بانهيار عصبي حال سماعها بنبأ مقتله . وقد علمت في اواخر عام ١٩٤٨ (عندما كنت بالسجن اخوض آخر معركة دفاعية عن نفسي امام محكمة نورمبرغ) من احد رجال الشرطة السابقين وهو السيد برونوغ[١٠١] الذي سرد لي تفاصيل اغتيال

(١٠١) تكتم المؤلف على الاسم الصريح لرجل الشرطة اما بناء على طلب الشاهد نفسه او لحمايته من الملاحقة القانونية التي لا تزال سارية المفعول ضد النازيين السابقين وهي جزء من حملة الابتزاز الصهيونية التي تمارس ضد الالمان بصورة منظمة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

ــ المترجم ــ

البارون فون بوسه وقال انه تلقى في مساء ٣٠ حزيران ٩٣٤ امرا بدفن جثة بوسه في حديقة المسرح. وان تقرير وفاته تضمن اصابته بعدة اطلاقات في القلب. ثم قال السيد غ بأنه تحرى في الاضبارات الرسمية لمكتب نائب المستشار طوال اسبوع كامل بحثا عن أية ادلة تشير الى تورطنا في محاولة روهم الانقلابية ولما لم يتمكن من النهوض بهذه المهمة لوحده فقد اودع الاضابير كلها الى ادارة الشرطة السرية للدولة . وكما سبق ان ذكرت آنفا فان بوسه كانت لديه وثائق عن فعاليات كل من هملر وهايدريش . اذ كان له في شعبة الصحافة بمكتبه مساعد يدعى بوخوف عمل بعدئذ وكيلا لمصلحة الأمن ولربما كان يعمل بهذه الصفة من ذلك الحين وانني على ثقة من أن ذلك الرجل هو الذي وشى ببوسه لدى الشرطة السرية للدولة فأخبر بنشاطاته وساهم في تحمل مسؤولية قتل بوسه. ولما اصبحت بعدئذ سفيرا لالمانيا في ڤينا ظهر بوخوف هناك وسأتحدث في فصل لاحق عن مساهمته في مقتل صديقي البارون فون كيتلر .

كانت وسائل الشرطة السرية للدولة مضللة الى أبعد الحدود لطمس معالم الجرائم التي وقعت في ٣٠ حزيران ١٩٣٤ فلجأت ــ قدر المستطاع ــ الى احراق جثث الضحايا . أما في حالة صديقي البارون فون بوسه فان هملر اصدر امرا استثنائيا بتسليم بقايا جثته لذويه بناء على الحاحي المتواصل . الا انني شعرت بمضايقة هملر من موقفي هذا لدرجة استوجبت مني الحذر الشديد في التعامل معه مستقبلا.

اجتمعت معي زمرة صغيرة من اصدقاء البارون فون بوسه الخلّص لتشييعه الى مثواه الاخير بمقبرة شوينه بيرغ فوصفت في تأبينه حياته عندما كان ضابطا نابها أدى واجبه بكل اخلاص وتفان واسهبت في ذكر مناقبه وسعيه لبعث الامة الالمانية . وتطرقت الى وصف موقفه النبيل الذي دفع حياته ثمنا له. وقلت انه مات ميتة الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل اوطانهم واستحقوا المجد المؤثل بأكاليل الغار. وقد لاحظت خلال القائي لكلمتي التأبينية هذه ان وكلاء الشرطة السرية للدولة الحاضرين في التشييع كانوا

يكتبون كل ما قلتــه دون حيــاء أو خجل . وقد أخبرني السفير فون هاسل فيما بعد بأن موسوليني كلفه باخباري شخصيا باعجابه بشجاعتي الفــائقة المتمثلة بتأبيني للبارون بوسه .

ان المأساة الرهيبة التي وقعت في ٣٠ حزيران ١٩٣٤ كان يمكن ان تتطور بحيث تؤدي للاطاحة بنظــام الحكم النــازي قبل أن يستطير شــره لو ان الله سبحانه وتعالى اعطى للمشير فون هندنبورغ صحة وعافية تمكنه من ادارة شؤون الدولة الالمانية لمــدة ستــة اشهر اخــرى فقط ولكان ذلك الرجل الحصيف ورجل الدولة العظيم قد استقر ببرلين وما غادرها الى غير رجعة. ولو بقي ببرلين لامكن الوصول اليه بسهولة تامة وادامة التشاور معه . ولو بقي ببرلين لعلم بتأثيرات خطبتي في جامعة ماربورغ التي فضحت النظام النازي ولعلم بمصرع مستشاره السابق فون شلايخر وأخيرا فأنه لو بقي ببرلين لما اقدمت قطعات الحماية على ابادة الاعداد الغفيرة من المواطنين الالمان بدون جريرة.

ومما لا شك فيه لو أن صحة الرئيس فون هنــدنبورغ كانت تساعده على اداء واجباته لاتبع المسلك الوحيد المفتوح امامه باتخاذ قرار التدخل بالقوة للاطاحة بهتلر واعادة النظام والقانون الى نصابهما. ولما حدث ما حدث من تحميل المانيا عبء خسران حرب عالمية ثانية.

ولكن التاريخ يحدثنا بحديث آخر هو انه لا مكان لعبارة (لو) في قاموسه منذ وجدت الخليقة على وجه البسيطة والى ما شاء الله.

الفصل العشرون

وَصِيَّة فونْ هنْدنبورْغ

محاولة لعودة الملكية . هتلر يؤيد . فون هندنبورغ يوجه رسالة وصية . لقاء هتلر بموسوليني . وفاة الرئيس فون هندنبورغ . هتلر ينصب نفسه رئيسا للجمهورية . القَسَمْ الجديد لرجال الجيش الالماني .

ازاحت وفاة الرئيس فون هندنبورغ يوم ٢ آب ١٩٣٤ آخر عقبة في وصول هتلر الى السلطة المطلقة . ولقد شعرنا جميعا بالخطر الشديد الذي احاق بنا بعد فقدان الرئيس الجليل الذي بقي طوال عهده صمام الامان لبلادنا والملاذ الوحيد لنا في الشدائد . وهذه حقيقة أدركها المستشار الاسبق بريونينغ الذي جرت انتخابات تجديد رئاسة فون هندنبورغ في عهد حكومته . وقد زعم امين سر رئاسة الجمهورية الدكتور مايسنر ومساعده السيد فون دير شولينبورغ بأن حصول الرئيس على اغلبية ضئيلة لابد ان يفت في عضده ويثبط همته. الا انني قررت منذ حزيران ١٩٣٢ عكس ذلك مؤكدا بأن الرئيس فون هندنبورغ يتميز باحتفاظه بطاقته الروحية التي

لا يمكن ان تتأثر بنتيجة الانتخابات او سواها. ومع ان صحة الرجل تدهورت بشكل ملحوظ عند مطلع سنة ١٩٣٤ الا انه بقي محتفظا بروحيته العاليةوكان من المؤكد في تلك الانتخابات عدم وجود اي شخص يتغلب على هتلر سوى الرئيس فون هندنبورغ ولو امتنع عن تجديد ترشيحه لفاز هتلر بالتزكية.

وواضح لي ولمتتبعي أحداث التأريخ الالماني ان فون هندنبورغ كان شخصية ذات دور فريد في تلك المرحلة الحرجة التي عاشتها بلادنا .

فقد جاء هتلر الى خضم الوسط السياسي ليكون أو لا يكون وعندما يكون فانه يفرض آرائه الثورية الحدّية بلا هوادة .

وكان من الواضح ان فون هندنبورغ عندما يرى منيته قد حانت فانه لن يتخلى عن موقعه الرفيع لشخص مثل هتلر . ثم انه من الخطأ – من وجهة النظر القانونية – اعطاء السلطتين التنفيذية والتشريعية لشخص واحد . وثمة أمر خطير آخر هو أن القوة المنظمة الوحيدة التي كانت نظيفة من النازية وأعني بها الجيش الالماني أصبحت هي الاخرى أداة بيد هتلر . ومع انني حاولت مع بعض زملائي الوزراء اثارة هذا الموضوع مع هتلر مرارا الا انه كان بارعا في التملص من مناقشة هذه القضية .

كان يبدو ان المنفذ الوحيد للتخلص من نظام هتلر البغيض هو العودة للملكية لا سيما بعد أن تأكد تعذر انتخاب أي الماني غيره لرئاسة الجمهورية.

ولربما كان الشعب الالماني يكن بعض الاحترام لملك يحكم في ظل الدستور .

ولم تخل المانيا آنذاك من شباب الأسرة الامبراطورية السابقة أو بيوتات ملوك الأقاليم كما أن نسبة كبيرة من أبناء الشعب الالماني كانت تولي النظام الملكي عاطفة تجعل هذا الاتجاه واردا . أما أنا فكان من رأيي اعادة الملكية لالمانيا وفق النموذج الانكليزي اذ أنني اؤمن بطريقة الحكم الهادئة ذات الضوابط التقليدية الا أن هذه الفكرة ما كان بالامكان تحقيقها الا بعد اقناع هتلر بصوابها .

في آذار ١٩٣٤ فاتحت هتلر باحتمال موت الرئيس فون هندنبورغ خلال فترة وجيزة مما يدعونا للتفكير المبكر بخلَفه • وقلت له بأن من الصعوبةعليه بمكان أن يحل محل فون هندنبورغ في رئاسة الدولة الالمانية لأنه بانصرافه لهذه المهمة الجديدة لابد وأن يتخلى للاخرين عن زعامة حركته السياسية بدرجة قلت أم كثرت اذا كان من رأيه أن يكون خلفاً للرئيس فون‌هندنبورغ •

لا سيما وان رئاسة الجمهورية تتطلب منه الابتعاد عن صفته النازية وعليه فقد اقترحت العودة للحكم الملكي المقيدِ بالدستور •

كدت أستغرب لسرعة رد فعل هتلر الايجابي على مقترحي هذا • حيث أبدى اعجابه الشديد بسيرة عدد من ملوك بروسيا السالفين وخص منهم بالذكر الملك فريدريك ڤيلهلم الأول وهو والد فريدريك الكبير الذي اشتهر بادارته الحازمة في التأريخ الالماني • وقال انه لكي نفكر جديا بعودة الملكية لالمانيا فلابد من التمعن بسيَر مثل هذه الشخصيات الحاكمة • وكان من رأيه أيضا تصوير سيرة كل شخصية من ملوك بروسيا بشريط سينمائي على أن يلعب الممثل المشهور اميل يانتغس الدور الرئيس في تلك الاشرطة•وكان هتلر يقصد بطبيعة الحال التمهيد للفكرة بتحبيذ نظام الحكم الملكي للشعب الالماني بطريقة غير مباشرة قبل طرح الفكرة المقترحة للاستفتاء العام •

ولم تكن لدى هتلر أية ملحوظات مضادة لبيت هوهنزولرن الامبراطوري السابق ولو انه كان يرى ألا يكون امبراطور المانيا المقبل ملكا لبروسيا في الوقت نفسه • كما ان هتلر كان ضد فكرتي المتضمنة اعطاء الولايات الالمانية حكما ذاتيا • وكان من رأي هتلر استبعاد ولي العهد وكذلك شقيقه الأمير اوغوست ڤيلهلم لأنه لم يجد أيا منهما جدير بتحمل مسؤولية الحكم• وهكذا اتفقنا أنا وهتلر بالرأي وتوصلنا الى أن بمقدورنا ايجاد المرشح المناسب لعرش المانيا من بين أبناء ولي العهد • الا أنني انصرفت نيتي نحو تولية العرش لأصغر أبناء ولي العهد الأمير فريدريش لأنه رجل جاد لطيف المظهر مهابا •

ثم تطرقنا الى ضرورة تعيين الامير الذي يقع عليه الاختيار للعمل في دار المستشارية لكي يحصل على فكرة شاملة عن تسيير أمور الحكومة الالمانية •

تحدثت مع الرئيس فون هندنبورغ بنفس المعنى وبصراحة تامة تحسبا للموقف الذي سيحصل نتيجة لمرض الرئيس او وفاته مما سيعرض البلاد لخطر شديد • وكان دستور ڤايمار ينص على تولي المستشار مهمة رئيس الجمهورية وكالة في مثل هذه الأحوال ريثما يتم انتخاب الرئيس الجديد • وقلت للرئيس فون هندنبورغ بأنني على ثقة من أن النازيين سيزيفون انتخابات الرئاسة وستتمخض الانتخابات عن اختيار هتلر رئيسا للجمهورية • والمسلك الوحيد لمنع تطبيق هذا الحل هو وضع هتلر والشعب الالماني ازاء وصية سياسية يكتبها فون هندنبورغ ويوصي بها بالعودة الى النظام الملكي الذي كان يوليه شيء من الاعجاب في كثير من المناسبات •

أوضح لي فون هندنبورغ بأنه متفق معي بالرأي ورجاني أن أكتب له الوصية المقترحة • وقد تطرق فون هندنبورغ في الكتاب الذي ضمنه سيرته والموسوم « من حياتي » والذي ذكر فيه خدمته العسكرية المديدة الى مثل هذه الوصية •

وتضمنت الوصية التي أعددتها للرئيس فون هندنبورغ اعادة النظام الملكي الى المانيا بعد وفاة الرئيس فون هندنبورغ لتعذر الجمع بين مهمات رئيس الجمهورية والمستشار •

وبررت ذلك باعتياد الشعب الالماني على العيش في ظل الملكية منذ ما ينيف على الألف سنة وانه اثبت ملاءمته لطبيعة الشعب الالماني في تأريخه الحافل بالأمجاد • ولكي يتقبل هتلر هذا الرأي ويساهم في وضعه موضع التنفيذ فقد اشرت بصورة خاصة الى فعالياته الايجابية مما يتناقض مع قوانين تصنيف الشعب الى طبقات ــ وفقا لنظريات هتلر العرقية ــ ويؤكد جعل ابناء الشعب سواسية أمام القانون •

في نيسان ١٩٣٤ قدمت الوصية المقترحة للرئيس فون هندنبورغ فقرأها ملياً ووضعها امامه قائلا بأنها تحتاج الى بعض الوقت لدراستها بامعان•

ثم استدعاني اليه بعد مدة قصيرة وفاتحني برأيه فيمن يخلفه بعد

موته مؤكدا انه لا يرى ما يستوجب التقدم للشعب الالماني بوصية او نصيحة اخيرة منه تتضمن تحديد الشكل العام لنظام الحكم. ذلك لأن الشعب نفسه هو الذي يقرر نظام الحكم المناسب له. اما بصدد العودة بألمانيا للنظام الملكي فانه سيوجه بذلك رسالة شخصية لهتلر.

وقد شهد السيد فون دير شولنبورغ مرافق الرئيس فون هندنبورغ امام المحكمة الدولية التي اتهمتني بموالاة النازية فيما بعد قائلا بأن الرئيس سلمه في النصف الثاني من نيسان ١٩٣٤ ورقتين مكتوبتين على الآلة الكاتبة تتضمنان وصيته وعليهما شطب واضافات كتبها بخط يده وانه طلب اليه اعادة طبعها وفق التعديلات التي أجراها عليها.

وكانت اولاهما الوصية التي أراد توجيهها للشعب وثانيتهما رسالة شخصية كتبها لهتلر. وتتضمن الوثيقتان عدم الايصاء للشعب الالماني بعودة الملكية ولكنهما تجعلان مستقبل الشعب رهينا بما يقرره المستشار نفسه بعد وفاة الرئيس فون هندنبورغ. ثم ان الرئيس وقع الوثيقتين وجعل كل منهما في مظروف مغلق. وكانت الاولى معنونة (الى الشعب الالماني) والثانية معنونة الى (مستشار المانيا ادولف هتلر).

ثم حفظت الرسالتان في خزانة الرئيس فون هندنبورغ حيث اوصلهما المرافق فون دير شولنبورغ فيما بعد الى الخزانة الفولاذ في ضيعة الرئيس بنوي ديك.

قضيت عطلة عيد الفصح لعام ١٩٣٤ التي مددتها باجازة للاستجمام امدها ثلاثة اسابيع في ايطاليا . الا انني كنت قلقا خلالها بسبب تطورات الاحداث فكتبت رسالة مطولة لصديقي السفير بروما فون هاسل ولما زرت الرجل بمكتبه بعدئذ عاتبني منتقدا طريقتي السافرة في التصدي لنظام هتلر ومحذرا من مغبة السير في هذا الطريق الشائك.

وفي المساء دعانا ـ أنا وزوجتي ـ لحضور حفلة أقيمت في دار الأوبرا بروما وقد اعتراني عجب شديد عندما لمحت موسوليني في المقصورة المجاورة

لمقصورتنا . وكان فون هاسل قد اخبر موسوليني بزيارتي لايطاليا ولذا فقد اتيحت لي الفرصة للتحدث مع موسوليني خلال فترة الاستراحة وبعد اختتام حفلة الاوبرا فتفصلنا في بحث الموقف العام حيث اغرب موسوليني عن عدم ارتياحه لنشاط النازيين النمسويين ولتطورات الموقف السياسي الداخلي في المانيا نفسها. اما انا فأعربت من جانبي عن املي في تحسن علاقات بلدينا وشيكا ووضع حد لتدهور تلك العلاقات . ثم سألت موسوليني عن امكانية توجيه دعوة رسمية لزيارة هتلر لايطاليا وبذلك سيتمكنا من بحث مختلف المسائل بطريقة ودية ويتوصلا الى تفاهم بشأن القضايا التي تخص السياسة الاوربية . لاسيما وان هتلر ـ بتقديري ـ يكن لموسوليني وفعالياته السياسية درجة كبيرة من الاحترام . وكنت على ثقة من ان موسوليني لابد وان يؤثر بآرائه على هتلر بدرجة قلت ام كثرت.

سررت بالغ السرور لأن موسوليني تقبل فكرتي على الفور ورجاني ان اقوم بتبليغ هتلر بالدعوة الرسمية لزيارة ايطاليا.

ما ان اخبرت وزير الخارجية البارون فون نويرات بعد عودتي للوطن بقضية الدعوة الرسمية المذكورة الا واكفهر وجهه لانه اعتبر ذلك تدخلا مني بمجال اختصاصه وقال ان هذه الزيارة ستجيء مبكرة جدا وهي تتطلب التخطيط المسبق تحاشيا لعقابيل النتائج غير المرغوبة والتي قد تتمخض عن الزيارة.

تقرر موعد الزيارة في اواسط حزيران ١٩٣٤ وكانت مثابة اللقاء مدينة البندقية . وكانت مهمة وزير الخارجية ـ وليست مهمتي بطبيعة الحال ـ مرافقه المستشار في زيارته الرسمية . كما ان البارون فون نويرات كان على معرفة شخصية وثيقة بموسوليني لأنه سبق ان عمل سفيرا في روما قبل تسنمه منصب وزير الخارجية . ثم انه يدرك من معرفته الوطيدة لهتلر عادة الاسترسال في الكلام دون اتاحة اية فرصة للآخرين في الاعراب عن آرائهم او وجهات نظرهم ـ وهذا ما الفته انا عنه ايضا ـ لأنه دأب على مفاجأة من يلتقي بهم بسيل جارف من الكلام .

ولعله لم يكن من التأدب في شيء مقاطعة احد اثناء تحدثه الا انه كان من الضروري بذل محاولة في هذا السبيل من اجل تحويل المحاضرة التي دأب هتلر على القائها في كل مناسبة الى محـاورة مجدية لاسيما اذا كان اللقاء مع نظير اجنبي كموسوليني. والمؤسف ان البارون فون نويرات لم يحسن ممارسة هذه اللعبة.

ثم انني حاولت ادامة التمـاس مع موسوليني بهذا الصدد فرجوت صديقي ليرسنر الاتصال معه في مطلع حزيران ١٩٣٤ ولعل القاريء الكريم يتذكر البارون فون ليرسنر الذي سبق ان أشرت لاشتغاله معي في واشنطن وبالمكسيك وكذلك بالحرب العالمية الاولى ولما اصبحت قومسيرا لالمانيا في قضية اقليم السار عمل ليرسنر ممثلا لي في اجتماعات عصبة الامم . والآن كلفته بمهمة توسط موسوليني لدى هتلر لتحبيذ عودة النظام الملكي لالمانيا في حالة وفاة الرئيس فون هندنبورغ. اذ ليس هناك من يفضل موسوليني في اقناع هتلر بهذا الشأن. لاسيمـا وان لديه مثالا يحتذى من قبل المانيا النازية بتنامي الفاشية في ظل النظام الملكي السائد في ايطاليا. وقد اخبرني البارون فون ليرسنر بأن موسوليني وعده ببذل جهوده في هذا السبيل.

والمؤسف ان أول زيارة رسمية قام بها هتلر خارج المانيا ادت الى نتائج سلبية تماما . وأنا أعزي ذلك لمركب النقص المسيطر على هتلر .

فقد حدث ما توقعته سلفا عندما دأب هتلر على القاء خطاب مطول على مسامع موسوليني في كل لقاء له معه بحيث لم يفسح له المجال باجراء أي نقاش او محاورة معه . ولما رجع هتلر لالمانيا ـ واظن انه عاد باليوم الذي القيت به محاضرتي في جامعة مـاربورغ ـ اعرب لمعـاونيه المقربين عن خيبة أمله (بالاقتصاد الملكي) الذي شاهد آثاره في ايطاليا.

ولم يؤد لقاء هتلر بموسوليني الى ادنى تأثير لتحسين التدهور المستمر في علاقات المانيا بايطاليا بسبب تناقض سياستيهما في النمسا وبعد اربعة اسابيع اقدم النازيون على اغتيال المستشار النمسوي انغلبرت دولفوس.

ولكي اوضح قضية وصية الرئيس فون هندنبورغ بصورة اجلى اعود فاكمل موضوعها.

فبعد عودتي من الاحتفال بذكرى انتصار الرئيس فون هندنبورغ في معركة تاننبرغ استدعاني هتلر اليه ببرلين . فلما وافيته سألني عما اذا كانت هناك وصية سياسية للرئيس فون هندنبورغ وعما اذا كنت اعلم بمكان وجودها . ولما لم أكن على ثقة من اقرار الرئيس لتلك الوصية وكذلك لم أكن أعلم عما اذا بقيت ببرلين او ارسلت الى نوي‌ديك فقد اجبته بأنني سأتثبت من ذلك فورا من نجل الرئيس اوسكار فون هندنبورغ . فقال لي هتلر :

« ثم انني ارجوك تسليمي الوصية في حالة وجودها بالسرعة الممكنة» فكلفت امين سري الشخصي غراف كاغينيك بالسفر فورا الى نوي ديك والتقدم برجاء لأبن الرئيس فون هندنبورغ لاعطائي وصية أبيه بقصد تسليمها للمستشار هتلر بناء على طلبه. وحيث انني لم احظ بزيارة الرئيس فون هندنبورغ بعد مغادرته لبرلين في أواخر مايس ١٩٣٤ فلربما كان قد غيّر من نص الوصية التي سبق ان رأيتها او انه اتلفها خلال تلك الفترة . الا أن غراف كاغينيك سرعان ما عاد من نوي ديك وبحوزته الوثيقتين المعهودتين فسلمهما لي حال وصوله.

وقد يتسائل البعض لِمَ لمْ يسلم ابن الرئيس الوثيقتين اللتين وقعهما ابيه الى هتلر شخصيا . والجواب هو ان اوسكار فون هندنبورغ لابد ان يكون قد تلقى تعليمات من أبيه بتسليمهما لي لكي أعطيهما بدوري لهتلر .

وحيث ان هتلر كان متغيبا عن برلين بينما وجب علي السفر بعد ثلاثة ايام الى ڤينا لاستلام منصب سفير المانيا هناك فقد اقتضى علي الطيران خلال تلك الأيام الثلاثة الى برختسغادن للاستئذان بالسفر من هتلر وتسليمه الرسالتين خلال التقائي به.

وقد قمت بهذا في ١٥ آب ١٩٣٤ بحضور احد امناء سري وهو السيد تشيرشكي ولما تسلمهما هتلر قرأهما بامعان ثم ناقشنا بما جاء فيهما . وكان

من الواضح تمـــاما ان هتلر غير راغب ابدا في قبول وصية الرئيس فون هندنبورغ بعودة الملكية الى المانيا عندما قال:

« ان هاتين الرسالتين وجههما الرئيس الفقيد لي شخصيا وسأقرر فيما بعد فيما اذا تعرضان للرأي العام الالماني وفي حالة اتخاذي مثل هذا القرار سأحدد الموعد المناسب لعرضهما».

الا انني رجوت هتلر ان يعرضهمـــا فورا على الشعب الالماني. فقبل هتلر ذلك الرجاء وسلم الوصية الموجهة للشعب الالماني الى مدير الصحافة وطلب اليه اعلانها للشعب فورا.

ولكن ما الذي حدث في تلك الاثناء؟ اصدر هتلر في ١ آب ١٩٣٤ أي قبيل وفاة الرئيس فون هندنبورغ قانونا يمنحه سلطات مطلقة لحكم المانيا واصبح الموقف القانوني معقدا للغاية . ذلك لأن المادة ٥١ من دستور ڤايمار تنص على تولي المستشار مهمة الرئيس عند وفاته ريثما يتم انتخاب الرئيس الجديد . الا ان البرلمان الالماني كان قد أقر تعديلا على الدستور بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٩٣٢ في عهـــد حكومة المستشار فون شلايخر بأكثرية ثلثي الاصوات اصبح بموجبه رئيس البرلمان الالماني هو الوكيل الرسمي لرئيس الجمهورية بدلا عن المستشار في مثل هذه الحال.

وكان هتلر قد ســافر ظهر يوم ١ آب ١٩٣٤ الى نوي ديك وبصحبته الدكتور مايسنر رئيس ديوان رئاسة الجمهورية وكان الرئيس فون هندنبورغ قد وصل الى مرحلة فقدان الوعي تقريبا . وقد وصف اوسكار فون هندنبورغ تلك الزيارة بقوله انه عندما ادخل على ابيه ذينك السيدين كان والده مغمض العينين فهتف اوسكار :

« ابتاه . ان المستشار هنا»

الا ان الشيخ لم يرد على ابنه فكرر اوسكار النداء وعندئذ اجـــاب الرئيس المحتضر وهو مغمض العينين:

« ولماذا لم يأت قبل الآن؟»

فتوجه هتلر بالسؤال نحو اوسكار:

« ما الذي يقصده ؟»

الا أن اوسكار أجاب والده قائلا :

« لم يستطع المستشار زيارتكم قبل الآن.»

فدمدم العجوز:

« نعم انني افهم مقصدك ».

عندئذ حاول اوسكار القيام بمحاولة جديدة فقال لأبيه:

« ان المستشار يود ان يبحث معك قضية او قضيتين يا ابي.»

ولما سمع فون هندنبورغ تلك العبارة حملق بعينيه نحو هتلر ولم يحر جوابا ثم اغمضهما وبقى سادرا . وعندئذ لم يحاول هتلر ولا اوسكار اجراء محاولة اخرى وغادرا الغرفة.

لقد كنت حريصا في محاولاتي الدائبة لمواجهة الرئيس فون هندنبورغ قبل وفاته لكي ابثه مكنون صدري وأحدثه بما جرى منذ اواخر حزيران ١٩٣٤. ولما تعاقبت الاخبار بتدهور صحة الرئيس يوم ٣١ تموز ١٩٣٤ رجوت هتلر ان يرافقني ونذهب سوية لزيارة الرئيس في نوي ديك.

الا ان هتلر لم يقبل وتعلل بأنه يتعذر عليه التحدث مع رجل يغالب سكرات الموت.

وقد سمعت من السيد هانز لاميرز بأن الرئيس فون هندنبورغ ابدى تألمه عندما سمع باستقالتي من منصب نائب المستشار.

وفي اليوم التالي سافر هتلر لوحده الى نوي ديك ولما رجع وتلقاني اعتذر مني بقوله:

« لقد نفذت فكرة السفر بسرعة لدرجة تعذر معها اصطحابك».

وفي الساعة التاسعة من صباح ٢ آب ١٩٣٤ وافت المشير فون هندنبورغ منيته. ولربما ينتقدني البعض لأنني لم ازر الرئيس قبيل وفاته ولأنني كان علي السفر الى نوي ديك . واظن ان هذا الانتقاد وارد واعترف بأنني سلكت

في تلك الفترة مسلكا مغلوطا.

عجلت في ذلك اليوم بالطيران الى نوي ديك تلبية لدعوة اسرة الفقيد لحضور احتفال تشييعه. وكم حز في نفسي فقدان ذلك البطل العظيم الذي خدمت بأمرته افضل مراحل خدمتي لوطني. ولما توجهت لالقاء النظرة الاخيرة على الفقيد كان لا يزال مسجياً على فراش الميدان البسيط جالت في خاطري صورة سريعة لسجاياه الحميدة التي تميز بها وأهمها الحكمة وحب الوطن بلا حدود والجرأة في اتخاذ القرارات الحاسمة.

لقد تجسدت بشخصيـــة فون هندنبورغ مرحلة مهمة من تأريخ المانيا ومصيرهـــا . فهو قد ســاهم في معركة كونيغ غراتس وحضر تتويج ملك بروسيا امبراطورا لألمانيا في قصر فرساي بباريس[1] . وكان ان ألقيت نظرتي الاخيرة ــ وفي القلب حسرة ــ على الرجل الذي ايقنت بأنه ظل وفيا لعلاقتي الحميمة معه حتى آخر لحظة من حياته الحافلة.

كان الرئيس فون هندنبورغ قد ابدى رغبته بأن يدفن الى جانب عقيلته التي توفيت قبله بسنين عديدة ودفنت في مقبرة قرية نوي ديك. الا ان هتلر أراد ان يقيم للفقيد ضريحا منيفا في تاننبرغ ولما اعترضت اسرة الرئيس على مخالفة وصية المرحوم انصاع هتلر لرغبة الأسرة.

وباختتام حياة الرئيس فون هندنبورغ طويت صفحة التأسي على خسران الحرب العالمية الاولى والمعاناة من نتائج تلك الخسارة . ولا يمكن لالماني ان ينسى فضله في كسب معركة تاننبرغ وطرد الروس من بروسيا الشرقية الا ان المؤسف هو فقدان المانيا لذلك الاقليم الثمين بعد احد عشر عاما فقط من وفاة

(1) تم هذا بعد سقوط باريس في حرب ١٨٧٠ ــ ١٨٧١ وكان الملك البروسي غليوم الاول والملك الفرنسي نابليون الثالث .

ــ المترجم ــ

الرئيس فون هندنبورغ[٢].

صادقت الحكومة الالمانية بعد وفاة الرئيس فون هندنبورغ مباشرةعلى قانونين منحا الصلاحيات المطلقة لأدولف هتلر وكان المستشار قد قدم لائحتيهما مساء يوم ١ آب ١٩٣٤ بعد عودته من نوي ديك مباشرة .

والغريب ان القانونين المذكورين عليهما توقيعي أيضا ضمن أعضاء الحكومة آنذاك وهذه حقيقة كنت اجهلها وقد فوجئت بها عند محاكمتي امام محاكم نورمبرغ. وحيث انني متأكد من عدم توقيعي او مصادقتي على أي من القانونين المذكورين فلابد ان أحداً زيف توقيعي على تينك الوثيقتين. ذلك لأنني لم أحضر أي اجتماع لمجلس الوزراء منذ ١٦ حزيران ١٩٣٤ كما ان الرئيس فون هندنبورغ وقع في ٢٨ تموز ١٩٣٤ آخر توقيع له على أمر تعييني سفيرا لبلادي في ڤينا. وعليه فانني اتهم غوبلز بتضليل الشعب الالماني بحشر اسمي في قائمة الوزراء الموقعين على القانون الصادر في ١ آب ١٩٣٤ أي ليلة وفاة الرئيس فون هندنبورغ.

ثم أن هتلر اتفق في ذلك اليوم بالذات مع وزير الدفاع الفريق فون بلومبرغ على تجديد رجال الجيش الالماني لقسم الولاء بعد وفاة الرئيس فون هندنبورغ مباشرة وقدم له صيغة جديدة لقسم الولاء وهكذا أقسم رجال الجيش الالماني يوم وفاة الرئيس ٢ آب ١٩٣٤ يمين الولاء «لزعيم الدولة الالمانية والشعب الالماني أدولف هتلر» ولولا تغيير المادة (١٧٦) من الدستور بموجب قانون الصلاحيات الاستثنائية لما استطاع هتلر تحقيق هذا المكسب وتغيير صيغة القسم لشخصه بالذات.

وبعد ان أقسم رجال الجيش الالماني يمين الولاء فعلا صدر قانون

(٢) فقدت المانيا ــ نتيجة خسارتها الحرب العالمية الثانية ــ اقليم بروسيا الشرقية التي اقتسمتها روسيا مع بولندا كما خسرت أقليم بوميرانيا الذي استحوذت عليه بولندا وجعل نهر الاودر وفرعه نايسه الحد الطبيعي بين المانيا وبولندا وتبلغ مساحة المناطق التي فقدتها المانيا ١١٠ آلاف كيلو متر مربع . ــ المترجم ــ

يتضمن صيغة يمين الولاء الجديد في ٢٠ آب ١٩٣٤ وعندئذ كتب هتلر رسالة شكر للوزير فون بلومبرغ جاء فيها:

« اليوم وبعد تصديق لائحة القانون التي قدمت في ٢ آب ١٩٣٤ يطيب لي ان اتقدم لكم ولرجال الجيش الالماني بالشكر الجزيل على الاخلاص الذي لمسته منكم بصفتي زعيمكم وقائدكم الاعلى. وانني اتعهد لكل جندي وضابط بأنني سأكون عند حسن ظنهم وسأولي بلادي كل اخلاص وسأبذل كل ما بوسعي لرفع مستوى القوات المسلحة الالمانية تنفيذا لوصية المشير الفقيد واتعهد لكم جميعا بأن الجيش الالماني سيبقى القوة المسلحة الوحيدة في هذا البلد ».

ان الفقرات الواردة في الرسالة الآنفة الذكر تفضح نوايا هتلر بصورة سافرة فهي تنطوي على تملق فون بلومبرغ لصرف نظره عن الثأر لرفاقه ضحايا ٣٠ حزيران ١٩٣٤ امثال الفريق فون شلايخر والفريق فون بريدوف.

كما ان التأريخ الالماني لم يحدثنا بتقدم أي زعيم او عاهل بالشكر على قيام رجاله بقسم يمين الولاء لشخصه. وللمرء ان يقدر ما انطوى عليه ذلك اليمين من خطر على الكثير من رجال الجيش الالماني الذين سيقوا للمحاكم وعوقبوا بأقسى العقوبات لاداتنهم بجريرة الحنث بذلك اليمين .

وقد تجلى الآن السبب الذي حدى بهتلر للاشارة الى وصية الرئيس فون هندنبورغ وتجاهله لقضية عودة الملكية الى المانيا . فهو بعد أن فرغ لتوه من تسوية حسابه العسير مع خصمه اللدود روهم لم يكن من المعقول ان يسلط على رأسه ملك يأتمر الجيش بأمره ويجعل وجوده على رأس الحكومة الالمانية مهددا بخطر دائم. وهكذا افلح في تنفيذ خططه المتعلقة بكسب ولاء رجال الجيش الالماني بفضل همة الفريق فون بلومبرغ. اضف الى ذلك ان التجربة المريرة التي خاضها مع روهم جعلته يعزف عن ايجاد اية ظروف مشابهة يتمخض عنها خطر آخر يهدد زعامته.

وهكذا كان من رأي هتلر ان قانوني ١ و ٢ آب ١٩٣٤ وصيغة اليمين

الجديد الذي أقسمه رجال الجيش الألماني بالولاء لشخصه الوسيلة المطلوبة لترصين موقعه الرفيع.

لقد حاز هتلر بموجب القانون الصادر في ١٩ آب ١٩٣٢ وبعد ثلاثة ايام من حصوله على وصية الرئيس الفقيد على صلاحيات مطلقة لم يحرزها أي عاهل الماني في تاريخ المانيا الطويل. وقد طبلت الدعايات النازية لوصية الرئيس وزعمت بأنها تنص على تمتع هتلر بكامل ثقة الرئيس فون هندنبورغ.

الفصل الواحد والعشرون

مُهِمَّةٌ جَدِيدَةٌ

زيارة للشرطة السرية للدولة . هتلر يرجوني تولي منصب السفير في ڤينا . اتفاقاتنا في بايرويت . النمسا والمانيـــا . فكرة الاندماج في الظروف الجديدة . مواصلة العمل الذي بـداه بسـمارك . موقف النمسا الداخلي . وصولي الى ڤينا .

كنت عائدا من ڤـارمبرون الى برلين يوم ٢٦ تموز ١٩٣٤ مع ولدي فسمعنا طرقا شديدا على الباب في الساعة الثانية ليلا فتصورنا للتو بأن مثل هذه الزيارة لن يقوم بها الا رجال الشرطة السرية للدولة . وبينما فتح ولدي الباب ــ شاهرا مسدسه ــ كنت ارتدي ملابسي على عجل وتبين ان زوارنا كانوا ثلاثة رجال من قطعات الحماية قالوا انهم ارسلوا من دار المستشارية لكي اقوم بمحادثة هتلر هاتفيا لأنه ينتظر المكالمة من بايرويت[1]. ففكرت

(١) داب هتلر على السفر الى بايرويت مرة في كل عام لحضور مهرجانها الموسيقي الذي تعزف به الحان الموسيقار ڤاغنر . ــ المترجم ــ

بأن هؤلاء الثلاثة يريدون قتلي غيلة برصاصة في الرأس اثناء انشغالي بالنداء الوهمي . وهـذا التصور المرعب لا أزال أحس به الآن وللقارىء الكريم أن يقـدر مـدى التوتـر العصـبي الذي أخـذ مني كـل ماخـذ في تلك الفترة الصاخبة من تاريخ المانيا . الا ان تصوري هذا كان مغلوطا لحسن الحظ. اذ اوصلتني بدالة دار المستشارية بهتلر فورا فسمعته يتكلم بصوت يبدو عليه التأثر الشديد:

« يجب ان تذهب سفيرا الى ڤينا فورا يا سيد فون پاپن . فالموقف متدهور فيها الى ابعد الحدود . وارجو الا تعتذر عن اداء هذه الخدمة».

فأجبته :

« انني لا أفهم معنى لهذا الطلب . فما الذي حدث بيننا . ولماذا صـار الموقف متدهورا الى هذا الحد وبصورة مفاجئة ؟ »

فقال لي :

« ذلك لأنك لا تعلم بما حدث »

« لا أعلم ماذا حدث بطبيعـة الحال لانني رجعت لتوي من بلدتي لجمع حوائجي من بيتي ببرلين » .

وعندئذ أوضح لي هتلر بأسهاب تفاصيل ما حـدث مؤخرا حيث اغتيل مستشار النمسا دولفوس وانذر موسوليني فرقه وحركها نحو ممر برينر وقد فر السفير الالماني في ڤينا الدكتور ريت لأن ماحصل هناك جعله عرضة للاستدعاء أمام المحاكم العرفية . وصفوة القول انني قد أكون الرجل الوحيد المناسـب لمعالجة هذا الموقف الحساس والخطر معا وخلص هتلر الى القول :

« اننا بمواجهة سراييڤو أخرى »[٢] .

•

(٢) اغتيل ارشيدوق النمسا والمجر في مدينة سراييڤو الصربية (يوغسلافيا الحالية) فكان هـذا الحادث السبب المباشـر لنشوب الحرب العظمى عام ١٩١٤ التي سميت فيما بعد الحرب العالمية الاولى .

ـ المترجم ـ

فقلت لهتلر بأن كل هــذه المعلومات جديدة عليّ تماما ولكنها لم تكن مفاجئة لي أبدا حيث انني سبق أن نصحته منذ شهور عديدة بتغيير سياسته ازاء النمسا ويؤسفني كثيرا أن تتعرض المانيا في تلك المرحلة الدقيقة لمثل هذا الموقف الحرج وعليه فانني اعتذر عن قبول منصب جديد في حكومته بعد الذي حصل في ٣٠ حزيران ١٩٣٤ •

عندئذ أصر هتلر على طلبه بحدة قائلا بأنه يتفهم وجهة نظري تماما الا أنه بصدد معالجة موقف جدي وانه يوجه ندائه لي باسم الشعور الوطني • فلمـا أصررت على الرفض اختتم قوله بانني ينبغي أن اواجهه لكي يشرح لي شفويا ما يتعذر شرحه بالهاتف ثم قال ان طائرة خاصة من سرب الزعيم ستنقلني صباح الغد من برلين الى بايرويت • عندئذ وجدت ان رفض هــذا الطلب يعتبر أمرا مجافيا للكياسة فوعدته بالمجيء •

أقلعت طائرة هتلر بي بالساعة الثامنة من صباح اليوم التـالي من مطار تمپلهوف وبصحبتي ولدي وأميني سري ڤيلهلم فون كيتيلر وغراف كاغينيك ولما تصفحت جرائد الصباح وجدتها حافلة بسرد تفاصيل كارثة ڤينا • وواضح ان تلك الصحف كانت تعرض وجهة النظر النازية المضللة ولكن الحصيف المجرب لابد أن يقرأ بين السطور حقيقة المأساة التي أصابت دولفوس المسكين •

الا أن الرأي العام في خارج المانيا سرت في اوساطه موجــة تحذيرية من توجه النازية لتوسيع نشاطاتها السياسية للاقطار المجاورة لالمانيا • واعتبر تعيين تيوهابشت محافظا لاقليم النمسا دليلا على تدخل المانيــا الرسمي بالشؤون النمسوية وترددت أصــداء تلك الاستنكارات في البلدان المنتصــرة بالحرب العالمية الأولى وبخاصة في فرنسا • وواضح ان تلك الاقطار بقيت بمنأى عن التدخل في حادثة القضاء على محاولة روهم الانقلابيــة لانها وان رصنت نفوذ هتلر الاستبدادي فانها كانت مسألة داخلية بحتــة أما الآن فهي بصدد عدوان الماني سافر على سيادة دولة مجاورة ووجدت الحكومة الالمانية نفسها بموقف لا تحسد عليه بينما أعطى موسوليني اشارة واضحة للتدخل •

وبينما كانت الطائرة محلقة في الجو تساءلت مع نفسي • لماذا الحف هتلر في طلب خدمتي بهذه المرحلة الدقيقة بعد أن فشلت كل وسائل غوبلز الدعايوية في تجميل موقف المانيا الحرج ازاء جارتها النمسا بعد ثبوت القرائن على ادانة نظام هتلر بجريمة اغتيال المستشار النمسوي دولفوس • وهل اراد هتلر بهذا التكليف أن ينتقم مني لانني كنت دائم المعارضة لسياسته ازاء النمسا • أو انه يريد استغلال سمعتي العطرة لانني معروف بكرهي لأساليب الأرهاب • أم أن هتلر يريد تحطيم سمعتي السياسية بتعييني سفيرا بعد أن عين هابشت ملحقا صحفيا بسفارتنا في ڤينا لكي يجعلني مصدا للمشاكل التي سيحبكها هابشت متمتعا بحصاناته الدبلوماسية بينما سأكون ضحيته لأنني رئيسه الرسمي •

ان هتلر يعلم حق العلم بأنني كنت صديقا شخصيا لدولفوس وانني سأكون الشخص المناسب لاعادة ثقة النمسويين بألمانيا • كما انه كان على ثقة من ان لي سمعة دولية عطرة يمكنه الاستفادة منها لانقاذ سمعة المانيا • وعلى أية حال فقد شعرت بأن بمقدوري التقدم بطلبات معقولة قبل اتخاذ قرار القبول بالمنصب •

صحب هتلر في سفرته السنوية لمهرجان بايرويت الموسيقي كلا من غورنغ وغوبلز وهيس وقد وجدته ممتعضا من فعلة النازيين النمسويين الطائشة التي جعلته بهذا الموقف الحرج • وبعد أن عرض هتلر تفاصيل الواقعة عرضت أنا ردود فعل الدول الاخرى وأبديت مخاوفي من استغلالها لحادثة ڤينا •

لا سيما وان الدول الغربية لم تكن الوحيدة التي حملت المانيا وهتلر شخصيا مسؤولية ما حصل في ڤينا وانما أمر موسوليني بتحشد عسكري بممر برينر ولقي عمله هذا ترحيبا من الدول الاخرى •

والآن أخذت الدول الغربية ـ وبخاصة فرنسا ـ تسائل عن الاجراءات المضادة الضرورية للحفاظ على استقلال النمسا وكيفية اجبار المانيا على التعهد بعدم التدخل في شؤون النمسا • اذ مما لا شك فيه ان الموقف أصبح في غاية الخطورة • وهذه حقيقة لم يتمكن هتلر من طمسها •

وكان من الواضح بالنسبة لي ان هذا الاختبار الذي تعرضت له يتطلب مني التضحية من أجل منع الانهيار الذي تتعرض له سياسة المانيا الخارجية ٠ وقد تحدثت بهذا الشأن مع أعواني واتخذت قراري بالموافقة على الطلب المعروض ٠

وقد أخبرني كلا من غراف كاغينيك وفون كيتيلر بأن قبولي للعرض سيتيح لي فرصة اسماع هتلر طلباتي المتعلقة بالحصول على ضمان بعدم التدخل في صميم أعمالي لأن هذا الضمان يعتبر ضروريا لانجاز مهمتي على الوجه الاكمل ٠

لقد تمخضت أحداث ٣٠ حزيران ١٩٣٤ عن تأكيد المخاوف التي سبق ان حذرت منها في محاضرتي بجامعة ماربورغ ٠

لقد حرص هتلر على اخفاء معالم التصفية الرهيبة التي أجراها في ذلك اليوم عن الرأي العام العالمي ٠ وكان من رأيي ان الاعتراضات الداخلية غير مجدية وان تخليص الشعب الالماني من تسلط هتلر كان يمكن ان يتم نتيجة لتدخل القوى الأجنبية لاجبار حكومته على الاستقالة ٠ وعندما يصبح تغيير نظام الحكم في بلد ما غير ممكن الا بفضل تدخل اجنبي بدعوى انقاذ شعب ذلك البلد فان التدخل الاجنبي سيكون وبالا على الشعب لاضطراره على التضحية بأبنائه وهذه حقيقة تأريخية معروفة ٠ ثم ان النزاع المسلح يجب ألا يتوسع بحيث يؤدي الى نشوب حرب عالمية ٠ لكنني أنبذ من حيث المبدأ أي تدخل اجنبي من أجل تغيير نظام الحكم في بلد ما لأن ذلك التدخل يثل سيادة البلد ويجعله العوبة بأيدي جيرانه أضف الى ذلك ان أي نقد أو اساءة فهم او عداء شخصي لا يمكن أن يحيل الرجل الشريف الى خائن لبلاده بدعوى مناهضة نظام الحكم ٠

تقدمت لهتلر بالطلبات التالية ومع أن الوثيقة الاصلية فقدت بسبب ظروف الحرب الا أنني أتذكر فحواها بكل دقة وهي :

١ ـ يجب ازاحة هابشت عن المنصب المعين له ـ محافظ النمسا ـ وقطع

علاقته مع النمسا ومع النازين النمسويين .

٢ ـ الكف عن أي تدخل سياسي الماني في الشؤون الداخلية للنمسا .

٣ ـ ينبغي ان تتم قضية الوحدة بين النمسا والمانيا دون اللجوء لاستعمال القوة وانما بالتقارب التدريجي وتطوير العلاقات نحو الافضل .

٤ ـ يقتضي انهاء مهمتي حال عودة العلاقات الالمانية ـ النمسوية الى حالتها الطبيعية واستئناف العلاقة التأريخية الحميمة بين البلدين ولكي تكون صفتي متميزة فانني ارجو اعتباري (سفيرا فوق العـادة) بموجب أمر منصوص به على هذه الصفة .

٥ ـ جعل ارتباطي بالمستشار مباشرة وليس بوزارة الخارجية لكي تتاح لي فرصة الاتصال المباشر مع المستشار في أي وقت بصورة شخصية.وسأزود وزارة الخارجية بطبيعة الحال بنسخ من تقاريري .

قابلت هتلر وأنا متسلح بهذه الوثيقة فجبهني بقوله :

« ان الشرط الاول غير ممكن التنفيذ مطلقا.ذلك لأنني اذا عزلت هابشت الآن على رؤوس الاشهاد فانني سأعطي بذلك اعترافا غير مباشر واكون كالمريب الذي يقول خذوني لأن عملي هذا سيدل بصورة قاطعة على اشتراكي بعملية اغتيال دولفوس » .

فقلت له :

« عليك أن تختار بيني وبينه . وليس لي ان ازيد على ذلك » .

فأجابني لتوه :

« ولكن ألا تفهم بأن ذلك متعذر عليّ تماما ؟ »

فقلت له باصرار :

« كلا . انني لا افهم ذلك . فسيان ان اقلته ام لم تقله لأن العالم كله يعلم بأن حزبك يتحمل مسؤولية ادبية في هذه القضية » .

ثم حاولت التوصل الى تفاهم معه بشأن النقاط الاخرى التي كتبتها في الوثيقة شارحا له الطريقة المثلى التي أتصورها لتحقيق الوحـدة بين المانيـا والنمسا . فتقبل هتلر وجهة نظري ولم يحاول التصدي لما طلبته منه . حيث

بدا لي انه توضحت له جميع النتائج التي ترتبت على حادثة اغتيال دولفوس • وانه كان من رأيه معالجة هذه المشكلة بكل حكمة لأن سلوك المانيا هذا المسلك من شأنه الحفاظ على سمعتها الدولية • أما أنا فقد أكدت له من جانبي بأنني سوف لن أقبل بتسنم المنصب المعروض عليّ الا بعد موافقته على شروطي •

استمرت محادثاتنا ساعات عديدة • ولكي أثبت لهتلر اصراري على رأيي فقد طالبت هتلر باستقدام هابشت اليه واخبـاره بحضوري بعزله من جميـع المناصب التي لها علاقة بالنمسا • وبالنسبة لطبع حاد مثل طبع هتلر فلربما يبدو من العسير التغلب عليه اذا ما ارتكبت أية غلطة في المحاورة معه بعد ان ارتكب غلطة فاحشة في الجولة الأولى من نشاطه السياسي الخارجي تدل على الغباء •

وبعد ساعات قليلة وصل هابشت الى برختسغادن فتلقـاه هتلر بسيل جارف من الاتهامات بحضوري وطرده بعد ان جرده من كل مناصبه • ثم انه لم يظهر أية صعوبات في قبول شروطي الأخرى ووقع على الوثيقـة التي سبق ان قدمتها له • ثم أعلنت استقالتي من منصب نائب المستشار وقدم التبرير الرسمي للرأي العام وهو تنسيبي للمنصب الجديد وأخيرا أقر هتلر بقبوله لسياستي في ڤينا والتي يمكن تلخيصها بما يلي :

ينبغي تطوير العلاقات القائمة بين المانيا والنمسا وايصالها الى مستوى يحقق الوحدة لكي تنهض دولة الألمان الواحدة القوية بمهمتها الأزلية في وسط اوربا وهي التصدي للسيل الجارف القادم من الشرق • وليس هناك ما يبرر سيل الدماء الالمانية منذ مئات السنين نتيجة لمقاتلة الالمـان لبعضهم البعض • وعلى الأمة الالمانية ان تحرص على منع الاجانب من التدخل في شؤونها واثارة المشاكل الوهمية بين اجزائها•وان اتخاذ القرارات الحاسمة بهذا الشأن سيكون من اختصاص شعبي البلدين وحدهما • وان الطريقة المثلى لاقناع الدول الكبرى بعدم التدخل هي البرهنة لها بأن المانيا لا تريد تحقيق السلام في اوربا باللجوء لاستعمال القوة • وان معالجة قضية وحدة المانيا مع النمسا سـتكون معالجة قضية مصيرية تحدد مستقبلنا معا •

وتثبت تقاريري التي رفعتها خلال اشتغالي بالمنصب مدى نجاحي في التأثير على السياسة الالمانية ازاء النمسا وتحويلها دوما نحو الاتجاه الذي ألمعت عنه توا • ولكن بالقدر الذي كنت استطيع به التأثير • ذلك لأن سياسة وزارة الخارجية الالمانية كانت تسير وفق نهج متغير بين عشية وضحاها ولعل مرد ذلك الى الصعوبات التي واجهها الوزير البارون فون نويرات مما أفقده ميزة التمكن من وضع سياسة بعيدة المدى•ولربما لامني البعض لقبولي هذا المنصب متخليا عن موقعي الرفيع أو لأنني استمررت على خدمة نظام هتلر • وأنا أرفض هذا اللوم أو ذاك لأنني دأبت منذ عقلت على خدمة بلادي بلا حدود ومن أي موقع كان •

ولكي أهيء لنفسي مقومات النجاح في مهمتي الجديدة بڤينا فقد وضعت مسألتين أساسيتين نصب عيني • اولاهما عدم اعطاء أي انطباع في ڤينا بأنني من المغضوب عليهم اثر تصفية يوم ٣٠ حزيران ١٩٣٤ وانني نقلت لهذا المنصب كاجراء تصفوي لابعادي عن المنصب الخطير الذي كنت اتبوأه •

ويجب أن يفهم الجميع بأنني أتمتع بكامل ثقة المستشار وان السياسة التي أمارسها في ڤينا هي سياسة الحكومة الالمانية • وعليه فقد رجوت هتلر ان يوجه لي رسالة يوضح بها ما يعطي انطباعا بهذا الشأن •

والمؤسف ان هتلر تسرع في التصريح لوكالة الانباء الالمانية عن عزمه على ارسالي بمهمة السفير في ڤينا وهذا عمل مناف للتقاليد المرعية ذلك لأن ارسال أي سفير الى بلد ما يتطلب استحصال موافقة البلد المعني قبل الاعلان عن تسمية السفير لأن التصريح بتسميتي سفيرا قبل استحصال موافقة النمسا ينطوي على اعطاء انطباع بعدم اهتمام المانيا برأي النمسا بهذا الشأن ويعطي اشارة اخرى على طبيعة النظام الاستبدادي الذي يتزعمه هتلر• ومن الطبيعي ان هتلر لم تكن لديه اية فكرة عن مدى حساسية الاجراءات الدبلوماسية• وقد تطلبت تسوية هذا الاجراء غير المهذب مدة غير قليلة لاقناع المسؤولين النمسويين بالخطأ الذي ارتكبه هتلر دون ان يدري• وهكذا تأخرت موافقتهم على اعتمادي سفيرا في بلادهم حتى آب ١٩٣٤•

وكان الرئيس فون هندنبورغ قد وقع أمر تعييني سفيرا لدى النمسا في ٢٨ تموز ١٩٣٤ وكان توقيعه آخر توقيع خطته أنامله قبل وفاته .

وقد حدثني فيما بعد الجراح العبقري الدكتور فرديناند زاوربروخ الذي كان يعالج الرئيس الراحل خلال الاسابيع الاخيرة من حياته قائلا بأن فون هندنبورغ كان يسأل عني باستمرار، ولما وصلـه أمر تعييني في ڤينا تسائل وهو يوقعه:

« هل كانت هذه رغبة فون پاپن ؟»

ويطيب لي هنا قبل ان استرسل بالفعاليات التي قمت بها خلال السنوات الاربع التي خدمتها سفيرا لبلادي في ڤينا وصف المشكلة الاولى التي صادفتني قبل الالتحاق بالمنصب الجديد.

ان مشكلة وحدة المانيا مع النمسا غالبا ما تبدو للمراقب غيرالالماني قضية صعبة الفهم. ذلك لأن تأريخ الشعب النمسوي خلال الالف عام الماضية يعتبر بالنسبة لالمانيا كتأريخ سكوتلانده او ايرلندة بالنسبة لبريطانيا خلال تلك الحقبة من الزمن. وعلينا ان تتذكر اولا ما حدث بعد القرون الوسطى مباشرة في عهد قيصر سكسونيا والمراحل النهائية لعهد الأمبراطورية الرومانية المقدسة التي سادت الشعب الالماني واتخذت من ڤينا موئلا لها وكيف ظهرت الامبراطورية النمسوية تحت حكم أسرة آل هابسبورغ ولعبت دورا حاسما ومؤثرا في تأريخ أوربا وفي تأريخ العالم.

وعندما خاضت الامم الاوربية حروبها الطويلة من اجل تحقيق وحدتها القومية حازت المانيا نصيبا ضئيلا من الحظ في هذا السبيل قياسا على ما حازه جيرانها. فقد خسر الالمان مقاطعات ثمينة امثال سويسرا والالزاس واللورين ولوكسمبورغ وهولندا اما لأنها آثرت الاستقلال بكيان صغير وحققت ضمانات مكتسبة لوجودها بالتقادم منذ العصور الوسطى او لأن فرنسا افلحت في الاستيلاء على البعض الآخر وتمكنت من فرنسته بعد صراع مصيري مديد تمسكت في ختامه بالاستحواذ على الالزاس واللورين.

والمؤسف ان الألمان لم يحاولوا تحقيق وحدتهم القومية باللجوء الى التقارب الودي.

وبعد انحسار عهد الامبراطور نابليون الاول ـ الذي قاتله البروسيون والنمسويون في حروب عديدة ـ تكونت كتلة الممالك والامارات الالمانية تحت زعامة بروسيا بينما بقيت امبراطورية النمسا والمجر تحت تاج فرانس الاول من آل هابسبورغ دون محاولة جدية لتحقيق الوحدة المفقودة. وهكذا فقدت الامة الالمانية دورها المتميز في التأريخ الاوربي بعد الف عام من الزمن حافظت خلاله على توازن اوربا السياسي وتحولت الى امارات ضعيفة متناحرة ثم جاء الامير فون بسمارك فحقق احلام المخلصين الالمان في اقامة الدولة الالمانية الواحدة رغم انه لم يلجأ للحل العملي لكنه لعب دورا بارزا في وضع اسس قويمة يمكن ان تتكامل بها الوحدة الالمانية .

ويمكن توضيح المعالم العامة لهذه المهمة من خلال الاطلاع على الرسالة التي كتبها بسمارك في ٧ كانون الاول ١٨٧٩ للامبراطور ڤيلهلم الاول :

« ان السلام الاوربي منذ سقوط نابليون لن تهدده اية قوة سوى الموجة السلافية التي تتزعمها روسيا . وستبقى روسيا نقطة سوداء في افق السلام الأوربي لأنها ستحاول الحلول بمقام امبراطورية نابليون سائرة تحت غطاء من الدعاية السلافية.وسيبقى أمل النصر يساور الروس بعد أن أثبت جيشهم قدرته في حرب القرم وفي هذا الامل تهديد للسلام الاوربي.

ان تعاظم روسيا الذي لا يشبعها قط قد ازداد لدرجة اشعرت اوربا بالخطر الداهم وجعلها تفكر جديا في حماية نفسها من مغالاة السلاف في رغبتهم الجادة لتوسيع امبراطوريتهم بينما حرصت اوربا على كسب السلام لنفسها. وهذا الخطر الروسي يزداد تفاقما يوما بعد يوم نتيجة لتزايد اعداد افراد الجيش الروسي باستمرار بينما ليس هناك أي خطر يهدد روسيا».

ان الحل الذي حققه بسمارك في ١٨ كانون الثاني ١٨٧١ لم يشمل سوى الولايات الشمالية من المانيا. بينما كانت في الجنوب امبراطورية النمسا والمجر التي كانت بنفس القوة وتتمتع بنفس الاهمية في ميزان السياسة الاوربية.

ولذا فقد حاول بسمارك ايجاد اتحاد يربط الدولتين الالمانيتين من اجل ضمان السلام الاوربي الذي اشار اليه في رسالته لامبراطور المانيا .

لقد اراد بسمارك ان يوضح للامبراطور بأن ادراك موقف الروس وحده لن يكفي بالركون الى حلف الاباطرة الثلاثة (روسيا والمانيا والنمسا والمجر) وانما اراد اقامة حلف ثنائي بين المانيا والنمسا والمجر لضمان التصدي لأية مطامع روسية.

وهكذا نرى أن مساعي زعماء المانيا والنمسا والمجر قد انصبت منذ عام ١٨٧٩ وحتى بدء الحرب العالمية الاولى على محاولات دائبة لتحقيق أي شكل من الوحدة بين البلدين ولكن دون جدوى.

والآن وبعد ان دارت عجلة الزمن سبعين سنة أخرى نرى ان ما تنبأ به المستشار فون بسمارك قد تحقق بدقة تامة . فقد رأينا ما حدث غب الحرب العالمية الاولى تقوض امبراطورية النمسا والمجر لأنها لم تتمكن من مقاومة العدوان الروسي ولأن المنتصرين الغربيين لم يقدروا ضرورة المحافظة على التوازن الاوربي ولانهم كانوا مأخوذين بمباديء الرئيس الامريكي وودرو ويلسون الاربعة عشرة وكان منها مبدأ تقرير المصير للمجموعات البشرية الصغيرة وهو مبدأ يتركز فيه الحقد الاسود للمنتصرين ضد دول المعاهدة المركزية المندحرة. وقد ظهرت للوجود نتيجة لتطبيق هذا المبدأ دول عديدة انسلخت أقاليمها عن النمسا والمجر وعن المانيا أمثال تشيكوسلوفاكيا وبولندا ويوغسلافيا[٣]. وساد تصور مفاده ان انقراض امبراطورية النمسا والمجر سيؤدي الى مواصلة حمل مشعل الحضـارة بدلا عن ڤينا في جنوب شرق اوربا.

ومن المؤكد ان ويلسون وبلاده كانا يعرفان القليل عن السياسة الاوربية. وليس أدل على ذلك من اهتبال فرنسا لفرصة الخروج منتصـرة من الحرب العالمية الاولى فأرادت تحقيق التوازن الاوربي بشكل يضمن أمنها. وكان

(٣) كما انفصلت عنها مملكة المجر . — المترجم —

ان بدأ تخلي اوربا عن دورها الاول في تسيير سياسة العالم بتقوض امبراطورية النمسا والمجر واستمرار عملية بلقنة اوربا الوسطى.

ساد التصور في القسم الالماني من امبراطورية النمسا والمجر (النمسا) ان من الطبيعي سريان مبادىء الرئيس ويلسون عليه ايضا وان بمقدور الشعب النمسوي تقرير مصيره بنفسه لكن المؤسف ان هذا التصور كان مجرد اضغاث احلام .

بعد الحرب العالمية الاولى تم انتخاب مجلس تأسيسي نمسوي اقر دستور الدولة الجديدة في ١ آذار ١٩١٩ الذي نص على شكل الدولة واشار الى وحدتها مع المانيا . وكان جواب دول الحلفاء على الشعور الوحدوي السائد بين الشعبين الألماني والنمسوي صدور المادة ٨٨ من اتفاقية سان جيرمان لاقرار السلام والتي تضمنت ما يلي:
« ان استقلال النمسا مضمون من قبل عصبة الامم ولا يسمح بتغيير وضعية النمسا او تهديد استقلالها بصورة مباشرة او غير مباشرة ».

وفي ٦ أيلول ١٩١٩ اعترضت الكتلة الوطنية النمسوية على قرار الحلفاء بمنع اتحاد النمسا مع المانيا. وكذلك على حرمانها من حق تقرير المصير الذي منح لجميع المجموعات القومية الصغيرة في اوربا. وفي اليوم نفسه قدمت الكتلة الوطنية النمسوية مذكرة للدول الغربية المنتصرة اعربت فيها عن رغبة الشعبين الالماني والنمسوي في تحقيق الوحدة الوطنية من النواحي الاقتصادية والثقافية والسياسية وجمع الشعبين تحت راية المانيا الوطن الأم للالمان.

ومن الحقائق التأريخية الثابتة هي ان هذه الرغبة بادر بها الشعب النمسوي وعلى وجه التحديد الحزب الاشتراكي الحاكم آنذاك واشار اليها في اكثر من مناسبة رئيس جمهورية النمسا الاسبق الدكتور كارل رينر الذي توفي عام ١٩٥٠ .

أما في المانيا فلم تصادف الرغبة النمسوية نفس الحماس حيث اعلن التجمع الوطني في ڤايمار يوم ٣١ آذار ١٩١٩ بأن النمسويين الالمان يمكن

قبولهم اعضاء في الاسرة الالمانية لولا ان الدستور الالماني الجديد لم يشر الى امكانية تحقيق هذه الرغبة بسبب اجبار معاهدة فرساي لالمانيا باحترام استقلال النمسا . وعلى الرغم من ذلك كله فان الأحزاب الوطنية النمسوية دأبت على المطالبة بالانضمام الى المانيا خلال العشرين سنة التي أعقبت الحرب العالمية الاولى.

ثم ان رئيس جمهورية النمسا پول لويبه الذي حكم لغاية سنة ١٩٣٢ وهو من زعماء الحزب الاشتراكي الديموقراطي كان قد القى خطابا في ٦ تموز ١٩٢٦ عبر فيه عن آلام شعبه الذي حرم من حق تقرير المصير عندما قال:

« انني لا ازال اتذكر بأن اوربا الديموقراطية اجمعت على الاحتفال في اليوم الذي حققت به ايطاليا وحدتها الوطنية في عام ١٨٧٠ كما ان احرار اوربا شاركوا بولندا في الثلاثينات وفي الستينات من القرن الماضي افراحها بتحقيق استقلالها. واليوم لا نجد في اوربا من يقر بمثل هذا الحق لابناء الامم العظيمة .. اننا نرى ان من الشرف ليس مجرد قبولنا في عضوية عصبة الامم وانما نرى ان الشرف يقضي بمنحنا حق الاعراب عن امانينا القومية بتحقيق الوحدة ».

لقد استمر صراع النمسا من اجل الحصول على حق تقرير المصيرحتى بعد ابرام اتفاقية السلام.فقد قرر التجمع الوطني النمسوي في ٢١ مايس ١٩٢١ اجراء استفتاء شعبي بشأن الوحدة مع المانيا . ولكي يتحاشى التجمع الوطني الاخلال بالمادة ٨٨ من اتفاقية سانت جيرمان فأنه أعلن ما يلي :

« هل لحكومة النمسا محاولة مفاتحة عصبة الامم بشأن قرار وحدة جمهورية النمسا مع المانيا ؟» .

أما الحلفاء المنتصرين فقد كان رد فعلهم فوريا وعنيفا ازاء الحكومة النمسوية ومارسوا عليها ضغطا شديدا لمنعها من اجراء التصويت الشعبي المقترح. ولما كان موقف النمسا الاقتصادي متدهورا وكانت الحكومة في

أمس الحاجة للحصول على المعونة المالية من الدول المنتصرة فقد أثمر تدخل هذه الدول في التأثير على الولايات النمسوية بعد ان هددت بقطع المعونـة المالية عنها في ١٤ نيسان ١٩٢١ ما عـدا التيرول التي تمخض الاقتراع الذي تم في ٢٤ نيسان ١٩٢١ فيها عن تصويت ١٤٥ ٣٠٢ للوحدة بينما صوت ضدها ١٨٠٥ فقط. وفي ٢٧ نيسان ١٩٢١ اقترع سكان زالتسبورغ وشمال النمسا لصالح الوحدة مع المانيا ايضا. الا ان الحلفاء هددوا سكان اقليم كيرتتن بضم اقليمهم ليوغسلافيا وعدم اعادة اقليم بورغن لاند للنمسا وتقسيمه بين الدول المنسلخة عنها مما اضطر حكومة النمسا الاتحادية على التوقف عن الاقتراع بشأن الوحدة مع المانيا. ومع ذلك فقد جرى استفتاء غير رسمي في اقليم زالتسبورغ تمخض عن تصويت ٥٤٦ ٩٨ لصالح الوحدة مع المانيا ولم يعارض الوحـدة سوى ٨٧٧ فقط. كمـا صوت اقليم شتاين مارك لصالح الوحدة.

وقد ادى ارتباط الاقتصـاد النمسوي بالدول المنتصرة الى تقيدهـا سياسيا وعدم استطاعتها التخلص من الضغوط التي مارستها عليها تلك الدول مما ادى الى ابرام بروتوكول جنيف المؤرخ ٤ تشرين الاول ١٩٢٢ الذي عقد بعد تسليف النمسا قرض دولي كبير على ان تتعهد بالاعلان عن (استقلالها) وعدم القيام بأية محاولة لتحقيق الوحدة.

الا أن الصـراع من أجل الوجود الاقتصادي لم يعـد له ما يبرره في السنوات التالية لأن النمسا تمكنت من التغلب على ازمتهـا المالية. ولكن السياسيين النمسويين اصبحوا على ثقة من ان اية محاولة لاثارة قضية تحقيق الوحدة مع المانيا ستؤدي الى خلق المشاكل الكثيرة للنمسا.

ثم تحول منع الحلفاء للنمسا من تحقيق الوحدة مع المانيا الى تخويفها قبيل عام ١٩٣٨ بالادعاء ان النمسا المسكينة الصغيرة التي لا حول لها ولا قوة معرضة للابتلاع من جارتها القوية الكبيرة المانيا المتعطشة للسيادة على الاقطار المجاورة . وانا لا اتحدث هنا عن الاساليب الهتلرية المبتسرة وانما اتحدث عن القيمة التأريخية لتحقيق الوحدة.

أما الذي قام به هتلر فهو محاولة سلمية لتصحيح الاخطاء التي تمخضت عن كارثة اتفاقيات باريس المجحفة واقامة سد الماني قوي بوجه الطوفان السلافي المحدق بوسط اوربا. ولو اعترف الحلفاء الغربيون لنا بهذا الحق. ولو انهم ساهموا معنا في مؤتمر لوزان بوضع أسس سياسة التعاون الأوربي وازالة اسباب الخلافات الالمانية ـ الفرنسية لاعترفوا للنمسا بحق تقرير مصيرها بالتوحد مع المانيا . ولكنهم تعنتوا معنا وحرمونا ـ كما مر معنا في الفصول الاولى من هذا الكتاب ـ حتى من حق اقامة اتحاد كمركي بين المانيا والنمسا . وأرادوا ان يعزلونا عن بعضنا البعض بعد ان عشنا سوية اكثر من الف عام.

عندما توليت مهام منصبي الجديد في أواخر تموز ١٩٣٤ جعلت مهمتي الاولى ازالة التوتر الحاصل بين النمسا والمانيا نتيجة للمحاولة الانقلابية النازية واغتيال المستشار النمسوي دولفوس . وكنت متأكدا بأنه ليس امامي أي مسلك سوى متابعة المسار التأريخي للعلاقات النمسوية الالمانية . ووجدت ان اسلوب الوحدة الذي حققه بسمارك لابد ان يؤدي الى ردود فعل عنيفة ويجعل تحقيق الوحدة اكثر صعوبة. وقدرت ان مهمتي ستكون ذات طابع وحدوي اوربي اكثر من كونها مجرد مساع لتحقيق وحدة بلدين شقيقين.

لقد لاحظت ان الوحدة الاوربية كانت مهددة بنشاطات الاحزاب البلشفية العاملة تحت الارض والتي دأبت على السعي لتحقيق الثورة العالمية من جميع الاقطار التي تنشط فيها تلك الاحزاب وهذا ما اكد ضرورة اقامة السد المانع بوجه هذه الوافدة في وسط اوربا.

قررت في أول الأمر جعل علاقات المانيا طبيعية مع النمسا واعادتها الى الحالة التي كانت سائدة بين البلدين قبل عام ١٩٣٣ مع انني تحسبت كثيرا من التصرفات غير المسؤولة التي يمكن ان يقدم عليها هتلر بحكم طبيعته المعروفة مما يقوض مساعيي الحميدة في اية مرحلة من العمل.

ولقد شغلتني هذه الفكرة بحيث صرت اناقشها مع نفسي باستمرار كما انني ناقشتها بصراحة مع اعواني المقربين • وتوصلنا الى حقيقة جازمة هي ان وجود رجل مثل هتلر على رأس السلطة القائمة في المانيا لا يبرر اية محاولة للنيل من وحدة المانيا مع النمسا او اعاقة هذه المسألة المصيرية بأي شكل كان• ولم يخطر على بالنا آنذاك ــ ونحن في عام ١٩٣٨ ــ بأن هتلر سيقدم على المغامرة بخوض حرب اوربية في سبيل تحطيم معاهدة فرساي• وقد تبين فيما بعد عند عرض وثائق الادانة في محاكمات نورمبرغ وجود وثيقة تدعى (بروتوكول هوسباخ) تتضمن قيام هتلر في ٥ تشرين الثاني ١٩٣٧ بالتحدث لاول مرة عن عزمه الاكيد على شن حرب عدوانية امام خمسة اشخاص فقط وقد بقيت نواياه وخططه مجهولة بالنسبة للشعب الالماني ما عدا اولئك الخمسة•

لم يشك أي منا بنوايا هتلر المناهضة للشيوعية وتطرفه بالتصدي لها• الا ان الحلفاء الغربيين لم يستغلوا هذه الحقيقة وانما دأبوا على اعتبار معاهدة فرساي نصا مقدسا واستمروا على المغالاة في تطبيقها الى حد امتهان الكرامة القومية الألمانية • ثم ان انضمام النمسا لألمانيا معناه زيادة تعداد الكاثوليك في المانيا بسبعة ملايين آخرين وهذا معناه تقوية نفوذ الكنيسة الرومانية وجود عامل اضافي للتصدي للشيوعية • وقد اخذنا في حساباتنا بطبيعة الحال زيادة العمق السوقي لالمانيا نتيجة للوحدة مع النمسا وذلك مما يحسن الموقف الجغرافي السوقي الالماني فيحالة نشوب نزاع مسلح مع الاتحاد السوفيتي •

ومن الحقائق الدامغة التي لا مناص من الاشارة اليها هي انه ليس هناك أي رجل دولة الماني لا يؤيد الوحدة مع النمسا وهذه الحقيقة تؤدي بنا الى التساؤل• كيف يمكن للمرء التفريط بهدف قومي جعلته الامة الالمانية نصب عينها لمجرد مناهضة هتلر ؟ لقد عنّت لي فكرة بهذا الصدد دونتها آنذاك ولكنني بعد ان تمعنت بها مليا ادركت الصعوبة الناجمة عن الفرق بين النظرية والتطبيق•

كان الحزب النازي هو الحزب الحاكم في المانيا وكان في النمسا حزب نازي ليس له من زعيم يدين له بالولاء غير هتلر ، اضف الى ذلك ان هتلر نمسوي بالولادة،

ولما استقال رؤساء البرلمان النمسوي الثلاثة من مناصبهم في عهد المستشار دولفوس احتجاجا على التمزق السياسي الداخلي لدرجة جعلت الحياة الديموقراطية البرلمانية متعذرة اقدم المستشار المذكور على حل الحزب النازي النمسوي في حزيران ١٩٣٣ الا ان حل ذلك الحزب ادى الى نتيجة معكوسة تماما ، فنحن نعرف من تجربتنا مع الاحزاب الشيوعية ان المنع يؤدي الى عطف بعض البسطاء على الحركة السياسية الممنوعة سيرا على مبدأ ـ كل ممنوع مرغوب ـ وكانت حصيلة منع النشاط السياسي للحزب النازي ان تصور الكثيرون من النمسويين بأنه لولا ذلك المنع لما اشترك الحزب المذكور في محاولة الانقلاب الفاشلة في ٥ تموز ١٩٣٤ ،

وقد علمت فيما بعد من تقرير اصدره المهندس راينتهالي بأن المستشار دولفوس كان بصدد اجراء مصالحة مع هتلر في اليوم الذي اغتيل به الاول وتتضمن اعادة الحزب النازي النمسوي (بصورة وقتية وليس بصورة مطلقة) ريثما يتحسن الموقف السياسي السائد في اوربا،

وهكذا حم القضاء وسقط دولفوس شهيدا لقضية النمسا ، وكان مقتله سببا مبررا لابعاد التدخل الالماني في سياسة النمسا ، اما هتلر فكان يأمل ،وصول رجال دولة نمسويون يتفهمون السياسة الالمانية النمسوية المشتركة من القادرين على اتباع الوسائل السلمية في تحقيق هذه السياسة ،

وكنت آمل ان يتجنب خلف دولفوس وهو المستشار فون شوشنيغ ممارسة الوسائل القسرية في التصدي لخصومه السياسيين وكنت اتصور بأنه سيجد سبيلا آخر للتعاون مع الاحزاب المعارضة في سبيل مصلحة النمسا،

لكن المؤسف هو ان المستشار فون شوشنيغ سلك طريقا آخر بأن ألف ما يدعى (الجبهة الوطنية) وهي تنظيم سياسي يمثل الحكومة وحرّم

اشتغال بقية الأحزاب وحاول جمع العمال في منظمة أسماها (منظمة العمل الاشتراكي) ولكنه حقق بهذه المنظمة قدرا ضئيلا من النجاح لأن الحزب الاشتراكي الديموقراطي قاطع الجبهة الوطنية ومنظمة العمل الاشتراكي• ولأن اغلب العمال الكاثوليك انضووا تحت لواء (عصبة الحرية) التي سنسمع عنها كثيرا فيما بعد •

وكانت هذه المنظمة ممنوعة من العمل لكنها تحولت بقدرة قادر الى منظمة خاضعة للمستشار فون شوشنيغ• وصفوة القول ان المستشار كورت فون شوشنيغ بذل جهودا حثيثة لايجاد حزب حكومي نمسوي يؤكد به استقلال النمسا والنأي بها عن الوحدة الالمانية • وهو بهذا يختلف اختلافا تاما عن سلفه دولفوس الذي سبق ان اظهر حسن نواياه نحو الوحدة في الاحتفال الذي اقامته الكنيسة الكاثوليكية في أيسن عام ١٩٣٢ ولو بقي دولفوس على قيد الحياة لسلك سبيلا آخر غير الذي سلكه فون شوشنيغ•

كان الكثيرون من اسلافي قد كرسوا حياتهم عبر مئات السنين للخدمة في بلاط الاباطرة وعملوا بجد واخلاص من اجل وحدة المانيا تحت ظل العرش البروسي• كما خدم عدد آخر منهم في بلاط اباطرة النمسا والمجر وهناك وشائج متينة تفوق الحصر تدل على اواصر القربى ووحدة التراث والتقاليد بين الاوساط الكاثوليكية النمسوية وبين اقليم الراين ويستفاليا الالماني• حيث يشعر المرء القادم من أي من البلدين كأنه في بلاده عندما يزور البلد الآخر• لكننا سرعان ما لاحظنا في بعض الاوساط النمسوية تنامي مشاعر مناهضة للوحدة مع المانيا خشية الاندماج مع البروسيين البروتستانت تحسبا من تحول الكاثوليك الى اقلية في دولة الوحدة الالمانية ـ النمسوية•

وكنت آمل من حماس هتلر المتوقد نحو تحقيق الوحدة الالمانية السعي نحو تأسيس امبراطورية المانية في وسط اوربا تقتبس جذوة الحضارة العتيدة لامبراطورية الدانوب النمسوية وتصهرها في الدولة الالمانية الحديثة المنطلقة نحو امجاد المستقبل الزاهر •

في ١٥ آب ١٩٣٤ وصلت بالطائرة الى ڤينا وكان الطقس شديد المطر حتى بدت العاصمة النمسوية شبه مقفرة وترتسم على وجوه اهلها عدم المبالاة.

وقد اتجهت لتوي نحو السفارة الالمانية في شارع مترنيخ فتذكرت امجاد ذلك البناء العتيق الذي شهدت ابهائه اللقاءات الحميمة بين اباطرة النمسا والمجر وملوك بروسيا وباڤاريا . وقد ظل الأمل يراودني باستئناف العلاقات الاخوية نفسها بعد ان تحولت المملكتين الى جمهوريتين.

تألفت هيئة العاملين معي في سفارتنا بڤينا من صفوة رائعة من الرجال الاكفاء يرأسهم الامير فيكتور ارباخ ويعاونه السيد فون هاينز وهو رجل حصيف واسع العلم. وكان السيد فون هيفتن رئيسا للقسم الثقافي ولأن الاخير اصبح هدفا للنازيين بادعائهم انه من خصوم النظام فقد ناضلت طويلا في سبيل انقاذ الرجل الذي احببته لحسن شمائله وسأتفصل في ذكر فعالياته يوم ٢٠ تموز ١٩٤٤ المشهود في فصل لاحق.

وكان رئيس القسم السياسي في السفارة السيد فون نوستيتس الذي كان مسؤولا عن اعمال التشريفات وكان متميز النشاط في هذا المجال وقد أصبح فيما بعد من أعضاء حركة المقاومة البارزين . أما رئيس القسم الصحافي فكان السيد فون دير هاغن.

كانت ڤينا محتفظة بمكانتها المرموقة بصفتها نقطة التقاء التضارب السياسي الأوربي . وتتجسد هذه الحقيقة من خلال مراقبة نشاط الهيئات الدبلوماسية الاجنبية العاملة فيها. وكان خصمي اللدود في تلك اللعبة زميلي السفير الفرنسي السيد پواييه الذي حظي بلقب متميز على سبيل الدعابة هو (الوزير المفوض لدى النمسا) وهو لم يكن من ذلك النوع الفرنسي المألوف المتميز بالطبع السمح وحب النكتة وانما كان متحفظا شديد التكتم لدرجة احرجت حتى أقرب اصدقائه النمسويين.

اما ممثل بريطانيا فكان السفير سير والفورد سيلبي وهو رجل ودود حلو الشمائل سرعان ما نقل من منصبه مع الأسف وحل محله سير ميخائيل

پاليريه الذي كانت علاقاتنا معــه ســطحية • وكان زميلي الايطالي وجــاري العزيز السيد پريزيوسي الذي خلفه السيد زالاتا وهو القائد السابق للقطعات الايطالية التي تقدمت من تريست الى ممر برينر وقد نقله موسوليني الى ڤينا لاستئناف مهمته من موقعه الجديد•

كان ممثلو الحلفاء غير منسجمين فيما بينهم كما شهدنا بعدئذ فكان ممثل روسيا السيد فيرلينغر الذي اصبح في عام ١٩٤٥ ممثلا للاتحاد السوڤيتي في تشيكوسلوفاكيا وكان ممثل الولايات المتحدة الامريكية هو السيد ميسر سميث وسأتفصل بالحديث عنه في الفصل الخاص بمحاكمات نورمبرغ من هذا الكتاب•

ساورتني دهشة ما بعدها دهشة عند مقابلتي الاولى للرئيس النمسوي حيث بدى القصــر الجمهوري مكتظا بحشــد من الجنود حملة الغــدارات فشعرت بجو عدواني يحيط بي من كل جانب كما لاحظت في صدر الصالة التي استقبلت فيها تمثالا مأخوذا عن قناع الموت(٤) لانغلبرت دولفوس وهذه ايمائة واضحة لاتهام المانيا بجريمة اغتياله•

ولم تلق الكلمة المفعمة بالاعراب عن النوايا الحسنة أي صدى مشابه•

كما لم يقدر القوم مدى حرصي وصدقي في تحقيق الوئام الاوربي واحباط كل مسببات النزاع• وقد صمدت امام الاتهامات والتشنيع الذي لقيته عندما وسمت (بالذئب في رداء كاثوليكي) وكنت على ثقة من انني ازاء مهمة تفوق طاقة البشر•

(٤) قناع الموت قالب للتماثيل الدقيقة التي يراد صنعها بعــد وفاة العظماء وتؤخذ لهم قبل دفنهم فتصبح قوالب قناع الموت مطابقــة لوجه العظيم الذي تؤخذ له لتصنع منها تماثيله بالحجم الطبيعي •

ـ المترجم ـ

الفصل الثاني والعشرون

تَحسينُ العلاقاتِ

النمسا بعد مقتل دولفوس . شتار همبيرغ والجيش النمسوي . قضية آل هابسبورغ . الموقف الأوربي . مؤتمر ستريزا . موسوليني وشتار همبيرغ . خطاب هتلر امام البرلمان . مشـــروع اتفاقية . المقترح النمسوي المقابل . تضاؤل تأثير شتار همبيرغ . تشيرشكي والشرطة السرية للدولة .

تدهور الموقف السياسي الداخلي في النمسا بعد اغتيال دولفوس الى درجة ملحوظة . ولذلك فقد آثرت بعـد اجراء اتصالاتي الأولى مع الحكومة النمسوية أن الوذ بالصمت وأتكتم على طبيعـة مهمتي . وعليه فقد بقيت في ڤالرفانغن حتى مطلع تشرين الأول ١٩٣٤ .

على اثر احباط محاولة الانقلاب النازية في تموز ١٩٣٤ فقد قبض على جميع النازيين النمسويين المعروفين للحكومة واودعوا السجون او معسكرات الاعتقال وعندئذ تحولت الحركة النازية للعمل السري واعادت تنظيم نفسها تحت الارض وقد فر عدد كبير من النازيين النمسويين الى المانيا حيث تم

اسكانهم في معسكرات واعيد تنظيمهم سياسيا باسم (الفرقة النمسوية) ولما اخبرت هتلر بأنه برعايته لأولئك النمسويين سيثير اتهام الحكومة النمسوية لألمانيا بالمساهمة في الانقلاب النازي الفاشل فقال انه لم يحاول سوى المحافظة على أرواح النازيين النمسويين وسوف لن يحاول استغلالهم سياسيا .

والواقع هو ان هناك آلاف الدلائل التي تؤكد تورط المانيا في المحاولة الانقلابية الفاشلة . ومما لا شك فيه ان المعتدلين من النازيين الألمان حاولوا استمالة رفاقهم المعتدلين من النازيين النمسويين للاشتراك معهم في مناهضة سياسة هتلر العدوانية ولم تكن تلك السياسة العدوانية قد تجلت للعيان بشكلها السافر في ذلك الوقت المبكر ولكن بوادرها لم تكن خافية عني وعن المتتبع لممارسات هتلر السياسة عن كثب.

وقد قام اولئك النمسويين النازيين بفعالياتهم المضادة لهتلر فيما بعد ولكنني لم اكن على بينة من تفاصيل تلك الفعاليات ولكن الذي برهن لي على وجود الفعاليات المشار اليها هو الردع الصارم الذي تلقوه من هتلر.

والامر الذي لاحظته بعد تصدي الحكومة النمسوية للنازيين واجبارهم على التحول للنشاط السري هو انهم خرجوا من الميدان بشكل جعلني اعمل بحرية تامة على تحسين العلاقات الالمانية ـ النمسوية دون ان يثير النازيون النمسويون أية فعاليات تعيق نشاطي الوظيفي .

ركز الحزب النازي النمسوي فعالياته من مكامنه السرية ضد الجيش الشعبي النمسوي الذي صار اهم ركائز الدولة النمسوية . وكان على رأس هذه القوة الامير الشاب فون شتارهمبيرغ وهو رجل نبيل يتمتع بقدرممتازة على القيادة العسكرية الا انه كان يفتقر مع الاسف للمقدرة السياسية الضرورية لجعله رجل دولة مرموق. وكنت قد تعرفت على شتارهمبيرغ عندما وصل الى برلين عام ١٩٣٢ مع مجموعة من مقاتلي الجبهة النمسوية للمشاركة في احتفالات يوم منظمة الخوذة الفولاذية . ولما كان الرجل قد ساهم بعد الحرب العالمية الاولى في القتال الذي دار في سبيل تحرير اقليم سيليزيا فانه قوبل ببرلين بالحفاوة التي يستحقها .

الاوساط •

أما في الاوساط الارستقراطية النمسوية ذات الامجاد الغـابرة فقد اصطدمت في اغلب الاحيان بمعارضتها العنيفة للوحدة مع المانيا • وكان ابناء

تلك العوائل الحاكمة في العهد البائد قد وجدوا انفسهم مجردين من عطف بريطانيا وفرنسا • الا أنني والحق يقال وجدت استجابة حماسية من عـدد لا يستهان به من أبناء تلك الأسر كأمير ڤندشغراتس زوج حفيدة الأمبراطور فرانز يوسف وغراف ڤيلتسيك ودوبسكي وكويهن والأمير كارل كنسكي وغيرهم من الذين أولوني محبتهم وتعاونهم في سبيل الوحدة •

وبين النساء الفضليات اللائي أدين لهن بالشكر الجزيل لا بد من الاشادة بتعاون الاميرة صوفي اويتنغن شپيلبيرغ وهي احـدى حفيـدات المستشار النمسوي الامير مترنيخ• وكانت بادية النشاط وعالية الهمة وتبذل قصـارى جهودها في سبيل الوحدة رغم سنها العالية وتسعى لمعالجة مختلف القضايا السياسية بفكر مستنير وقاد•

ولربمـا يستنكر المرء مني ـ وانا الدبلومـاسي الحديث العهد بهذه المهمة ـ اقامتي لعلاقـات وطيدة مع طبقة لم تعد لهـا أية اهمية سياسية • وهذا استنكار مغلوط • فمع ان أفراد تلك العوائل لم يكن بينهم من يشغل أي منصب وزاري الا ان لبعضهم ـ كما مر لنا مع الامير فون شتراهمبيرغ ـ نفوذ لا يستهان به على الاحداث السياسية في النمسا•

وكان اصعب جزء من مهمتي هو استمالة رجال الدين بعد ان هـاجم الحزب الكنيسة الكاثوليكية•وأنا لم أرغب برؤية رجال الكنيسة الكاثوليكية النمسويين بنفس الحال التي صار بها رفاقهم الالمان •

لكنني كنت آمل ان يدرك هتلر بأن مناهضته للكنيسة سوف لن تؤثر على المانيا فحسب وانما ستؤدي الى اقامة عقبة كأداء بوجه الوحدة المزمع تحقيقها•

لدرجة لا سبيل لتجاهلها بالتوافق مع منظمة الجيش الشعبي النمسوي. ومع انه يمكن القول بأن المنظمة المذكورة كانت مؤسسة سهلة التحول الى عامل سياسي مؤثر على السياسة الداخلية في النمسا. الا انها عقدت الاسس السلمية لتحقيق الوحدة بسبب شدة تأثير الاسرة الملكية على الاوساط العاملة مع شوشنيغ وجعلت موقفه السياسي الخارجي في غاية الصعوبة لأن الكثيرين صاروا يخشون من العودة الى الملكية . وكانت أوساط النبلاء ومنهم عدد من كبار الضباط الذين سبقت لهم الخدمة في الجيش القديم ترغب بعودة آل هابسبورغ الى الحكم الا ان الضباط الشباب في الجيش النمسوي لم يكتموا اعجابهم بازدهار الحركة الاشتراكية الوطنية في المانيا.

أما في المانيا فكان الناس يمقتون الامبراطور النمسوي السابق كارل الاول ويكرهون عقيلته الامبراطورة تسيتا بسبب الموقف المشين الذي سلكاه ضد بلادهما بعد الحرب العالمية الاولى . الا ان الامير اوتو لم يوجه له أي امتهان لنقاء سيرته .

وكنت قد قلت لشوشنيغ مرات عديدة بأننا نعتبر مسألة عودة الملكية الى النمسا قضية داخلية . ونحن نحترم آل هابسبورغ والبيت المالك الباڤاري .

الا أن المستشار النمسوي لم يعلق على قولي بشيء لأنه كان يدرك بأن محاولات الامير اوتو فون هابسبورغ لاسترداد عرش آبائه ستعصف بها الوحدة.

وكانت الاوساط القومية الاخرى التي تنشد تحقيق الوحدة الالمانية عدا الحزب النازي تلتئم تحت زعامة المطالب بدم ولي عهد النمسا القتيل فرانز فرديناند وهو المشير البارون باردولف وكان في ذلك الوقت رئيسا (للنادي الالماني) والذي كان مؤسسة وحدوية بارزة.ومع انني أقمت علاقات وطيدة مع البارون باردولف الا انني لم ازر ناديه طوال فترة اشتغالي بالنمسا الا مرتين أو ثلاث لأنني آثرت البقاء بمنأى عنه . ذلك لأنني لم أشأ اعطاء الحكومة النمسوية أي دليل على الادعاء ببثي الآراء الوحدوية في تلك

الاوساط .

أما في الاوساط الارستقراطية النسوية ذات الامجاد الغابرة فقد اصطدمت في اغلب الاحيان بمعارضتها العنيفة للوحدة مع المانيا . وكان ابناء

تلك العوائل الحاكمة في العهد البائد قد وجدوا انفسهم مجردين من عطف بريطانيا وفرنسا . الا أنني والحق يقال وجدت استجابة حماسية من عدد لا يستهان به من أبناء تلك الأسر كأمير ڤندشغراتس زوج حفيدة الأمبراطور فرانز يوسف وغراف ڤيلتسيك ودوبسكي وكويهن والأمير كارل كنسكي وغيرهم من الذين أولوني محبتهم وتعاونهم في سبيل الوحدة .

وبين النساء الفضليات اللائي أدين لهن بالشكر الجزيل لا بد من الاشادة بتعاون الاميرة صوفي اويتنغن شپيلبيرغ وهي احدى حفيدات المستشار النمسوي الامير مترنيخ. وكانت بادية النشاط وعالية الهمة وتبذل قصارى جهودها في سبيل الوحدة رغم سنها العالية وتسعى لمعالجة مختلف القضايا السياسية بفكر مستنير وقاد.

ولربما يستنكر المرء مني ــ وانا الدبلوماسي الحديث العهد بهذه المهمة ــ اقامتي لعلاقات وطيدة مع طبقة لم تعد لها أية اهمية سياسية . وهذا استنكار مغلوط . فمع ان أفراد تلك العوائل لم يكن بينهم من يشغل أي منصب وزاري الا ان لبعضهم ــ كما مر لنا مع الامير فون شتراهمبيرغ ــ نفوذ لا يستهان به على الاحداث السياسية في النمسا.

وكان اصعب جزء من مهمتي هو استمالة رجال الدين بعد ان هاجم الحزب الكنيسة الكاثوليكية.وأنا لم أرغب برؤية رجال الكنيسة الكاثوليكية النمسويين بنفس الحال التي صار بها رفاقهم الالمان .

لكنني كنت آمل ان يدرك هتلر بأن مناهضته للكنيسة سوف لن تؤثر على المانيا فحسب وانما ستؤدي الى اقامة عقبة كأداء بوجه الوحدة المزمع تحقيقها.

ولقد حرصت منذ الايــام الاولى لوصولي الى ڤينا على كسب مودة الرأس المدبر للكنيسة الكاثوليكية النمسوية الكاردينال تيودور انستربقصد توضيح طبيعة مهمتي لنيافته. ولم اشأ بطبيعة الحال ان تكون موضع شكوكه في الاعتقاد بأنني اسعى لتحقيق الوحدة على حساب الكنيسة.

ولربما يتهمني البعض بعد تطور الاحداث بأن آمالي لم يكن لها أي اساس وانها كانت تتسم بقصر النظر . الا انني ارد على هذه الاتهامات بأن هتلر سبق ان أعرب لي مرارا عن شكوكه بالآراء السياسية التي جاء بهــا روزنبرغ[٢]. ومن تلك الشكوك انه قال لي مرة:

« ان الكتاب الذي ضمنه روزنبرغ اساطيره لا يساوي قيمة الورق الذي طبع عليه ».

كما أنه لم يسمح لروزنبرغ بنشر كتابه قط لأن كاردينال ميونيخ هاجم نظريات روزنبرغ بصورة علنية. وكان هتلر يعتقد بأن الاستعاضة عن الكنيسة الكاثوليكية بفكرة المانية قومية جديدة مجرد خيال وهمي وكنت لوقت طويل على ثقة من أن هتلر يولي آرائي جل اهتمامه . الا أن ضغوط غوبلز وروزنبرغ وبورمان المستمرة غيرت آرائه بشأن مــا كنت اسديه له من نصائح .

بعد سنتين من الزيارات الشكلية التي قمت بها للكاردينال والمجاملات التي قدمتها له فانه رفض استقبالي او تلبية اية دعوة اوجهها له . وكان هذا الموقف ــ كما قيل لي في حينــه ــ قد اتخذ بموجب قرار لمجلس الاســاقفة «بريماس جرمانيا» المنعقد برئاسة اسقف زالتسبورغ الامير الدكتور ڤايتز.

---

(٢) كان الفريد روزنبرغ العقل المفكر للحزب النازي وصاحب نظرياته الفلسفية وقد اشتهر بمناوأته للكنيسة . ولما احيل لمحاكمات نورمبرغ بعد الحرب العالمية الثانية حكم عليه بالاعدام شنقا ونفذ فيه.

ــ المترجم ــ

ثم ان الجفوة التي لقيتها في تلك الفترة من المستشار الاتحادي شوشنيغ كانت بتأثير من قرار المقاطعة الذي اتخذه ضدي رجال الدين • ولكنني كلما ازدادت مقاطعة رجال الدين النمسويين لنشاطي كلما ازدادت جفوة المسؤولين الالمان مني ببرلين نفسها•

وثمة مجموعة أخرى كانت ذات أهمية خاصة بالنسبة لاشتغالي في ڤينا وهي الجالية الالمانية المقيمة في النمسا حيث كان عدد الالمان المقيمين بڤينا وحدها أكثر من ٣٠ ٠٠٠ الماني يتزعمهم الاستاذ الدكتور پاول كريوغر الذي كان يعمل مديرا لمعهد التأريخ الطبيعي بڤينا• وكان للالمان المقيمين بالنمسا اتحاد خاص بهم والامر الذي اقلقني هو تحسبي من قيام ذلك الاتحادبنشاط نازي وهو نشاط لابد ان يسبب لي صعوبات انا في غنى عن معالجتها • وكان السيد ارنست ڤيلهلم بوهله قد انشأ في المانيا «مكتب رعاية الالمان المقيمين بالخارج » وهو مؤسسة لا موجب لوجودها أصلا بينما كانت تحظى برعاية وزارة الخارجية الالمانية الى أبعد الحدود •

وكان السيد ارنست بوهله شابا مثقفا وقد ولد في برادفورد ببريطانيا ولعله أقدم على فتح مكتبه المشار اليه على أمل الحصول على منصب وزير الخارجية او على الاقل منصب وزير المستعمرات وواضح انه اراد بفتحه مكتب رعاية الالمان المقيمين بالخارج جلب نظر هتلر الى كفايته ومقدرته في استمالة الآلاف المؤلفة من اولئك الالمان وتنظيمهم وتكليفهم بمهمة الدعاية لالمانيا والتسبيح بحمد نظامها النازي• وكان الالمان المقيمين في الخارج قد نظموا انفسهم منذ عشرات السنين بنواد او اتحادات بقصد الحفاظ على ارتباطهم الوثيق بالوطن الأم حيث يوجد في الولايات المتحدة الامريكيةوحدها اكثر من الف جمعية غنائية تتبنى التقاليد الموسيقية الالمانية وتنشد الاغاني الالمانية • كما توجد في اقطار اخرى كثيرة مدارس المانية ومستشفيات المانية• وقد بقيت هذه المؤسسات الثقافية والانسانية بعيدة عن السياسة طوال عقود عديدة من الزمن•

ومما لا شك فيه ان البلدان المضيفة للجاليات الاجنبية ــ ومنها الجالية

الألمانيـة ـ لا يمكن أن تسمح لها بممارسـة أي نشاط سياسي يعتبر تدخلا بشؤونها الخاصة او يخل بسياستها العامة .

الا أن الشيوخ المحنكين الذين كانوا على رؤوس تلك المنظمـات لم يعجبهم عمل السيد بوهله فوضعوا العراقيل امامه . الا انه لم يلبث ان أزاحهم تباعا عن مناصبهم ووضع بدلهم عددا من الشباب الذين كانوا مشردين في الخارج بسبب عدم كفايتهم فلا عجب أن جعل هؤلاء التسبيح بحمد المانيـا ديدنهم.

وكان ان صادفت نفس الحـالة في ڤينا حيث تعرضت لمزعجات كادت تعصف بجهودي السياسية.

لكي تتفهم طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين المانيا والنمسا في الفترة الواقعة بين ٢٥ تموز ١٩٣٤ و٢١ مايس ١٩٣٥ فمن الضروري القاء نظرة على التطورات السياسية التي طرأت على اوربا خلال تلك الفترة .

فأنسحاب المانيا من عصبة الامم ومؤتمر نزع السلاح جعلنا عرضـة للنقد الشديد والعزلة وكان من الواضح اننا سنكون محرومين من اقـامة علاقات شخصية مع قادة الدول الكبرى في العالم. واقامة مثل هذه العلاقات يكون افضل من المـذكرات الدبلوماسيـة آلاف المرات . والآن اصبحت الحكومة الالمانية الجديدة مهددة بخطر الانعزال الذي تعرضت له الحكومات الالمانية خلال عقد العشرينات مما يجعل سياستنـا الخارجية في مهب الريح لأننا سنكون في جهل عن مسار العوامل السياسية التي تؤثر على قرارات الدول الكبرى.

وكانت الخطة الجديدة التي قدمها سير جون سيمون في ٩ تشرين الأول ١٩٣٤ الى لجنة نزع السلاح قد جعلت بقائنا في تلك اللجنة متعذرا . وكانت الخطة المذكورة بارعة في احبـاط خططنا التي قدمناها في ١١ كانون الأول ١٩٣٢ على أمل التعـادل مع الدول الأخرى خلال أربع سـنوات . ولو كنـا قد حافظنا على عضويتنا في عصبة الأمم لاستطعنا تقديم مقترحات جديدة عبر

عصبة الامم بشأن قضية نزع السلاح. لقد كان غلق ذينك البابين المطلين على العالم اكثر من طاقة المانيا.

لقد حاولت الدول الاخرى التدخل في شؤون الأمن للدول الثورية ذات النظم الجديدة . والواقع ان المرحلة التي اصفها تميزت بالحماس المحموم لجميع هيئات الحكومة الالمانية في سبيل الحفاظ على الأمن الجماعي.

وكانت الخطوة الاولى المناقضة لسياسة المانيا الخارجية هي قبول روسيا السوفيتية في عصبة الامم في ايلول ١٩٣٤ بعد ان حرمت من القبول في هذه المنظمة الدولية ردحا من الزمن . وقد حصل قبولها بعد فشل المحاولة الانقلابية التي وقعت في فينا واثار فشلها فضيحة دولية لاتهام النازيين بالاستهتار بالقيم المعتبرة في المجتمع الدولي. وقد حفزت تحشدات فرق موسوليني بممر برنر واستنكار الفرنسيين اللورد بولدوين رئيس وزراء بريطانيا للقول:

« ان حدود بريطانيا تمتد الى الراين . ولابد للمرء من وضع برنامج جديد لنزع السلاح لمقاومة تهديدات هتلر » .

في ١٣ كانون الثاني ١٩٣٥ حصلت واقعة كانت لها آثار قوية على المجتمع الاوربي. فقد تمخضت الانتخابات التي اجريت في منطقة السار التي خضعت للاحتلال الفرنسي والادارة الدولية طوال خمسة عشر عاما عن الاقتراع بنسبة ٩٠٫٤٪ لصالح الرجوع بالاقليم الى الوطن الأم ولم يقترح من الـ ٠٠٠ ١٥٠ فرنسي من اقليم السار سوى ٢٠١٤ فقط لصالح ضم الأقليم لفرنسا. وحيث ان ابناء السار المقيمين في كل ارجاء العالم شاركوا في هذا الاقتراع فقد دلت نتيجته على مدى ثقة اولئك الناس بحكومة المانيا وبزعامة هتلر.

وعندما أقيم الأحتفال الكبير بتسلم أقليم السار في عاصمته ساربروكن يوم ١ آذار ١٩٣٥ دعيت لحضور ذلك الاحتفال ووقفت الى جانب هتلر الذي كان يشعر بسعادة غامرة. ولما جاء دوري لألقاء كلمة بالمناسبة قلت فيها:

« نحن نأمل ان تكون عودة اقليم السـار الى المانيا خـاتمة للصراع الطويل الذي امتد بين بلدينا مئات السنين وان نستأنف علاقاتنـا بشكل افضل. فلنمد ايدينا للتعاون من اجل ازدهار اوربا ورفعتها ».

وبعد الاقتراع بشأن السار بثلاثة اسابيع أي في ٣ شباط ١٩٣٥ التقى الوزيران الفرنسيان پيرلاڤال وپيير فلاندان بنظيريهما الانكليزيين من اجل كبح جماح المانيا وتحديد نشاطها غير المرغوب به . وباشر الجميع بوضع مشاريع لاقامة حلفين تشترك بهما المانيا لعدم الاعتداء ويسمى أولهما الحلف الشرقي والآخر يسمى حلف الدانوب وتسندهما فرنسا وبريطانيا بكل ما اوتيت من قوة.

ولما عرضت الفكرة على المانيا بصورة رسمية اجابت بأنها على استعداد للدخول بمفاوضات بشأن تحديـد التسلح. ولكن كيف يمكننـا الدخول بالحلفين المقترحين؟ ومع من وضد من؟ فنحن ليست لدينا حدود مشتركة مع روسيا . اما ما يخص حلف الدانوب المقترح فنحن نعتبره سياسة غربية تتميز بقصر النظر لاننا والنمسا لا نحتاج الى أي اسناد ازاء دول حوض الدانوب الصغيرة . واقترحنا من جانبنا فتح حوار مع بريطانيا فأعربت بريطانيا عن استعدادها للحوار المقترح وعينت السير جون سيمون والسيد انطوني ايدن ممثلين لها على ان يصلا الى برلين في ٦ آذار ١٩٣٥ .

وقبل حلول الموعـد المقرر لوصولهما بيومين حـدث ما عصف بكل الجهود المبذولة للتفاهم المباشر بين المانيا وبريطانيا عندما أصدرت الاخيرة في ٤ آذار ١٩٣٥ كتابا ابيض يتضمن الاساءة لألمانيا حيث جاء فيه:

« ان المانيا لا تقتصر نشاطاتها على الجهود العلنية المبذولة على نطاق واسع من اجل اعادة التسلح خلافا للاتفاقيات المبرمة وانما تسعى سعيا حثيثا نحو توجيه الشعب الالماني وبصورة خاصة الشبيبة الالمانية التي يتم تنظيمها لتكون اداة عسكرية رهيبة وهذا امر يجعل الجميع يفكرون بفقدان الامن».

وهكذا اعتبرت برلين الكتـاب الانكليزي الابيض تدخلا سـافرا في

شؤونها لأنه يعتبر تحريضا على تحديد تسلح المانيا . وكان هتلر اشد الناس امتعاضا لصدور هذا الكتاب فأوعز باخبار السفير البريطاني ببرلين بأنه أصيب بنزلة صدرية ويتمـذر عليه مع الأسف مقـابلة الوزيرين الانكليزيين يوم ٦ آذار ١٩٣٥ .

ويبدو ان وزارة الخارجية الفرنسية كانت متعاطفة مع الاساليب الانكليزية حيث قررت الحكومة الفرنسية في ٦ آذار ١٩٣٥ تمديد مدة الخدمة الالزامية الى السنتين . كما قامت في ٧ آذار ١٩٣٥ بتوقيع اتفاقية مع بلجيكا تتضمن تمديد سريان المعاهدة العسكرية المعقودة بينهما في عام ١٩٢١ . وبعد ثلاثة ايام من ذلك التأريخ صرح هرمان غورنغ للصحافة بأن لالمانيا قوة جويـة عسكرية لم يسبق الاعلان عنها وفسر تصريحه هذا بأن دعوة الدول الكبرى لألمانيا للمشاركة في معاهدة جوية معناها المنطقي اننا لدينا فعلا قوة جوية .

في ١٦ آذار ١٩٣٥ أعلن هتلر اعادة التجنيد الالزامي للشعب الالمـاني جوابا على الاجراءات المشابهة لجيران المانيا الغربيين . واؤكد هنا خدمة للحقيقة وكما سبق ان اكدت امام المحكمة الدولية في نورمبرغ بأن احدا لم يتطرق في أوساط الحكومة الألمانيـة لموضوع اعادة تسليح المانيـا طيلة فترة عضويتي للحكومة بل وحتى أواخر عام ١٩٣٤. كما لم تتيسر للجيش الالماني آنذاك اية أسلحة ثقيلة كما ان املاء شواغر الملاكات بعناصر من التشكيلات شبه العسكرية كان مجرد اجراء دفاعي بحت. وقد بقي سؤال ملح يتردد كثيرا ومفاده ألم يكن بمقدور ساسة اوربا التوصل الى تفاهم مع هتلر بشأن تحقيق السلام الاوربي؟

كانت ردود الفعل على اجراءات هتلر شديدة جدا. حيث قال سفير فرنسا ببرلين السيد فرانسوا پونسيه بأن تدابير المانيا كانت استحضارات جادة للحرب الا ان باريس لم تأبه لقـوله وكان من رأي السفير الفرنسي وجوب سحب الدول الكبرى لسفرائها من المانيا وعقـد اتفـاقيتي الشرق والدانوب المقترحتين بدون المانيا وبهدف لتصدي لأطماع المانيا .

وقد كتب السفير المذكور يومياته فيما بعد وقال فيها عن تلك الواقعة:

« لقد قامت الدول الكبرى برد فعل، ولكنه كان مقتصرا على خطط مكتوبة على الورق واعتراضات مجردة»،

ظهرت الاعتراضات باختلافات تدريجية حيث أرادت بريطانيا في أول الامر معرفة مدى استعداد هتلر في ذلك الوقت لاجراء حـوار مع رجال الدولة البريطانية فأبدى هتلر ترحيبه بالفكرة الا ان الفرنسيين نسفوا المحادثات هذه المرة قبل بدايتها عندما قرروا وجوب جعل الزيارة لبرلين زيارة ذات طبيعة استطلاعية عندما تقرر قيام السيد ايدن بالطيران من برلين الى موسكو ثم الى وارشو ومنها الى براغ، وهكذا تبين لهتلر قبل تنفيذ الزيارة بأن الغرض من اعلان منهجها هو الاستحضار النفسي لتحقيق النجاح في المحـادثات، ولكن على الرغم من ذلك كله فقد سارت المحادثات بروح ودية صـادقة، ولم تكن الاختلافات الواسعة بين النظريتين الشيوعية والنازية مبررا لقبول هتلر بالاشتراك في الحلف الشرقي الذي اقترحه الانكليز كما انه لم يقبل بالدخول في حلف الدانوب المقترح ما لم يتم اعتراف الحلفاء الغربيين بحق توحيد المانيا مع النمساء وهكذا تمخض هذا المؤتمر عن رفض هتلر للمرة الاولى فكرة الاشتراك بمعاهدة مع بريطانيا ، كما انه حقق نجاحا دبلوماسيا عندما استطاع شق الاتفاق الانكليزي ــ الفرنسي،

عاد التوتر لأوربا ثانية عندما عقدت الدول الغربية مؤتمرا في ستريزا[٣] بتاريخ ١١ نيسان ١٩٣٥ حضره رئيسا وزراء بريطانيا وفرنسا السيد رامزي ماكدونالد والسيد پيير لاڤال يصحبهما وزيرا خارجيتهما، وتوجه المؤتمرون في اول الامر الى لاغو ماغيوري لكي يستميلوا موسوليني الى جانبهم في الصراع المنتظر ضد المانيا ، والواقع ان تجمع هذه الدول غير المؤتلفة لم يكن له ما يبرره وكان الاجدر بها التعاون مع المانيا في سبيل اقرار الرخاء والسلم لاوربا ، الا أن الدول الثلاث المذكورة أعلنت بكل صراحة شـجبها لمساعي المانيا في التخلص من قيود معاهدة فرساي وبذلها كل جهودها في هـذا السبيل،

---

(٣) تقع في شمال ايطاليا قرب مدينة ميلانو . ــ المترجم ــ

وقد تصدى هتلر لمزاعمهم بقوة قائلا ان معاداة تلك الدول لن تزيد المانيا الا ترابطا ووحدة • وبعد يومين من ذلك التأريخ أثرت فرنسا على عصبة الامم وجعلتها تصدر بيانا تدين به المانيا • وفي ٢ مايس ١٩٣٥ وقعت الحكومة الفرنسية على معاهدة دفاعية للاسناد المتبادل مع الاتحاد السوفيتي•

وهكذا تفتتت وحدة أوربا التأريخية وانهار جدارها الحصين بوجه الموجة السلاڤية العارمة•

ادت نتائج اقتراع السار التي كانت لصالح المانيا الى سريان روح التفاؤل والاستبشار في نفوس المواطنين النمسويين كما كانت مناوأة دول أوربا الكبرى لألمانيا حافزا اضافيا لاظهار مشاعر التأييد القومية نحوها•

اضف الى ذلك كله شعور النمسويين بالاعتزاز بهتلر واعجابهم به بعد ان حطم قيود معاهدة فرساي• وفي هذه الفترة بالذات قدرت ان مصير النمسا سيتحدد في لعبة سياسية قادمة• ولم يكن غريبا سريان اشاعات متضاربة تنال من الامير فون شتارهمبيرغ• كما ازداد في الفترة نفسها تدخل موسوليني في شؤون الحكومة النمسوية مما اضطرها على طلب تقوية الجيش النمسوي النظامي ومفاتحة البرلمان لجعل الجيش الشعبي النمسوي تشكيلا احتياطيا للجيش العامل•

وأخيرا تبين ان حلف الدانوب لم يكن سوى خيال يراود رؤوس الساسة في دول أوربا الغربية دون أن يكتب له النجاح • وكان الأجدر بهم تقوية موقف النمسا وجعل الامير فون شتارهمبيرغ بمنصب مشابه لمنصب امير البحر هورتي الوصي على عرش المجر•

الا أن فكرة تسليط مستبد عسكري على نظام الحكم القائم بالنمسا لم ترق بطبيعة الحال للمستشار شوشنيغ او لوزير خارجيته البارون فون بيرغر وقد سألني الأخير في محادثة جرت لي معه في تلك الفترة عما اذا كانت المانيا على استعداد للاعتراف بسيادة النمسا باعتبارها دولة المانية ثانية • اذ

لو أعطي مثل هذا الضمان لأصبح بمقدور النمسا ممارسة سياسة خارجية متغيرة تميل فيها لتوحيد نشاطها مع نشاط المانيا الخارجي .

وللاجابة على هذا الاستفسار المهم فقد عجلت بالتوجه الى برلين بقصد مقابلة هتلر وطلبت اليه التدخل لاحباط محاولات موسوليني في التدخل بشؤون النمسا ونصحته في ١٧ مايس ١٩٣٥ منح شوشنيغ امكانية تشجيع الجيش الشعبي من اجل تحقيق وحدة النمسا مع المانيا . وكذلك مصالحة الحزب النازي النمسوي مع الكنيسة النمسوية لأن هذه الخطوة ستكون تمهيد مناسب لأشراك المانيا في حلف الدانوب المقترح. والتوصل لتوحيد سياسة النمسا الخارجية مع سياسة المانيا بقصد التصدي لمحاولات بريطانيا الجادة للتأثير على سمعة المانيا الدولية.

وكنت قد كتبت لهتلر منذ اواسط مايس ١٩٣٥ بأن المستشار النمسوي قد أكد لي بأن هتلر اذا ما وضح سياسته المقبلة مع النمسا والتزم بها فانه يمكن ان يشترك مع هتلر فورا بمحادثات لتوثيق اواصر التعاون بين البلدين . والآن اصبح هذا الطلب في غاية السهولة بعد ان اعلن هتلر على رؤوس الاشهاد في خطبته المستفيضة امام البرلمان الالماني يوم ٢١ مايس ١٩٣٥ اعترافه باستقلال النمسا وسيادتها حيث قال:

« ليس من رأي المانيا ولا من رغبتها التدخل بشؤون النمسا الداخلية أو محاولة ضم النمسا أو مضايقتها ».

وكانت هذه هي نفس التأكيدات التي سبق ان وعدني بها في لقائي معه ببايرويت في تموز ١٩٣٤ قبل ان اقرر قبول منصب السفير بڤينا . والآن وبعد ان اعلن هتلر عن تطميناته للنمسا اصبح الآن بمقدورنا وضع الأسس الراسخة لاقامة صرح التعاون الالماني ـ النمسوي الوثيق.

لم تتأخر استجابة النمسا لتصريحات هتلر المطمنة فبعد اسبوع واحد تحدث المستشار النمسوي أمام برلمان بلاده وكنت حاضرا تلك الجلسة فأثنى على المانيا ثناء عطرا وقال ان النمسا اصبحت معترف بها كدولة المانية وقد سررت لأن جهودي مع هتلر قد اثمرت باعترافه علنا بسيادة النمسا وهو تصريح

يسهل دخول النمسا عضوا في الاتحاد الالماني ويجعل سياستها الخارجية متوائمة مع سياسة المانيا • والآن وجدت ان من المناسب مطالبة شوشنيغ باتخاذ الموقف المناسب على ضوء تصريحات هتلر•

وكان صدى خطاب المستشار شوشنيغ مؤثرا على وزارة الخارجية الفرنسية التي كانت تخشى من أي تقارب الماني ــ نمسوي• الا انني اسرعت بتطمين زميلي السفير الفرنسي السيد پوايو وقلت له ان التعاون الالماني النمسوي موجه لمناوأة البلشفية واذا لم يتم انشاء حلف الدانوب المقترح فان هذا التعاون سيكون بمثابته واعربت له عن ثقتي بأن التعاون الالماني النمسوي لابد ان يكون في صالح فرنسا•

في ١١ تموز ١٩٣٥ أي قبل عقد الاتفاقية التي وضعتها من اجل تحقيق السلام بسنة واحدة بالضبط قابلت وزير الخارجية النمسوي البارون فون بيرغر في ديوان وزارته لكي أقدم له مسودة الاتفاقية المقترحة التي سميتها (دراسة شخصية) ولما سألني عما اذا كنت مخولا من حكومتي للدخول بمثل هذه المفاوضات اجبته بأن حكومتي تعلم بذلك• ولم اشأ اخباره بأنني كنت قلقا لايجاد الوسيلة المناسبة لايصال تلك الوثيقة امامه والتي سبق ان اتفقت مع هتلر على كل ما جاء فيها بينما كنت حريصا على التأكد من قبولها لدى النمسويين قبل ان يعود هتلر فيسحبها او يوعز بالغائها أو تغيير جزء مهم منها• الا ان الوزير النمسوي ادرك بفطنته ما كان يجول بخاطري فحاول بدوره ان يلعب معي فورا لعبة سياسية يكسب بها بعض الوقت عندما قال لي بأنه بصفته وزير خارجية بلاده لا يمكنه التصرف واعطاء أي التزام مسبق وانما سيرفع مقترحي بمذكرة عاجلة للمستشار •

تلبد الجو الرائق الذي تمنيته لمهمتي بغبار كثيف خلال الاشهر التالية ولم تنجل تلك الغمة الا في ٩ أيلول ١٩٣٥ عندما اصطدمت بوزير الخارجية مرة أخرى واحيط الوزير المذكور علما بأن هتلر متفق معي بالرأي بشأن مقترحي المقدم للحكومة النمسوية• عندئذ بمقدور السيد فون بيرغر التلكؤ لمدة اطول فتأخر ثلاثة اسابيع أخرى قدم بعدها مقترحا مضادا بأسم وزارته مع

ملحوظة يتحفظ فيها بقوله ان مقترحه لم يحظ بعد بموافقة حكومته. ولكي اسهل على القاريء الكريم مقارنة مقترحي بالمقترح النمسوي المضاد اجد من المناسب عرض الخطوط الاساسية لكلتا الوثيقتين وكما يلي:

مقترحاتي

ان حكومتا المانيا والنمسا رغبة منهما في اعادة العلاقات القائمة فيما بينهما الى حالتهما الطبيعية والحفاظ على روح الصداقة من اجل تطوير التعاون الاوربي المشترك وتحقيق السلام وبناء على ذلك فقد توصلتا الى التفاهم التام بشأن ما يلي:

١ـ ان تصريح الزعيم ومستشار المانيا المؤرخ ٢١ مايس ١٩٣٥ والذي نصه « ليس من رأي المانيا ولا من رغبتها التدخل بشؤون النمسا الداخلية أومحاولة ضم النمسا أو مضايقتها » قد لقي ترحيباً من الحكومة النمسوية. حيث يؤكد هذا التصريح بأن الحكومة الالمانية لا تريد التدخل في سياسة النمسا الداخلية تجاه الاحزاب اوالتجمعات وانها تعتبر المنع الحالي لنشاط الحزب النازي قضية داخلية محضة تخص السياسة الداخلية للنمسا .

المقترح النمسوي

ان حكومتا المانيا والنمسا رغبة منهما في اعادة العلاقات القائمة فيما بينهما الى حالتها الطبيعية ولرغبتهما بتطوير التعاون الاوربي المشترك وتحقيق السلام فقد توصلتا الى التفاهم التام بشأن ما يلي:

١ ـ تعترف الحكومة الالمانية بالنظام السائد في النمسا على ضوء تصريح الزعيم ومستشار المانيا المؤرخ ٢١ مايس ١٩٣٥ والذي نصه « ليس من رأي المانيا ولا من رغبتها التدخل بشؤون النمسا الداخلية او محاولة ضم النمسا او مضايقتها ».

وتتعهد الحكومة الالمانية بعدم التدخل بصورة مباشرة او غير مباشرة في شؤون النمسا التي تخص سياستها الداخلية وهي تعترف بأن الحركة النازية والتنظيمات المنبثقة عنها ممنوعة حاليا في النمسا وهذه مسألة نمسوية داخلية بحتة.

٢ — ان الحكومة النمسوية تعتبر تصريح المستشار النمسوي المؤرخ ٢٩ مايس ١٩٣٥ « ان الدولة النمسوية تعتبر دولة المانية » نصا يجعلها تلتزم بممارسة سياسة تبغي من ورائها تحقيق السلام لمجموع الامة الالمانية •

٣ — يتم الاتفاق بين الطرفين بشأن الصحافة وايقاف منع الصحف والاذاعة والوسائل الثقافية الاخرى وقضايا الهجرة ورموز التعارف في البحار العالية والنشيد الوطني وترفع ضريبة الالف مارك المعيقة لهجرة الافراد فوراء

٢ — تعترف الحكومة النمسوية بالنظام السائد في المانيا • وسوف تلتزم بممارسة سياسة عامة تؤيد بها سياسة المانيا على ضوء تصريح المستشار النمسوي المؤرخ ٢٩ مايس ١٩٣٥ والذي نصه « ان الدولة النمسوية تعتبر دولة المانية»

٣ — يتم الاتفاق بين الطرفين بشأن المسائل المشتركة وفقا للعرض الالماني وللطرفين تقديم مقترحاتهما بشأن تشكيل لجنة مختلطة يمكنها بحث القضايا الراهنة ومعالجة اية قضايا قد تستجد ويشكو منها احد الطرفين•

ويتبين للقاريء الكريم من مقارنة كلا الاقتراحين مدى تقاربهما ومقدار اتفاق وزارة خارجية النمسا معي بالرأي•

قدمت تقريرا لهتلر في ٢٧ تموز ١٩٣٥ أي بعد اغتيال المستشار دولفوس بسنة واحدة وازنت به سياسته مع سياسة النمساء

وقلت ان النمسويين يعتبرون دولفوس (شهيد الفكرة النمسوية) وهذا معناه انحرص على استقلال النمسا والابقاء على وجودها التأريخي منفصلة عن المانيا بينما سيكون انفصالها عن اختها المانيا فعل مضاد لحركة التأريخ القومي للامة الالمانية وهذا الرأي يقودنا الى حقيقة مهمة هي ان المشكلة الالمانية النمسوية تتحكم بها مستقبلا كما تحكمت بها في الماضي السياسة الاوربية • ومن حصيلة اغتيال دولفوس ان التبريرات التي قدمناها بسرعة لاعادة المياه الى مجاريها قوبلت بالتكذيب • كما ان محاولة اصلاح الحال بارسالي سفيرا الى ڤينا تطلبت الاخلاص في اثبات حسن النوايا

والقيام باجراءات تؤكد صدق المانيا وجدّها. ذلك لأن الشعب النمسوي لا يثق بوسائل الحزب النازي القسرية وممارسته للارهاب.

وقد ادت خشية الحلفاء الغربيين من تعاظم المانيا الى لجوئهم للتحالف مع روسيا واشراكها في القضايا السياسية الاوربية . وستؤدي اية محاولة المانية للتعرض على أقطار جنوب شرق اوربا سواء من الناحية الاقتصادية او السياسية الى احتمال مواجهتها لاقطار اوربا كلها في جبهة مرصوصة.

ولربما أدى انشغال ايطاليا بمغامرتها في الحبشة الى احداث فجوة صغيرة يمكن النفاذ منها.

وعلينا والحالة هذه ان نحرص عندمعالجة قضية النمسا الا نلجأ الىحل يزيد الموقف سوءا . ويمكن ايجاد الحل المناسب في حالة واحدة هي ان تكون العلاقات الالمانية ـ النمسوية جيدة.

وقد قلت لهتلر ايضا ان من الغريب ممارسة المانيا لسياسة خارجية تتسم بالصرامة المتميزة وهذه الطريقة لن تكون بصالح المانيا وعلينا أن نجد وسائل جديدة للتعامل مع الدول اخرى. كما يجب علينا التصدي للافكار الانفصالية الموجودة لدى حكومة النمسا لكي نجعل مهمتنا التأريخية في اوربا اكثر قوة . وهذا يشتمل على وجوب تلافي الصعوبات السياسية والدينية القائمة حاليا.

لقد كتب نمسوي مخلص هو غراف فون دوبسكي في دراسة مستفيضة اعدها عن المشكلة الالمانية:

« ان المانيا اما أن تكون مع النمسا أو لا تكون بدونها . وستحوز النازية المجد المؤثل بكسب النمسا او انها ستتدهور في حالة عدم تفهمها للطريقة المناسبة لحل هذه المعضلة ».

في صيف وخريف ١٩٣٥ ازداد التعاون المشترك بين الحكومتين النمسوية والايطالية متخذا مرحلة جديدة . وأدت مغامرة موسوليني في الحبشة الى حصول قطيعة بينه وبين الحلفاء الغربيين كما جعلت النمسا بموقف

شديد الحرج. وقد وجب علي تقديم تقرير خاص في ١٨ تشرين الأول ١٩٣٥ بسبب اعادة تشكيل الحكومة النمسوية نتيجة لضغط مارسه فون شتارهمبيرغ والجيش الشعبي. وكان فون شتارهمبيرغ دائم الانتقاد لسياسة النمسا الخارجية وشديد التأييد للوزراء المعارضين . وكان يعتقد ان مصير النمسا متوقف على انتصار موسوليني وليس على تعاونها وارتباطها مع بريطانيا وفرنسا.

وقد سمعت من عضو مجلس الدولة فوندر والمعلق السياسي المعروف لصحيفة (رايشز پوست) بأن مصير وزير الخارجية النمسوي بيرغر قد تحدد لأن الحزب المسيحي الاشتراكي لم يعد يثق بالوزير المذكور بسبب مواقفه السلبية من المانيا . اضف الى ذلك ان بيرغر كان يحظى باعجاب موسوليني. وعندما تباحثت مع فون شتارهمبيرغ تأكد لي ان شعوره المناهض لألمانيا قد فتر بعض الشيء. وكان من رأيه ان حكومات الاقطار المستقلة ينبغي ان تتعاون فيما بينها وسمى ايطاليا والنمسا والمانيا والمجر وقال انها ينبغي ان تشكل جبهة قوية للدفاع عن نفسها. ولما سألت فون شتارهمبيرغ عما اذا كان بالامكان استمالة موسوليني للسير بهذا الاتجاه السياسي اجابني بالايجاب. ولشد ما استغربت من اختلاف رأيه الحصيف هذا مع آراء المستشار النمسوي ووزير خارجيته.

لقد كان فون شتارهمبيرغ لطيف الشمائل ذو شخصية محببة ولو اتيحت له فرصة حظ مواتية للعب دورا تأريخيا بارزا في ذلك العام الحافل.

وقبل ان اختتم هذا الفصل المتضمن تقريري عن هذه المرحلة من فعالياتي بقي لدي ما اقوله بصدد المناكفات التي لقيتها من النازيين ومن رجال الشرطة السرية للدولة . فمنذ كانون الأول ١٩٣٤ أي بعد محاولة روهم الانقلابية الفاشلة واقلاع الحكومة الألمانية عن فكرة تصفيتي جسديا في تلك المذبحة الشاملة توجهت انظار خصومي من النازيين نحو تصفية معاونيّ المقربين وبخاصة السيدين فون كيتيلر وفون تشيرشكي فتدبروا أمر تصفيتهما بترتيب محكم . ولما لم ارغب باستبعاد ذينك السيدين عن العمل بمعيتي

فقد لجأ النازيون الى وسائل الوقيعة القذرة للقضاء عليهما • وكانت محاولة الوشاية الاولى قد مارستها شرطة الدولة السرية ضد السيد فون تشيرشكي فأتهم بتهمة باطلة شبيهة بتلك التي دبرتها بعد ذلك الحين لتحطيم سمعة الفريق الاول البارون فون فريتش • وتجري المحاكمة عن مثل هذه التهم امام المحاكم الاعتيادية • وعليه فقد رجوت هتلر في ١٣ كانون الاول ١٩٣٤ ان يتأكد من براءة السيد فون تشيرشكي باحالته الى المحاكم الاعتيادية • وكم اسفت على المحنة التي تعرض لها ذلك الرجل الرائع الذي يتدفق ذكاء وحيوية والذي تصدى منذ عام ١٩٣٣ لمحاولات التدخل التي اراد بها النازيون دس انوفهم في فعاليات مكتب نائب المستشار •

في ٣١ كانون الثاني ١٩٣٥ كتبت رسالة شخصية لهتلر قلت له فيها بأن لدي معلومات وثيقة بأن خطة الشرطة السرية للدولة يقصد من ورائها تحييد السيد فون تشيرشكي ولو كلف السيد هايدريش بالتحري في هذه القضية فان الشرطة السرية للدولة لن تحرم من وسيلة للايقاع بالسيد فون تشيرشكي وعليه فان كل ما رجوته هو احالة المظنون الى محكمة عادلة • وفي ٢ شباط ١٩٣٥ اخبرني وزير الخارجية البارون فون نويرات بأن هتلر اعطاه ضمانا شخصيا بالمحافظة على حياة السيد فون تشيرشكي • ولما لم يطمئن السيد فون تشيرشكي لذلك الوعد فقد اضطررت على اعادة مفاتحة هتلر بشأنه في تقرير رفعته له في ١٥ شباط ١٩٣٥ وطلبت اليه اعلان التبرير اللازم لفضائح الاغتيالات التي مارستها شرطته السرية وتضمن ذلك التقرير حقائق بشأن الملابسات التي اعقبت حادث ٣٠ حزيران ١٩٣٤ حيث ذكرت فيه نص تصريح محافظ سيليزيا المدعو بريوكنر الذي قال:

« من العجيب ان اناسا امثال فون پاپن وفون تشيرشكي لم يقتلوا ببرلين ولو انهما كانا في سيليزيا لما بقيا على قيد الحياة الى هذا اليوم • ولابد من استدراك مثل هذا التقصير » •

كما أن تصريحات بعض رجال الشرطة السرية تثبت ان لفون تشيرشكي أسبابا وجيهة للتشكك بوعود الامن التي يقطعها له رجال الشرطة السرية

للدولة .

وعلى الرغم من تطمينات رئيس الدولة الالمانية فان فون تشيرشكي آثر ضمان حياته باللجوء الى بريطانيا رغم التضحية الكبيرة بمفارقة الوطن والزوجة والاطفال والبقاء بقلق دائم طوال فترة فراقهم التي امتدت الى ما بعد الحرب العالمية الثانية.

في كانون الثاني ١٩٤٧ لم يشأ فون تشيرشكي التخلي عن رئيسه السابق واراد ان يثبت وفائه بالادلاء بشهادته لصالحي في محاكمات نورمبرغ. بينما زعم القضاة السوفيت الذين كان لهم القدح المعلى في تلك المحاكمات قبل سماع اقوالي بشهرين بأن تقصيري ـ حسب رأيهم ـ كان السبب في قتل امين سري السابق فون تشيرشكي في معسكرات الاعتقال النازية وانني استحق بناء على ذلك الحكم بالاعدام شنقاء



الفصل الثالث والعشرون

اِتفَاقِيَّة تموز ونتائجها

اتفاقية تموز . رد فعل هتلر . انه يرجوني قبول منصب السفير بلندن . مكتب فون ربنتروب . هتلر يستقبل ليوپولد . تفكير شوشنيغ . تغييرات في الحكومة النمسوية . غويدو شميت يتوجه الى المانيا . خطاب لشوشنيغ. كتاب ممنوع. التوازن عام ١٩٣٦.

لم يتحسن الموقف الدولي بالنسبة للنمسا في هذه الفترة أبداه ذلك لأن عدوان ايطاليا على الحبشة ادى الى تقويض الجبهة التي اريد انشائها في مؤتمر ستريزا . كما ارسل موسوليني من يخبر المستشار النمسوي بأنه سوف يؤيد من الاعماق أي تحسن للعلاقات بين المانيا والنمسا . أضف الى ذلك ان زيارات المستشار النمسوي لباريس ولندن وجنيف لم تحقق الا نجاحا يسيرا بالنسبة لرغبته في الحصول على ضمان استقلال النمسا . ولذا فانه لم يجد مناصا من اللجوء الى تحسين العلاقات الالمانية النمسوية باستغلال اية فرصة تتاح له في هذا السبيل.

في ١ مايس ١٩٣٦ قدم لي الدكتور غويدو شميت رئيس ديوان رئاسة الجمهورية النمسوية تهنئته الحارة بمناسبة العيد الوطني الالماني وتوجه لي بسؤال عما اذا كنت على استعداد لخوض حوار جديـد من اجل تحسين العلاقات الالمانية النمسوية ٠

ومن الطبيعي انني اجبته بأنني دوما على اتم الاستعداد للتعاون في سبيل ايجاد حل سلمي لهذه القضية ثم رجوته اخبار المستشار النمسوي بأن الضرورة أصبحت ملحة للتوصل الى معالجة سـريعة لتصفية علاقاتنا وجعلها بمستوى الطموح٠

وقد حصلت من مناقشتي مع شميت على انطباع بأن المستشار شوشنيغ يشاركه الرأي في أقواله فعجلت بالاتصال مع هتلر لأخبره بأن التوتر الذي ساد مختلف وزارات اوربا نتيجة لاعادة احتلاله لاقليم الراين يمكن ان تخف فورته اذا نجحنا في ايجاد حل سلمي لمشكلة الوحدة الالمانية وبينت له بأن مثل هذه الخطـوة ستؤدي ايضا الى تحسين العلاقـات الالمانية الايطاليـة وستترتب عليها ازاحة الكثير من الاخطار التي تتهدد المانيا والمتمثلة بخطط خصومنا لعقد احلاف الامن لوسط اوربا وهي احلاف مصممة ضد المانيا بالدرجة الاولى٠

ولابد للمرء ان يتذكر بأن الحكومة البريطانية تقدمت بمجموعة من الاسئلة المحرجة الى هتلر بعد استعادته لاقليم الراين رجته فيها تحديد نواياه المقبلة ٠ وقد كتبت لهتلر مبينا وجهة نظري فأقترحت عليه الاجابة على تلك الاسئلة بالتظاهر بحسن النوايا ازاء ڤيناه وكان ان قبل هتلر بمقترحي ووافق على وجوب اعطاء الجانب النمسوي فرصة التعاون مع المانيا من اجل تحقيق الوحدة منطلقا من سياسة داخلية رصينة٠

في ١٣ مـايس ١٩٣٦ خرج مـن الوزارة كـلا من فون بيرغر وفون شتارهمبيرغ وحل الدكتور غويدو شميت بمحل الاول وزيرا للخارجية ٠ فكان هذا التعديل الوزاري سببا في تسهيل مهمتي الى حد كبير ٠ وفي

١٨ مايس ١٩٣٦ قابلت المستشار فون شوشنيغ وتحدثت اليه لأول مرة بعد التعديل الوزاري فأخبرته بتأكيد هتلر له بأن الحزب النازي الألماني سيمتنع مستقبلا عن أي تدخل في القضايا النمسوية فأخبرني فون شوشنيغ من جانبه بأنه سيوافق على الاشتراك في الجبهة الوطنية وانه سيقبل في المستقبل ايضا بعضوية المعارضة القومية • الا انه اشترط لقبول التمثيل في المعارضة القومية على المانيا الاعتراف باستقلال النمسا لكي تتاح له فرصة ترصين موقفه السياسي في حالة تحقيق الوحدة التي يمكن ان تتحقق في المستقبل نتيجة لتغير الموقف السياسي العام وكان هذا تحولا جذريا في تفكير المستشار النمسوي لأنه اعترف هذه المرة بامكانية تنفيذ الوحدة باعتبارها هدفا سياسيا ممكن التحقيق •

اجرينا في الايام التالية عدة محادثات لغرض تحديد صيغة الاتفاق المناسب• وكان من رأي فون شوشنيغ ان على كل بلد منا الاعتراف بنظام الحكم السائد في البلد الآخر بصورة رسمية فقلت له بأن وجود التمثيل الدبلوماسي المتبادل بين بلدينا معناه الاعتراف الكامل طوعيا الا ان فون شوشنيغ رفض اقتراحي بمفاتحة المانيا بشأن الاتفاق المزمع عقده بين بلدينا حال الفراغ من قضية العائلة المالكة•

بعد أن توصلنا للاتفاق على جميع التفاصيل المتعلقة بالاتفاقية المقترحة في مطلع تموز ١٩٣٦ طرت الى برلين لكي أخبر هتلر بفعالياتي واحصل على موافقته المبدئية على الخطوط العامة للاتفاقية والتمهيد للقاء فون شوشنيغ مع هتلر ومرافقتي له في المقابلة بقصد اشاعة الطمأنينة في نفسه وحضوري للمناقشات التي ستجري بين المستشارين • وكان فون شوشنيغ قد رجاني ان أطلب الى هتلر الاقتصار على الاعلان عن عقد الاتفاقية بصورة عامة دون الاشارة لتفاصيل فحواها للصحافة والاشارة الى اصدار عفو عام عن النازيين النمسويين وجعل التفاصيل المكتومة بملحق سري بالاتفاقية المعلنة•

ويقتضي أن يتضمن الجزء المعلن من الاتفاقية • اعتراف هتلر بسيادة النمسا وكذلك تعهده بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للنمسا • كما

يقتضي على فون شوشنيغ ان يعلــن في الوقت نفسه بأن النمسا هي دولة المانية وان السياسة الخارجية التي ستمارسها الحكومة النمسوية مستقبلا ستكون على ضوء هذه الصفة٠

وكان فون شوشنيغ قد كتب لي في ٢٠ حزيران ١٩٣٦ قائلا انه يرغب بكتمان المفاوضات الجارية بيننا الى أبعد الحدود٠ وكانت هذه الرغبة مطابقة لرغبتي ايضا لأنني كنت أخشى من تدخل الاحزاب الموجودة في كلا البلدين لدرجة قد تؤثر على سير المفاوضات لدرجة تدعو هتلر الى رفض التوقيع على الاتفاقية ٠ وكان هتلر ووزير خارجته البارون فون نويرات الوحيدين في برلين اللذين كانا يعرفان بأمر الاتفاقية بالاضافة للسفير النمسوي ببرلين فون تاوشيتس اما سفراء النمسا في الاقطار الاخرى فقد علموا بأمر الاتفاقية لأول مرة بعد توقيعها٠ الا ان شخصا فضوليــا واحدا كان على علم بكل تفاصيل الاتفاقية منذ ان كانت مجرد فكرة وحتى توقيعها ذلك هو السفير الايطالي بڤينا السيد زالاتا ٠ وكانت حصيلة الكتمان الشديد لأمر الاتفاقية ان أنباء توقيعهــا من قبلي والمستشار فون شــوشنيغ يوم ١١ تموز ١٩٣٦ أثارت ضجة كبرى في الاوساط السياسية الاوربية ٠

وثمة ملحوظة جديرة بالاهتمام تلقي الضوء على طبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين المستشار فون شوشنيغ والامير اوتو فون هابسبرغ المطالب بعرش النمسا فقد أقدم المستشار النمسوي رغم مطالبته الشديدة بكتمان كل ما يتعلق بأمر الاتفاقية على ارسال مدير مصلحة الاستعلامات السيد ڤير الى بلجيكا لكي يرجو الامير سرا الموافقة على عقد الاتفاقية مع المانيا ٠ وكان ان رفض الامير الموافقة عليها وناشد المستشار عدم التوقيع على مثل تلك الاتفاقية مهما كانت النتائج٠ وهذه خطوة غريبة يصعب على المستشار القيام بها لأن رئيس الجمهورية النمسوية اطلع على تفاصيل الاتفاقية قبل التوقيع عليها ببضعة ايام وأيد ما جاء فيها٠

ولما جيء بڤير شاهدا امام المحكمة في قضية غويدو شميت بعد الحرب العالمية الثانية أفاد بأن المستشار فون شوشنيغ اوفده الى بلجيكا لمقابلة الامير

اوتو واخباره بأن الاتفـاقية سوف لن توقع من قبله الا (تحت الضغوط الالمانية)٠

تم التوقيع على الاتفاقية صباح يوم ١١ تموز ١٩٣٦ فيديوان المستشارية النمسوية باحتفال رسمي ولما رجعت الى السفارة الالمانية اتصلت بهتلر هاتفيا لكي اخبره بتوقيع الاتفاقية الا انني جوبهت برد فعل غريب وغير متوقـع وبدلا من الاعراب عن شكره لانجاز ذلك العمل المضني الذي استغرق مني اكثر من سنتين انفجر بوجهي غاضبا بشكل لم يسبق ان تعرضت له في حياتي وقد حاولت أن أوضح له المكاسـب التي حققناها دون أن نمنح النمسويين أي شيء لكنه استمر على القاء سيل اتهاماته الباطلة جزافا٠

وعندئذ لم اتمكن من مواصلة المحادثة بغير اخباره بأنه اذا وجد عملي رديئا الى الحد الذي يصفه فانني على أتم اسـتعداد للاسـتقالة ٠ الا أنني وجدت نفسي معرضا لسورة من غضبه الجامح المألوف ولكنني لم اتعرض لمثل هذا التقريع بالهاتف٠

ولقد حاولت ان ابحث عن السبب الذي استوجب من هتلر ذلك السلوك المتغير المفاجيء ولم اجد غير وشايات غوبلز الذي اثبت كونه وراء التحـامل علي عندما اهملت أجهزة الاعلام الالمانية كلها أمر الاتفاقية التي أثارت ضجة في الصحافة الاوربية المحايدة والمناوئة لالمانيا بينما لم تشر اليها وسائل الاعلام الالمانية مطلقا ٠ ثم انني امليت على امينة سري كتاب استقـالتي وارجأت ارساله يوما او يومين ريثما اتبين ردود فعل الصحافة والاوساط السياسية الاوربية٠

وقد حدث ما توقعته بالضبط عندمـا اجمعت آراء الصحف علىكون الاتفاقية خطوة كبيرة ومهمة نحو تحقيق السلام المنشود في اوربا ٠ وتهافتت على هتلر وفون شوشنيغ برقيات التهاني من كل حدب وصوب٠ وسرى في الصحافة الفرنسية شيء من الحنق لاعتراف النمسا بأنها قطر الماني وعزمها على ممارسة سياسة خارجية تتفق مع هذه الحقيقة٠ وساد الاعجاب في كل مكان لنجاح الدبلوماسية الالمانية بعد مرور سنتين فقط على اغتيال المستشار

النمسوي السابق دولفوس في الاعتراف بالنمسا المستقلة ذات السيادة باتفاقية عقدتها معها المانيا فيمظهر احتفالي. واعتبرت الاوساط السياسية الاوربية هذه الاتفاقية خطوة مهمة نحو تحقيق الوحدة المنشودة بين النمسا والمانيا لأنها اعتبرتهما عضوين في أسرة واحدة وستكون قضاياهما كلها مسائل داخلية لا يسوغ للغرباء التدخل فيها.

لم تؤيد الاوساط المتطرفة في الحزب النازي عقد الاتفاقية المذكورة الا ان الاوساط المعتدلة منه تفهمت المزايا التي حققتها الاتفاقية ورحبت بها نظرا لأنها تعتبر خطوة وحدوية هامة . كما ان اعضاء حزب الوسط المنحل وبخاصة الجناح الديني من ابناء جنوب المانيا ايدوا عقد الاتفاقية بحرارة.

وكان الحزب النازي قد فتح مكتبا للسياسة الخارجية للاشراف على نشاط الهيئات الدبلوماسية الالمانية في جميع اقطار العالم برئاسة يواكيم فون ريبنتروب. وقد انضم لهذا المكتب عدد من الصحفيين وصغار رجال الاعمال الشباب وبعض النازيين المنصرفين للعمل السياسي فتنامت اعمال هذا المكتب وزاد موظفيه لدرجة ربما اصبح معها عدد هؤلاء يفوق عدد العاملين في وزارة الخارجية الألمانية نفسها . وقد دأب رجال هذا المكتب على الاتصال بزوار برلين من الاجانب سواء أكانوا صحفيين او رجال اعمال أو صيارفة او صناعيين ومفاتحتهم لاجراء مقابلات صحفية مع هتلر وكانت هذهالعروض فرصة ذهبية لهؤلاء وبخاصة للصحفيين منهم. بينما كان رجال المكتب يزعمون لهتلر بأن اولئك الاجانب كانوا يسعون لمقابلته وانهم يمثلون صحفا واسعة الانتشار او انهم من الشخصيات المهمة في بلادهم. ولم تكن وزارة الخارجية لتقدم على تقديم امثال تلك الشخصيات لهتلر وانما كانت تتحفظ كثيرا من تقديمهم خشية تطرقهم لأمور لم يرد ذكرها في المقابلة او اشتطاطهم في النقد او الدس في عرض المقابلة بصحف بلادهم مما يجعل الوزارة في حرج لا موجب له . أما مكتب فون ريبنتروب فكان يعمل بطريقة مغايرة تماما . فهو يلجأ للتضليل وتكذيب الاشخاص ولا يتورع عن تقديم معلومات مغلوطة او غير دقيقة ويقيم علاقات مع المعارضة في كل بلد . وقد كان فون ريبنتروب

مقدرا لمدى حرص هتلر على الدعاية لشخصه في الصحافة الاجنبية. وبكلمة موجزة فانني اعتقد بأن هتلر كان على ثقة بأن الخدمة التي يسديها له مكتب فون ريبنتروپ افضل بكثير والمعلومات التي يقدمها له ادق من تلك التي تقدمها له وزارة الخارجية الالمانية . والحق يقال ان ثقة هتلر كانت بمحلها لأنه كان يتلقى المعلومات من مكتب فون ريبنتروپ بسرعة تفوق وزارة الخارجية التي كانت تتبع الاساليب التقليدية البطيئة فتصل معلوماتها غير دقيقة ومتأخرة. وانني لاتعجب من مسلك البارون فون نويرات الذي بقي سادرا في اتباع النظم الرتيبة ولم يتحفز لتجاوزها واحباط محاولات غريمه فون ريبنتروپ. الا انني لاحظت تدخل مكتب الاخير في شؤون وزارة الخارجية ونبهت هتلر بشأن التضارب الحاصل بين وزارة الخارجية والمكتب المذكور.

في الايام التالية قابلت السيد وزير الخارجية البارون فون نويرات بمدينة بايرويت فأخبرته بمحاورتي مع هتلر بشأن فون ريبنتروپ فقال لي:

« كلا. كنت ارجو ان يعين فون ريبنتروپ سفيرا بلندن فهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها التخلص منه ومن مكتبه ».

فأجبته بأنني اتفهم مشكلته مع الرجل ولكن ما الذي يمكن ان يقوم به من هذا المنصب المهم؟

فقال فون نويرات ضاحكا:

« انه سيثبت فشله الذريع خلال مدة اقصاها ثلاثة اشهر وعندئذ سينتهي امره ».

فأجبته بأنني سمعت بتردد فون ريبنتروپ بقبول منصب السفير بلندن لأنه يخشى من فقدانه للاتصال المباشر مع هتلر.

فأجابني فون نويرات :

« ان هذا امر ممكن ولكنه سوف لن يدع فرصة هذا العرض تفلت من يده لأنه يعلم بأن هذه الفرصة سوف لن تتكرر ».

عندئذ انهيت المحادثة القصيرة بقولي:

« لكن هذه ستكون صفقة باهظة »•

وقلت في نفسي ان هذه المسألة تستحق الكثير من التأمل•

لم يعاود هتلر الالحاح علي لقبول سفارة لندن لأن الوزير فون نويرات حبذ له ترشيح فون ريبنتروپ • والمؤسف ان سير الحوادث التأريخية اثبت خطل رأي فون نويرات وسطحية تفكيره • فلا قلت قيمة فون ريبنتروپ بنظر هتلر بعد اشتغاله بسفارة لندن ولا تمكن البارون فون نويرات من التخلص من ذلك المكتب المتسلط على وزارة الخارجية حتى بعد ابتعاد فون ريبنتروپ عنه بحكم اشغاله لمنصبه الجديد • وانما على العكس من ذلك اصبح فون ريبنتروپ بنظر هتلر اكثر خبرة بمعرفة الشؤون البريطانية•

وليس ادل على ضحالة تفكير فون ريبنتروپ من المثال التالي (وهو مذكرة ارسلت من قبله آنذاك ووجدت ضمن وثائق وزارة الخارجية الالمانية بعد الحرب العالمية الثانية) الذي نعرضه للقاريء الكريم :

السفارة الالمانية بلندن في ٢ كانون الثاني ١٩٣٨

مذكرة للزعيم :

« نرى ان التعامل مع بريطانيا من الآن فصاعدا لابد ان يتم بانشاء حلف مضاد لبريطانيا بصورة مكتومة والتعامل معها بمنتهى القسوة• وبهذه الوسيلة وحدها يمكننا التصدي لبريطانيا اذ اننا يجب أن نأخذ في حساباتنا بأنه سيأتي اليوم الذي نتوازن معها من حيث القوة او ندخل معها في نزاع »•

والآن ما هو قول وزير الخارجية الالماني ازاء هذه السياسة ؟ ومن هي الدولة المقصودة لتكون حليفة المانيا في مناهضة بريطانيا ؟ ان المؤسف هو ان يكتشف المرء للوهلة الاولى اخطاء كثيرة وادلة على الخواء والاستهتار في هذه الكلمات القليلة•

لقد كان من رأي فون ريبنتروپ ان الامبراطورية البريطانية قد تجاوزت نقطة الارتقاء واصبحت عاجزة عن التدخل بقوة السلاح ضد الترتيب الجديد الذي تبغي المانيا اقامته في اوربا ولذا فانها غير جادة في التصدي لعدوان هتلر على كل من براغ وپولندا . وللمرء ان يقدر مدى الخطأ المثير للسخريه الذي انطوت عليه تلك التقديرات التي قدمها المقربون من هتلر بشكل يتفق مع افكاره فقادنا معه الى الكارثه بايحاء من فون ريبنتروپ واضرابه.

وبعد أيام قليلة من توقيع اتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦ استدعى هتلر الى برختسغادن السيد ليوپولد زعيم النازيين النمسويين ومعـه عدد من زعمـاء الحركة واخبرهم جميعا بأنه جـاد تماما في التمسك بالاتفاقية المعقودة مع النمسا وان عليهم من جانبهم مراعاة الضبط وعدم اثارة اية قلاقل في البلاد. وان مهمتهم اعتبار مسالة الوحدة قضية داخلية تخص النمسا وعليهم التصرف على هذا الاساس.

كانت هذه الاوامر مخيبه لآمال اولئك النازيين ومفاجئة لهم بالوقت نفسه . لكنهم صبروا على مضض لأن زعيمهم عودهم على الطاعه وعدم انتقاد قراراته . ووجدوا ان عليهم التمسك بالضبط.

اما فون شوشنيغ فقد اعتبر اتفـاقية ١١ تموز ١٩٣٦ مجرد « فترة لاسترداد الانفاس » وقال انه وجد ان من الضروري اقنـاع المانيا مرحليا بالاعتراف بحقيقة كون النمسا قطر الماني لقاء اعترافها باستقلال بلاده وتمتعها بحق السياده.

لكنه لم يتطلع ابدا نحو الانطلاق من المفاهيم الواردة في تلك الاتفاقية للمضي قدما في الخطوات التكميلية الاخرى لتحقيق الوحدة المنشودة بين البلدين لانه كان يعتبرها وثيقة لدفع البلاء بين نظام حكمه ونظام الحكم النازي المتناقضين من حيث الاساس.

كما ان الجانب الالماني الذي كان يتطلع نحو الوحدة الشاملة لم يقبـل هو الآخر باعتبار تلك الاتفاقية منطلقا للوحدة او محـاولة تمهيدية لوضع

الوحدة موضع التنفيذ.

وعلى الرغم من عدم رغبة النازيين في الخضوع لنظام دستوري. الا انه ونظام فون شوشنيغ اعتبرا هـذه الاتفاقية وثيقة وقتية لاقرار السلام بينهما دون التزام أي منهما باتباع نهج ديموقراطي. ويمكن للمتفائلين بالاتفاقية جعلها مجرد اساس لفتح الحوار بشأن الوحدة المنشودة.

اما بالنسبة لآراء هتلر في تلك الفترة فلا يمكن الزعم بأنه يمكن ان يتنازل ولو جزئيا عن فكرة الوحدة بالاعتراف باستقلال النمسا . لأن موضوع الوحدة لا يمكن ان يفرط به أي رجل من رجال الدولة الالمانية في ذلك العهد. وكل ما في الامر هو انه ظل يتحين سنوح الفرصة في خضم التعقيدات الدولية من اجل تحقيق الوحدة . وهكذا جعل فترة السلام التي اتاحتها له الاتفاقية مع ڤينا دليلا على حسن نواياه . وكان ما قاله لليوپولد هو الحل الامثل لكلا الطرفين في تلك المرحلة . اذ منع تدخل الحزب النازي النمسوي في شؤون الحكومة النمسوية على الرغم من ان ذلك الحزب هو وسيلة التدخل الفعالة الوحيدة لصالحه في القضايا الداخلية للنمسا . وكان فون شوشنيغ سعيدا بفترة الهدنة التي اتاحتها له تلك الاتفاقية مع النازيين النمسويين .

وقد قال فون شوشنيغ فيما بعد انه اعتبر وزير خارجيته غويدو شميت شخصا محسوبا على القوميين الالمان بنظر حكومة المانيا وانه يشغل منصبه وينحاز لالمانيا.

ولربما كان الدكتور شميت في عام ١٩٣٦ ضعيف الشعور القومي كما وصفه رئيسه المباشر ولكنني اعلم بحكم تعاملنا المستمر معه آنذاك بأنه على الرغم من عدم تفكيره تفكير القومي الالماني الغيور الا ان الصورة التأريخية المتكونة لديه كانت مطابقة تماما للصورة المتكونة عندي وتتلخص هذه بأن الوحدة بين البلدين يجب ان تتم وفقا لأسس التعاون الالماني والاوربي.

ولما أحيل الدكتور شميت الى المحاكمة فيما بعد تكلم عني بكره شديد ولعله ظن بأن هذا المسلك سينقذ حياته ولكنني أربأ بنفسي عن مقابلته بالمثل

بدافع الانتقام لأن علاقاتنا بقيت على الدوام ودية الى ابعد الحدود . ولأنني اعلم بأن الدكتور شميت لم يقم خلال وجوده ببرلين بالدور المغلوط الذي أراده شوشنيغ أن يلعبه.

وبعد ان استعرضت هذه الحقائق ارى من المفيد ان تتساءل .

من من طرفي الاتفاقية كان وطيد الامل بأنه سيتمكن من تضليل نظيره؟

بعد ان تمت المصادقة على الاتفاقية اعلنت الحكومة النمسوية العفو العام عن سجنائها السياسيين . وقد بينت الارقام مدى الاساليب القسرية التي مارسها فون شوشنيغ للايقاع بخصومه السياسيين من قوى المعارضة عندما شمل العفو ١٧٠٤٥ شخصا كانت تهم ١٢٦١٨ منهم تافهة لدرجة لا تستوجب الاعتقال . وخفضت احكام السجن المؤبد على ١٢ سجينا من ٤٦ محكوم . وبعد بضعة اشهر اعلن المستشار فون شوشنيغ بأنه سيطلق سراح ١٥٥٨٣ شخصا في مدة اقصاها ١ كانون الثاني ١٩٣٧ وقد ذكرت في التقرير الذي رفعته لهتلر بهذه المناسبة ان جميع الاوساط النمسوية رحبت بالعفو واعتبرته دليلا على رغبة الحكومة النمسوية باقرار السلام.

في بداية تشرين الاول ١٩٣٦ نشبت ازمة شديدة بين الحكومة النمسوية والجيش الاقليمي عندما طالب فون شتارهمبيرغ المستشار بأحالة نائب المستشار السابق اميل فاي الى المحاكمة وطلب منه ايضا جعل القوات شبه النظامية الاخرى بأمرته هو . ويبدو ان فون شتارهمبيرغ يحاول منذ اغتيال المستشار السابق دولفوس ان يجعل لنفسه مكانة متميزة .

فبعد حل تشكيلات الحزب الاشتراكي الديموقراطي المسلحة اصبحت قوات الجيش النظامي وقوات الجيش الاقليمي هي التشكيلات المسلحة الوحيدة في النمسا وازداد نفوذ فون شتارهمبيرغ بصورة تدريجية . ثم انه ما لبث ان ازاح منافسه الخطير الرائد اميل فاي من منصب مدير الشرطة العام.

وكان فون شتارهمتيرغ يطمح بالتعاون مع موسوليني الحصول على

منصب الوصي على عرش النمسا • الا ان تقربـه من ايطاليا جعلـه معرضا لخوض نزاع مرير مع المستشار فون شوشنيغ الذي كان وثيق الارتبـاط بالحلفاء الغربيين لدرجة يخشى بها على بلاده من تكرار التجربة الفاشية وكان موقف الجيش الاقليمي النمسوي كما راقبته عن كثب موقف المناهض والعقبة الكؤود ضد ازدهار علاقات الصداقة مع المانيا • الا انني لاحظت آنذاك بأن المستشار الاتحادي يعامل القـائد فون شتارهمبيرغ بكثير من الشك والحذر•

سلك فون شتارهمبيرغ في تلك الفترة سلوكا شرعيا وأراد ان يكسب هذه الازمة لصالحه على الرغم من عدم ثقة الملكيين به وبالمستشار فون شوشنيغ ولما حاول فون شتارهمبيرغ في كانون الاول ١٩٣٥ التقرب من المطالب بعرش النمسا الامير اوتو فون هابسبورغ بقيت محاولاته بلا نتيجة ايجابية • لكنه لم ييأس واستمر على توجيه اعوانه لتدبير مسألة توليه الوصاية على عرش النمسا والسعي لـدى آل هابسبورغ لكسب ثقتهـم • وقـد اراد فون شتارهمبيرغ تقوية مركزه بعد ان تسنم صديقه فون بيرغر وزارة الخارجية• لكن هذه المحاولة لم ترق بطبيعة الحال للمستشار الاتحادي الذي كان يسعى لتحديد قـوة الجيش الشعبي وليس الى تقويتـه• وفي ربيع ١٩٣٦ شرع المستشار النمسوي بتقليص أسلحة تشكيلات الجيش الاقليمي لأنه وجد نفسه قويا لدرجة يمكنه معها التصدي لأية مقاومة يحاولها فون شتارهمبيرغ•

وبعد اختتام الحملة الايطالية على الحبشة شرع موسوليني بالتقرب من المانيا وتقوية علاقاته بها وعندئذ اتيحت الفرصة لشوشنيغ لكي يقلم اظفار غريمه فون شتارهمبيرغ بينما قام الأخير بآخر محاولة لاستعـادة كرسيه الوزاري •

الا أن فون شوشنيغ أحبط تلك المحاولة واتخذ قرارا بحل تشكيلات الجيش الاقليمي في تشرين الاول ١٩٣٦ ولم ينجم عن ذلك الاجراء أي رد فعل في البلاد•

لقد استغل المستشار النمسوي الفرصـة المنـاسبة للتخلص من فون

هيالمار شاخت باصدار قروض داخلية صغيرة ومتعـددة . وقد أخبرت برلين مسبقا برغبة الدكتور شميت في تبادل بيانات ودية بين البلدين من اجل تقوية العلاقات القائمة وانه نفسه يود التحدث بشأن المكاسب التي حققتها الحكومة النازية في المانيا مع الزعيم هتلر ومع اعضاء حكومته اذا ما ضمنا له تقديـم المسؤولين الالمان ملحوظات اطراء مشابهة للحكومة النمسوية القائمة . اما بشأن الوحدة فقد ذكرت لبرلين بأن الوزير النمسوي سيتطرق في مباحثاته لجميع المعضلات التي تعتور هذه القضية وانه ينتظر قطع شوط آخر بعد تحسن الموقف الداخلي في النمسا وتحسن الموقف الخارجي وانه سيحمل للزعيم هتلر اطيب اماني المستشار النمسوي.

وانه سيشير الى الايام السالفة الجميلة التي خدم بها صاحب السعادة المستشار الاتحادي كجندي شجاع على نهر الراين ضمن جيش امبراطورية النمسا والمجر الذي كان حليفا للجيش الالماني. وقد كتبـت لهتلر بهـذه المناسبة:

« انني على ثقة من ان المستشـار الاتحادي ينتظر هو الآخر سنوح فرصة ملائمة ليطربنا قليلا».

أيد هتلر مقترحاتي وحظى الدكتور شميت بزيارة ناجحة قابل خلالهـ هتلر وغورنغ اللذين استقبلاه بمودة ظاهرة. وقد اتيحت له خلال حفلات الاستقبال والولائم التي اقيمت على شرفه فرصة التحدث الى جميع الوزراء وكبار المسؤولين الرسميين وقادة الحزب النازي تقريبا بحيث تكونت لديه صورة جديدة تماما عن القضية الالمانية ــ النمسوية . ولما سئل بعدئذ عند احالته للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى عما اذا كانت المانيا قد حـافظت على الالتزام باتفاقية تموز ١٩٣٦ أجاب بالايجاب.

عرض البارون فون نويرات في تلك المناسبة على الدكتور شميت ضرورة قيام النمسا بالانسحاب من عصبة الامم هي الاخرى الا ان ممارسة مثل هذه السياسة من قبل دولة صغيرة يعتبر امرا خارجا عن الصدد وعليه فان هـذا الطلب لم يكن له ما يبرره بالاضـافة الى كونه مصدر احراج للمستشـار

النمسوي. ولما عاود فون نويرات علي الطلب لتكرار المحاولة رفضت مفاتحة الحكومة النمسوية بهذا الشأن تجنبا لاحراجها.

والرغبة السياسية الوحيدة التي حققتها بناء على طلب برلين في تلك الفترة توافقا مع الأجماع الاوربي هي مفاتحة فون شوشنيغ والدكتور غويدو شميت بشأن الاعتراف بنظام فرانكو والوقوف منه موقفا ايجابيا في نضاله المصيري ضد الثوار الشيوعيين.

وقد حز في نفسي كثيرا عندما لاحظت ان حكومة النمسا الكاثوليكية غضت النظر عن تجارة الاسلحة المحرمة التي مارسها صاحب مصنع السلاح والعتاد النمسوي فريتزماندل[1] الذي زود اللواء الدولي بحاجته من الاسلحة والاعتدة . وقد لاقت هذه الرغبة ترحيبا من المسؤولين النمسويين.

اما زيارة الدكتور شميت فقد تمخضت عن عقد بروتوكول غير معلن تضمن النقاط التالية :

١ ـ اتفقت الحكومتان على النضال المشترك ضد التهديد الشيوعي من اجل تحقيق امن اوربا وسلامها.

٢ ـ التعاون الاقتصادي الممكن بين البلدين.

٣ ـ تنفيذ اتفاقية تموز ١٩٣٦ والاهتمام بالجالية الالمانية في النمسا وتوسيع التبادل الثقافي بين البلدين . والتوقف عن تبادل الحملات الصحفية وتوسيع العلاقات الاقتصادية وتحسين خطوط المواصلات بين البلدين ومعالجة مشكلة النمسويين اللاجئين الى المانيا.

وقد علق البارون فون نويرات على البروتوكول المذكور بأنه كان يرغب اضافة فقرة تشير الى ضرورة تعجيل الحكومة النمسوية بالتساهل مع النمسويين المتعاطفين مع المانيا لقاء اخلاص النازيين الألمان في تنفيذ اتفاقية

---

(١) هو صاحب مصانع هنتربيرغ للاسلحة خلال الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين وهو ايضا الزوج الاول للفنانة المشهورة هيدي لامار .
ـ المترجم ـ

تموز ١٩٣٦ .

لم تنته زيارة الدكتور شميت لالمانيا بالشكل الايجابي المطلوب دون منغصات جديدة ذلك لأن المستشار النمسوي القى خطابا في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٦ بمدينة كلاغنفورت قال فيه ان الجبهة الوطنية تواجه ثلاثة أعداء أولهم الشيوعية وهو لا يخشاها وثانيهم النازية وثالثهم الانهزامية المتفشية في اوساط محدودة. وخلص الى نتيجة مفادها انه سينصرف لمقاومة النازية النمسوية التي قال انه يعتبرها الخصم اللدود للحكومة النمسوية وللوطن.

تلقيت في الايام القليلة التالية برقية من وزير الخارجية الالماني البارون فون نويرات تتضمن استغرابه لسلوك المستشار النمسوي لأن خطابه الاخير ينسف التحسن الذي طرأ على العلاقات القائمة بين البلدين نتيجة لزيارة الوزير النمسوي غويدو شميت. وقال في برقيته متسائلا:

« هل يظن المستشار النمسوي انه قادر حقا على تحسين علاقاته مع المانيا في الوقت الذي يضطهد به النازيين النمسويين ؟»

وقال فيها ايضا ان خطاب المستشار النمسوي جعل الزيارة المقابلة التي ينتظر ان يقوم بها وزير الخارجية الالماني لڤينا غير ممكنة في ذلك الوقت.

وقد حاولت في اجابتي لهتلر على تلك البرقية ايجاد المبررات المقنعة التي حدت بالمستشار للجوء الى هذا المسلك فقلت انه اراد تعزيز الجبهة الوطنية واستمالة العناصر الاخرى المناهضة للنازية مرحليا .

اما شوشنيغ نفسه فقد عرض اسفه كثيرا لعدم تفهمنا لمقصده.

اخبرت هتلر بأنني احتججت بشدة على المستشار النمسوي لهذا العمل المنافي لروح الصداقة وبخاصة بعد التقارب الذي شرعنا به بكل اخلاص وقلت له بأننا لا نقبل منه أية محاولة لاتخاذ اتفاقية تموز ١٩٣٦ واجهة لتمرير سياسته الداخلية المعادية لالمانيا . وقلت له ان شوشنيغ اجابني بأنه لن يتجاهل ابدا حقيقة انتساب الشعب النمسوي للامة الالمانية وارتباط مصيره التأريخي بها. الا انني ذكرت لهتلر بهذه المناسبة ايضا ان قيادة الحزب النازي النمسوي

يبدو عليها الاضمحلال الواضح بعد قيام زعيم الحزب ليوپولد بتنحية عدد كبير من اعوانه الاكفاء نتيجة لانتقاداتهم الشديدة له.

في هذا الوقت بالذات نقل من سفارتي مستشار السفارة الامير ارباخ الى منصب قنصل المانيا في اليونان فخسرت بنقله معاونا رائعا ورجلا مخلصا ذكيا مما حز في نفسي كثيرا . ونقل محله مستشار السفارة في براغ البارون فون شتاين وكان هذا انتهازيا تسلق سلم الوظائف الدبلوماسية وثباً فوصل للمنصب المرموق خلال فترة قصيرة . وقد كشف استيلاء الحلفاء على وثائق وزارة الخارجية الالمانية بعد الحرب العالمية الثانية عن حقيقة مؤلمة عندما ظهرت بين الوثائق التي استولت عليها بريطانيا ان البارون فون شتاين كان يرسل تقارير سرية كثيرة الى وزارة الخارجية الالمانية من وراء ظهري يؤيد فيها نشاط ليوپولد ويعتبره بطلا قوميا ووطنيا غيورا وهي تقارير مناقضة تماما لما كنت اكتبه عن ذلك الرجل بالذات في تلك المرحلة وهذه حالة مؤسفة تدعو للرثاء لأنه ما كان ليكتب امثال تلك التقارير دون موافقة او تشجيع من وزارة الخارجية الالمانية اولا ولأن الحقائق اثبتت خطل آرائه وصحة آرائي ثانيا .

كما ان تقاريري كلها كانت تتضمن التحذير من مغبة نشوب أي نزاع او خلاف بين الحزب النازي النمسوي والكنيسة الكاثوليكية .

بينما جائت تقارير البارون فون شتاين مفعمة بالتحريض على رجال الكنيسة والتحامل عليهم . وكانت هذه المشكلة بالغة الاهمية بالنسبة للنمسا لأن الفاتيكان اشفق على النمسويين الكاثوليك من الوقوع تحت وطأة النظام النازي الذي عانى من تعسفه قبلهم اخوانهم الكاثوليك الالمان . ولم تقدّر الكنيسة امكانية تقوية الكاثوليك لبعضهم البعض بفضل الوحدة المنتظرة بين البلدين لأنها كانت تتوجس خيفة من التعامل مع نظام هتلر.

لقد حاولت منذ تسنمي منصبي في ڤينا حل هذه المشكلة فسلكت كل السبل المتاحة وحققت اتصالات واسعة مع زعماء الكنيسة الكاثوليكية في النمسا وبخاصة مع الاسقف الدكتور الواز هودال وجلبت انتباههم جميعا

نحو المزايا التي تحققها الوحدة الالمانية ـ النمسوية لصالح الكنيسة • كما انني توسطت بالوقت نفسه لدى هتلر لاجراء مصالحة مع الكنيسة النمسوية من اجل الاستفادة من الحماس الذي تتميز به في مكافحتها للشيوعية • الا ان مساعي المصالحة ذهبت ادراج الرياح نتيجة لتأثيرات غوبلز وبورمان على هتلر اللذين لم يتركا اية فرصة دون ان ينالا من فعالياتي ويندا بجهودي كلما استطاعا ذلك•

كان رد فعل الكنيسة قويا نتيجة لحادثة معينة مفادهـا ان الاسقف الدكتور الواز هودال الف كتابا بعنوان «القلب المحترق» واهدى نسخة منه الى هتلر فقدمتها له شخصيا وتقبلها شاكرا وسعيت لتوزيع الفي نسخة من ذلك الكتاب على المسؤولين الالمان فاثار توزيعه عاصفة من الانتقاد ضدي وضد ذلك الاسقف المحترم•

أصيب الاسقف هودال بخيبة أمل شديدة لكنه مع ذلك وجه لي شكرا جزيلا للمساعدة القيمة التي اسديتهـا له وللخدمـة المخلصـة التي قدمتها للكنيسة وقد أشار البابا بيوس الحادي عشر في مفكرة عام ١٩٣٧ الى اليأس الشديد من عدم احتمال تحسن العلاقات بين الكنيسة والحكومة الالمانية • والواقع ان هيئة رجال الدين النمسويين اتخـذت قرارا جازما لمقاومة أي تقارب مع المانيا آنذاك•

ولقد برزت في تلك الفترة ضرورة اقناع هتلر بأن قضية النمسا تعتبر القضية الاساسيـة في وسط اوربا وان وسط اوربا لن يستقر بشكل ملائم لصالح المانيا ما لم تعالج هذه القضية بحصافة وحكمة•

في ١٢ كانون الثاني ١٩٣٧ كتبت في تقريري الشـامل لمنجزات سنة ١٩٣٦ ما يلي:

يبدو ان من الضروري اعطاء صورة شاملة عن التطور السياسي الذي حصل في وسط اوربا خلال العام المنصرم بقصد التوصل الى القرار الواضح بشأن النهج السياسي المقبل• وتفصلت في اول الامر في تمحيص الحـالة

السياسية الداخلية في النمسا وصولا الى فكرة المستشار شوشنيغ في وضع الأسس الراسخة للدولة النمسوية المستقلة الا انه لم يفلح الا في اقامة نظام هزيل لأن فكرته تفتقر لقوة الجاذبية • وقد اعترف لي المستشار في كانون الاول ١٩٣٦ بأن الدور القيادي الذي مارسته فينا عبر التأريخ لابد ان تتخلى عنه الآن لصالح برلين وانه على اتم الاستعداد لتوجيه القوى النمسوية نحو النضال من أجل استعادة أمجاد الأمة الألمانية وتبوءها مكانتها المرموقة بين أمم العالم•

فقلت له ان هذا متوقف على شرطين : فنحن كما اوضح الزعيم هتلر يجب ان نصفي الاختلافات التأريخية القائمة بيننا وبين فرنسا لكي يتسنى لنا القيام بدورنا في المستقبل والذي سيكون في جنوب شرق اوربا • والنمسا بحكم تأريخها المجيد وموقعها الجغرافي وامكاناتها المتاحة مؤهلة تماما للنهوض بهذه المهمة • وعليه ــ شوشنيغ ــ ان يسمح بانطلاق الخصائص النمسوية المتأصلة في نفوس ابناء الشعب منذ آلاف السنين والا يحجم عن توطيد علاقاته مع برلين • ثم انالنمسا من البلدان المسيحية الكاثوليكية وهذه حقيقة لا سبيل لتجاهلها وليس من المعقول ان يحاول هتلر تجريد النمسا من صفتها الدينية • ولكي نحقق الشرطين الآنف ذكرهما فلابد من تعاون وثيق بين النمسا والمانيا •

ويبدو ان اتفاقية جبهة ستريزا التي انشأتها الدول الغربية مع النمسا قد تقوضت بعد ان انحازت ايطاليا بدرجة قلت أم كثرت نحو المانيا بصورة تدريجية • وهذه حقيقة تجعل مسألة الوحدة الألمانية النمسوية تعتورها مصاعب اقل من تلك التي كانت منتظرة في العام المنصرم وعلينا مواصلة تطوير مساعينا السلمية بهذا الاتجاه•

ويجب ان نبذل اقصى درجات الحرص لتوطيد العلاقات الالمانية النمسوية دون السماح بحصول اية انتكاسة في تلك العلاقات بالمستقبل• ويجب ان نوضح لقادة الحزب النازي النمسوي بأن تطوير العلاقات بين النمسا والمانيا ليس من مسؤوليتهم وانما من مسؤوليتنا وعليهم الامتناع عن

ممارسة اية فعاليات من شأنها تكدير العلاقات الالمانية النمسوية • وكررت بهذه المناسبة ما سبق ان ذكرته بالتفصيل بهذا الخصوص مركزا على ضرورة اصدار تعليمات مشددة للحد من اثارة اية تناقضات او صراعات مفتعلة بين الحزب النـازي والكنيسة تجنبـا لاثارة حفيظة المتدينين في العالم المسيحي وتحريضهم على مناهضة النظام القائم في المانيا وبالتالي احبـاط مساعينـا السياسية والدبلوماسية في شتى المناسبات•

التزم النازيون النمسويون بتجميد نشـاطاتهم استجابة لتوجيه هتلر وبموجب اتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦ الا انهم استبطأوا الاجراءات الوحدويـة التي سارت بشكل وئيـد لم يقبلوا به ولاحظوا بعين الريبـة المسـاعي المشبوهة التي قام بهـا المستشار فون شـوشنيغ لتركيز سـلطته وكسب الوقت على حساب قضية الوحدة • وهكذا توصلوا الى حل مناسب يتلخص بالتظاهر بالتزام القسم الاكبر من عناصر الحزب وبخاصة العناصر القيـادية المعروفة بروح اتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦ والامتنـاع عن ممارسة أية نشاطات علنية لمناهضة النظام القائم في النمسا بينما تستمر مجموعة صغيرة من انصار الحزب ـ توصم بالتطرف ـ بممارسة نشاطات معادية لنظام فون شوشنيغ لدرجة تجعله عرضة للقلق الدائم بينما ينكر الحزب النازي النمسوي علاقته بها او علاقتها به في المناسبات الرسمية•

وأرى من المفيد بهذا العرض الاشارة الى طبيعة الرجل الذي أثارالكثير من القلاقل في النمسا خلال تلك المرحلة واعني به النقيب ليوپولد الذي كان جنديا خلال الحرب العالميـة الاولى ونال ترفيعا استثنائيا الى رتبة ضابط بفضل شجاعته المتميزة الا أن ثقافتـه كانت محدودة وكان معروفا بالعنـاد وشدة المراس حيث كان بتفكيره وممارساته غبيا بشكل ظاهر•

ولما وصل الحزب النازي الى السلطـة في المانيا تحفز ليوپولد بدوره ليلعبدور هتلر فيبلاده• وقد حدثنيأحد كبار موظفيدار المستشارية النمسوية الذي عقدت معه صداقة متينة فيما بعـد بأن ليوپولد كان يستشيره دوما استحضارا لتولي منصب المستشار النمسوي• وكان هذا الموظف يشغـل

وظيفة مدير ادارة مجلسي الاعيـان والنواب في عهد المستشـار السابق دولفوس.

وقد قال لي ان من الواضح لديه بأن المستشار دولفوس كان يحذو حذو المانيا ويسعى لأنشاء نظام مستقل. ولو تمكن ليوپولد من التوصـل الى تفاهم مع دولفوس فلربما كان للعلاقات الألمانية النمسوية مسارا آخر .

ثم ان ليوپولد كان يحظى بتأييد الاغلبيـة من النازيين النمسويين المتطرفين ويسيطر تماما على فعاليات الجناح المعتـدل من الحزب الذي يمثله تافس والدكتور راينر والذي كان يؤمن بضـرورة الاستمرار على تنفيـذ الخطوات السلمية المتتابعة لتوحيد النمسا مع المانيا .

تمكنت في شباط ١٩٣٧ من ايضاح الخطوات المهمة في المجال السياسي لهتلر حيث قلت له بأن فون شـوشنيغ عازم على عقد المؤتمر السابع لرجال المعارضة برئاسة الدكتور يوري وهو نازي معتدل ووطني غيور وقد دعى من النازيين ايضا الدكتور تافس والاستاذ مينغهين العالم المعروف في جامعة ڤيناء وسنسمع وشيكا عن فعاليات هؤلاء السادة.

« اننا نعترف باستقلال النمسا لاسباب تتعلق بالامر الواقع وسنتصرف على هذا الاساس . وهذا أمر اكدته مباديء الجبهة الوطنية وأقره دستور سنة ١٩٣٤ ».

وخلصت في تقريري المذكور الى التأكيد لهتلر الى ان المستشار الاتحادي فون شوشنيغ يتوقع صعوبات شديدة ستأخذ بخناقه وشيكاء



الفصل الرابع والعشرون

آمالٌ وتضليلاتٌ



آمال الربيع . زيارات دولية . زيارة البارون فون نويرات لڤينا . الشرطة النمسوية تستولي على وثائق . هتلر يستدعيني الى برلين . محادثتان مع الزعيم . قرارات فون شوشنيغ . حادثة آل هابسبورغ . صعوبات مع المؤتمر السابع . زايس انكوارت اصبح امين السر العام للدولة . الموقف يزداد حراجة . تاليف لجنة مشتركة . مظاهرة في ويلز . موسوليني في المانيا . شميت وغورنغ . سفرة الى باريس .

رد فعل شوشنيغ . منعت ليوبولد من دخول السفارة . الشرطة تتدخل . ازمة في الجيش الالماني .

أطلت تباشير السلام مع مطلع سنة ١٩٣٧ حيث اظهر زعماء الدول الاوربية رغبة حقيقية في معالجة المشكلات القائمة بروح التعاون والاخاء كما تبين من الالعاب الاولمبية التي عقدت ببرلين في سنة ١٩٣٦ ان المانيا نفسها تتطلع نحو اقرار السلام ولا تحاول تعكير صفوه . ألم يقل هتلر في خطابه يوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٧:

« لقد ولى عهد المفاجآت واصبح السلام اقصى امانينا».

والواقع اننا لاحظنا خلال النصف الاول من عام ١٩٣٧ مدى حرص المانيا على تقوية أواصر الصداقة مع الدول الاخرى وبخاصة مع فرنسا. وكانت هذه التهدئة مدعاة لضمان تحسن العلاقات الالمانية ــ الفرنسية . وقد حدث للمرة الاولى في تأريخ البلدين ان دعي في مايس ١٩٣٧ عدد من فرسان الجيش الالماني الى باريس للمشاركة في الاحتفالات امام الجمهور الفرنسي. وفي الشهر نفسه افتتح هيالمار شاخت الجناح الالماني في معرض باريس الدولي. وفي حزيران من العام نفسه تم افتتاح معرض الفن الفرنسي ببرلين.

وعندما اقيم في هامبورغ مؤتمر (السعادة والعمل) من قبل جبهة العمل الالمانية دعي اليه ممثلون عن العمال الفرنسيين . وكانت احتفالات تتويج الملك جورج السادس بلندن مناسبة اخرى لامكانات تبادل وجهات النظر على المستوى الدولي. والمؤسف ان معارضة سفيرنا فون ريبنتروب لايفاد وزير الخارجية البارون فون نويرات ادت الى تسمية المشير فون بلومبرغ وزير الدفاع رئيسا للوفد الالماني في تلك الاحتفالات حيث اتخذ ارسال هذا القائد العسكري دليل على تنامي قوة المانيا العسكرية . كما ان فون ريبنتروب كان قد كبا كبوة اخرى في غير صالح بلادنا عندما وطد علاقاته الشخصية مع الملك ادوارد الثامن[1] ووجهت له بعدئذ اهانة لشخصه لتجاوزه قدر نفسه . وكانت فكرة فون ريبنتروب عن بريطانيا انها امبراطورية سائرة نحو الاضمحلال وان بمقدور هتلر تزعم اوربا دون ان يتوقع من بريطانيا مقاومة جادة لمحاولته.

والاسوأ من ذلك كله ان المحيطين بهتلر لم يظهر بينهم فرد واحد يفند

---

(١) كان الملك ادوارد الثامن قد اصر على الزواج من المطلقة الامريكية مسز سمپسون خلافا لتقاليد البلاط الامبراطوري العريقة فثار عليه البرلمان ورئيس أساقفة كنتربري واضطر في ختام القضية للتنازل عن العرش لاخيه الاصغر الملك جورج السادس (والد ملكة بريطانيا اليزابيث الثانية) مكتفيا بلقب (دوق وندسور) . ــ المترجم ــ

هذه الاسطورة التي دأب فون ريبنتروب على ترديدها بتوئدة حتى جعله يؤمن بصحتها.

في نيسان ١٩٣٧ قام هرمان غورنغ بزيارة رسمية لروما ظهر فيها بدور (ولي عهد زعيم الحزب النازي) اذ كان يشغل الى جانب رئاسة مجلس وزراء ولاية بروسيا منصب وزير النقل الجوي ورئيسا لادارتي الغابات والصيد ورئيسا لمجلس النواب بالاضافة لرئاسته لمشروع السنوات الاربع. لكنه لم يقتنع بهذه المناصب كلها وانما دأب على ممارسة هوايته الاثيرة وهي التحدث الى الناس في شتى المواضيع وتدخله بأمور كثيرة تدخل معظمها ضمن اختصاصات وزارة الخارجية . لأن ادعاء المهارة في التفاوض وخوض المباحثات يتيح له فرصة السفر بمهمات معينة للخارج والرجوع للوطن محملا بالهدايا النفيسة التي كان يحبها حبا جماء وسرعان ما تسللت اصابع غورنغ بمرور الزمن الى جميع القدور[٢] فزار وارشو وبلغراد وبودابست تباعا

الا أنه غض النظر عن زيارة النمسا . ومن المؤكـد ان السبب الرئيس لزيارة روما هو المناقشة مع موسوليني بشأن الحرب الاهلية الاسبانية[٣] وقد اخبرنا

---

(٢) آثرت الترجمة الحرفية لهذه العبارة لطرافتها . — المترجم —

(٣) شاركت المانيا وايطاليا بالحرب الاهلية الاسبانية الى جانب قوات الرئيس فرانكو بقوات من المتطوعين ظاهريا لكنها استفادت من تلك الحرب بجعلها مجالا لتجربة اسلحتها الحديثة وقد ارسلت المانيا قوة مدرعة وقوة جوية الى اسبانيا سمتها بالاسم الرمزي (وحـدة كوندور) وقـد ردت اسبانيا هذا الجميل في الحرب العالمية الثانية فارسـلت فرقة متطوعين للقتال الى جانب المانيا ضد روسيا سميت (الفرقة الزرقاء) فابلى رجالها بلاء حسنا ثم عادوا الى بلادهم بعد الحرب .

— المترجم —

المترجم شميت[٤] فيما بعد ان محادثات غورنغ مع موسوليني أدت الى تقوية أواصر العلاقات الالمانية الايطالية ٠ وقد ابدى غورنغ ملحوظة لموسوليني مفادها ان الوحدة بين المانيا والنمسا ينبغي الا تكون عائقا في سبيل العلاقات الحسنة القائمة بين المانيا وايطاليا وأكد له بالوقت نفسه التزام المانيا باتفاقية تموز ١٩٣٦ ثم اردف قائلا لموسوليني:

« الا ان الوحدة يجب ان تتحقق ولابد ان تتحقق ٠٠»

ويبدو ان موسوليني فوجيء بهذه الصراحة فأراد ان يتثبت من قول ضيفه وطلب من المترجم شميت ان يعيد له معنى العبارة بالفرنسية على الرغم من اتقان موسوليني للغة الالمانية وتفهمه لها جيداء فلما اعاد شميت ذات العبارة بالفرنسية على مسامع موسوليني كان رده الوحيد ان هز رأسه وكانت قد مضت سنتان ونصف منذ ان حرك فرقه الى ممر برينر مهددا المانيا بالتدخل الى ان هز رأسه في تلك المناسبة٠ ومما لا شك فيه ان هتلر اخذ في حساباته عدم احتمال تدخل موسوليني عند تحقيق الوحدة بين المانيا والنمسا لأن غورنغ ضمن تقريره لسيده تلك الواقعة بكل تفاصيلها٠

ولقد قيل حقا ـ وكما ايقنت انا ايضا ـ ان بريطانيا طالبت في عصبة الامم بجنيف بحجب حصص النفط في الشركات العالمية عن ايطاليا عقابا لها على عدوانها على الحبشة الا ان رئيس وزراء فرنسا بيير لافال عارض مشروع القرار البريطاني٠ وسرعان ما اهتبل هتلر هذه الفرصة مقدرا وهن الحلفاء نتيجة للانشقاق الذي حصل في صفوفهم وهذه هي الميزة الوحيدة التي ينفرد بها هتلر عن قادة زمانه من السياسيين٠

---

(٤) يعد المترجم شميت من اكفا واشهر المترجمين في العالم آجمع لاجادته عدة لغات ولاشتغاله مترجما فوريا لهتلر طيلة فترة عهده وقد الف الرجل كتابا ضمنه ذكرياته ونشره بعد الحرب العالمية الثانية .

ـ المترجم ـ

لكي يقوم الوزير هيالمار شاخت بافتتاح الجناح الالماني بمعرض باريس الدولي فأنه أعد كلمة بالمناسبة قال فيها ان التعاون الاقتصادي بين الأمم هو الضمان الوحيد لشعورها بالامن • وتربطني بشاخت علاقة صداقة حميمة فلما كنت أتردد على برلين بحكم الاستدعاء كنت أعرج على مصرف المانيا المركزي لكي ازوره ولم اقصر قط في تنويره بتطورات الموقف الدولي في كل مرة• لقد كان الفرد الوحيد بين رجال الحكومة الالمانية الذي يتمتع بذهن وقاد ورأي سديد ولم يتورع أبدا عن الادلاء برأيه أمامي بصدد كل معضلة بصراحة تامة • وهكذا فقد تحدثنا مليا بشأن الكلمة التي القاها بمعرض باريس الدولي حيث تطرقت في تعليقي على الخطوط العامة لكلمته الى الشعور بامكانية تحقيق تقارب اكثر مع الوزير الفرنسي ليون بلوم وغيره من السياسيين الفرنسيين واتجهت آرائنا نحو ايجاد وسيلة للاتفاق مع زعماء فرنسا وقال شاخت بهذه المناسبة انه يسعى للتباحث مع هتلر بشأن مشكلة المستعمرات والعمل على اطلاق يد المانيا في اندفاعها نحو الشرق •

وكثيرا ما ردد شاخت مدى اهمية الاقتصاد لتوفير متطلبات برامج التسلح وقال انه جلب نظر هتلر نحو هذه الحقيقة الا ان هذا كان يرد عليه بأنه يعتمد سياسة المحور والحق ان المناقشات المستفيضة التي اجراها شاخت والتي أجريتها أنا أيضا مع قادة الجيش الالماني أمثال الفرقاء فون فريتش وآدم وفون كلوغه والبارون فون غينانت وفون بوك وغيرهم اسفرت عن اقتناعهم بخطورة اللعبة التي يمارسها هتلر • واغلب اولئك السادة كانوا من زملائي ابان عهدي بالخدمة العسكرية•

وبعد تسع سنوات من ذلك التأريخ وقفنا امام محكمة نورمبرغ لنسمع ببروتوكول هوسباخ لأول مرة وهو وثيقة سرية تتضمن المؤتمر الذي عقده هتلر في ٥ تشرين الثاني ١٩٣٧ وحضره كل من البارون فون نويرات وقادة القوات المسلحة الثلاثة وأسر فيه لاولئك السادة ضرورة الاستحضار للحرب وحدد التوقيت المحتمل للتدخل المسلح ضد النمسا وتشيكوسلوفاكيا• وقد سبق ان ذكرت آنفا البواعث التي حدت بهتلر الى تغيير مسلكه

السياسي والتحول السريع نحو الحرب • فقد حرص هتلر على التخلص من القيود التي فرضتها معاهدة فرساي على المانيا ولكنه كان يخشى من ردود فعل الحلفاء الغربيين الا ان اقدام موسوليني على مغامرته في الحبشة ادى الى انهيار وحدة التعاون الغربي التي تم تحقيقها في مؤتمر ستريزا بينما طفق رئيس الوزراء الايطالي[5] يتودد الى المانيا • وأثبتت عصبة الامم عجزها التام عن معالجة الازمات الدولية المحدقة بالعالم• وفي هذه الاثناء كانت الحرب الاهلية الاسپانية التي تعاونت فيها المانيا مع ايطاليا قد اثبتت ضرورة انشاء جبهة غربية وقوية تتصدى لمطامع هتلر ولكن ردود فعل الحلفاء الغربيين بقيت واهية•

لا اود الاسترسال اكثر من ذلك مبتعدا عن متابعة قضية النمسا التي نحن بصددها• فقد قرر البارون فون نويرات رد الزيارة لنظيره غويدو شميت والقيام بزيارة ڤينا في شباط ١٩٣٧ • وترتب علي بحكم المنصب الذي أشغله بذل اقصى جهودي لنجاح تلك الزيارة الرسمية بالاضافة للالتزامات الشخصية التي بيني وبين ذلك السيد اللطيف• ولكن المؤسف هو حدوث ما لم يكن بالحسبان اذ قرر الحزب النازي النمسوي القيام بمظاهرات كبرى بمناسبة الزيارة الرسمية التي يقوم بها اعرابا عن رغبة الحزب بتحقيق الوحدة بين النمسا والمانيا•

ما ان وصلنا الى محطة قطار غرب ڤينا لاستقبال البارون فون نويرات في صباح ٢ شباط ١٩٣٧ الباكر وتحركنا منها بموكبنا الى شارع (ماريا هلفه) متوجهين للسفارة الالمانية في زقاق مترنيخ الا ووجدنا انفسنا مطوقين فجأة بآلاف مؤلفة من النساء والرجال شبابا وشيوخا أحاطوا بسيارة فون نويرات ومضيفه شميت احاطة السوار بالمعصم وصاروا يهتفون (تحيا المانيا) و(يعيش هتلر) فنهض اهالي ڤينا من نومهم على اصوات تلك الهتافات المدوية•

---

(٥) بقي موسوليني طوال عهده رئيسا للوزراء في ظل الملكية وكان ملك ايطاليا آنذاك فكتور عمانوئيل الثاني • — المترجم —

وبدى ان رجال الأمن الكثيرين عاجزون عن القيام بأية فعاليات مضادة لهذه المفاجأة ولم يزيدوا على الاحاطة بسيارتنا وحمايتها عن كثب لأنهم لم يتمكنوا من تعكير مزاج الضيف الكبير باستعمال هراوات المطاط ضد اناس يهتفون لبلاده ولزعيمه.

وكان قد وصل فياللحظات الاخيرة لمحطة القطار المستشار فون شوشنيغ وقرر ان يسلك الموكب طريقا غير المقرر سلوكه لكنه لم يفلت من بعض اولئك المتظاهرين الذين ظهروا في كل مكان على امتداد الطريق المؤدية الى السفارة الالمانية.

كانت مسألة مطالبة آل هابسبورغ بالعودة الى العرش في مقدمة المسائل التي تم بحثها معالوزير الالماني الذي ابدى معارضة عنيفة لعودة الملكية الى النمسا ولو انه اعتبرها مسألة داخلية تخص النمسا ولكنه أخبر المستشار النمسوي بأن بلاده اذا ما أقدمت على اعادة الملكية فان المانيا ستعتبر نفسها في حل من اتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦ فأجابه فون شوشنيغ بأن لآل هابسبورغ انصار كثيرين في النمسا وان الحكومة النمسوية تستفيد من حماس اولئكالملكيين لتسوية أية اختلافات داخلية . ومع ان البارون فون نويرات أبدى تفهما لهذا الرأي لكنه قال للمستشار بكل وضوح وصراحة بأن المانيا لا تؤيد مطلقا مثل هذا المسلك لأنه يعني الانتحار السياسيللنمسا. ذلك لأن عودة الملكية للنمسا من شأنها تهديد وجود كلا منتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا مما سيجر المانيا الى نزاع لا رغبة لها في خوضه ومع ان المستشار النمسوي لم ينه المناقشة برأي جازم الا انه اعطى انطباعا بتقديره لمدى الخطر الذي تتعرض له بلاده بسبب هذه المشكلة مع مراعاته لوجهة النظر الالمانية . وقد افاد غويدو شميت في محاكمته بعد الحرب العالمية الثانية بأنه حرص على تجنب اثارة أي نزاع مع المانيا في ذلك الحين لكن قضية عودة الملكية الى النمسا بقيت المسألة الوحيدة المختلف عليها بين البلدين.

وما أن حانت ساعة توديع البارون فون نويرات الا وحصلت حالة أشد غرابة من الموقف الذي صادفناه عند قدومه.

فقد لاحظنا ان الشوارع التي مر منها موكب الوزير وصولا الى محطة القطار كانت مقطوعة برجال الشرطة وبآلاف عديـدة من رجـال الجيش الاقليمي. وواضح ان فون شوشنيغ أراد ان يثبت لوزير الخارجية الالماني بأن سكان ڤينا ليسو كلهم من النازيين وان فيهـا نسبة كبيرة من الموالين للحكومة النمسوية وعليه فان الرجل أعد تظاهرة منظمة قوامها جميع عناصر الجبهة الوطنية وشدد على عناصر الشرطة والأمن لمنع أي هتاف لصالح المانيا . وكان هذا موقفا شديد الحرج يمكن ان يؤدي الى اسالة الدماء بلا مبرر . وسرعان ما ادركت خطورة اللعبة التي مارسها فون شوشنيغ والتي يمكن ان تخرب جميع المساعي التي حققتها في سياسة التقارب الودية خلال فترة ليست بالقصيرة . وعليه فقد اقترحت على البارون فون نويرات السفر من محطة قطار أخرى غير المقررة لكي تتجنب المرور من الشـوارع المقطوعـة ذات الحراسات المشددة الا ان الوزير لم يقبل بهـذا المقترح لأنه لم يشأ الخروج من ڤينا متسللا تحت جنح الظلام خلسة . وعندئذ حق علي التحير بين مرامي لعبة المضيّف الخطرة وعناد الضيف الثقيل . الا ان السياسة تبرر اللجوء الى مختلف الوسائل وتتطلب من الحصيف ايجاد المخرج المناسب من كل ورطة.

سار الركب بعد ان وصل المستشار وجلس بجانب ضيفه ليودعه الى القطار فتعالى هتاف الحشود التي أعدها المستشار ولكن بنغمة اخرى تضمنت (عاشت النمسا) و (يحيـا شوشنيغ) ثم (يسقط هتلر) ولحسن الحظ فان التناقض السياسي بين مختلف الجماعات الموالية للحكومة والمعادية لهـا لم يسفر الا عن أعمال عنف طفيفـة اقتصرت على الضرب بالهراوات وتفريق التجمعات دون اراقة الدماء وكنت انا في غاية السعـادة عندما وصل وزير خارجية المانيا الى مقصورته بالقطار سليما معافى. كما بدت على شوشنيغ امارات السعادة دون ان يدري بما تخبئه له الايام لقاء فعلته الموجهـة ضد هتلر.

استدعيت بعد اسبوعين الى برلين لكي أقدم لهتلر تقريرا شـفويا عن الموقف السياسي السائد في أوربا من وجهة نظر النمسا . وكذلك بشأن قرار

بريطانيا التهديد الذي تتعرض له مصالحها في حوض البحر الابيض المتوسط نتيجة لتجلي مطامع موسوليني ومدى احتمال مقاومتها للمحور القائم بين المانيا وايطاليا والنمسا ولربما ستحـاول بريطانيا التعرض على المحور بالتخطيط للتدخل في أضعف دولة فيه واعني بها النمسا مع تدبير اقوى معونة داخلية ممكنة من النمسا نفسها. حيث يحتمل ان تعتمد بريطانيا على اعادة تشكيل الحكومة النمسوية برئاسة محافظ ڤينا شميتز وتأليف جبهة وطنيـة جديدة تتمتع باسناد الحكومتين الانكليزية والفرنسية . ولكي نحبط هذه المحاولة فلابد لنا من اسناد نظام فون شوشنيغ سواء شئنا أم كرهنا لأن هذا يعتبر بالنسبة لنا اهون الشرين. وقد قلت لهتلر بهذه المناسبة ان فون شوشنيغ يحاول في هذه المرحلة تقوية علاقاته بأحزاب الجبهة الوطنيـة وان علينـا تسهيل مهمته قدر المستطاع . ويقتضي علينا أيضا الايعاز للصحافة الألمانيـة لتقليل نقدها المستمر لنظام فون شوشنيغ والتوقف عن ممارسـة سيـاسة الوخز بالابر التي دأبنا على اتباعها ضد حكومة النمسا. واخيرا فاننا يجب ان نوضح للنازين النمسوين بأن القرارات التي تتخذ بشأن النمسا ليست من اختصاصهم وانما هي من اختصاص الزعيم لأنه هو الذي يتخذ القرارات المناسبة على ضوء السياسة الاوربية وعليهم الامتناع عن اتيان اية تصرفات قد تحبط خططه السياسية . وان تقوية حكومة فون شوشنيغ في هذهالمرحلة معناه تقوية المحور ضد محاولات الحلفاء الجادة لتقويضه.

حققت نجاحا محدودا في مجـال تعاون الحزب النازي النمسوي مع السفارة الالمانية لأن الشرطة النمسوية كانت قد كبست مقر الحزب في ڤينا واستولت على كثير من الوثائق التي تشكل مبرزات جرمية ومنهـا محضر جلسات هتلر مع زعماء الحزب وهي تفضح مدى عزم الحزب المذكور على التدخل بشؤون الحكومة النمسوية بمساعدة المانيا وخطط توجيه الدعـاية المضادة للحكومة النمسوية . وعلى الرغم من عـدم قيام الحكومة المذكورة بتقديم أي احتجاج رسـمي ضد المانيـا الا انني زودت هتلر بتقرير مفصل ضمنته جميع الاتهامات الموجهة لشخصه وللحزب النازي.

وثمة مثال آخر يلقي الضوء على طبيعة سير الاحداث في ذلك الموقف.

اذ ان المانيا درجت على الاحتفال في ١ أيار من كل عام بعيد العمال العالمي وقد نصت اتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦ على تمتع الالمان المقيمين في النمسا بحق الاحتفال بالاعياد الرسمية والوطنية الالمانية برفع الاعلام . وحدث في صباح ١ أيار ١٩٣٧ ان شاهد العريف الحارس في ميدان السوق بمدينة پينكافيلد الصغيرة بيرقا كبيرا عليه شارة الصليب المعقوف نشر من احدى نوافذ بيت يطل على الميدان فجلب نظر الملازم للبيرق المنشور وكان ذلك الضابط الشاب قد ابعد الى مدينة پينكا فيلد للاشتباه الحاصل بموالاته للنازية فأراد ان يبعد عن نفسه الظنون وأمر بازالة البيرق من تلك الشرفة فتسلق ثلاثة من رجاله سطح المنزل وانزلوه.

ومن الطبيعي انني تلقيت احتجاج الجالية الالمانية المقيمة في المدينة المذكورة في مساء ذلك اليوم (لأهانة العلم) فتمخضت هذه الواقعة عن تجربة اليمة. فقد اتصلت هاتفيا بهتلر وأخبرته بما حدث مقترحا عليه الاحتجاج على الحكومة النمسوية ومطالبتها بتقديم اعتذار رسمي عن الواقعة . الا ان منظمة السيد ارنست ڤيلهلم بوهله كانت قد سبقتني برفع عقيرتها والجأر بالشكوى لمقام هتلر حيث يبدو انها رفعت له تقريرا مفعما بالمبالغة وضمنته تفاصيل القضية.

تلقيت في صباح اليوم التالي استدعاء فوريا لمقابلة هتلر فسافرت الى برلين بنفس اليوم الذي تلقيت به ذلك الاستدعاء ووصلت الى دار المستشارية مساء ذلك اليوم ولكنني لم احظ بمقابلة الزعيم. ولما تشاغل عني هتلر طوال نهار اليوم التالي حاولت ان اوسط صديقي البارون فون نويرات مؤكدا ضرورة مقابلة الزعيم لي قبل ان يتخذ قرارا حاسما. الا ان محاولات ذلك السيد بائت بالفشل ولما لم احظ بمقابلة هتلر في اليوم الثاني ايضا فقد اضطررت على الكتابة لهتلر قائلا:

« كنتم قد استدعيتموني الى هنا منذ ٢ مايس ١٩٣٧ للمقابلة بشأن

الحادث الذي حصل للعلم الالماني في مدينة پينكافيلد، وهأنذا انتظر مقابلتكم منذ يومين لتقديم المقترح المناسب، ولما لم تأذنوا بمقابلتي فانني اعتبر هذا الاجراء دليلا على عدم تمتعي بثقتكم كسفير في ڤينا وعليه فانني ارجوقبولكم لاستقالتي من هذا المنصب».

تلقيت بعد عشرين دقيقة من ارسال تلك الرسالة نداء هاتفيا من دار المستشارية يتضمن رغبة هتلر بمقابلتي فلما دخلت صالون الاستقبال الكبير المعروف منذ عهد الامير فون بسمارك وجدته يتمشى جيئة وذهابا وهومحتقن الوجه فسار نحوي وصرخ بوجهي بمنتهى الصلف:

« بهذه القضية يبدو ان الكيل قد طفح وان المانيا لن تصبر على هذه الاهانة قط وانني لن اسمح لاولئك الناس بتدنيس علمنا».

وهكذا دهمني هتلر بعباراته الجافية دون ان يفسح لي فرصة النطق ولو بكلمة واحـدة، ثم شرع يتهجم على النمسا بكلمات سبق له ترديدها امامي فوجمت منتظرا فراغه من سورة الغضب المألوفة والتي استمرت لمدة نصف ساعة كاملة صب خلالها جام غضبه على حكومة النمسا بينما بقيت سادرا لا أحير جوابا على تلك الموجة العاتية منتظرا عودته لحالته الطبيعية. فلما انتهى من كلامه قلت له:

« كنت قد عقدت معي في تموز ١٩٣٤ اتفاقا تحريريا كلفتني بموجبه بتحسين العلاقات القائمة بين البلدين، وقد وافقـت قبل تسعة أشهر على ابرام اتفاقية مع النمسا بموجب هذا النهج، اما حـادثة العلم التي قام بها ملازم شاب غير مدرك للنتائج المترتبة عليها فيمكنكم انهائها بشكل مشرف لالمانيا في أي وقت تشاؤون، الا انكم اذا رغبتم في اتخاذ هذه الواقعـة ذريعة لاجراء قسري معين ضد النمسا فان الاجراء القسري سيكون محطما لكل المساعي السلمية التي حققناها آنفاً وسيؤدي الى اسالة دماء الأشـقاء وهذا أمر لا سبيل لاصلاحه بعد وقوع الضحايا ، اما اذا اردتم استغـلال حادثة العلم لاحتلال فرنسا أو اثارة الاضطرابات فيهـا فيمكنكم التحري عن

أحد الاغبياء ليتولى مهمة سفير المانيا في ڤينا اما أنا فلن اكون ذلك المغفل الذي يبقى بالمنصب وعليه فانني ارجو ان تكون زيارتي هذه لكم الزيارة الوداعية للاستقالة من منصب السفير لدى النمسا».

وسرعان ما دهشت لموقفه الذي تبدل بغتة عندما رددت على غضبه بغضب مقابل ووجدته يصغي لكلامي بكل حواسه ولما فرغت من كلامي الفيته ــ وقد ران عليه الهدوء ــ يناقشني بأسلوب منطقي اخذا وعطاء. ولما حان موعد استئذاني بالانصراف قال لي هتلر:

« انك محق تماما . فأرجو ان تسافر الى ڤينا وترتب الامور وفقا لما تراه ».

وصلت الى ڤينا بقطار الليل وأنا مرتاح البال ولو انني كنت في غاية الاجهاد وفي صباح اليوم التالي زرت المستشار فون شوشنيغ بمكتبه وعرضت عليه مقترحي لتسوية ازمة العلم المهان بتقديم مذكرة اعتذار صادرة عن الحكومة النمسوية الى وزارة الخارجية الالمانية واشعار الصحافة بهذا الاجراء. وهكذا لم تستغرق تسوية هذه القضية اكثر من عشر دقائق.

بعد فترة وجيزة صادفتني حادثة أخرى مشابهة خلاصتها ان مكتبا المانيا للسفر كان موقعه في زاوية بارزة بشارع كيرتنتر بڤينا ويعرض في واجهته الى جانب الاعلانات ومناهج السفرات السياحية صورة رائعة لهتلر. وفي احدى الامسيات مر من تلك الزاوية الأخ الأصغر من الاخوين هوهنبرغ وهما ابنا الامير فرانز فرديناند الذي قتل غيلة في سرايڤو وكان مقتله السبب المباشر لنشوب الحرب العالمية الأولى .

وقد امتعض الامير الشاب لدى رؤيته لصورة هتلر فضرب الواجهة بعصاه وحطم اللوح الزجاج فأثار بذلك موجة سخط عارمة من أنصار الحزب النازي ضد آل هابسبورغ.

ويبدو ان هتلر اتعظ من واقعة العلم التي حصلت في پينكافيلد والتي مر ذكرها آنفاً فلم يستشط غضبا هذه المرة وعالج القضية بحكمة وروية عندما وافق على مقترحي المتضمن تقديم الامير هوهنبرغ اعتذاره الشخصي

على رؤوس الأشهاد للسفير الألماني بڤينا . وكنت قد أكدت لأصدقاء الامير بأنه اذا ما جاء للسفارة الالمانية فسألقاه بأقصى درجات التوقير واجعل مهمته في غاية السهولة . ولما قبل الأمير بالمقترح وزارني بمكتبي تحدثت واياه بشأن الطقس وبشأن مدينة ڤينـــا وبالمواضيع الأخرى المحببة الى نفسه دون أن نتطرق ولو بكلمة واحدة للقضية التي زارني للاعتـــذار عنها . ولما استمررت على التحدث اليه بمختلف المواضيع ادركـت بأن الرجل يوافق على ايـة تبريرات اقدمها لهتلر على لسانه وبادرني القول بأن زيارته هذه التي تتخذ صفة الاعتذار كانت ممضة لدرجة تفوق تحسبه قبل مراجعة طبيب الاسنان.

والمؤسف أن الامير المذكور سدد الحساب القديم لهتلر عندما جرى اعتقاله بمعسكر داخاو خلال الحرب العالمية الثانية الا انني افلحت في التوسط لدى هملر الذي أمر باطلاق سراحه في عام ١٩٤٤ فأنقذته بذلك من التعرض للقتل لأن حراس المعتقلات السياسية اعدموا الكثيرين من المعتقلين المنكودي الطالع في المراحل الاخيرة من الحرب قبيل انهيار المانيا.

لاحظت في تلك الفترة ان المستشار فون شوشنيغ يبني آمالا واسعة على المؤتمر السابع للجبهة الوطنية محاولا استمالة المعارضـة الى صفـه فكلفت مساعدي الهمام وصديقي البارون ڤيلهلم فون كيتيلر بمهمة الاتصال مع قادة المعسكر الوطني فأنشأ علاقات صداقة حميمة مع عدد من الرجال الاذكياء ذوي التقديرات الصائبة. كان من جملتهم الدكتور مينغهين الاستاذ في جامعة ڤينا والسيد زايس انكوارت والدكتور يوري راينر والسيد راينهالر وكان هؤلاء من المناهضين للحزب النازي النمسوي لأنهم لاحظوا عن كثب الأساليب المبتسرة التي دأب زعيم ذلك الحزب النقيب ليوپولد على ممارستها. والمؤسف ان انتخابات المؤتمر السابع للجبهة الوطنية اسفرت عن انتخاب الدكتور مينغهين رئيسا للمؤتمر ولم تسفر عن انتخاب أي من السادة الآخرين الذين أصبحوا خاضعين لقرارات رئيس الحزب النقيب ليوپولد وحده . وفي خلال سنة ١٩٣٧ تحول المؤتمر السابع للجبهة الوطنية بصورة تدريجية من اداة بيد المستشار الى نقطة انطلاق وقاعدة رصينة للحزب النازي النمسوي.

ولاحظت أيضا منذ كانون الثاني ١٩٣٧ ان النقيب ليوپولد كان يتدفق حماسه لدس انفه في الشؤون الداخلية للنمسا ولم ينقصه للشروع بنشاطاته سوى اصدار هتلر للكلمة الرمزية . وكان يأمل ان يقوم فون شوشنيغ بالغاء المنع الصادر ضد حزبه وعندئذ يمكنه اصدار اوامره لاعضاء الحزب كي يمارسوا نشاطاتهم ويسيطروا على الشارع خلال فترة وجيزة. وكنت احرص من جانبي على تسخير جميع القوى المتيسرة لدي لاحباط هذه المحاولات. والمؤسف ان المستشار فون شوشنيغ لم يسيطر على زمام المؤتمر السابع بسبب سوء تصرفاته فقد اخبر اعضاء المؤتمر برغبته في مشاركتهم له بالسلطة ووعدهم بمناصب مرموقة ولكنه اخلف وعوده معهم ولم يحقق أي شيء يذكر سوى تعيين غويدو شميت وزيرا للخارجية وغلايزه هورستيناو وزيرا بلا وزارة.

وكان زعيم الحزب النازي النمسوي ليوپولد من اشد الناس سخطا على الحكومة لأن المستشار تجاهله وتجاهل حزبه تماما . ولما وجد المستشار ان المؤتمر السابع للجبهة الوطنية أخذ يتحول حثيثا لصالح النازية جعل مقر المؤتمر في شارع تاينفالت تحت المراقبة الشديدة لشرطته السرية التي اعتبرته مصدرا جيدا للمعلومات عن مختلف نشاط الهيئات السياسية في البلاد.

في حزيران ١٩٣٧ اراد مينغهين زيارتي ولما استقبلته اعرب لي عن قلقه لسوء تصرفات ليوپولد التي يشجبها رغم كونه نازيا مثله. وقال ان المستشار اعرب عن استعداده لاشراك السيد زايس انكوارت في حكومته لكي يعمل بمهمة الارتباط بين الحكومة والمعارضة الا ان هذا الاجراء لم يعجب السيد ليوپولد الذي كان معاديا للدكتور زايس انكوارت والثابت ان النمسويين عندما خبروا الدكتور انكوارت أحبوه لحسن سجاياه ولذكائه. ومعلوماتي المؤكدة عنه تتضمن كونه رضي الخلق ولم يتورط بأي عمل من شأنه الاسائة

للآخرين[٦].

وهو وان كان من مؤيدي اتحاد بلادينا وتعاونهما الى ابعد الحدود الا أنه كان من أشد المدافعين عن استقلال النمسا . ولو أن المستشار فون شوشنيغ أدرك قيمة زايس انكوارت ومنحه ثقته التامة خلال مرحلة الصراع من اجل الوحدة لتغيرت الاحوال في كثير من التفاصيل.

والغريب ان فون شوشنيغ الذي ضايق زايس انكوارت القى الحبل على الغارب للنقيب ليوپولد فصار يتصرف على هواه. وفي هذه الفترة ارسل هتلر احد كبار موظفي الدولة الالمانية هو السيد كيپلر بمهمة تنظيم فعاليات الحزب النازي النمسوي فأشتد قلقي خشية اثارة ذلك الحزب لمشاكل داخلية تعصف بالمنجزات التي حققتها بطريقة ودية .

ولعل أجلى صورة لتوضيح شعور ليوپولد تجاهي هي تلك التي ذكرها في تقريره الذي رفعه لهتلر في ٢٢ آب ١٩٣٧ حيث قال:

« ان فون پاپن هو اعدى اعداء الحزب النازي النمسوي. ويجب ابعاده عن منصبه بأسرع ما يمكن ».

أما التهمة التي وجهت لي بعدئذ في محاكمات نورمبرغ فقد تضمنت الفقرة التالية:

« لقد بذل فون پاپن خلال اشتغاله بمنصب السفير الالماني لدى النمسا قصارى جهوده لتقوية الحزب النازي في النمسا».

ركز الحزب النازي حملته علي شخصيا وعلى السفارة الالمانية رغم المنع الصادر بحقه لانه كان يستفيد من وسائل دعائية غير محدودة منها صحيفة (دير اوسترايششه بيوباختر) التي شددت النكير عليّ شخصيا وقالت ان الحزب النازي النمسوي يرى ان مهمة السفير الالماني اصبحت منتهية بعد

---

(٦) على الرغم من هذا الاطراء لشخص الدكتور زايس انكوارت فان المومأ اليه احيل بعد الحرب العالمية الى محاكمات نورمبرغ وحكم عليه بالاعدام شنقا.
ـ المترجم ـ

توقيع اتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦ .

أخبرت هتلر بطبيعة الحملة التي شنها عليّ الحزب النازي النمسوي وارسلت من يخبر النقيب ليوپولد بأنني اعتبر علاقته معي بحكم المنتهية وانني امرت السادة موظفي السفارة بقطع كل علاقاتهم معه. فما كان منه الا ان اصدر توجيها لاعضاء حزبه يمنعهم بموجبه من اقامة اية علاقةرسمية أو شخصية معي او مع أي فرد من موظفي السفارة الالمانية بڤينا.

ان افضل وسيلة ـ في نظري ـ لازالة سوء الفهم بين الشعوب هي الحرص على ادامة التماس الثقافي. وعليه فقد درجت على تشجيع استغلال كل مناسبة لتبادل الآراء وكان ان سعيت لاقامة معرض للتصاميم الهندسية الالمانية في ڤينا خلال صيف ١٩٣٧. ولما حضرت افتتاح ذلك المعرض في احد ايام حزيران ١٩٣٧ تناهت الى سمعي أغان وأناشيد المانية ونمسوية فأردت استغلال تلك الفرصة للتأكيد على عمق العلاقات التأريخية التي تربطالبلدين وأكدت على ضرورة مواصلة المسيرة من اجل التقدم والازدهار للبلدين.

حصل فيتموز ١٩٣٧ اجتماع للمحاربين القدماء الالمان الذينقاتلوا في الحرب العالمية الاولى. وكما يحرص الالمان على الاهتمام بالتقاليد والتراث فان اخوتهم الذين وراء الحدود النمسوية ـ الالمانية يولون التقاليد المتوارثة ذات الاهتمام. وعليه فان من الطبيعي التقاء المقاتلين الذين حاربوا جنبا الى جنب ضد عدو مشترك لاستعادة ذكريات أيام المحنة الغابرة .

وبالنسبة لنا فاننا نولي عظيم الاحترام لمقاتلي تشكيلات جبال الالب . فهؤلاء النمسويون البسلاء طالما قاتلوا قتالا شديدا في الدفاع عن الوطن المشترك . وكان ان رتبت لقاء بين المحاربين القدماء من كلا البلدين بالتعاون مع الفريق فون غلايزه الذي كان يتمتع بثقة المستشار فون شوشنيغ واتفقنا انا والفريق المذكور على جعل الاجتماع مظهرا وديا للتعاونالعسكري بين البلدين مع تجنب اثارة أي موضوع سياسي محرج. ولكن ما قيمة الاستحضارات الجادة لتحقيق هذا الاحتفال الذي أردنا له ان يكون مظهرا من مظاهر تقوية اواصر الاخوة الالمانية النمسوية اذا كان هناك من يعمل

في الخفاء لاحباط مساعينا وتحويل تلك المناسبة الى تظاهرة سياسية عارمة ؟

ما ان وصلت الى مكان الاحتفال بمدينة ڤيلس واستقبلني الفريق فون غلايزه والضيوف الكبار الآخرين الا ورجاني القوم أن استعرض كتيبة الشرف التي أعدت بهذه المناسبة.

ولما عزفت الموسيقى السلام الوطني النمسوي فوجئت بانطلاق حناجر الالوف من الحضور بنشيد «المانيا المانيا قبل كل شيء في العالم[٧]» وقد استغل اولئك الناس تشابه اللحن الموسيقي لكلا النشيدين لانهما من تلحين الموسيقار الالماني المشهور هايدن. وسرعان ما قرأت الشعور بالغبن علىوجوه المسؤولين النمسويين . وقد ران الوجوم على العسكريين النمسويين ثم نهض الفريق فون غلايزه لالقاء كلمة الترحيب فلاحظت ان أغلب الحضور يتكلم مع جيرانه بضوضاء مرتفعة دون ان يأبهوا للخطيب الرسمي الكبير. ثم جاء دوري لالقاء كلمتي بالمناسبة. وما ان نطقت الكلمة الاولى عبر مكبر الصوت الا وتعالت ضوضاء الحضور بحيث طغت على كلماتي. فقلت اننا اجتمعنا هنا من اجل احياء ذكرى تأريخية نمجد بها ارواح أخواننا الشهداء ونحن بمنأى عن السياسة التي نمارسها يوميا . لكنني لاحظت ارتفاع درجة الضوضاء كلما نطقت بعبارة اخرى جديدة. وعندئذ ادركت ان هذا امر مبيت ووراءه ما وراءه فأختتمت كلمتي فورا . ورأيت ان من المناسب تنبيه المشرفين على الاحتفال بضرورة اختصاره وانهائه بأسرع ما يمكن تجنبا لحدوث ما لا تحمد عقباه .

وقد عجلت بالانصراف مستأذنا من المحتفلين قبل اجراء الاستعراض الختامي بحجة عدم احتمال مساعدة الطقس على الطيران الى ميونيخ اذا ما تأخرت اكثر من ذلك.

وصلت في عصر ذلك اليوم الى ميونيخ لحضور افتتاح معرض الفن

---

(٧) اشتهر هذا النشيد بتسمية اخرى مغلوطة هي (المانيا فوق الجميع) على سبيل الدعاية المضادة لالمانيا خلال الحرب العالمية الثانية والترجمةالدقيقة لكلماته هي ما اوردناه . — المترجم —

السنوي فلما قابلت هتلر جبهني بقوله:

« ما الذي حدث في ڤيلس؟ لقد قيل لي ان الشرطة استخدمت البنادق ضد رجالنا ، انها واقعة مخزية »·

بقيت واجما لبرهة قصيرة ثم قلت له انني بالوقت الذي كنت فيه هناك لم اشاهد شيئا من هذا القبيل· والواقع هو ان الشرطة النمسوية اضطرت على التدخل لوضع حد لاستهانة اولئك النازيين النمسويين بالنظام العام وانحيازهم السافر لالمانيا ، الا ان اطلاق النار والضرب لم يوجه نحو المحتفلين ولم يصبهم أي أذى لتمسكهم بالضبط ولعدم علاقتهم بالحادث المفتعل·

وبديهي ان هتلر تلقى معلومات مبالغ بها من النازيين النمسويين مما أثار الدوائر الرسمية الألمانية ، أما فون شوشنيغ فلم يأبه لتلك الاحتجاجات لأنه ادرى بحقيقة الحادث·

جرت محاولة أخرى لتوثيق اواصر الصداقة الالمانية النمسوية في احتفالات عيد الغناء التي أقيمت ببرسلاو· وقد تم لحسن الحظ تلافي وقوع ما حصل في احتفال ڤيلس ويمكنني التأكيد بأن نتائج التقارب كانت ايجابية على الرغم مما حصل في ڤيلس وهذا مما يؤكد وحدة الدم الالماني الذي يجري في عروق ابناء البلدين الشقيقين ، وهذا ايضا دليل آخر على مدى الحيف الذي ألحقته معاهدة ڤرساي بالأمة الألمانية عندما أجبرت النمسا على الاستقلال او بالأحرى الانفصال عن الوطن الأم· المانيا·

تغير الموقف السياسي الاوربي قليلا في صيف ١٩٣٧ اذ دأب موسوليني على ابعاد النمسا قدر استطاعته عن التقارب مع المانيا واسناد اية ممارسة سياسية نمسوية موجهة ضد المانيا ، وفي ٢٥ أيلول ١٩٣٧ قام بأول زيارة رسمية لألمانيا يصحبه وزير خارجيته الكونت شيانو[٨] وقد اجرى بميونيخ

(٨) هو الكونت غاليازو شيانو الذي كان صهر موسوليني وقد كان من أعداء المانيا في النظام الفاشي وقد تآمر على موسوليني وخذله في المجلس الفاشي الاعلى فلما استعاد موسوليني السلطة بمساعدة الالمان اعدم شيانو قبيل انهيار ايطاليا . — المترجم —

محادثات مع هتلر اتسمت بالتحفظ . وقد انعم موسوليني على هتلر بهذه المناسبة برتبة عريف شرف بالمليشيا الفاشية . وهكذا نال نائب العريف ترفيعا استثنائيا الى رتبة عريف. ثم قام الضيف بزيارات لاماكن اراد رؤيتها كمصانع كروپ في مدينة ايسن ومشاهدة تمارين الخريف للجيش الالماني بمقاطعة ميكلنبورغ وكان صديقي الفريق البارون فون فريتش قد دعاني لحضور الصفحة النهائية من التمارين ومناقشة الانتقادات التي تقوم بها القيادة العامة للتمارين بحضور الضيوف والمضيفين . ولقد لاحظت الهيئة العامة لمظهر موسوليني المتغطرس الذي حلق شعر رأسه على طريقة اباطرة الرومان والذي بدى متمتعا بالسطوة ومفتخرا بممارستها بينما ظهر هتلر الى جانبه بمظهر المسالم الوديع. وللمراقب المدقق في ذلك الموقف ان يراهن على احد فرسي الرهان فكلاهما حريص على حب اتخاذ القرارات الحاسمة والمغالاة في العناد والميل الشديد للقسوة ولا عجب في ذلك فنحن بصدد المقارنة بين رائدي الفاشية والنازية.

اختتم الفريق البارون فون فريتش مناقشة التمارين بعبارات جازمة ومحددة محذرا من اية مغامرة عسكرية غير محمودة العواقب وبخاصة الاضطرار على خوض حرب على جبهتين لاسيما وان الجيش الالماني لم يتقن تعاليمه العسكرية الضرورية بعد ولم ينجز تناميه الضروري بعد تخلصه من قيود معاهدة فرساي . فلاحظت عندئذ تجهم أسارير هتلر بينما هز موسوليني رأسه مستنكرا ما يسمع. فحصلت على انطباع مؤكد بأن صداقة متينة لابد أن تنشأ بين الرجلين اللذين يبادل أحدهما الآخر اعجابا باعجاب .

حضر تمارين الخريف المذكورة ضيف شرف آخر هو لورد لند نديري وهو وزير النقل الجوي الانكليزي السابق وكان غورنغ قد دعاه بعد مشاهدة تلك التمارين الى المشاركة في صيد الوعول ثم اقام له وليمة على ساحل بحر البلطيق. وقد علمت ان اللورد كان حريصا على معرفة نوايا المانيا المقبلة كما انه كان يراقب تنامي القوة الجوية الالمانية بكثير من القلق.

ولقد اقترحت على اللورد اجراء سلسلة من المناقشات مع هتلر بغية

التوصل الى الحلول المناسبة للمشكلات القائمة. وقلت له ان قيود معاهدة فرساي قد أدت بنا الى تحطيمها قسرا والمغالاة في نقضها ويمكن لبريطانيا تقدير موقفنا واسداء الجميل لنا بانهاء القيود المتبقية ومعاملة المانيا معاملة الند للند . ثم قلت له ان تقارب بريطانيا مع المانيا من شأنه تحويل المانيا عن سياسة المغامرات التي تجرها اليها ايطاليا الميالة للتوسع لاسيما وان الجيل الحالي لا يزال يتذكر المآسي التي جرتها الحرب العالمية الاولى ولذا فهو لا يريد لابنائه ان يخوضوا حربا عالمية ثانية.

استمرت مناقشاتي مع لورد لندنديري الذي اخذ يبحث معي الوسائل الجدية والاساليب المناسبة لحل التناقضات القائمة بين بلدينا فكانت مناقشتي السياسية مع ذلك السيد النبيل من الامور التي أشاعت البهجة في نفسي الى ابعد الحدود. افليس من الأسهل مناقشة المشكلات الدولية بروح ودية مع المسؤولين من قادة الدول الاوربية والتوصل للحلول المرضية لجميع الاطراف دون ضرر او ضرار؟

أراد وزير خارجية النمسا غويدو شميت تقوية علاقات بلاده مع بريطانيا وفرنسا على الرغم من تقليل الدولتين المذكورين من مساعداتهما للنمسا في تلك الفترة بصورة واضحة . وعندما تحدث الدكتور شميت مع نظيره السيد ديلبوس وزير خارجية فرنسا بشأن انقاذ موقف النمسا المالي أجابه الأخير بأن انقاذ النمسا لا يتم الا عن طريق التوحد مع المانيا . وفي تشرين الثاني ١٩٣٧ قام شميت بزيارة أخرى لبرلين تحت غطاء تلبية دعوة غورنغ لحضور افتتاح المعرض الدولي الكبير للصيد . وقد فوجيء الوزير النمسوي عند زيارته لقصر مضيفه (كارين هال)[٩] برؤية خارطة كبيرة لأوربا خالية

---

(٩) درج الاوربيون على تسمية منازلهم باسماء اثيرة ذات معان خاصة في نفوسهم وقد سمى غورنغ قصره بهذا الاسم وفاء لذكرى عقيلته الاولى (كارين فون فوك) وهي نبيلة سويدية بنى بها بعد مغامرة في طائرة سركس كان يعمل به بعد الحرب العالمية الاولى حيث سقطت الطائرة به في ضيعة كارين فتعهدته بالعناية حتى ابل من مرضه ثم تزوجا لكنها ماتت بعد سنوات قليلة بالسرطان فتزوج بعدها الممثلة المسرحية ايمي سونيمان التي لا تزال تعيش في المانيا الغربية .

ــ المترجم ــ

من الحدود الالمانية النمسوية وقد علقها صاحب القصر في صالة الاستقبال. فلما تطلع نحوها الضيف مبهورا علق غورنغ على ذلك بمرح ظاهر ان ليس ثمة حدود تمنع الصياد الماهر من متابعة طرائده . ومع ان الوزير النمسوي احتج على وجود الخارطة المذكورة لدى وزير الخارجية البارون فون نويرات الا انه تزلف لغورنغ بعدئذ عندما دعاه للتصيد بالنمسا صحبة مستشارهـا فون شوشنيغ . وقد تطلبت هذه الدعوة توجيـه رسائل متبادلة عديدة بين شميت وغورنغ لم اعلم بها الا بعد احالة شميت للمحاكمة بتهمة الخيـانة العظمى. وكانت هذه الرسائل المتبادلة قد بدأت في كانـون الثـاني ١٩٣٧ واتخذت صفة شـخصية بتجاوز السبيل الدبلوماسي المألوف .

وجـاء في الرســالة الأولى المؤرخـة في ٢٩ كانون الثـاني ١٩٣٧ من الوزير شميت الى هرمان غورنغ الاشارة الى حديث الاخير مع الوزير المفوض النمسوي في روما عند زيارته لموسوليني حيث قال له انه يعتبر الاخـلال باتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦ السلمية عملا تخريبيا . وقد اكد شميت رأي غورنغ هذا وقال له في رسالته الاولى ان الحكومة النمسوية حريصة على التمسك بالاتفاقية المذكورة الا ان القلاقل التي اصابت بلاده كان مصدرها متطرفي الأحزاب المناهضة لنظام الحكم القائم في النمسا . وقد أجاب غورنغ على تلك الرسالة بقوله ان حكومة المانيا اتخذت قرارا بالتعاون مع مستشـار النمسا والعمل على ازالة العوائق التي تؤدي الى عدم الثقة بين البلدين . وواضح انه كان يبغي كسب ثقة شميت واستمالته لتطوير العلاقة القـائمة تسهيلا لقضية الوحدة . كما يبدو ان النمسا كانت متمسكة باستقلالها الى ابعـد الحدود وعليه فان رغبة غورنغ لم تصادف استجابة مشابهة من شميت . ذلك لأن طبيعة شميت المتميزة بالمرونة دعته للاسترسال في مكاتبة غورنغ املا في الوصول الى نتيجة لكن مستشار بلاده لم يرتض مثل هـذا السلوك ابداء. وكانت حصيلة تلك المراسلات ان وجـه غورنغ دعوة لصديقـه شـميت في ٣٠ حزيران لاجراء حوار بينهما لكن تلك الدعوة اسـتغرقت شـهرين آخرين لاستكمال الاستحضارات الضرورية لها فتحققت الزيارة فعلا في أيلول ١٩٣٧.

في خلال الأشـهر السبعة المنصـرمة تغيرت الصورة العامـة للموقف

الاوربي فأصبح هتلر اكثر قوة واكثر تشككا بطرق التطور المؤدية لتحقيق الوحدة.

ولما أراد شميت في زيارته التي بدأها في أواخر أيلول ومطلع تشرين الأول ١٩٣٧ استعادة السيطرة على زمام الأمور كان الوقت قد فاته حيث انه اقترح على غورنغ مناقشة الموقف مع المستشار فون شوشنيغ شخصيا. وعليه فانه عرض عليه دعوة الصيد بالنمسا بهدف اجراء تلك المباحثات بينهما.

ويعطي غورنغ في رسالته الجوابية لشميت بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٣٧ صورة واضحة عن تغير الموقف السياسي . اذ قال فيها بأنه يود تلبية الدعوة الشخصية الموجهة له ولكنه يريد أن يستوثق مسبقا من أن مباحثاته مع فون شوشنيغ ستتمخض عن نتائج ايجابية.

ولما سأله شميت عن مفهوم النتائج الايجابية المقصودة اجابه غورنغ بأنها تعني الخطوات المنظورة للعالم أجمع في مجال توطيد العلاقات الرصينة بين البلدين . وان سياسة البلدين الخارجية ينبغي ان تتطابق تماما من أجل تحقيق مصالح الامة الالمانية . كما يقتضي تحقيق التعاون التام بين القوات المسلحة للبلدين وتوحيد المصطلحات العسكرية بينهما وكذلك انشاء اتحاد كمركي وتسهيل التبادل التجاري بين البلدين . وقال له في رسالته ايضا ان الجانب العسير من المشكلة يكمن في مجالات السياسة الداخلية. وان افتراض تحقيق أية نتائج مرضية يتطلب قيام الدول الموالية لالمانيا واصدقائها بالتعامل مع النمسا وفق نفس اسس الاحترام التي توليها لالمانيا دون محاولة اعتبار المواطنين النمسويين من الدرجة الثانية. وخلص غورنغ الى القول بأن مستشار النمسا اذا لم يوافق على هذا المقترح فان غورنغ يفضل عدم القيام بالزيارة . وأكد في رسالته بأن هتلر اطلع على تفاصيل المقترح وأيدها.

في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٧ أرسل شميت لغورنغ جوابا مهذبا ولكنه ينطوي على التهرب وقال فيه انه يأمل بقيام غورنغ برحلة الصيد التي دعي اليها رغم كل شيء لأن مجرد اجتماعه مع المستشار النمسوي سيعني وجود

النوايا الحسنة لدى الطرفين • ولو انني احطت علماً بأمر تلك المراسلة في حينها لأمكنني آنذاك تحذير الوزير النمسوي من مغبة الاستمرار على ممارسة هذه اللعبة التي لا يمكن ان تكون مجدية عند التعامل مع هتلر وغورنغ•

ولابد للمرء من الاعتراف بأن رسالة غورنغ المؤرخة ١١ تشرين الثاني ١٩٣٧ كان لها صدى شديد التأثير على الحكومة النمسوية وانها حظيت باهتمام المستشار فون شوشنيغ ووزير خارجيته شميت اللذين زعما امام هيئة المحكمة في نورمبرغ بعد الحرب العالمية الثانية بأن الشروط التي قدمها لهما هتلر عند مقابلتهما له بعد شهرين ونصف في برختسغادن كانت مفاجئة لهما تماما•

سافرت الى باريس بعد اختتام المعرض الدولي للصيد ببرلين حيث أرادت هيئة المعرض الدولي ايجاد جو رياضي بمنأى عن السياسة • لكنني وجدت نفسي هناك في خضم السياسة عندما اجريت مقابلات ومحادثات كثيرة مع الساسة الفرنسيين أمثال رئيس وزراء فرنسا آنذاك السيد كاميل شوتيه والسادة پول رينو وبونيه وپيتري وديلاديه وغيرهم من الشخصيات السياسية المتنفذة • وقد أعجبت بصورة خاصة في تلك المباحثات بشخصية السيد ليون بلوم الزعيم الاشتراكي المعروف الذي كان يولي قضية النمسا اهتماما خاصا ويحرص على كسب صورة واضحة المعالم عن الموقف السائد فيها• ولم يكن قد استوزر آنذاك ولكنه كان معتبرا من زعماء ما يسمى بحكومة الجبهة الوطنية•

ولكي أزيل محاولات النازيين للتشكيك بهذه الزيارة أو استغلالها لاغراضهم فقد وجب على القيام بمحاولات لكسب ثقتهم في اللقاءات التي عقدتها مع الساسة الفرنسيين• ولقد اعجبت ايما اعجاب بالسيد بلوم لأحاطته الواسعة بمراحل تطور الاشتراكية في المانيا ولاعتباره الماركسية مبدأ ينطوي على الخواء وأمله بأن تكون الاشتراكية الاوربية جسرا يصل بين فرنسا والمانيا لتوطيد العلاقات الانسانية القائمة بين البلدين • ومن الطبيعي ان السيد بلوم لقي مني ترحيبا حارا بآرائه السياسية هذه ورجوته ان يوضح

لرفاقه الاشتراكيين الفرنسيين بأن الاستقلال الذاتي النمسوي ضمن اطار الوحدة الاقتصادية الألمانية سيكون خطوة تقدمية في سبيل تحقيق الاشتراكية الاوربيـة. وينبغي تجنب سيـاسة الكاردينال ريشيليو التي تعتمد مبدأ (فرق تسد) لأنها تقوض اسس الصداقة القائمة بين فرنسا والمانيا . واكدت له بهذه المناسبة ان هتلر بادر بجعل الالزاس واللورين مسألة مفروغ منها وليس لالمانيا اية نية في اثارتها واقلاق فرنسا بهذا الشأن. وقد سبق لهتلر ان أكد لي أكثر من مرة بأنه حريص على اقامـة أفضل العلاقات مع فرنسا . كما قلت له بأنني سـأكون ممتنـا لو أن فرنسا كفت عن معارضتهـا لمسألة التقارب الألماني النمسوي ومقاومتهـا الحل التدريجي لقضيـة الوحدة بين البلدين الالمانيين.

لم يستطع السيد ليون بلوم اعطائي أي وعد ملزم الا انه قال لي بأنه سيبحث هذه القضية مع اعضاء حزبه ومع اعضاء الحكومة الفرنسية.

وقد أجمع اولئك السادة الفرنسيون الذين قابلتهم تقريبـا على تفضيل الحل السلمي التدريجي لتحقيق الوحدة الألمانيـة ـ النمسوية دون اللجوء للوسائل القسرية التي من شأنها اثارة المجتمع الاوربي. وقد اظهر السيد بونيه وزير مالية فرنسا آنذاك تفهما تامـا لمسألة النمسا ورتب لي لقـاء مع السيد شوتيه رئيس وزراء فرنسا الذي ابدى اقصى الاهتمام بقضايا اوربا الوسطى وأعرب عن امله في توصل المانيا وفرنسا الى التعاون المخلص في سبيل تحقيق السلام الاوربي. كمـا ابدى السيد شوتيه معـارضته لعودة آل هابسبورغ لحكم النمسا . ولمـا انتهت مقابلتي لرئيس وزراء فرنسا طوقني بذراعيه مودعا وقال لي:

« أكد للزعيم بأنه سيكون علامة الانطلاق في تأريخ العـالم اذا مـا استطعنا نحن الاثنين تسيير السياسة الاوربية وفق اسس جديدة وسليمة ».

قدمت لهتلر فور عودتي تقريرا ضافيا بطبيعة الحـال ضمنتـه مدى استعداد فرنسا لاقرار السلام وهو ما لمسته في كل محادثات اجريتهـا مع المسؤولين الفرنسيين.

واكدت له بهذه المناسبة ضرورة الانتباه الى ان هذه المشاعر السلمية لا يمكن اعتبارها دليل على ضعف الدول الغربية او تخاذلها. كما كتبت تقريرا آخر الى الوزير فون نويرات قلت فيه بأن علينا الا تتجاهل الفرصة الذهبية التي قدمتها لنا فرنسا لتحقيق التقارب معها . وكان من نتائج تلك الاتصالات بشأن فرنسا ان حدثت مراسلات بيني وبين البارون فون فايز تسيكر وكيل وزارة الخارجية الالمانية الذي سألني عما اذا كنت اعتقد حقا بامكانية عقد (اتفاقية عامة) مع فرنسا فأجبته بقولي:

« ان رسالتك تتضمن قضية على جانب كبير من الاهمية . ذلك لأنني حصلت في المقابلات التي أجريتها بباريس على انطباع جازم بأن الحكومة الفرنسية القائمة يسرها كثيرا عقد الاتفاقية العامة المشار اليها مع المانيا لأنها تؤمن بأن هذه هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق التعاون الاقتصادي الوثيق بين البلدين » .

كان انطباع المستشار فون شوشنيغ عن رحلتي الى فرنسا مفعما بسوء الظن لأنه تصور بأن المباحثات التي أجريتها بباريس كانت موجهة ضد سياسته.

لاسيما وان علاقاتنا كانت قد توترت بسبب الحوادث التي حصلت في الصيف والتي اشرت لها آنفا وكانت حصيلة تعاقب الاحداث المذكورة ان وصلت علاقاتنا أنا واياه الى درجة الانجماد . ولذا فقد أصدر فون شوشنيغ في ١ تشرين الثاني ١٩٣٧ اوامره الى الجبهة الوطنية التي يتزعمها بقطع قبول أي اعضاء جدد ينحازون اليها من المعارضة. واتخذ اجراءات قسرية ضد خصومه بحيث جعل الجبهة السياسية تلتهب ثانية بعد ان سادها الهدوء.

وعندئذ جد ليوپولد وانصاره من النازيين النمسويين في الدفاع عن وجودهم دفاعا مصيريا.

في هذه الاثناء فوجيء مستشار السفارة البارون فون شتاين بتلقي رسالة تهديد مغفلة من التوقيع فاضطررت الى طلب حراسة البارون برجال

من الشرطة النمسوية. ولربما تصور البعض ان فون شتاين تمت حراسته حفظا لحياته بسبب قرب تسنمه لمنصبي • والواقع ان لمثل هذا التصور ما يبرره فالمستشار المذكور كان ـ دون ان اعلم ـ عضوا في الحزب النازي منذ عام ١٩٢٨ وقد كشفت اسراره بعد الحرب العالمية الثانية عندما تبين انه كان يعمل من وراء ظهري بكل جد ويتسقط هفواتي وينتقدني بكل ما اوتي من قوة. ولكنه على الرغم من ذلك كله ما ان وجد حياته مهددة بالخطر الا ولجأ الي مستجيرا لأنه لم يجد لنفسه ملاذا غيري.

استدعيت في هذه الفترة السيد ليوپولد واخبرته بوجوب اخبار اعضاء حزبه للكف عن معارضة سياستي لأنه في حالة اتخاذ اية فعاليات مضادة لسياستي سيكون مخالفا لأوامر الزعيم المشددة وان عليه تجنب وضع العراقيل في طريق السياسة السلمية التي دأبت على ممارستها مع الحكومة النمسوية ولو انه يقف الآن في صفوف المعارضة الشديدة للنظام القائم في بلاده • واوضحت له ايضا بأنني عندما حاولت منذ اشهر عديدة ازالة الفجوة القائمة بين بلدينا فمعنى هذا انني لست على استعداد للتعاون معه في سبيل تقويض التعاون القائم بين البلدين. وعليه فانني ارفض من الآن فصاعدا اجراء أي حوار معه وانني امنعه من دخول السفارة الالمانية. ومن الطبيعي انني توقعت هبوب عاصفة مضادة لي جزاء هذا الاجراء من الحزبين النازيين الالماني والنمسوي.

ولكنني اردت بعملي هذا ان اوضح للمستشار النمسوي طبيعة موقفي والمؤسف انه لم يحذ حذوي الا في كانون الثاني ١٩٣٨ عندما طالبني بتوسط هتلر لتحديد نشاط السيد ليوپولد الذي كان متعطشا للزعامة • والعجيب ان هتلر استجاب لمقترحي على الفور ويمكنني التصور الآن بأن السيد ليوپولد لم يكن بالنسبة لهتلر سوى فيل محمل بالخزف واوشك على الوصول الى غايته.

في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٨ داهمت الشرطة النمسوية مكتب المؤتمر السابع في شارع تاينفال بفينا وضبطت مبرزات كثيرة أهمها ما دعي (اوراق

لخططه الهجومية في المؤتمر السـري الذي عقـده لقـادة الجيش الألماني في ٥ تشرين الثاني ١٩٣٧ معارضة من القائد العـام للقوات البرية الفريق الأول البارون فون فريتش ورئيس الاركان الفريق لودڤيغ بيك. وقيل لي انه ظهرت في هذه الفترة قوتان تنافسان الجيش الالماني على مكانته المرموقة في المجتمع اولاهما القوة الجوية التي حظيت برعاية قائدها المتنفذ هرمان غورنغ والتي تم تشكيلها حديثا وثانيتهما هي قطعات الحماية التي شكلها هاينريش هملر وتولى قيادتها الى جانب رئاسته لمنظومة الشرطـة السرية للدولة المرهـوبة الجانب . وهكذا نشب تنافس شديد غير منظور بين هملر وغورنغ من اجل التسلط بالقوات التي تأتمر بأمرهما ولم يتورع الاخير عن الحط من قدر وزير الجيش المشير فون بلومبرغ عندما زين له الزواج ـ بعد ترمله ـ من امينة سره التي هام بها حبا ثم فضحه على رؤوس الاشهاد لانه اثبت للملأ ان سمعتها ليست فوق الشبهات.

وهكذا تم التخلص من فون بلومبرغ كما تم التخلص من البارون فون فريتش قائد القوات البرية بعد أن الصقت به تهمة شنيعة أعطت التبرير لازاحته عن منصبه الرفيع ثم ثبتت بعدئذ برائته منها بالدليل القاطع.

ان كل ما أصفه هنا كان في ذلك الوقت مجرد تخمينات غير مؤكدة لأن الكتمان كان السيماء العامة للنظام النازي. وقد أدت هذه الاحـداث الى امتعاض هتلر وعزوفه عن القاء خطابه المألوف في ذكرى توليه السلطة يوم ٣٠ كانون الثاني من كل عام في سنة ١٩٣٨ .

الفصل الخامس والعشرون

الوَحدة

اقلت من منصبي . هتلر يريد مقابلة شوشنيغ . عرفت الحقيقة في محاكمات نورمبرغ . لقاء في برختسفادن . طلبات هتلر . بروتوكول كيپلر . الوحدة . اعظم خطابات هتلر امام مجلس النواب . اجابة شوشنيغ . اشد ضغط من پاريس . شوشنيغ يطلب مهلة . محادثة غورنغ الهاتفية . امر بالتقدم للجيش الالماني . مراقبة عن كثب . اختفاء كيتيلر . عودتي للوطن .

في ٢٤ شباط ١٩٣٨ وصلت ازمة الجيش الالماني الى اوجها. ولكي يصرف هتلر اهتمام الرأي العام في داخل المانيا وخارجها فانه لجأ الى اثارة أزمة أخرى جديدة باصدار أمر التقدم نحو النمسا واحتلالها بالقوة . وكنت قد جلست في مساء ذلك اليوم وأنا خالي البال بمكتبي في شارع مترنيخ عندما تلقيت نداء هاتفيا من برلين وقال المتكلم على الطرف الآخر:

« هنا دار المستشارية . انا أمين سر الدولة الدكتور لاميرز. انالمستشار يود تبليغكم بأن مهمتكم في ڤينا قد انتهت. وعليه فقد امرني بتبليغكم بذلك

قبل أن تقرأونه في صحف الصباح».

فانعقد لساني برهة ثم سألته:

« هل لك أن تخبرني بالسبب الذي اقتضى اتخاذه هذا القرار بصورة مفاجئة . اذ كان بمقدور الزعيم تبليغي بذلك عندما قابلته ببرلين قبل أيام قلائل ؟»

فأجابني الدكتور لاميرز:

« ان هذا جزء من تدبير شامل فقد اقيل معكم السادة فون نورات وفون هاسل وفون ديركسن . وهذا اجراء يؤسفني كثيرا ولا يمكنني ان أقول أكثر من ذلك » .

وضعت السماعة بهدوء ولكن المفاجأة لم تكن ضئيلة بالنسبة لي وقد بحثنا هذه القضية باسهاب ضمن نطاق العائلة التي عاشت معي طوال اربع سنوات حافلة بالجهد المضني والتفاني في تحقيق الآمال القومية ولمست معي عن كثب مدى النجاح الذي حققته بفضل المساعي الحثيثة التي سرت بها ببطء حتى ادركت الغاية المرجوة بشكل يعجز عنه غيري.

وكنت قد وافقت على المجيء الى ڤينـا لأن المهمة التي كلفت بها كانت مهمة حيوية بالنسبة لبلادي وقد سبق لي ان استعرضت في خاطري الموقف الذي كان سائدا عندما قابلت هتلر في بايرويت. اذ كانت الحالة في منتهى السوء والى الحد الذي جعلها حالة ميئوس منها تقريبا . لكنني كنت متفائلا وكنت على ثقة من امكانيتي على تحسين العلاقات الالمانية النمسوية . والآن اقالني هتلر بعد ان حققت النجاح الباهر واثمرت جهودي وثبت اخلاصي وتأكدت صحة سياستي بفضل الصبر الذي اتسمت به وبفضل الاصدقاء الكثيرين الذين كسبتهم . حتى لقد ساد شعور بأنني اتحرى عن حل لقضية النمسا لا يحقق المزايا لألمانيا وحدها . كما ان الموقف الدولي قد تطور نحو الافضل بعد احداث حزيران ١٩٣٤ المؤسفة. اذ تحول العالم الى الشعور بأن قضية النمسـا والمانيا هي مسألة داخلية بين بلدين شقيقين . وحتى موسوليني كف عن مقاومته للوحدة. لقد حدث هذا التحول بصورة مفاجئة

دون ان تظهر أسبابه الحقيقية للعيان.

لقد ادركت وادرك معي اصدقائي المقربين بأن هتلر حقق اغراضه من وجودي في ڤينا وانه على وشك تبديلي بأحد أعوانه . وواضح ان ساعة الحسم قد دنت بالنسبة للنمسا وفقـا لحساباته لا سـيما وانه لابد ان يجد الوسيلة المناسبة للتحلل من الوعد الذي سبق ان قطعه لي بتحاشي اللجوء للقوة في معالجة قضية الوحـدة مع النمسا. حيث انني درجت في كل ممـارساتي السياسية على تجنب اللجوء للسلاح في حل اية قضية مع الاشقاء خشية توسع النزاع وتحوله الى حرب اوربية لا تحمد عقباها.

لجأت في تعاملي الدبلوماسي الى طريقة غير مألوفـة وذلك بتقديم تقاريري الى هتلر مباشرة وقد رجوته مرارا منع تدخل رجال الشرطة السرية للدولة في نشاط السفارة بسبب طبيعة السياسة التي كنت امارسها في النمسا.

زارنا في البيت مساء احد تلك الايام البارون ڤيلهلم فون كيتيلر وهو صديق حميم ومن اعواني المقربين وقد نصحني بالاحتفاظ بالوثائق المهمة في مكان امين مبررا ذلك للاستفادة منها امام المحاكم في حالة اقدام هتلر على تطبيق خططه المتضمنة اجتياح النمسا عنوة . وعرض استعداده لتولي هذا الامر . لاسيما بعد ان ظهرت بوادر تؤكد نوايا هتلر الوشيكة التطبيق منها اقالة البارون فون نويرات وتعيين يواكيم فون ريبنتروپ وزيرا للخارجية واقالة عدد من قادة الجيش الالماني الكبار وتسمية هتلر لنفسه قائدا عـاما للجيش. أما انا فقد ادركت انطباق المثل الشائع على حالتي:

« لقد أدى المراكشي مهمته. وآن للمراكشي ان ينصرف »

الا ان حب الاستطلاع المتأصل في نفسي دعاني بالحاح لاستشفاف ما كان يدور وراء الستار والتوصل الى قرارات هتلر دون ابطاء.

في صباح ٥ شباط ١٩٣٨ ودعت زملائي رجال السفارة الألمانيـة بڤينـا وكتبت مذكرة للحكومة النمسوية اشعرها فيها بانتهاء مهمتي لديها. كما تلقيت رسالة خطية من زوجتي وأولادي يشيدون فيها بالأيـام الحلوة التي قضوها

في النمسا واقاموا فيها علاقات حميمة مع اصدقاء كثيرين واستمتعوا بوجودهم بشكل منقطع النظير.

سافرت بقطار الظهر الى زالتسبورغ ومنهـا عرجت على مقر هتلر في برختسغادن . ولمـا قابلته قلت له بأنني يؤسفني توقف فعالياتي بالنمسا بعـد ان سرت على سياسة ودية مع الحكومة النمسوية وهي السبيل الوحيـد لتحقيق الاماني القومية ولاحظت انه كان يتطلع نحو الفراغ الفسيح امامـه وواضح انه كان يمعن النظر في أمر غاب عن خاطره ويبدو انه افتقد وجودي في ڤينا بعد أن قطعت شأوا بعيدا في سبيل تحقيق الوحدة المنشودة . أما أنـا فلم اشأ اعطائه أي انطباع بأن مقابلتي له كانت للتظلم والاسف على فقدان المنصب وانما لأذكره بما سبق ان وقع عليه في بايرويت.

ولما قلت له هذا انتفض كمن تذكر أمرا غاب عن خاطره . فأنا لم أكسب خلال السنوات الاربع المنصرمة ثقة المستشـار النمسوي فون شوشنيغ فحسب وانما كسبت ثقة الكثيرين من كبار الزعماء النمسويين ورجال الدولة النمسوية لدرجة تجعل من العسير على من سيخلفني متـابعة النهج الذي وضعت قواعده الراسخة. ثم انني أخبرت هتلر بأن المستشار فون شوشنيغ ابدى رغبته منذ كانون الاول ١٩٣٧ في اجراء مقابلة شخصية معه لكي يتم التفاهم بينهما على حل الكثير من المسائل المعلقة وقد كرر هذه الرغبة مرات عديدة.

وعلى الرغم من صدور أمر اقالتي فانني أرى ان تبـادل الآراء بين الرجلين بصورة مباشرة ـ وفق الاسس المقررة في اتفاقية تموز ـ لابد أن يؤدي الى ازالة أي ضرر وشيك على اقل تقدير . وانني آمل الا يخيب هتلر هذه الرغبة التي ابداها المستشار النمسوي خشية ان تتدهور العلاقـات بشكل لا سبيل معه لاصلاحها.

اصغى هتلر لاقوالي بجماع فؤاده عندما حدثته بهذا الحديث واخبرته أن مقابلته الشخصية للمستشار النمسوي ربما ستؤدي بهما الى المسلك

الوحيد المتاح لحل المشكلات المعقـدة القائمـة بين البلدين • وحيث انني لا يمكنني الرجوع الى ڤينا أجد لزاما علي ان اقوم بآخر محاولة في سبيل الوحدة الالمانية ـ النمسوية بتقديم هذه المشورة الخالصة • أخذ هتلريدي وشد عليها بكلتا يديه قائلا:

« ان هذه فكرة رائعة • وانني ارجوك الرجوع الى ڤينا لاجـراء ترتيبات المقابلة خلال الايام القلائل القادمة ويسرني كثيرا أن اقابله هنـا لكي تتحدث عن كل شيء بصراحة تامة »•

« ان هذا غير ممكن أبداء لأنني قدمت مذكرة اقالتي للمستشارية الاتحادية النمسوية ولم أعد معتمدا لديها• اضف الى ذلك ان الصحـافـة العالمية نشرت اليوم نبأ اقالتي من منصب السفير في ڤينا»•

فأجابني هتلر :

« ان هذا لا يهم وانني لارجوك رجاء حارا يا سيد فون پاپن ان تعود لاستلام مهمة السفير في ڤينا ثانية ريثما استكمل محادثاتي الشخصية مع المستشار النمسوي»•

قلت في نفسي ان الرجل الماثل امامي برهن بعمله هذا على جهله المطبق بالاعراف الدبلوماسية وتصورت مدى السخرية التي ستتعرض لها حكومتي عندما يجدني القوم في ڤينا بين ظهرانيهم • ولكن الامر الذي يبرر التضحية هو املي بأن ينطوي رجوعي الى ڤينا على آخر خدمة يمكن ان اسديهـا للنمسا في محنتها•

وافقت على طلب هتلر • (ولو كنت على بينـة من اتصال غورنغ آنذاك بغويدو شميت لما وافقت على الطلب او لربما كنت قد ساومت هتلر على طلب مشروط) يحدوني الامل بأن تتمخض المحادثات الشخصية بين المستشارين الالماني والنمسوي عن توثيق روابط الصداقة بشكل يقربهما من الوحدة

وكان هتلر حريصا في تلك المرحلة بعد اقالته للفريق فون فريتش[1] وفضيحة الفريق فون بلومبرغ[2] وتسميته لنفسه قائدا عاما للجيش الا يصور للرأي العام العالمي بأنه يبغي من هذا الاجراء الاستعداد لخوض حرب عدوانية.

وكنت من جانبي على ثقة تامة من ان هذه الوسائل الملتوية حتى وان حققت الاغراض السياسية في بعض الاحوال الا انها تعتبر من اللعبات الخطرة التي تتناقض مع امن الدولة الالمانية .

رجعت الى ڤينا يوم ٧ شباط ١٩٣٨ وانا غير مصدق عودتي وقوبلت بنظرات الاستغراب من زملائي الذين ودعوني قبل يومين وتوجهت فور وصولي لمقابلة المستشار النمسوي.

واود هنا قبل ان اتفصل في المقابلة التي اجراها المستشار النمسوي مع هتلر في اوبر زالتسبرغ يوم ١٢ شباط ١٩٣٨ ان اعرض للقاريء الكريم نص الاتهام الذي وجه الي في محاكمات نورمبرغ توخيا مني للحقائق التأريخية :

لقد بذل فون پاپن قصارى جهوده لتقوية مركز النازيين النمسويين عندما كان سفيرا لبلاده في ڤينا بقصد تحقيق الوحدة ... وقد ادى بعمله

---

(١) منح هتلر العميد فون فريتش رتبة فريق وجعله رئيسا لاركان الجيش الالماني خلفا للفريق فون هامرشتاين ثم انه تعرض لامتهان سمعته الشخصية عندما اتهم بقضية اخلاقية ـ ثبتت فيما بعد برائته منها ـ فاقاله هتلر من منصبه ولما نشبت الحرب العالمية الثانية تطوع فون فريتش للخدمة برتبته السابقة (عميد مدفعي) وصار آمر مدفعية فرقة وقتل بصلية رشاش متاثرا بجراحه البليغة في معركة اقتحام وارشو يوم ١٧ أيلول ١٩٣٩ .

ـ المترجم ـ

(٢) اقام الفريق فون بلومبرغ علاقة حميمة مع احدى امينات سره ـ وكان ارملا ـ ولما تزوج منها تبين للشرطة السرية انها من ذوات السمعة المشينة وان لها اضبارة لدى شرطة الآداب ولما فوتح العريس الشيخ بأمر المراةالتي تزوجها أعلن عن تمسكه بها في جميع الاحوال فاقيل من منصبه .

ـ المترجم ـ

هذا الى تغيير طبيعـة الحزب النازي النمسوي بحيث صار يعتبر الحزب النازي الالماني هو المركز الذي تتجمع حوله كل الحركات القومية الالمانية».

كما اتهمني المدعي العام السيد كاميل زاكس بالتهمة التالية:

« ولتحقيق غـرض الوحـدة فان پاپن انتقص من استقلال النمسا وجعلها خاضعة لنظام الحكم النازي».

ولكي يدلل الادعاء العام على هذه الاتهامات فقد زعم انني استدرجت المستشار النمسوي شوشنيغ بكل خبث الى برختسغادن بقصد اجباره على الاذعان لطلبات هتلر التي سبق ان دبرتها معه منذ امد طويل.

والواقع هو انني كنت قد لاحظت منـذ تشـرين الثاني ١٩٣٧ تدهور العلاقات الالمانية النمسوية بشكل مضطرد فأقترحت على المستشار شوشنيغ القيام بمقابلة شخصية لهتلر وتسوية الاختلافات القائمة بين الدولتين بصورة مباشرة كما طرحت نفس الفكرة في كانون الاول ١٩٣٧ على كل من وزير الخارجية فون نويرات والمستشار هتلر . وكنت قد نصحت المستشـار النمسوي في تلك الفترة بتبديل وزير داخليته الخامل غلايزه هورستينـاو واعطائـه منصب وزاري آخر لكي يتمكن شوشنيغ من السيطـرة على الاضطرابات ويسوي الخلافات القائمة بين حكومته والنازيين النمسويين.

في ٧ كانون الثاني ١٩٣٨ زرت الدكتور غويدو شميت لكي أخبره بأن استمرارنا على تبادل المذكرات الرسمية سوف يكون وسيلة غير ناجعة في معالجة المشاكل القائمة بين البلدين . وعليه فان لقاء المستشارين الألمـاني والنمسوي لابد وان يؤدي الى حل المشكلات القائمة بصورة مباشرة. وقد عاد شميت بعد مقابلته للمستشار شوشنيغ وكتب لي جوابا تحريريا قال فيه ان الوقت الراهن يناسب تماما لاجراء المقابلة المقترحة وهو يرجو ان تتخذ المقابلة صفة سرية.

وفي ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٨ قابلت الدكتور شميت ثانية واخبرته بأن هتلر يدعو المستشار النمسوي لمقـابلته في ١٥ شباط ١٩٣٨ لتلبيـة هذه

الدعوة. فعرض لي الدكتور شميت بهذه المناسبة شكواه من مخالفات عديدة للاتفاقية المبرمة وسمى بعض الحالات التي يشكو بها من المانيا وقال ان مثل هذه الحالات لابد وأن تؤدي الى تدهور العلاقات الحسنة القائمة بين البلدين فسجلت كل ما اشتكى منه وأخبرت برلين بفحواه .

وتوضح اضابير وزارتا الخارجيتين بأن مقابلة المستشارين لم تدبر من قبلي بصورة منفردة وانما كانت حصيلة مشاورات تمت بيننا واستمرت لمدة عدة اسابيع.

كانت اقالتي المفاجئة في ٤ شباط ١٩٣٨ مباغتة تامة للحكومة النمسوية واستشفت منها عزم الحكومة الالمانية على نقض الاتفاقية المبرمة بين البلدين في ١١ تموز ١٩٣٦.

ومما زاد في الطين بلة أن تناهى الى أسماع الحكومة النمسوية عزم المانيا على ترشيح بيوركل خلفا لي وكان هذا قد عمل محافظا لأقليم السار وحاز هناك سمعة لا يحسد عليها. كما ان ازمة قادة الجيش الالماني واقالة وزير الخارجية البارون فون نويرات وتسمية يواكيم فون ريبنتروب وزيرا لخارجية المانيا دعت المستشار النمسوي للتعجيل بمقابلة هتلر قبل أن تتدهور العلاقات القائمة بين البلدين الى حد تصعب معه معالجة التدهور المضطرد.

وقد ادلى الدكتور غويدو شميت بافادة غادرة امام محكمة نورمبرغ قال فيها بأن المستشار شوشنيغ جمع اعضاء حكومته يوم عودتي الى ڤينا في ٧ شباط ١٩٣٨ واخبرهم بأنه عازم على تلبية دعوة هتلر لمقابلته وانه اخبر موسوليني برغبته هذه فأيد اجراء المقابلة.

كما ان الدكتور شميت زعم بأنه اخبر كلا من سفير بريطانيا وسفير فرنسا بخطط المستشار فون شوشنيغ. ويجب ان اؤكد هنا بأن الدكتور غويدو شميت لم يصن اسرار بلاده التي اؤتمن عليها ثم طفق يشهر بخيانته على رؤوس الاشهاد وكأنه يفاخر بما ينبغي أن يخجل من ذكره.

وقد اردف شميت امام هيئة المحكمة قائلا انه تلقى مني رسالة ذكرت

له فيها حراجة الموقف الداخلي في المانيا نفسها لدرجة لا يمكن معها التستر على سوء الاوضاع وانني أخشى من عدم استطاعة المستشارين بحث جميع المشاكل القائمة • وان مصير العلاقات بين البلدين سوف يتحدد في خطاب هتلر الذي ينوي القائه امام البرلمان في ٢٠ شباط ١٩٣٨ •

ثم قال شميت :

« ان فون پاپن اعطى للمستشار شوشنيغ فكرة مغلوطة بوجوب استغلال الظرف القائم لاسيما وان المانيا تعاني من اضطراب الموقف الداخلي فيمكنه تحقيق الكثير من النتائج لقاء ثمن بخس»•

ولكي افند شهادة الدكتور غويدو شميت فانني استشهد بشهادة الدكتور فون هورن بوستل امين السر العام لوزارة الخارجية النمسوية آنذاك والذي لم يكن معروفا بصداقته لالمانيا حيث قال:

« لقد حصلت على انطباع اكيد بأن زيارة المستشار شوشنيغ لبرختسغادن كانت أمنية حرص كثيرا على تحقيقها لأنه أيقن بأن محادثة الرجل للرجل يمكن ان توضح معالم موقف كل منهما بالنسبة للآخر• وطالما اعرب المستشار الاتحادي عن هذه الفكرة لمحدثيه في كثير من المناسبات قائلا انه يرى من الافضل التحدث للرجل (أي لهتلر) نفسه واستجلاء وجهة نظره »•

واعترف هورن بوستل بأنه هو الذي اخبر السفيرين البريطاني والفرنسي بأمر المقابلة قبل حصولها وان كليهما ذكر له ان هذا هو المسلك الوحيد المتاح للمستشار النمسوي•

وقد اتهمني شوشنيغ فيما بعد بأنني وعدته قبل قيامه بمقابلة هتلر في ١٢ شباط ١٩٣٨ بوجود منهج محدد للمواضيع التي سيتم بحثها وانه لم يجد مثل هذا المنهج الموعود • ويجب ان اؤكد هنا بأن المنهج الذي اشار اليه كان يتضمن وجوب بحث جميع المسائل المعلقة بين البلدين • وهذا ما تحقق فعلا في تلك المقابلة • ولكي ادحض مزاعم شوشنيغ هذه فانني اشير الى

ما اكده مدير الشعبة الالمانية بوزارة الخارجية النمسوية بهذا الصدد حيث قـال :

« وذكر الجانب الالماني بأنه سوف لن يصدر برنامج محدد للمقابلة».

ومن الطبيعي ان لكل من الطرفين رأيه بالمقابلة وما ينبغي ان يتطرق اليه المستشارين في لقائهما. وقد حرص الجـانب النمسوي على محـاولة استشفاف الطلبات المحتملة التي سيتقدم بهـا هتلر دون الاخـلال بروح الاتفاقية المبرمة بين البلدين في ١١ تموز ١٩٣٦ وكنت متفقا مع شوشنيغ بالرأي تماما فيمـا يتعلق بالتمسك التـام باستقلال النمسا والحفاظ على سيادتها. وقد اتفقت معه على وجوب مراعاة هذه النقطة بالذات بالاتصال المباشر فيما بيننا بعد اختتام المباحثات التي سيجريها مع هتلر.

اما الاستحضارات التي قام بها الجانب النمسوي فهي ان المستشار شوشنيغ كلف السيد تسرناتو وهو اقرب معاونيه وامين سر الجبهة الوطنية بمهمة اعداد المقترحات التي يراها مناسبة للبحث بالتعاون مع الدكتور زايس انكوارت المرشح من قبل المانيا لتولي وزارة الداخلية النمسوية . ولما كانت هذه القضايا مقتصرة على السياسة الداخلية فقـد استبعد شوشنيغ وزير الخارجية النمسوية الدكتور غويدو شميت من الاشتراك معهما في اعـداد المقترحات . الا ان الأخير تلقى الاقتراحات المذكورة قبيل سفره مع المستشار الى برختسغادن . وهذه المقترحات مبينة كلها في اضبـارة محاكمة الدكتور غويدو شميت . ومن مطالعتها يتبين مدى اهمال الدكتور تسيرناتو ورئيسه المستشار شوشنيغ لروح اتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦ وتعمدهما الاخلال بها وليس ادل على ذلك من استعراض بعض النقاط المشار اليها:

« ان المستشار الاتحادي يرى ضرورة اكمال الاجراءات الواردة في اتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦،اذا ما حصل الاتفاق مع السادة المسؤولين من الدولة الالمانية في المساهمة معه في تحمل مسؤولية اكمال تلك الاجراءات من حيث:

١ ـ تجاوز الاتصالات الرسميـة بين المانيا والمسؤولين النمسويين

باجراء اتصالات عملية في المجال السياسي بتوسط شخصي يقوم به المدير العام زايس انكوارت. وعلى اية حال فان اية اتصالات غير شرعية قد تتم مع المانيا يمكن ان تقبل اعتراضات الدكتور زايس انكوارت عليها.

٤ ـ تكون جميع الصحف والمجلات التي توضع تحت اشراف الدكتور زايس انكوارت سائرة وفق النهج السياسي الذي يقرره سلبا او ايجابا ومتحررة من جميع القيود.

٧ ـ مما لا شك فيه ان هناك مفاهيم اساسية تقضي باشراك العناصر النازية غير المرتبطة بالحزب النازي في منظومات الدولة النمسوية الحديثة.

٨ ـ ان الحالات التي حصلت قبل ١١ تموز ١٩٣٦ تتطلب اصدار عفو عام عن المساهمين بها خلال فترة محدودة. ولابد ان يتبع ذلك العفو شطب العقوبات التبعية المترتبة على العقوبات الاصلية لاولئك الافراد..

٩ ـ بعد ترتيب التعاون العسكري الوثيق بين البلدين يتطلب الأمر توحيد التدريب والتجهيز. وهذا يقتضي توحيد التوجيه السياسي باعتماد ما هو متبع لدى الجيش الالماني من تثقيف نازي.

١٠ ـ ينبغي العمل على تطعيم عدد من اعضاء التجمع الوطني في مناصب حساسة (دوائر الدولة والولايات ومجالس البلدية ..الخ) امثال:

المدراء العامون ـ الدكتور يوري ، الدكتور لانغوت ، الاستاذ الدكتور فون زربيك.

مدير الاقتصاد الاتحادي ـ راينتهالر

كما يقتضي تعيين كلا من فيلكس كراوس والدكتور فريدريش راينر والاستاذ مينغهين.

١١ ـ يكلف الدكتور زايس انكوارت حال وضع هذه النقاط موضع التنفيذ بمهمة التصدي لأية محاولات للتدخل وبخاصة محاولات احباط التعاون السلمي بين الطرفين».

ولما سئل الدكتور غويدو شميت عن تلك النقاط فيما بعد قال:
« لقد وضعت هذه النقاط باتفاق حصل بين الدكتور زايس انكوارت وتسرناتو» .

وواضح انفحوى هذه الوثيقة اعطاه زايس انكوارت الى ڤيلهلم كيپلر والأخير كان مندوب هتلر غير الرسمي. اما شميت فقد قال عن هذه القضية:
« كما ان تسرناتو قال لي أيضا بأن هنـاك تعاونا وثيقا بين زايس وكيپلر . ولذا فان هتلر كان على بينة من كل ما عند شوشنيغ قبل مقابلته في برختسغادن » .

كما أكد شميت بأن حديثا مطولا دار بين المستشار شوشنيغ وزايس انكوارت وتسرناتو قبل سفر المستشار لملاقاة هتلر وان ذلك الحديث امتد بهم حتى ساعة متأخرة من الليل . ولكن الاسترسال في بحث النقاط المهيـأة من قبل المستشار النمسوي جعلها معلومة بكل تفاصيلها لنظيره قبل وصوله الى برختسغادن حتى لقد قال شوشنيغ نفسه :

« عندما اصبحت الدعوة ضرورية طلبت من زايس انكوارت وتسرناتو اعداد مسودة تتضمن الأسس الواجب بحثها في برختسغادن ».

وقد انطوى تسليم زايس انكوارت لاسرار المستشار النمسوي التي أؤتمن عليها الى كيپلر على الغدر لأنه جعل هتلر بعمله هذا على علم بما لدى نظيره النمسوي فكسب بذلك سببا اضافيا لضمان التفوّق عليه . أمـا أنـا فكنت في جهل مطبق بشأن هذه الواقعة ولم ادر بما كان مبيتا للمستشار النمسوي. وقد قال الدكتور فريدريش راينر في خطبة القاها عام ١٩٤٣ امام زعماء الحزب النازي في النمسا للتدليل على مدى مساهمته في التدابير التي أجريـت لتحقيق الغـرض المطلـوب من مقـابلة هتلر لشوشنيغ في برختسغادن :

« كان الشخص الوحيد الذي لم يزود بأية معلومـات عما سيتم في مباحثات بيرغهوف هو السفير فون پاپن.

أما نحن الآخرين فكنا جميعا على بينة من جميع التفاصيل التي سبق ان بحثت في مجلس الوزراء النمسوي. ذلك لأن وكلائنا كانوا منبثين في كل مكان وصولا الى غرفة نوم المستشار شوشنيغ ».

وأنا لا ألوم المستشار شـوشنيغ في تصوره انني أنـا الذي أفشـيت لهتلر الاسرار التي افضى بها الدكتور زايس انكوارت. ولكنه غير صادق في مزاعمه بأنه بوغت تماما بالموقف الجديد الذي صادفه عند التقائه بهتلر في برختسغادن . فهو لابد أن عرف طلبات هتلر من الرسائل المتبادلة مع هرمان غورنغ ولو قارنا بين فحوى تلك الرسائل والنقاط الملمع عنها آنفا فيملحوظات شوشنيغ لتبين لنا مدى ضآلة الفرق بين طلبات هتلر ونقاط شوشنيغ.

تم الاتفاق على تحديد يوم ١٢ شباط ١٩٣٨ موعدا للقاء المستشارين الألماني والنمسوي . وكان ان سـافرت الى برختسغادن مساء اليوم السابق لـكي أقوم بمهمة اسـتقبال المستشار النمسوي عنـد الحدود النمسوية في صباح اليوم التالي ومرافقته لمقابلة هتلر . وقد قابلت في الفندق أحـد امنـاء سر الوزير فون رينتروپ الذي أخبرني بأن الوزير سيحضر ذلك اللقاء في اليوم التالي. كما قال ان الفريق ڤيلهلم كايتل الذي يعتبر مناقرب العسكريين الالمان لهتلر سيكون حاضرا ايضا بالاضافة الى كل من الفريق فون رايخناو والفريق شپيرله. وكان فون رايخناو قائد المنطقـة العسكرية الجنوبيـة المصاقبة للحدود النمسوية اما الفريق شپيرله فكان قائد القاطع الجويلمنطقة باڤاريا.

ولقد تصورت آنذاك بأن استدعـاء هتلر لاولئك القادة الثلاثة كان لمعالجة الموضوع الاثير لديه ــ وهو ترتيب ضم الجيش النمسوي لجيشنا ــ والاستئناس بآرائهم في هذه المسألة عند الاقتضاء.

فوجئت عند الافطار بالفندق صباح يوم ١٢ شبـاط ١٩٣٨ بوجود نازي نمسوي كنت اعرفه حق المعرفة وهو الدكتور ميوهلمان والذي قيل لي انه مقرب من وزارة الخارجية النمسوية . ولما سألته عمـا جاء به الى

برختسغادن برر وجوده بالاشتراك في المحادثات المهمة التي قيل له انها ستتم في ذلك اليوم. وقد ثبت في محاكمات نورمبرغ فيما بعد ان الدكتور ميوهلمان كان يزود وزارة الخارجية النمسوية بمعلومات سرية عن نشاط الحزب النازي النمسوي. وكان ان تحدثت مع الرجل مليا بشأن حالات عدم التفاهم الصادرة عن كلا الجانبين وقلت له ان مهمة خلفي ستكون اكثر سهولة نظرا لأن التقارب من شأنه ان يجعل علاقة السفير الالماني بالحكومة النمسوية وطيدة .

ثم سألني الدكتور ميوهلمان:

« ألا تظن ان هتلر سيكون مستعدا لتسمية الدكتور زايس انكوارت لمنصب وزير الداخلية لمعالجة القضايا المتعلقة بالاحزاب النمسوية ؟».
فأجبته :

« هذا ما لا اعلمه . ولكنني اعتقد بأنه اكثر الناس ملائمة لاشغال هذا المنصب على الرغم من كونه غير نازي».

وكنت أظن في قرارة نفسي ان هتلر لا يرتاح لزايس انكوارت لأنه يتمتع بثقة المستشار فون شوشنيغ. وعندئذ ومضت في خاطري فكرة تكليف الدكتور ميوهلمان بمهمة طرح مقترح تعيين زايس انكوارت وزيرا لداخلية النمسا على هتلر فقال لي ميوهلمان :

« يسرني القيام بهذه المهمة».
وكان ان بر بما وعد على ما شهدناه فيما بعد . وكان هذا المقترح ضروريا.

وصلت الى نقطة الحدود الالمانية ــ النمسوية قرب زالتسبورغ بالساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم واستقبلت المستشار فون شوشنيغ ووزير خارجيته غويدو شميت ومرافقه الذين كانوا قد باتوا ليلتهم السابقة في زالتسبورغ ولما قابلتهم سألوا عن اية تطورات جديدة واستفسروا عن الوقت الذي سيقابلون به هتلر . فأخبرتهم بما كنت اعلمه وقلت لهم ان

هتلر بانتظارهم في برختسغادن ومعـه وزير الخارجية الجديد فون ريبنتروپ والفريق ڤيلهلم كايتل والى جانبهما قائدين آخرين٠

وقد علمت فيما بعد ان الضيوف تأثروا لسماعهم بوجود اولئك الفرقاء الى جانب هتلر ٠ أما ما ذكره السيد شميت في محاكمته من انه خشي آنذاك من اقدام هتلر على اعتقالهم حال وصولهم للحدود الالمانية فان مثل هذه التصورات الحمقاء لم تخطر على البال مطلقا٠ كما ان هتلر لم يجعل العلاقات الخارجية مع دولة ما رهينة بالممارسات السياسية الداخلية لتلك الدولة على غرار ما حصل بعدئذ مع الرئيس التشيكوسلوڤاكي هاشا في ١٥ آذار ١٩٣٩٠

وصلنا ـ انا والضيوف النمسويون ـ بعد نصف ساعة الى مدخل مقر هتلر في برختسغادن فوجـدناه بانتظار زميله النمسوي عنـد عتبـة المدخل فأستقبل ومرافقيه بكل توقير ثم مـا لبث هتلر ان صحب المستشـار فون شوشنيغ الى مكتبه فتكلما على انفراد لفترة امتدت حتى موعد الفطور وفي هذه الاثناء تناقشنا أنا وشميت وفون ريبنتروپ بالمشكلات القـائمة ٠ أمـا الفرقاء الثلاثة فلم يظهر أحد منهم في تلك الفترة٠

كانت تلك الزيارة أول مناسبة رسمية يساهم بها وزير خارجية المانيا الجديد بعد تعيينه المفاجيء بمنصبه المهم في ٤ شباط ١٩٣٨٠ وكنت اعلم بأن فون ريبنتروپ لديه شعور دائم بعدم احترام الآخرين لشخصه وعليهفقد اتخذ لنفسه سيماء التصرف الرسمي المطلق٠ لكنني حاولت في تلك المقابلة اضفاء طابع شخصي على اللقاء لأنني أعرف بأن معلومات فون ريبنتروپ عن القضايا النمسوية كانت غير كافية ابدا وانه بحاجة لمساعدتي وقد استهـل فون ريبنتروپحديثهبكلمة جوفاء فاجأ بعدها وزير الخارجية النمسويبقائمة المقترحات الالمانية لمواضيع المناقشة وقال له ان المقترحات المذكورة حظيت بموافقة الزعيم على طرحها للبحث وان المقترحات المعروضـة ستكون الخطوط العامة التي ستناقش تفاصيلها في الاجتماع٠ ولاحظت عن كثب مدى المعاملة الجافية المجردة من اللياقة التي ابداها وزير الخـارجية الالماني نحو زميله النمسوي بينما لاحظت على السيد شميت احتفاظه بدماثة خلقه رغم الشعور

الواضح بالغبن الذي ارتسم على محياه عند مطالعته للورقة المطبوعة بأناقة بالغة والتي تناولها بكل هدوء • أما أنا فلم أكن على بينة من أيـة مقترحـات المانية قبل تلك اللحظة ولما اطلعت بدوري على الوثيقة المعروضة الفيتها تحتوي مطالب عسيرة التنفيذ منها وجوب اعتراف الحكومة النمسويـة بالحركة النازية وتعيين زايس انكوارت وزيرا للداخلية والشرطة وتعيين الفريق غلايزه هورستيناو وزيرا للحرب بالاضافة الى طلب تنحية الوزير المفوض لودفيغ والعقيد آدم مدير شعبة الصحافة عن منصبيهما واحلال آخرين بدلا عنهما وكذلك تعيين الدكتور فيشبوك وزيرا للمالية لغـرض تسهيـل علاقـاتنا الاقتصادية•

لقد كان من الواضح جدا ان خلاصة الطلب الالماني تتضمن ازاحـة شخصيات نمسوية معينة عن المناصب التي تشغلها واحلال شخصيات اخرى معينة ايضا لتحل محلها وهذا هو عين التدخل في الشؤون الداخليةوالانتقاص من سيادة الدولة النمسوية • ثم انه كان بالامكان اقناع المستشار النمسوي بتعيين شخصيات مقربة اليه امثال زايس انكوارت وغلايزه هورستيناو دون الحاجة لتوجيه رسالة جافية تحتوي على عبارات ملؤها التسلط والاذلال كما جاء في الورقة الموجهة اليه والتي منها العبارة التالية:

« ينبغي على المستشار الاتحادي اتخاذ الاجراءات الآتية لمدة اقصاها ١٨ شباط ١٩٣٨ ••••»

عندئذ تحدث الوزير شميت بكلام حسن كنت اتمنى ان يقوله وقد ايدته في قوله عندما زعم بأن الاجراءات المطلوب اتخاذها تتنافى معالدستور النمسوى ـ وهذه حقيقة يجهلهـا فون ريبنتروب ـ ذلك لأن المستشار النمسوي ليس من حقـه اقالة أحد وزرائه أو تعيين أي وزير جديد وهكذا أصبحت المحادثات عسيرة وغير مثمرة بين الوزيرين نظرا لأن الوزير الألماني كان يجهل أوليات الموضوع الذي هو بصدده •

كانت فرصة تناول الفطور مناسبة لاسترداد الأنفاس وقـد أحاط خلالها المستشار فونشوشنيغ وزير خارجيته بطبيعة محادثاته معهتلر بصورة موجزة•

وكان هذا قد تولى دفة الحديث طوال تلك الفترة ولم يسمح لضيفه النمسوي بأن ينبس ببنت شفة • كما انه اتهمه بممارسة فعاليات مناهضة للامة الألمانية وتخريب المساعي الوحدوية والاخلال باتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦ ثم هدده باللجوء للوسائل القسرية اذا لم يقبل بالمقترحات الألمانية المعروضة عليه كما انه أكد له عدم احتمال التساهل في هـذه المقترحات أو تغييرها • وقد كتب المستشار النمسوي فيما بعد في كتابه الموسوم « صلاة على روح الأحمر الأبيض الاحمر »[٣] سردا شاملا لتفاصيل تلك المقابلة المصيرية مع هتلر وعلى الرغم من تصوري لعدم دقة التفاصيل التي أوردها فون شوشنيغ في كتابه الا انني لا أشك مطلقا بأنه تعرض لضغط هتلر الشديد • وواضح ان فون شوشنيغ أظهر جلدا يحمد عليه وبقي محافظا على أدبه الجم خلال تلك الزيارة •

ظهر الفرقاء الثلاثة على مائدة الفطور حيث تم تقديمهم للتعارف مع الضيوف • وكان تصرف هتلر في تلك الأثناء رصينا وظهر في غاية الأدب •

واقتصر الحديث خلال الفطور على الحرب الأهلية الاسبانية فتحدث الفريق الطيار شبيرله بشأن أنواع جديدة من الطائرات وحول المشكلات السياسية الراهنة • ثم ما لبث الفرقاء أن لاذوا بالصمت المطبق ولم يشتركوا مع المستشار فون شوشنيغ بأي حديث • الا أنهم قالوا للوزير شميت بأنهم يجهلون السبب الذي استدعوا الى برختسغادن من أجله •

بدأت بعد الفطور مباشرة الجولة الثانية من المحادثات واتسمت بالجدية الشديدة لانها تضمنت مناقشة طلبات هتلر المجحفه والتي سميت في محاكمات نورمبرغ «بروتوكول كيلر» لأن ڤيلهلم كيلر هو الذي وضع تفاصيلها بناء على توصيات هتلر • والتي كانت كما ياتي:

مشروع الدكتور كيلر لمحادثات يوم ١٢ شباط ١٩٣٨ •

---

(٣) هذه هي ألوان العلم الوطني النمسوي . — المترجم —

« ١ ـ ان نتائج تبادل الآراء التي تمت هذا اليوم بين الزعيم ومستشار المانيا والمستشار الاتحادي الدكتور شـوشنيغ سوف يعطى النص المبين في (الملحق ١) لصحافة كلا البلدين بغية نشره في صحف يوم الاحد .

٢ ـ بناء على الاتفاق الحاصل سيقوم المستشار الاتحادي باتخاذ الاجراءات التالية في مدة أقصاها ١٨ شباط ١٩٣٨ .

أ ـ تقوم الحكومة النمسوية بمعالجة مشكلات السياسة الخارجية التي تهم البلدين بعد الاستئناس برأي حكومة المانيا وتقوم حكومة المانيا من جانبها بنفس الاجراء ازاء حكومة النمسا في الحالات المشابهة.

ب ـ تعترف حكومة النمسا الاتحادية بالحركة الاشتراكية الوطنية في النمسا وعليها قبول الفكرة النازية ومنحها الشرعية الدستورية . ولذا فان على حكومة النمسا الاتحادية الغاء المنع الصادر بشأن الحركة الاشتراكية الوطنية على ضوء الاعتراف المذكور اعلاه. وقد اوضح المستشار الاتحادي شوشنيغ موافقته على مواصلة انشاء منظومة للسياسة الشعبية.

ج ـ يسمى الدكتور زايس انكوارت وزيرا للداخلية مع تكليفه برئاسة جهاز الامن وعليه التمتع بالحقوق والواجبات المترتبة على ذلك مع مراعاة اعتبار الحركة الاشتراكية الوطنية كما هو مذكور في (ب) اعلاه.

د ـ يصدر المستشار الاتحادي عفوا عاما عن جميع الاشخاص الذين ادينوا من قبل المحاكم أو من قبل الشرطة لنشاطهم النازي . ويمكن للحكومة النمسوية اذا وجدت بقاء مثل اولئك الاشخاص في النمسا مهددا لحسن العلاقات القائم بين البلدين ان تقرر ابعادهم الى المانيا بعد الاتفاق بهذا الشأن مع الحكومة الالمانية.

هـ ـ ان العقوبات التأديبية الصادرة بحق الاشخاص بسبب نشاطهم النازي بما في ذلك العقوبات المالية التي تؤثر على التقاعد والاجور والمعونات المالية ونفقات التعليم ينبغي ان توقف وتتم تسويتها لاعادة حقوق اولئك الاشخاص.

و ــ يجب ازالة جميع العقوبات الاقتصادية الصادرة بحق النازين.

ز ــ تتطلب اعادة ثقة الصحافة من قبل الحكومة ازاحة الوزير لودثيغ عن منصبه وكذلك تنحية العقيد آدم عن عضويــة مجلس شورى الدولة وتعيين بديلين لهما.

ح ــ يتم انشاء العلاقات العسكرية بين القوات المسلحة الالمانية والنمسوية وفق الأسس التالية:

اولا ــ تسمية وزير الداخلية غلايزه هورستيناو وزيرا اتحاديا للجيش.

ثانيا ــ تبادل الضباط بين الجيشين (يحدد العدد بـ ١٠٠ ضابط).

ثالثا ــ توحيد عمل هيئات الركن.

رابعا ــ اقامة علاقات ودية وعلمية وفق خطط مدبرة.

ط ــ توقف جميع الاجراءات المتخذة ضد النازيين وبخاصة ضد العسكريين منهم ويكون هذا القرار ذو اثر رجعي.

ي ــ يتم الاستحضار لقبول النمسا في النظام الاقتصادي الالماني ويتم تعيين الدكتور فيشبوك بمنصــب وزير المالية لوضع هــذا القرار موضع التنفيذ.

٣ ــ تعترف الحكومــة الالمانية بالدكتور زايس انكوارت وزير الداخليــة الجديد بكونه الشخصية الوحيدة المناسبة لتنفيــذ الفقرة (٢.ب) من هذا البروتوكول . وستتخذ الحكومة الألمانية من جانبها التدابير الكفيلة بمنع النازيين الالمان من التدخل في الشؤون الداخلية للنمسا . ويقتضي ان يتم الاتفاق بشأن تنفيذ الفقرة (٢.ب) مع الوزير زايس انكوارت».

تداول فون شوشنيغ لفترة وجيزة مع شميت ثم عاد لاستئناف المفاوضات مع هتلر . وقد حصلت أزمة شديدة في الجولةالثانية من المفاوضات عندما ابدى المستشار النمسوي تمنعا في اقرار الطلبــات التي عرضها عليه هتلر.عندئذ تظاهر الأخير بالانفعال وهدد باجتياح النمسا في حالة عدم الموافقة على طلباته.وما أن غادر فون شوشنيغ مكتب هتلر لاعادةالتداول

مع غويدو شميت الا وتناهى الى اسماعنا صراخ هتلر الذي فتح باب مكتبه بعنف وهتف صائحا بنبرة غاضبة:

« فريق كايتل ٠ اين كايتل ؟ عليه ان يأتيني فورا »٠

وقد انتفض كايتل ــ على ما رواه فيما بعــد ــ وخف لتلبية النــداء قائلا :

« ما الذي تأمره يا زعيمي ؟»٠

فتهللت اسارير هتلر بابتسامة خصه بها واجابه:

« لا شيء ابدا ٠ كل ما اردته ان تكون هنا قريبا مني»٠

ويبدو من تفاصيل الواقعة ان هتلر أجرى هــذه التمثيلية البارعة لمجرد الايحاء لشوشنيغ بأن القضية يمكن ان تتطور الى العــدوان المسلح على النمسا ٠ وكان هــذا دور الفرقاء الثلاثة الذين دعوا الى برختســغادن في ١٢ شباط ١٩٣٨ ٠ وقد كانت هذه الحادثة من جملة القضايا التي شكلت عناصر الاتهام في محاكمات نورمبرغ بدعوى ممارسة (وسائل الضغط القسرية)وهي تهمة جعلت انا ايضا من ضمن المسؤولين عن ممارستها٠

عندما وصل الموقف الى هذا الحد من التوتر توجه نحوي شوشنيغ وشميت برجاء التدخل ٠ فقلت لهتلر ان القضية لا يمكن ان تتم بهذه الطريقة نظرا لأن المستشار النمسوي لا يحق له اتخاذ الاجراءات المطلوبة لاسباب دستورية فهو ليس من حقه مثلا اقالة أي وزير أو تعيين أي شخص بمنصب وزير ولذا يجب عليه السفر الى بلاده واستحصال موافقة رئيس جمهورية النمسا٠ اما اذا لم يضمن المستشار النمسوي امكانية الحصول على الحد الاعلى من الطلبات الالمانية فانني اتعهد بالمســاهمة معه في اقناع الرئيس النمسوي واستحصال موافقته٠ فوافق هتلر على هذا الرأي٠ وسرعان مــا وجدت نفسي في خضم مأزق المفاوضات المطولة مع شوشنيغ وشميت اللذين اقنعتهما بوجوب عدم اهمال المباديء الواردة في اتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦ ٠ واخيرا توصلنا الى صيغة مرضية للطرفين تتوضح فيها طلبات المانيا المدرجة في مسودة كيلر ويمكن ان تكون مقبولة لدى المسؤولين النمسويين ٠

وتضمنت الصيغة المقترحة ما يلي:

ان البروتوكول الصادر نتيجة لمحادثات برختسغادن في ١٢ شباط ١٩٣٨ والذي تسميه المانيا (صيغة كيلر) يتضمن الفقرات التالية :

١ ـ ان الموعد النهائي الذي حددته المانيا بتاريخ لا يتجاوز ١٨ شباط ١٩٣٨ يقتصر على تعيين زايس واشراك النازيين بالجبهة الوطنية .. الخ . واصدار العفو العام ووضع الاسس المالية وتنسيق تعاون الصحافة.

٢ ـ ان الفقرة (٢،آ) المتعلقة بالسياسة الخارجية قد أبدلت في التحديد النهائي الى (اجراء المشاورات الدبلوماسية) بدلا عن (الاستئناس برأي حكومة المانيا) وتضاف لها عبارة (وتحصل النمسا على الاسناد الدبلوماسي والمعنوي وتأييد الصحافة سياسيا بالقدر الممكن من المانيا).

٣ ـ ان الفقرة (٢،ب) تتضمن اعتراف النمسا بالحركة الاشتراكية الوطنية وتضمن حكومة النمسا (عدم اتخاذ اية اجراءات من شأنها منع افراد الحزب النازي من ممارسة نشاطاتهم السياسية) وتعتمد التفاصيل الواردة بالبروتوكول الملحق بهذه الوثيقة ويمكن عند وصف مجال اشتغال زايس انكورات تبديل كلمة (الحركة) بكلمة (النازيين) اينما وردت فيه .

٤ ـ ان الفقرة (٢،د) من المسودة الالمانية تتضمن اصدار العفو العام المبينة تفاصيله في البروتوكول الملحق بها وهي تشمل الاشخاص الذين صدرت بحقهم عقوبات في النمسا فقط.

٥ ـ ان الفقرة (٢،ز) من المسودة الالمانية تتضمن اعادة الثقة للصحافة باقالة الوزير لودفيغ بآخر يحل محله وكذلك تنحية العقيد آدم عن عضوية مجلس شورى الدولة ولا يتضمن البروتوكول الملحق بالمسودة هذين الاسمين وانما يشير الى وجوب تعيين الدكتور فولف بمنصب وزاري.

٦ ـ تتضمن الفقرة (٢، ح، اولا) طلب تعيين الوزير الاتحادي غلايزه هورستيناو وزيرا للدفاع والمطلوب ما مبين في الفقرة (٢،ح، اولا) من

البروتوكول بجعله رئيسا لأركان الجيش.

٧ ــ تتضمن الفقرة (٢، ح، ثانيا) من المسودة تحديد عدد الضباط الذين يتم تبادلهم بين الجيشين بـ ١٠٠ ضابط ويؤكد البروتوكول تحديد نفس العدد.

٨ ــ تتحدث الفقرة (٢،ي) من المسودة عن «الاستحضارات لقبول النمسا في النظام الاقتصادي الالماني» ولتحقيق هذا الغرض فليس من الضروري جعل الدكتور فيشبوك بمنصب وزير المالية وانما يكون بمنصب يتيح له امكانية اتخاذ الاجراءات الضرورية بهذا الشأن.

٩ ــ يتضمن البروتوكول مجرد الاشارة للاستحضارات التامة في التبادل الاقتصادي وسيكون الدكتور فيشبوك في المنصب المناسب لتحقيق هذا الغرض دون الحاجة للاشارة الى أي فرد ذي منصب معين يمكن ان يساهم معه في تنفيذ الغرض المذكور.

ويلاحظ مما ذكر آنفا عدم وجود أي رفض واضح لتدخل النازيين النمسويين في مسائل النمسا الداخلية . كما انها لا تتضمن رفض الطلب «بعدم اتخاذ اجراءات لمنع الحركة النازية من ممارسة تأثيراتها» وانما اقتصرت ــ كما حصل في اتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦ ــ على طلب قبول بعض النازيين في الجبهة الوطنية وفي الحكومة وفي بعض المؤسسات . واقتصر طلب اصدار العفو العام على النازيين المقيمين بالنمسا فقط. وبذا فقد استمر منع رجوع النازيين النمسويين المقيمين في المانيا من العودة الى بلادهم.

وسوف لن يكون الفريق غلايزه هورستيناو وزيرا للدفاع وانما سيكون رئيسا لأركان الجيش . وسوف لن يكون الدكتور فيشبوك وزيرا للمالية وانما بمنصب يؤهله لاتخاذ التدابير الاقتصادية المطلوبة . والطلب الاصلي الوحيد الذي تم اقراره هو تعيين الدكتور زايس انكوارت وزيرا للداخلية. وهذا معناه عدم تضحية فون شوشنيغ بشيء لأن هذا المنصب كان يشغله الفريق غلايزه هورستيناو . والتضحية الوحيدة التي بذلها المستشار

النمسوي هي جعل جهاز الشرطة خاضعا لوزير الداخلية الجديد .

بعد ان اتفق معنا شوشنيغ على هذه التعديلات فسيتوقف اقرارها على مدى تمثيل زايس انكوارت لمصالح النمسا او احتمال خيانته لنا . وقد ابدى زايس من جانبه تأييدا لرأي المستشار النمسوي في عدم احتمال حصول أي تغيير جوهري في ادارة قوة الامن الداخلي. كما وافق زايس انكوارت من حيث المبدأ على بقاء مدير الشرطة العام سكوبل الذي يتمتع بثقة المستشار الاتحادي بمنصبه. وقد اقسم سكوبل بعدئذ عند ادلائه بالشهادة في محاكمة شميت بأن زايس انكوارت لم يجر أية تغييرات في جهاز الشرطة وان الجهاز المذكور بقي على ما كان عليه من قبل.

ولما اراد المستشار النمسوي استئناف محادثاته مع هتلر بعد ان فرغ من اعداد المسودة المعدلة معي ومع وزير خارجيته شميت أصخت السمع لحديثهما ففهمت ان تدخلي كان ضروريا لاصلاح الحال . ثم ما لبثت ان ولجت الى مكتب هتلر دون استدعاء منه فوجدته بحالة طبيعية ولم يعد يوجه لضيفه أي اتهام وليس لديه أي شعور بالتناقض مع التأريخ الالماني او التحسب من تحمل المسؤولية المشتركة وقلت له:

« انني اعرف المستشار الاتحادي منذ اربعة اعوام بحكم اشتغالي ويمكنني الجزم بأنه يفكر ويشعر بألمانيته مثلكم تماما ولا تكمن الفروق الحاصلة بينكما في وجود بون شاسع بين مستويي ادراككما المشترك للقضية الألمانية وانما تكمن بصورة أشد في نظرتيكما للخطوط العامة للسياسة الدولية حيث يحق لمن يمثل دولته ذات السيادة ان يؤدي واجباته تجاهها ويفكر بمصالحها».

بدت عبارتي هذه مفاجئة لهتلر فأجابني قائلا:

« نعم ولكنك نفسك اقدمت يا سيد فون پاپن على التضحية في سبيل المانيا عندما قبلت في ساعة تأريخية حاسمة تكليف الرئيس فون هندنبورغ بالاشتراك في حكومة اكون انا رئيسها وسيعتبر السيد فون شوشنيغ من الالمان العظماء ايضا في التأريخ الالماني عندما يصافح يدي الممدودة اليه في

سبيل اقامة علاقات جديدة بين النمسا والمانيا ».

فعقبت على قوله:

« هذا صحيح يا زعيمي فأنا ارى ايضا بأن الموقف السياسي في اوربا الوسطى يتطلب ان تلعب المانيا دورها التأريخي وهي محققة لأقرب اتحاد ممكن مع النمسا . وكنتم على الـدوام متفقين معي بالرأي بأن التقـارب النمسوي الالماني لا يتم عن طريق اللجوء للوسائل القسرية وانما يجب ان ينبثق عن رغبة صميمية نابعة من اعماق افئدة كلا الطرفين . فلماذا نضطر اليوم وبصورة مفاجئة للجوء الى القوة فأمنحوا المستشـار وقتا آخـر ولا تطالبوه بأشياء لا يمكن ان يحققها لوحده ».

وهكذا تفرقنا ثانية من اجل اعطاء شوشنيغ وقتا اضافيا لتدبر أمره.

وقد ذكر فون شوشنيغ فيما بعد بكتابه «صلاة على روح الاحمر أبيض أحمر » سرد شامل لتلك المقـابلة واعترف بأنني انا السفير الالماني في ڤينا قمت بدور المدافع عنه ازاء هتلر ولكن اعترافه كان مبتورا ومشوها. ألا انه مع ذلك اعترف على الاقل بأنه قابل هتلر بعد نصف ساعة وان هذا قال له:

« لقد اتخذت قرارا للمرة الاولى في حياتي باعادة النظر في قرار سبق ان اتخذته».

وهكذا تحطم الجليد حيث ان المقصود بعبارة «القرار الذي سبق ان اتخذه» هو اصدار الامر للقوات المسلحة بالتقدم نحو النمسا واحتلالها في حالة فشل المفاوضات.

وبذا فقد انفتح السبيل للتوصل الى تفاهم سلمي بين البلدين . وبقيت المشكلة الرئيسة تتمثل بالشك في مدى اخلاص الدكتور زايس انكوارت لالمانيا . فعلى الرغم من موافقة النمسويين على تعيين الرجل بمنصب وزير داخلية بلاده الا ان هتلر بدأ يستوثق الآن من موقف الرجل . وكان قـد استدعاني اليه وسألني:

« ما الذي تعرفه عن زايس هذا ؟ فأنا لا أعرفه قط . ثم انه ليس نازيا »
ومن الواضح جدا ان تساؤله هذا كان مناورة جديدة لجأ اليها للتأكد من موقف زايس انكوارت فهو رجل معروف لديه تماما بطبيعة الحال . ولكنه الآن وبعد ان ضمن تحقيق كل طلباته فقد أراد أن يرى رجلا متطرفا اكثر من زايس انكوارت بمنصب وزير داخلية النمسا.

ولقد حاولت وصف زايس انكوارت لهتلر كقومي متحمس على الرغم من ان وصفي هذا ينطوي على كذبة دبلوماسية ضرورية . ذلك لأنني اعرف الرجل بصفته محافظ معتدل وارغب كثيرا في رؤيته وهو يتبوأ هذا المنصب الرفيع. وفي تلك اللحظة تذكرت حديثي الذي اجريته صباح ذلك اليوم مع الدكتور ميوهلمان فقلت لهتلر :

« ويمكنني ان اؤكد لكم هذا الرأي بالاستئناس برأي نازي نمسوي ربما يمكن ان يعرض لكم صورة واضحة عن الدكتور زايس انكوارت».
فأستدعى هتلر الدكتور ميوهلمان اليه فورا . ويبدو ان وصفه للرجل كان مرضيا لهتلر مما جعله يكف عن التظاهر بمقاومة فكرة تعيين الدكتور زايس انكوارت وزيراً لداخلية النمسا .

وعلى الرغم من هدوء فون شوشنيغ وشميت لارتياح هتلر الا انهما تعجبا من سلوكه هذا وابديا فيما بعد تعجبهما لوجود الدكتور ميوهلمان في برختسغادن والذي تحدثت عن ظروف وصوله الى هناك آنفا . وقد أثيرت قضية وجوده في محاكمة شميت فشهد تسرناتو بأن الدكتور ميوهلمان كان مخبراء كما اقسم الدكتور زايس انكوارت فيما بعد بأن الدكتور ميوهلمان كان يتلقى المعلومات الضرورية بشأن مؤتمر برختسغادن من كيبلر . أما ادعاء فون شوشنيغ بأنني اخللت بالاتفاق على كتمان لقائه مع هتلر فليس هناك ما يثبت ادعائه.

تم الاتفاق على جميع النقاط المختلف عليها في ساعة متأخرة من الليل فوقع هتلر وفون شوشنيغ على محضر الاجتماع . ثم ما لبثت أن علمت بأن

الضيفين النمسويين اعتذرا بأدب عن قبول دعوة هتلر لهما لتناول العشاء معـه .

وقد رجعت معهما الى زالتسبورغ فوصلناها زهاء الساعة الحـادية عشرة ليلا وكان ان ران على الرجلين صمت مطبق طوال الرحلة . وواضح ان فون شوشنيغ لم يشأ التحدث الى رفيقه بحضوري ولكنني حـاولت التسرية عنهما فقلت لشوشنيغ :

« وهكذا اصبحت لديك تجربة عن مدى صعوبة التفاوض مع هـذا الرجل العنيد وقد سبق ان قلت لكم دوما ان الساعة هي الثانية عشرة الا خمس دقائق[٤] » .

وقلت في نفسي لو ان شوشنيغ كان يعرف هتلر بصورة افضل لتصرف بصفته نظيره ولحافظ على سيادة بلده ولكانت المأساة التي تعرض لها اهون مما حصل له فعلا . والمهم جدا هو ان شوشنيغ حتى بعد لقائه بهتلر لم يكن ملزما بشيء ابداء اذ انه لو ادرك مدى الاجحاف الذي لحق بالنمسا نتيجة لعقد الاتفاقية المقترحة ـ كما زعم فيما بعد ـ لاقدم في الصباح على تقديم استقالته ولتقدم لرئيس جمهوريته برجاء لرفض المطالب الألمانيـة وتشكيل حكومة جديدة .

بقيت امام الحكومة النمسوية فرصة امدهـا خمسة ايام عليها تنفيذ طلبات هتلر خلالها وقد اظهر موقف الدول الغربية من الضغط الالماني على النمسا وقوف ايطاليا وراء المانيا . ولم تكترث بريطانيا لقضية النمسا .

الا ان فرنسا وحدها أبدت استعدادها للوقوف الى جانب النمسا . واتخذ رئيس جمهورية النمسا قراره بقبول الطلبات الألمانية وأشعرت برلين بهذه الموافقة في ١٥ شباط ١٩٣٨ بصورة رسمية . وفي ١٨ منه تم اخبار برلين بانجاز جميع الطلبات السياسية وأعلن في اليوم نفسه في كل من فينا

---

(٤) ان تعبير (الثانية عشرة الا خمس دقائق) هو كناية شـائعة في اوربا عن الواقعة الخطيرة الوشيكة الحدوث . ويقصـد المؤلف ان هتلر يعتزم امرا خطيرا وسينفذه خلال فترة قصيرة . ـ المترجم ـ

وبرلين عن الاتفاقية المبرمة نتيجة لمحادثات برختسغادن .

بانعقاد لقــاء برختسغادن وقبول التسوية المطروحة من قبل المانيــا وصلت مهمتي في ڤينا الى نهايتهــا، وهكذا قــام رئيس جمهورية النمسا وحكومتها بدعوتنا الى وليمة فطور وداعيــة، ولكننا اذا ما تذكرنا مدى شراسة هتلر ومدى شغفه بالمناكفة لاعطينا الحق لمضيفي سفير هتلر الذي وجب عليهم توديعه لدواع رسمية محضة تفرضهــا المجاملة بين البشر ان يعاملوه بجفــاء أو على الأقل بتكلف ظاهر . لكن الذي حصل فعلا كان على العكس من ذلك تماما . اذ لم يبد رئيس الجمهورية المحترم ڤيلهلم ميكلاس واعضاء حكومته المجاملات المألوفة فحسب وانما غمرونا بعطف ولطف يتعذر وصفهما، وقد فاجأني الرئيس النمسوي بالانعام علي بأرفع وسام تقديرا لجهودي الاستثنائية خلال السنوات الاربع المنصرمة في سبيل توطيد العلاقات بين البلدين . ومع انه من المألوف تقريبا في جميع ارجاء العالم ان يمنح رئيس البعثة الدبولماسية وساما رفيعا من البلد المضيف لقاء خدماته ولكنني شعرت بالجميل الذي طوقني به القوم عندما قال لي وزير الخارجية غويدو شميت في تلك المناسبة ان اعضاء الحكومة ايدوا بالاجماع مقترح منحي ذلك الوسام الرفيع، ولما رفع الرئيس كأسه ليشرب نخبي همس بأذني وزير الخارجية النمسوي:

« كيف ستكون الحال لو ارسلناك سفيرا لنا في برلين ؟ ».

فسمعت زوجتي تلك العبارة واجابت عني:

« سيكون ذلك التكليف مدعاة سرور عظيم لزوجي بكل تأكيد ».

وكان أن غمرنا أنــا وزوجتي في تلك الأيام بكثير من الهدايا الوداعيــة التي انثالت علينا بشكل جعلنا نتناسى صعوبة البداية للمهمة التي انجزتهــا تــوا .

وحمدنا الله كثيرا على كسب ذلك العدد الوفير من الأصدقاء النمسويين.

ندر أن القى هتلر كلمــة بعــد توتر شــديد كالخطاب الذي القاه في ٢٠ شباط ١٩٣٨ والذي قال فيه:

« يسعدني كثيرا ان اخبركم ايها السادة بحصول تفاهم آخر خلال الايام القليلة الماضية مع بلد قريب منا لاسباب كثيرة . فالمانيا والنمسا الالمانية لا تتقاربان لمجرد ان لهما شعب واحد، وانما لأن لهما تاريخ مشترك وثقافة مشتركة ايضا.

فقد تمكنا من التغلب على الصعوبات التي ظهرت عند تنفيذ اتفاقية تموز ١٩٣٦ وأجرينا محاولة جديدة لازالة سوء الفهم والمعوقات عن طريق التعاون السلمي، ولو لم تفلح في ذلك لجاء يوم ـ سواء عن قصد أو غير قصد ـ يتفاقم به الموقف بيننا بحيث يمكن ان يؤدي لوقوع كارثة.

وانني لمسرور لتمكني من التأكيد لكم بأن هذا المجهود قد تم نتيجة لقيامي بتوجيه دعوة للسيد المستشار الاتحادي للمنسا لزيارتي فتوصلنا سوية الى توحيد الافكار ووجهات النظر لازالة التوتر في العلاقات القائمة بين بلدينا، واصبح بمقدور أي مواطن نمسوي ان يجاهر بانتمائه للنازية دون ان يخشى الملاحقة القانونية ولا يؤثر هذا الانتماء على وضعه السياسي شأنه في ذلك شأن أي مواطن آخر من النمسويين الالمان.

وقد تم الاتفاق لتطبيق هذه الخطوات الايجابية على اصدار عفو عام لأثبات حسن النوايا بين البلدين وكنتيجة للتعاون الوثيق واثباتا لروح الصداقة القائمة وتوسيع الفعاليات المشتركة في مجالات كثيرة ـ في المجالات السياسية والشخصية والأقتصادية ـ كل هذا بروح وبنطاق اتفاقية ١١ تموز ١٩٣٦ .

وأود بهذه المناسبة ان اشكر المستشار النمسوي امام الأمة الالمانية لحسن تفهمه ولحماسه في التعاون وقبوله لدعوتي ولمحاولته معي ايجاد الطرق المؤدية لأفضل تعاون بين بلدينا خدمة لأمتنا الألمانية التي نحن جميعا من أبنائها وخدمة لوطننا الذي ترعرعنا في ربوعه » .

ومع أن الأذاعة النمسوية بثت نص الخطاب في حينه الا أن فون شوشنيغ أقدم على كتابة نص مغاير في كتابه المذكور آنفا فأورد القطعة التالية:

« لم تعد الامة الالمانية راغبة في رؤية عشرة ملايين الماني يعانون من الاضطهاد وقد نفذ صبرها ... ومن دواعي السرور ان المستشار الاتحادي للنمسا اظهر وجهة نظر أدت الى التوصل لعقد اتفاق مرض مع النمسا».

وهـــذا التحريف لا يليق برجل دولة كان يشغل منصب رئيس وزراء بلاده. ونقرأ في الجزء الاول من مذكرات تشرشل النص الآتي:

« ليس هناك بالنسبة للانكليز والامريكان أي نموذج للتضليل والنفاق أشــد من الموقف الذي يحاولون به التأثير على الرجال والنساء الأذكياء في البلدان الحرة بشكل اكثر من ميلهم لرد الفعل بازدراء مكشوف ».

لقد جرت كل هذه التحريفات المفضوحة بعد اثنتا عشرة سنة من تاريخ القاء هتلر لذلك الخطاب. وانا أزعم هنا بأن هتلر كان جادا بكلماته وانه كان يقصد كل كلمــة قالها ، ذلك لأنه كان مســرورا بشكل وحشي للنجاح الذي حققه.

فقد اقترب من آماله بفضل مناورته الذكية دون ان يضطر على اللجوء لاستعمال القوة ، ومن المؤكد انه كان يأمل تسهيل المضي في مسلكه من خلال اطراء المستشار النمسوي والمبالغة في مدحه. ويعتقد غويدو شميت ــ الذي يعرف تفاصيل القضية افضل من تشرشل ــ ان خطــاب هتلر كان مرضيا وكذلك كان رأي صديقه وشاهده في القضية التي حوكم عنها الدكتور ماير.

بعد اربعة ايام من القاء هتلر لخطــابه اتخذ شوشنيغ قراره باصدار جواب على الخطاب. فذكر ان خطاب هتلر كان جيدا وانه كان وديا بالنسبة للمستشار النمسوي.

ولو لم تكن خطبة هتلر متسقة مع نهج شوشنيغ السياسي او انها لم تحقق له كسب الوقت لما ايدها بهذه الحرارة ، الا انه أراد ان يستفيد من صداها على اية حال.

احتشدت قاعة مجلس النواب النمسوي بكل الاعضاء وحضر جميع ممثلي الهيئات الدبلوماسية الاجنبية ، وقام افراد من الجبهة الوطنية باحتلال

الشوارع والساحات بقصد اظهار مدى قوة حركتهم وكنت اتمنى لشوشنيغ ان يتخلص من التأثير الشديد الذي وقع عليه خلال الايام القليلة المنصرمة والقلق الذي عانى منه خلال تلك الفترة لكي يبدو بهذه المناسبة في حالة طبيعية • وقد سمعته يخطب قائلا •

« وعلى الرغم من كل الجهود المبذولة للتصرف بعفوية فاننا لم تفلح في ازالة التوتر المخيم على كل من المانيا والنمسا منذ سنين عديدة • وقد أصبحت هذه الحالة غير الطبيعية مقلقة للامة الالمانية لدرجة لا تطاق»•

أما عن محادثاته في برختسغادن فقد قال شوشنيغ :

« نحن نعرف تماما بأننا الآن مقيدون بالحدود المعلومة لبلادنا وليس لنا ان تتجاوزها • ويبدو اننا لا يمكن ان نبقى بهذه الحال وان علينا مراجعة موقفنا مرة أخرى لكي نبقى محافظين على شخصية بلدنا واستقلاله دون ادنى شك• فبلدنا هو نقطة المركز لصورة اوربا الشاملة وهذه حقيقة لا سبيل لتجاهلها » •

وقد بينت لهتلر في تقريري الذي رفعته اليه مساء ٢٤ شباط ١٩٣٨ بأن من الضروري لنا تحريك المستشار النمسوي لكي نجنبه الوقوع تحت ضغوط (القوى الوحشية المؤثرة) حيث اصبح من المهم تصحيح موقفه:

وان اختتام البعثة الدبلوماسية الالمانية في ڤينا لمهماتها الرسمية ينبغي الا يؤدي الى تمادي المستشار النمسوي بالتشكيك بنوايا المانيا • ورجوت في ذلك التقرير الاخير التنبيه الى خطورة المسلك الذي شرع المستشار النمسوي بممارسته ضد المانيا لأن خطابه الملمع عنه آنفا كان مفعما بالمناهضة لالمانيا •

في ٢١ شباط ١٩٣٨ كان قد جرى لقاء سري بين هتلر وغورنغ وكيلر وليوپولد • وقد وجه فيه هتلر اتهاما الى ليوپولد لممارسته سياسة غير مسؤولة وهي سياسة ادت الى احباط الثورة الالمانية في النمسا وتعذر تقديم القوات الالمانية لاحتلال النمساء ويبدو ان جميع الصعوبات التي سبق ان ظهرت في مؤتمر برختسغادن قد أزيلت الآن • أما ليوپولد فقد دافع عن نفسه

لكن هتلر قال ان علاقات المانيا مع النمسا يجب ان توضع الآن وفق اسس جديدة وعليه فانه يرى ضرورة تحول ليوپولد وكبار اعوانه للاقامة في المانيا. وان قيادة الحزب النازي النمسوي يجب ان تعهد الى هوبرت كلاوزنر. ويجب امتناع الحزب المذكور عن ممارسة اية فعاليات مناهضة للنظام النمسوي مستقبلا • ثم ذكر هتلر بأن زايس انكوارت تولى مهمة عسيرة جدا ويجب ان يحظى باسناد الحزب النازي النمسوي لتسهيل قيامه بمهمته. ويجب ان يكون مفهوما بأن زايس انكوارت ربما سيضطر لاصدار اوامر باعتقال بعض اعضاء الحزب النازي. وعندما نقرأ تصورات هتلر وغورنغ هذه فلا يمكننا الزعم بأنهما كانا يفكران بالعمل على تحقيق الوحدة باللجوء للوسائل القسرية خلال فترة وجيزة كما زعم شوشنيغ في معرض دفاعه عن سياسته.

في ٢٦ شباط ١٩٣٨ قمت بزيارتي الرسمية الوداعية للمستشار الاتحادي. وخضنا في تلك الزيارة احاديث اتسمت بتبادل المجاملات والعبارات المهذبة. وقد تطرقت مرة أخرى بهذه المناسبة الى خطورة الموقف وضرورة الوصول الى نتيجة مشرفة للتخلص من التوتر السائد.
وبينما كانت البعثة الدبلوماسية الالمانية تتمع باللطف النمسوي والتمنيات الحارة كان هناك من يندب حظ النمسا العاثر لتفريطها باستقلالها ـ ولو انها كلمة حق أريد بها الباطل ـ وكان الفرنسيون هذه المرة هم حملة راية الاعتراض.

وكنت قد حاولت طوال أربعة أعوام ازالة المشاكل القائمة بين المانيا والنمسا بابعادها عن الميدان الاوربي وجعلها مشاكل داخلية تحل بين البلدين وحدهما.

ولابد لي ان اتأسف لأن هذه المشاكل تحولت الى المجال الاوربي. ووجب على المستشار النمسوي ان يتدخل لأن أي استقلال نمسوي يتحقق بفضل التدخل الفرنسي والتشيكوسلوفاكي لابد ان يؤدي الى خيبة أمل جديدة تصيب الالمان وان مثل هذه الاعتراضات يمكن ان تسبب تبادل

البغضاء لدرجة قد تصل الى حد التهديد. واخيرا فان هذه الملابسات كلها ستكون من المآسي القومية التي تصيب الامة الالمانية كلها بالصميم. ولما أوضحت كل هذه الأفكار للمستشار النمسوي فون شوشنيغ آكد لي تفهمه لها واخذ كل هذه الاعتبارات في حساباته.

غادرت ڤينا في مساء اليوم ذاته لكي اصل الى كيتزبيوهل فأتوقف هناك لفترة قصيرة قبل عودتي الى المانيا . وفي كيتز بيوهل قابلت غراف كاغينيك الذي كان من اقرب أعواني خلال فترة اشتغالي نائبا للمستشار وعمل ممثلا لي ببرلين خلال فترة اشتغالي سفيرا في ڤينا . ثم ما لبث ان لحق بنا ڤيلهلم كيتيلر وكان الاخير بناء على تكليفي له في مساء ٤ شباط ١٩٣٨ قد جمع كل الوثائق المهمة والتقارير التي سبق ان تداولتها بحكم اشغالي لمنصبي في ڤينا طوال السنوات الاربع المنصرمة مع الحكومة النمسوية لكي أقوم بحفظها في مكان امين دون ان تنالها ايدي رجال الشرطة السرية للدولة.

وبعد بضعة ايام من التظاهر بالتزحلق على الجليد سافر كيتيلروكاغينيك الى سويسرا سوية سرا واودعا تلك الوثائق في خزانة امينة لأحد مصارفها. أما انا فقد رجعت الى ڤينا في ٨ آذار ١٩٣٨ للاشراف على تنقل الأسرةونقل العفش. وفي اليوم التالي فاجأنا فون شوشنيغ باجراء استفتاء عام بينما لم تعد لي في تلك الفترة اية صفة رسمية ولكنني فكرت بأن واجبي القومي يفرض علي التدخل بعد ان تطور الموقف واصبح في غاية الخطورة.

كان السيد فول غروبر المبعوث الدبلوماسي النمسوي في باريس قد كتب تقريرا مطولا منذ ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٨ الى المستشار فون شوشنيغ خلاصته وصف شامل للمأزق الذي زجت الحكومة الفرنسية نفسها فيه. وجاء فيه ما يلي:

« انني بناء على المناسبات المتاحة قد درست الانطباع الحاصل لدى الحكومة الفرنسية وايضاحات وزير الخارجية ورئيس الوزراء بشأن مسألة استقلال النمسا وحرصهم على معالجة الموقف بالوسائل الدبلوماسية. وتوصلت الى الاستنتاج الجازم بأن هذه الايضاحات ربما ستتطور نتائجها الى حد

قيام حرب ولذا فان القضية التي نحن بصددها يمكن ان تهدد السلام».

وفي ٧ آذار ١٩٣٨ تلقى المستشار النمسوي تقريرا لاحقا من مبعوثه الدبلوماسي المذكور يتضمن مقابلته للسيد ليجيه وكيل وزارة الخارجية الفرنسية الذي يعتبر العقل المفكر لسياسة فرنسا الخارجية آنذاك . حيث طلب الى المبعوث النمسوي اخبار فون شوشنيغ بأن فرنسا لا تؤيد سياسته التي يتقرب بها من المانيا لأن في هذا التقارب تهديد يدعو فرنسا لامتشاق الحسام دفاعا عن استقلال النمسا . ولكنه اكد في تقريره هذا بأنه يعتقد جازما بأن فرنسا سوف لن تتدخل باستخدام السلاح الا في حالة استعمال المانيا للقوة في تحقيق الوحدة مع النمسا أي في حالة مقاومة الشعب النمسوي. ذلك لأن اولئك الساسة الفرنسيين تصوروا بأن الشعب النمسوي مؤلف من افراد الحكومة وعدد ضئيل من الدبلوماسيين . وقد ذكر الدبلوماسي النمسوي في تقريره المذكور ايضا:

« لقد ازدادت مخاوف الفرنسيين في الآونة الاخيرة بعد وصول انباء الخطبة الاخيرة التي القاها المستشار النمسوي الى باريس . وعليه فقد عرضت الحكومة الفرنسية هذا الموقف الجديد على مجلس النواب الفرنسي» وليس للمرء ان يتوقع شر اشد من هذا الموقف الذي يمكن ان يتمخض عن اعلان الحرب او التعرض للتهديد السافر على الاقل بتأثير من البرلمان الفرنسي. وقد خلص الدبلوماسي النمسوي في ختام تقريره قائلا بأن فون شوشنيغ اذا ما شعر بالخطر وتأكد بأن اغلبية الشعب النمسوي تقف ورائه فانه سيجد فرنسا جاهزة للتدخل لصالحه ضد المانيا.

ومع ان هذا الزعم لم تثبت صحته تأريخيا الا انه بدى من الواضح بأن السيد پواييه المبعوث الدبلوماسي الفرنسي في ڤينا كان صديقا مقربا للمستشار النمسوي وانه هو الذي اوحى له بضرورة اجراء الاستفتاء الشعبي لكي يحصل على الاسناد الفرنسي المنتظر. وعليه فان فون شوشنيغ يعتبر مسؤولا مسؤولية تامة عن اثارة مسألة الاستفتاء الشعبي التي لا موجب لها في تلك المرحلة الدقيقة من تأريخ النمسا. ويجب ايضا ان نشير بهذه

المناسبة الى ان الحكومة الفرنسية تشترك معه في تحمل تلك المسؤولية.

في ٩ آذار ١٩٣٨ سافر المستشار الاتحادي الى انسبروك لكي يقوم بالدعاية الانتخابية لصالح الجبهة الوطنية ودعا جميع النمسويين الى التمسك باستقلال بلادهم والمطالبة باعتراف المانيا به .

ثم ان اجراء أي استفتاء شعبي لا يمكن أن يتم بموجب الدستور النمسوي الا بطلب من رئيس الجمهورية وبقرار من البرلمان النمسوي ولم يطلب الرئيس كما لم يقرر البرلمان اجراء الاستفتاء الذي أراده فون شوشنيغ.

أضف الى ذلك ان رد فعل هتلر ــ الذي لم يكن قد انجلى بعد ــ لابد ان يكون عنيفا لأن اجراء الاستفتاء الشعبي قد ينطوي على محاولة بسيطة لتقويض نتائج مؤتمر برختسغادن .

انصرف اهتمامي بشأن هذه القضية نحو اتجاهين . اولهما العمل على تأجيل الاستفتاء العام والآخر هو وضع ترتيب جديد للاقتراع بحيث يتماشى مع اغراض هتلر ولكن دون التضحية بالمستشار فون شوشنيغ.

وأردت تحقيق كلا الهدفين بالايحاء للمستشار النمسوي ــ بصورة غير رسمية ــ لاصدار بيان بالشكل التالي:

« نحن نريد للنمسا ان تكون المانية وأن تكون حرة ومستقلة واشتراكية وان تعمل بتعاون وثيق مع المانيا ».

وقد حظيت هذه الصيغة بتأييد النازيين واعضاء الجبهة الوطنية.

الا ان شوشنيغ رفض اصدار البيان المقترح. فما الذي يجب ان اقوم به؟ لقد قال غويدو شميت للسيد فون شتاين الذي تم تنسيبه للعمل معه بأن مسألة التصويت الشعبي يمكن ان تكون مسألة نمسوية داخلية بحتة وليس لها أي تأثير على السياسة الخارجية. أما اصدقائي الدبلوماسيين فلا ينتظر ان يحقق ايا منهم تأثيرا على فون شوشنيغ. وكان المبعوث الفرنسي السيد بوابيه في غاية السعادة. اما موسوليني فانه عندما سأله فون شوشنيغ

ابداء الرأي اجابه بصراحة :

« ان القنبلة التي اعددتها ستنفجر في كفك ».

ولكن يبدو ان المستشار النمسوي لم يقبل بتلك النصيحة.

وأخيرا فان فون شوشنيغ كان زعيما مسؤولا عن بلد ذا سيادة ، وليس باستطاعة احد أن يجبره على التصرف بأية وسيلة كانت. الا ان النازيين النمسويين تلقوا تشجيعا على خوض معمعة جديدة ضد المستشار النمسوي من المستشار الالماني ولو انه كان تشجيعا غير مباشر . ومع انني كنت متحمسا في التصدي للاستفتاء الشعبي الذي عزم المستشار النمسوي على اجرائه.

الا ان انتقادي هذا كان رد فعل شخصي حرصا مني على موقف النمسا وتطلعا نحو دورها في مستقبل الامة الالمانية . ذلك لأن نظرة فون شوشنيغ لدور النمسا في السياسة الدولية تختلف تمام الاختلاف عن نظرتي لذلك الدور .

علمت فيما بعد ان هتلر اوعز الى زايس أنكوارت في ١١ آذار ١٩٣٨ التقدم للمستشار فون شوشنيغ برجاء لتأجيل الاستفتاء الشعبي.

ومن الطبيعي ان هذا الرجاء اتخذ صفة التدخل بالشؤون النمسوية بدرجة قلت أم كثرت . وعليه فان المستشار فون شوشنيغ رفض التأجيل الذي اقترحه هتلر .

بعد يومين من ذلك التأريخ تلقيت نداء هاتفيا يتضمن امرا من هتلر بوجوب سفري الى برلين فورا لمقابلته . ولما كان الوقت مساء ولم تتيسر طيارة لنقلي فقد أخبرت بأنني سوف احضر الى دار المستشارية ببرلين قبل الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي. وكنت اجهل سبب الاستدعاء. وخمنت ان هتلر اما انه يود ابعادي عن مجال نشاطه المركز خشية ان اكون من ضمن العاملين على احباط مساعيه. او انه يريد ان يسمع مشورتي في قضية معينة. وفي الحالة الاخيرة ستتاح لي فرصة طيبة للتوصل معه الى تسوية لاسيما وانني صرت ضجرا من بقائي في ڤينا.

تحركت بالسيارة في الصباح الباكر الى مطـار ڤينا وكان ذلك اليوم يوم جمعة اشتدت به درجة الرطوبة وتكاثف الضباب لدرجة غير مألوفة وكان يوما لا أنساه ما حييت • وما أن آزفت الساعة التاسـعة صباحا ولجت دار المستشارية ودلفت الى الصالة الا ووجدت امامي جمعا حاشداء

وكانت تلك الحالة من الحالات التي ألفتها في عهد هتلر وكنت أرقبهـا عن كثب• وعندما كانت الازمات الصعبة تحدق بالبلاد او يتطلب الامر اتخاذ قرار حاسم ابان عهد اشتغالي مستشارا لالمانيا فانني كنت ادعو الوزراء مع عدد قليل من مستشاريهم الاقربين • أما في عهد هتلر فكنت اشاهد في هذه الحالات اناسا من مختلف المشارب ومعهم عدد من الفضوليين والدهماء الذين لا علاقة لهم بالامر الذي نحن بصدده•

واذكر انني رأيت في هذه المناسبة البارون فون نويرات الذي جـاء ليمثل وزير الخارجية فون ريبنتروب نظرا لقيام الأخير بزيارة قصيرة الى لندن يودع بها المسؤولين الانكليز وكان مع فون نويرات عدد من كبار موظفي وزارة الخارجية كما شاهدت ڤيلهلم فريك وزير الداخلية ومعه وكيل وزارته والدكتور يوسف غوبلز وزير الدعاية ومعه رهط من رجا ل الصحافة والاعلام ورأيت هاينريش هملر محاطا بعدد من قادة قطعات الحماية •

وأخيراً وليس آخراً فقـد رأيت الفـريق الأول فون براوختش والفريق ڤيلهلم كايتل وعدد من ضباط الركن • وبطبيعة الحال توجه الي سؤال عن طبيعة الموقف السائد في ڤينا حال وصولي الى ذلك الاجتماع وما ان شرعت بوصف الحالة السائدة وملابساتها الا وقاطعني البارون فون نويرات قائلا :

« ألا ترى ان الحل المثالي هو تقدم هتلر ــ بالقوة العسكرية ــ نحو ڤينا؟»

ثم انني ذهبت لمقابلة هتلر بمكتبه على انفراد • وبعـد ان استقبلني استقبالا حـارا أردت أن أعرف ما يريده قبل أن أتكلم ثم حاولت أن أوضح له الأسباب التي حدت بشوشنيغ الى التكلم بهذا العنف في خطـابه المؤرخ

٢٤ شباط ١٩٣٨ وهو خطاب اثار كلا الفئتين المتناحرتين على حد سواء. وحتى الآن فانني اتصور بأن ارجاء الاستفتاء الشعبي يمكن ان ينقذالموقف. ونحن نعتقد حتى بعد انتهاء تلك المرحلة بأن الواجب كان يفرض على النمسا تجنب كل ما من شأنه اثارة النزاع. ولو اننا اوضحنا للسيد فون شوشنيغ بأن الأستفتاء الشعبي الذي يزمع اجراؤه يشكل مخالفة دستورية بالأضافة الى كونه عملية متعذرة التنفيذ عمليا فأنني على ثقة من انه سوف يؤجل العملية حتما . وعلينا في جميع الاحوال تجنب اللجوء لاستخدام القوة العسكرية لأن هذا المسلك حتى ولو لم يقابل بمقاومة جدية فلابد ان يؤدي الى سفك دماء عزيزة . وهو بالاضافة الى ذلك يعتبر من وجهة النظر التأريخية سبة تلحق بألمانيا وتسجل ضدها على مر السنين . وستخف ايطاليا والدول الاخرى المعادية لالمانيا لمساعدة النمسا وهذا موقف لا نريد التعرض له لأنه ربما يقودنا الى خوض حرب أوربية.

.حصلت على انطباع بأن هتلر تقبل وجهة نظري. وليس ادل على ذلك من قوله:

« لقد كتبت رسالة الى زايس انكوارت ضمنتها وصية طلبت منه فيها ان يبذل قصارى جهوده للعمل على تأجيل الاستفتاء الشعبي. وسوف نراقب عن كثب ما الذي يمكن ان يفعله انصارنا في ڤينا. وعلى الرغم من معرفتي لمدى حراجة الموقف الدولي الا ان هذا التدهور لا يمكن ان يستمر ».

وكان زايس انكوارت قد تلقى رسالة هتلر في صباح اليوم ذاته . وكان غلايزه هوستيناو قد عاد لتوه من برلين وليس لديه أي شك بمدى حراجة الموقف. ولو كان الوقت المحصور بين الصباح والساعة ١٤٤٥ من ذلك اليوم قد تم استغلاله للمباحثة هاتفيا بين غورنغ وڤينا ولو كان فون شوشنيغ مستعدا للتباحث آنذاك فانني على ثقة حتى الآن بأن تلك المباحثات، كانت ستؤدي للتوصل الى اتفاق مرض للطرفين.

فالعالم كله يعلم الآن بعد كشف الاسرار في محاكماتنا بنورمبرغ ان المحادثة الهاتفية بين برلين وڤينا في ذلك اليوم المصيري كانت مهمة جدا

لأن الساعات القليلة من نهار ذلك اليوم هي التي حددت مصير النمساء

فقد تولى غورنغ قيادة الطرف الألماني في المكالمات الهاتفية التي اجراها مع زايس انكوارت فأمره بالاستقالة لكي يحرج موقف شوشنيغ ويضطره على الاستقالة هو الآخر وعندئذ ستشكل حكومة نمسوية جديدة ويكلف الرئيس النمسوي ميكلاس الدكتور زايس انكوارت بتشكيل الحكومة.

ولما اعلن المستشار النمسوي بالساعة ١٤٤٥ قراره بتأجيل الاستفتاء الشعبي كان الوقت متأخرا لأن فون شوشنيغ أصبح مجردا من ثقة المانيا.

وبعد ساعة واحدة اخبر زايس انكوارت برلين بأن المستشار فون شوشنيغ قدم استقالة حكومته للرئيس النمسوي. وفي الساعة ١٧٠٠ أخبرت برلين بأن الرئيس ميكلاس كلف زايس انكوارت بتشكيل الحكومة الجديدة . وعندئذ أصدر هرمان غورنغ أوامره بأن الحكومة الجديدة يجب ان يتم تأليفها قبل الساعة ١٩٣٠ وان يكون اعضائها جميعا من النازيين. ثم اكد على طلبه هذا مهددا :

« ان الحكومة الجديدة يجب ان يتم تأليفها قبل هذا التوقيت والا فان القوة هي التي تفرض تأليفها ».

بعد ان اجرى هرمان غورنغ هذه المكالمة الهاتفية جاء الينا في الصالة الكبرى واستدعانا اليه . وكنا جميعا بلا عمل وبلا متابعة لتطورات الاحداث وكان يبدو جذلا وهو يفرك كلتا راحتيه بسرور ظاهر حيث قال:

« لقد انتهت القضية بالشكل المطلوب اذ استقال شوشنيغ وسيشكل الحكومة الجديدة زايس انكوارت من اشخاص نثق بهم ».

عندئذ خففت نحو هتلر وقلت له:

« هاقد تحققت كل طلباتكم . والآن ارجوكم بحق السماء ايقاف الاجراءات المتخذة للتقدم نحو النمسا بالجيش الالماني. لأن كل شيء سيتم سلميا ولا حاجة بنا للمغامرة ولأننا ربما نفاجأ بكارثة لا قبل لنا بها».

ولابد لي من الاشارة الى ان القادة العسكريين الالمان الذين كانوا

حاضرين في المستشارية يؤيدون ما قلته لهتلر ويتمنون ايقاف الاستحضارات الجارية لاحتلال النمساء

فأجابني هتلر :

« اجل • اجل • هذا ما يمكنني اجراؤه »

« خبروا فون براوختش فورا بأن أمر التقدم قد اوقف»•

وقد اخبرني فون براوختش فيما بعد ـ حيث انه لم يكن حاضرا في دار المستشارية آنذاك ـ بأن أمر التقدم كان مجرد مناورة سياسية ومع اننا لم نكن نتوقع مقاومة من النمسا فيما لو تم ذلك التقدم الا ان الاشتباك مع ايطاليا كان واردا مع احتمال تدخل تشيكوسلوفاكيا وفرنسا أيضا •

ثم ان هتلر ما لبث ان ذهب الى الصالة الكبرى وزفر بارتياح قائلا :

« الحمد لله الذي وفر لنا جهودا كثيرة »

وصافحني بكلتا يديه وعلى محياه امارات السرور وكان البارون فون نويرات في غاية السرور• اما الدكتور يوسف غوبلز فقد بدت على وجهه خيبة امل واضحة لأنه كان قد أعد ملايين المنشورات الجاهزة للالقاء من الطائرات في صباح اليوم التالي والموجهة فيها بلاغات من الحكومة الالمانية لابناء الشعب النمسوي•

لم تستمر فرحتنا الا لفترة وجيزة امتدت الى الساعة ١٧٢٦ عندما اتصل بنا زايس انكوارت هاتفيا مفيدا بأن الرئيس النمسوي قبل استقالة شوشنيغ الا انه رفض تكليف زايس بتشكيل الوزارة الجديدة •

عندئذ أصدر هرمان غورنغ أمره الى زايس انكوارت بالتوجه مع اللواء موف الى الرئيس ميكلاس فورا واخباره بأنه ما لم يتم تأليف الحكومة النمسوية الجديدة برئاسة زايس انكوارت قبل الساعة ١٩٣٠ فان الجيش الالماني سيتقدم لإحتلال النمساء

ورأيت هتلر غاضبا في الصالة وهو ينادي فون براوختش بالهاتف :

« أمر جديد • تهيأوا فورا للتقدم نحو النمسا ـ سنوجه برقية الى زايس

انكوارت نطلب منه فيها ان يرجونا بتقديم المساعدة العسكرية له ».

وكما نعلم الآن ــ وبعد ان مضى كل شيء ــ فان زايس انكوارت لم تكن له مثل هذه الرغبة ولم يشأ ان يطلب المساعدة العسكرية الالمانية والواقع هو انه لم يرسل مثل هــذا الطلب قط. والذي حدث فعلا هو ان البرقية المطلوبة دبرها وزير البريد الالماني فوصلت حالا الى دار المستشارية بالصيغة المبررة للتقدم العسكري نحو النمسا فلما تسلم البارون فون نويرات تلك البرقية قلت له:

« ألا تعتقد بأن هذا العمل ربما سيجرنا الى حرب عالمية ثانيــة؟ اننا سنكون الطرف المعتدي».

فدمدم فون نويرات قائلا :

« نعم . نعم»

ومضى نحو جهاز الهاتف وهو في عجلة من أمره.

كان هرمان غورنغ مسيطرا في ذلك اليوم على جميع النداءات الهاتفية مع ڤينا وهو يتابع الاحداث بصورة مستمرة وكنا نحصل منــه على آخر الاخبار وكان الموقف السائد في ڤينا بمنتهى الخطورة . فقد تواترت الانباء عن نشوب قتال في الشوارع وبدء حرب أهلية . وفي الساعة ٢٠٤٥ أصدر هتلر امره التحريري للفريق الاول فون براوختش بالتقدم العسكري نحو النمسا في صباح اليوم التالي . وشعرت في البداية بانهيار كل الآمــال التي عقدها العالم على تحقيق السلام.

فالتقدم بالقوات المسلحة نحو بلد شقيق لابد ان يؤدي الى اســالة دماء أبناء الأمة الألمانيــة الواحدة من القطرين . وربما ســيؤدي الى نشوب حرب أوربية . وقد ظهرت امارات الحيرة والقلق على وجوه القادةالعسكرين ايضا ولم يفرح لهذا القرار سوى شخص واحد هو الدكتور يوسف غوبلز. وهكذا حم القضــاء بعد تلك التبدلات الكثيرة التي طرأت على الموقف وترتب على ابناء الشعب النمسوي ان يتجرعوا مرارة الاجراءات القسرية.

ما ان غادرت بناية دار المستشـــارية بعد حلول ظلام ذلك اليوم الا وانتابتني هواجس جمه. فقلت في نفسي ان بسمارك رائد الوحدة الالمانية لم يقدم على تحقيق اندمـــاج النمسا بالقـــوة من اجل بعث الامبراطورية الرومانية المقدسة التي سبق للامة الالمانية تشييدها.

ذلك لأنه آثر اقامة اتحاد مع امبراطورية النمسا والمجر من أجل تحقيق اوثق العلاقات بين الدولتين الالمانيتين . وطالما صرح بسروره لوجود علاقات صداقة حميمة بين برلين وڤينا وحرصه الشديد على تجنب كل ما من شأنه تهديد هذه الصداقة المستمرة. والآن يبدو ان هتلر قد اعتزم امرا وانه لن يتورع عن التعامل مع النمسا وفقا للاساليب المعروفة في القرون الوسطى وانه يود الاعتداء على النمسا بطريقة آثمة وتوصلت الى قرار جـازم بأن ما ينفذه هتلر في تلك الساعات المصيرية يشكل فعلا خيانيا منافيا لمســـار التأريخ الالماني.

لكن الذي حدث في صباح اليوم التالي كان مخالفا لكل تصوراتي القاتمة اذ ان الجيش الالماني دخل بلاد النمسا دون ان يطلق رصاصة واحدة وقد استقبله ابناء الشعب النمسوي باضمامات الورود فعلى الرغم من نوايا هتلر الكئيبة المبيتة للنمسا فان أبنائها الأماجد أثبتوا أصالتهم وكانوا من جانبهم سعداء بتحقيق الوحدة.

وعلى الرغم من تحدث بعض المؤرخين عن اساليب هتلر القسريـــة في تحقيقه الوحدة الا انهم اجمعوا على اعجابهم بتجـاوب الشعـــب النمسوي وسعادته بانجازها فتحدثت الصحافة العالمية بايجابية تامة عن صـــواب هذا العمل الرائع فاللغة واحدة والشعور الواحد والتفكير المتشـــابه والوحدة الجغرافية كلها مقومات ضروريه لقيام الوحدة الحقيقية بين ابناء الامة الواحدة.

الا ان الصحافة البريطانية بقيت متحفظة ازاء هذا الحدث ولمتعتبره سوى عدوان الماني سافر على دولة مجاورة ذات سيادة.

والحقيقة هي ان عمليـــة الوحدة كانت أمل الملايين من الالمان الذين تربطهم وشائج القربى على جانبي الحدود الالمانية النمسوية والذين هم من

ارومة واحدة وتأريخ مشترك على مدى اكثر من الف سنة ولهم ثقافة واحدة فلا عجب ان يرحبوا بالوحدة ويفرحوا بها على الرغم من الاسلوب القسري الذي لجأ اليه هتلر في التنفيذ وهذا الاسلوب كان رد الفعل الطبيعي على تحريم الحلفاء للوحدة بين النمسا والمانيا بعد انتصارهم عليهما في الحرب العالمية الاولى • فقد اثبت لهم هتلر بأن المعاهدات الجائرة التي ابرموها بعد الحرب المذكورة لم تكن سوى قصاصات ورق•

جرى استفتاء شعبي بشأن الوحدة في ١٠ نيسـان ١٩٣٨ وأسفر عن تأييد الاغلبية الساحقة من ابناء الامة الالمانية للوحـدة في كلا القطرين • ولربما يزعم الزاعمون بأن الاساليب النازية المعروفة هي التي حققت هذه النتيجة ولكن الحق يفرض علي التأكيد بأن اساليب الدعاية المنظمة هي التي اوقدت جذوة الحماس في نفوس جماهير الامة الالمانية وجعلتها تعيش فورة حب الوطن العارمة المتمثلة بتحقيق الوحدة وهي فورة منبثقة من اعماق افئدة الملايين من الالمان•

وفي مساء اليوم ذاته وصل هتلر الى مدينة لينز النمسوية في موكب احتفالي شعبي رائع وسادت الفرحة نفوس القوم وكنت انا ايضا في غـاية السعادة •

لأن وحدة الشعبين الالمانيين قد تحققت بدون اراقة دماء بل وباحتفالات شعبية غير متكلفة • وفي ذلك اليوم المشهود ــ وهو يوم الاحد المصادف ١٣ آذار ١٩٣٨ ــ تلقيـت أمرا من هتلر بالطيران الى ڤينا في صباح اليوم التالي• ولما حطت طائرتي في مطار ڤينا علمـت لأول مرة بأن بيانا اذيع من اذاعة برلين في مساء اليوم المنصرم تضمن انعام هتلر علي بوسام رفيع• وفي المطار التقيت بوكيل وزارة الخارجية الالمانية السيد لاميرز الذي وصل معي من برلين بنفس الطـائرة وتبـادلنا حديثا يتعلق بالحـدث العظيم وبآمال المستقبل • وقد تواترت الاخبار من مختلف ارجاء العالم وكلها تشير الى عدم احتمال حصـول أي نزاع دولي بسبب تحقيـق الوحـدة الالمانية ــ

النمسوية • وكان من رأي الدكتور لاميرز بأنه ربما سيكون من المفيد جدا تعييني بمنصب ممثل الدولة الألمانية المطلق الصلاحيات في النمسا لأنني أعرف مشاكل هذه البلاد أفضل من أي شخص آخر ولأنني سأكون بموقف رسمي يتيح لي امكانية الحفاظ على التقاليد النمسوية وسأقيم جسرا متينا من علاقات الصداقة بين ڤينا وشمال المانيا • فقلت في نفسي ربما سيكون هذا المقترح هو السبب الحقيقي لسفري الى ڤينا هذه المرة• وعندئذ رجوت الدكتور لاميرز أن يخبر هتلر عني بأنني بعد ان عشت الاحداث التي صادفتني في الاسابيع الماضية وعدم التزامه بالاتفاق المبرم بيني وبينه في بايرويت فانني سوف لن اقبل بالعمل في أي منصب•

ويمكن ان ابرر عودتي الى ڤينا لأصدقائي ولمنتقدي على حد سواء لكي يتفهموا موقفي بأن اقول لهم:

ان الاناس المتدفقين عاطفة لا يسألون عن فعاليات قديمة سبق لهم ان قاموا بها في ظروف مر عليها ردح من الزمن• واود ان اعتذر هنا لهؤلاء ولهؤلاء بأن احرر لهم هنا ما كتبه تاليران[٥] في مذكراته:

« عندما يعود المرء بذاكرته الى عشرين سنة مضت فلابد انه يتوصل الى استنتاج مفاده ان أي شخص آخر يكون بمحله سوف لن يتصرف الا بالطريقة التي سبق ان تصرف بها آنذاك• وان ما عمله وما قاله وما كتبه أو ما عاتب أو ما أيد لا يمكن ان يكون خطأ بالنسبة للظروف التي مرت به في ذلك الحين • ويمكنني أن أزعم هنا بأنه لا يكاد يوجد من يشذ عن هذه القاعدة • وعليه فانني اعطي الحق كله لأي انسان سواء اكان اميرا او رجلا

(٥) كان تشارلس موريس دي تاليران سياسيا من رجال الثورة الفرنسية المرموقين عمل وزيرا لخارجية بلاده في عهد نابليون بونابرت ولويس فيليب ولويس الثامن عشر ومثل فرنسا في مؤتمر ڤينا الذي حاولت به دول اوربا المنتصرة على نابليون اقتسام الغنائم على حساب فرنسا وقد تميز في المؤتمر داهية اوربا المشهور الامير مترنيخ ـ وزير خارجية النمسا ـ الا ان تاليران حقق لفرنسا مكاسب وفيرة وحفظ لها الكثير من حقوقها رغم كونها الدولة المندحرة• ـ المترجم ـ

من عامة الناس في تحمل المسؤوليات التي سبق ان تولاها لأنه صادف ظروفا عاشها هو وليس غيره.

فالوقت الذي سبق ان تصرف به قد تغير واصبحت الظروف التي يعيشها غير الظروف التي أحاطت به عند تصرفه في واقعة قديمة لأن الظروف لابد ان تؤثر على الاحداث تأثيرا لا يستهان به. فما يمكن اعتباره اليوم من الامور البسيطة والمسموح بها قد يكون من الامور الملعونة المستنكرة في تلك السنين الماضية[٦]».

لقد كان نشاطي في ذلك اليوم المشهود بسيطا . فقد أثر في نفسي الحدث الذي تحقق بشكل يفوق التصور . وأردت ان اقول لهتلر وانا واقع تحت تأثير الانفعال بأن المستقبل متوقف على طبيعة وطريقة التصرف الذي سيقوم به ازاء النمسا ووسائله في حل مشكلاتها.

هبطت طائرتنا في مطار اسپيرن ضاحية ڤينا ولما تنقلنا بالسيارة الى المدينة لاحظت الموجة الاحتفالية الغامرة التي شملت كل مكان مررنا به . وكانت أعلام الصليب المعقوف منشورة ترفرف من شرفات المنازل ومما لا شك فيه ان المانيا جهزت النمسا بآلاف كثيرة من تلك الاعلام ولكنني كنت على ثقة من ان هذه المظاهر الاحتفالية لم تكن مجرد مجهود دعايوي مارسه الدكتور غوبلز وانما كانت الانعكاسات الحقيقية للمشاعر الجياشة في نفوس النمسويين المحبين لأمتهم اعرابا عن سعادتهم بتحقيق املهم القديم في اندماج النمسا مع المانيا.

وقف هتلر على منصة صغيرة مقابل القصر الامبراطوري يحيط به عدد صغير من الضيوف لاستعراض القطعات الالمانية التي مرت من امامه وقد اتيحت لي بهذه المناسبة فرصة تقديم عدد من سفراء الدول الاجنبية لهتلر كان منهم ممثلو پولندا والمجر وبلغاريا ويوغسلافيا وايطاليا.

(٦) فات المؤلف الاستشهاد في هذه المناسبة بقول مأثور لمواطنه الشاعر الالماني العظيم ڤولفغانغ يوهان غوتيه الذي قال (لا تلومن احدا ما لم تجعل نفسك بمكانه) .
— المترجم —

اختلطت القوات الألمانية التي كانت بقيـادة الفريق فون بوك بالقوات النمسوية التي ارتدى افرادها ابهى حللهم بهذه المناسبة. وقد ذكرني تعاقب القطعات الالمانية والنمسوية في مسير الاستعراض بأيام القتال المشترك الذي خضناه سوية ابان الحرب العالمية الاولى.

اتيحت لي خلال فترة الاستراحة القصيرة فرصة التحدث لهتلر بما كان يجيش في خاطري فقلت له بأننا يجب ان نحسن علاقـاتنا بهذه المناسبة مع الكنيسة فالنمسا بلد كاثوليكي ولو عزلنـا الكنيسة عن الشـعب كما فعلنا في المانيا فسنتعرض للمشاكل خلال اسابيع قليلة . فأجـابني بأن علاقاتنـا ستكون رائعة مع النمسا اذا ما أحسنا ادارتها وحافظنـا على تراثها . ثم انه ابتسم بسرور ظاهر وقال لي:

« لا تقلق ابدا فسأتدبر أمر النمسا على أحسن ما يمكن ان يكون ».
فقلت له:

« ربما سيكون من الافضل ازالة كل مخاوف النمسويين هذا اليوم باثبات حسن النية تجاه الكنيسة. أفلا ترى ان من المناسب قيامكم باستقبال الكاردينال بعد اختتام الاستعراض لكي توضحوا له تطميناتكم ؟».
فأجاب:

« أجل . يسرني ذلك كثيرا . ارجو اخباره بأنني سيسرني استقباله بعد انتهاء الاستعراض مباشرة في فندق أمبريال».

فرحت كثيرا لتحقيق هذه الامنية وعجلـت بأرسـال من يخبر نيـافة الكاردينال برغبة هتلر مؤكدا له بأنني يشرفني ان اختتـم خـدمتي للنمسا بمرافقته شخصيا عند مقابلته لهتلر .

استقبلت نيافة الكاردينال عند مدخل الفندق بعد ساعتين وكان الشارع مكتظا بآلاف النمسويين المحتشدين على جانبيه وهم يهتفون للكاردينال عند ترجله من سيارته.

صحبت الكاردينال حال وصوله لمقابلة هتلر فأختلى به زهاء سـاعة

ولما خرج الكاردينال انيتسر من المقابلة بدت على محياه امارات الجذل. وقد أخبرني بعد خروجه بأنه اكد لهتلر اخلاص النمسويين طالما بقي ملتزما باتفاقية ضمان حرية العبادة والتعاون على مكافحة الالحاد حيث سيلقى اسناد الكنيسة التام . كما انه قال لهتلر بأنه كنمسوي أصيل لا يمكن أن يرضى للنمسويين ان يكونوا مواطنين من الدرجة الثانية في دولة المانيا الكبرى فطمنه هتلر بهذا الشأن ايضا.

وكانت تلك المناسبة هي آخر مرة اشاهد بها الكاردينال انيتسر حيث شكرني من اعماق فؤاده على تدبير ذلك اللقاء وافترقنا على امل ان تكون تلك البادرة فاتحة عهد جديد من العلاقات الحسنة بين الدولة الالمانية والكنيسة. ولن اجد اعتذارا عن فعالياتي خلال تلك الفترة أبلغ من الاشارة في معرض هذا الاستطراد الى الكلمة المفعمة بالحكمة والتي قالها البابا بيوس الثاني عشر في ٢ حزيران ١٩٤٦ :

« هل كان من الممكن آنذاك اتخاذ الاجراءات المناسبة لمنع الكارثة لرهيبة التي وقعت. وهل كان بالامكان انقاذ الشعب الالماني من الوهدة التي تعرض لها ؟ وهل كان بالامكان تجنيب أوربا والعالم ما تكبداه من سيول الدماء؟ ليس بمقدور احد ان يضمن دفع المقدور ».

لم تمر علي فرحتي العظيمة بتحقق الوحدة التي تمت بسلام دون غصة منغصة. فقد علمت بعد وصولي الى ڤينا بأن معاوني وصديقي البارون فون كيتلر قد اختفى بصورة غامضة ليلة الاثنين ١٣/١٤ آذار ١٩٣٨ وكان قد قضى تلك الأمسية مع أمينة سري الآنسة روزا التي كانت تقطن بمسكن قريب من السفارة وهي صديقته الشخصية منذ امد طويل. وقد ودعها منصرفا بعد أمسية قضياها معا قبل منتصف الليل بقليل.

وكان فون كيتيلر عندما غادر المكان في أحسن حالاته ولم تكن تساوره آية مخاوف بشأن نفسه. ولكنه اخبر صديقته المذكورة بأنه كان يشعر بوجود من يتعقبه فناشدته أن يكون حذرا . الا أنه لم يزد أن ابتسم لها . فلما غادر المسكن شيعته بنظرها حتى لفه الظلام في الشارع الكائن وراء

السفارة حيث كان يركن سيارته.

وقد لاحظت الفتاة ان ثلاثة رجال كانوا يتعقبونه على بعد خطوات قليلة. وفي الصباح وجدت سيارته بمكانها لم تمس وكان منزله خاليا وواضح انه لم يرجع في تلك الليلة الى بيته . ولم يره أحد منذ ذلك الحين .

ومن المنطقي ان يلاقي فون كيتيلر مصيرا غامضا بعد ان عرف عنه مناوأته للنازية وبعد ان دأب على التردد المستمر على عدد من الاصدقاء النمسويين في ڤينا وفي المدن الاخرى كما انه كان كثير السفر الى المجر لنفس الغرض.

ولابد انه سمع بوصول أول وحدة من الشرطة السرية للدولة الالمانية الى ڤينا واقامة افرادها في مبنى السفارة . ولما سألنا كل اصدقائه المعروفين عنه فاننا لم نسمع عنه أي خبر.

ما ان فرغت من مرافقة هتلر في الاستعراض ومقابلة الكاردينال انيتسر له الا ورتبت محاولات أخرى للتحري عن فون كيتيلر لأن مصيره كان يهمنا جميعا بعد ان ادركنا فداحة الخسارة بفقدانه. وقد وجدت ان من الافضل بدء التحري عنه لدى ادارة الشرطة السرية للدولة نفسها وهكذا توجهت في صباح الثلاثاء الباكر لزيارة راينهارد هايدريش بمكتبه وسألته عما اذا كانت لديه اية معلومات عن البارون المفقود الا ان هايدريش تظاهر بالمفاجأة والاستغراب ووعدني بتوجيه تعميم فوري للبحث عنه. وفي مساء اليوم نفسه التقيت بقائد الشرطة السرية للدولة هاينريش هملر في فندق امپريال فسردت له تفاصيل اختفاء صديقي ورجوته ان يسدي لي المعونة الممكنة في البحث عنه. وكانت ترافقني البارونة فون شتوتسنغن وقد انفعلت تلك السيدة النبيلة عند سماعها تفاصيل اختفاء الرجل فقالت لهملر بصورة مفاجئة:

« من المؤكد يا سيد هملر ان ملابسات اختفاء البارون فون كيتيلر تدل على وضاعة جديدة قام بها رجال شرطتك السرية فأنا أعلم بأنهم يتعقبونه منذ امد طويل وليس من المستبعد ابدا ان رجالك اخذوه الى أحد معسكرات

الاعتقال ».

الا ان هملر انكر معرفته لأي شيء يتعلق بمصير الرجل ووعد باسداء كل معاونة ممكنة في سبيل تسهيل امر البحث عنه. وفي صباح اليوم التالي عاودت الاتصال بهايدريش ولكنني لم أحصل على نتيجة واعلنت في الصحف عن مكافأة مقدارها ٢٠٠٠٠ مارك لمن يدلي بمعلومات تساعد على كشف مكان صديقي المفقود. وفي ذلك اليوم علمت من النائب العام في ڤينا بأن الحادث سجل ضد مجهول. وبعد عودتي الى المانيا حاولنا الاتصال بأبويه المفجوعين وتعاونا معهم على الخطوات التالية . وعندئذ كتبت رسالة شخصية لهتلر رجوته مساعدتي في البحث عن صديقي وقلت له بأن الشرطة السرية للدولة ليست بعيدة عن الشبهات في هذه القضية بالذات وانه ربما أخذ قسرا الى أحد معسكرات الاعتقال . ولما لم احصل على اجابة عن تلك الرسالة فقد رجوت هتلر الموافقة على مقابلتي لبحث هذه القضية شفويا الا انه رفض مقابلتي لهذا الغرض. وكان هتلر قد اعتاد رفض التباحث بشأن اية قضية من هذا القبيل. وفي هذه الاثناء وصل الى ڤينا أحد اخوة البارون فون كيتيلر فأتصل ببعض رجال التحري الخصوصيين بحثا عن أخيه الاكبر.

وأود هنا ان اتحدث قليلا عن حراجة موقفي الشخصي في تلك الفترة فقد منحني هتلر وساما رفيعا خلال ذلك الأسبوع وهذا اعراب عن التقدير الاستثنائي ولما كنا نعيش احتفالات الوحدة فليس من المعقول ان اقدم على رفض الوسام اعرابا عن استنكاري لحادث اختفاء صديقي.

وكانت شرطة الدولة السرية قد تحرت منزل البارون فون كيتيلر بڤينا ووجدت هناك نقودا سويسرية واكتشفت الادلة الكافية على سفره المفاجيء الى زيوريخ. وحامت شكوكي حول شخص معين اتخذته الشرطة السرية للدولة مخلب قط في مثل هذه الاعمال وسبق له ان ساهم في اغتيال البارون فون بوسه ومن المؤكد جدا انه سمع بسفرة فون كيتيلر المفاجئة الى سويسرا فأخبر بها اسياده.

لما رفض هتلر مساعدتي لجأت الى هرمان غورنغ الذي كان له تأثير

على الشرطة السرية للدولة وقد صارحني غورنغ حال استفساري عن فون كيتيلر بأنه قتل بناء على امر صادر من هايدريش، كما ان مساعد غورنغ اللواء بودن شاتز اكد لي غضب غورنغ عند سماعه بالنبأ واتصل بهتلر طالبا ايقاع اشد العقوبات بهايدريش لاقدامه على هذه الفعلة .

أما غورنغ فقد وعدني بالاسناد التام وقال بأنه سيطلب من الشرطة السرية اضبارة القضية لدراسة ملابساتها.

ولما زرت غورنغ ثانية بعد بضعة أيام أوضح لي بأن سبب اغتيال البارون فون كيتيلر هو قيامه بتهريب وثائق سرية الى سويسرا اودعتها له أنا في شباط ١٩٣٨ وان جميع الادلة التي تدينه متوفرة لدى الشرطة السرية، وان القضية في غاية الخطورة لاسيما وانها تتعلق بتهريب وثائق حكومية ذات صفة سرية الى خارج البلاد مما تترتب عليه أشد العقوبات كما اكتشفت الشرطة السرية وجود خطط مدبرة أعدها فون كيتيلر لاغتيال الزعيم وهذه تعتبر من جرائم الخيانة العظمى.

وجمت قليلا ولم أحر جوابا لدى سماعي لتلك التفاصيل، اذ تساءلت مع نفسي، كيف توصلت الشرطة السرية لمعرفة هذه المعلومات الدقيقة ؟ اذ ليس بمقدور احد التوصل الى هذه التفاصيل ما لم يكن من أصدقاء ڤيلهلم المقربين، ولما لم يعد بمقدوري انكار علمي بتهريب الوثائق المذكورة فقد قلت لغورنغ:

« لقد اوعزت انا بأرسال تلك الوثائق السرية المهمة الى سويسرا على اثر استدعائي المفاجيء من ڤينا لكي اتمكن من اثبات النهج السياسي الذي مارسته باللجوء الى الوسائل السلمية التدريجية والتأكيد على نفي ممارسة أية سياسة عدوانية ضد النمسا عند تحقيق وحدتها مع المانيا،

لا سيما بعد أن اثبت الزعيم بأقالتي المفاجئة رغبته في تطبيق نهج آخر غير الذي ارتسمته فاذا ما احلت يوما للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى فستتوفر لدي الوثائق التي تثبت برائتي، وانني وحدي اتحمل مسؤولية ارسال تلك

الوثائق الى سويسرا ولم يكن البارون فون كيتيلر سوى رسول نفذ مهمته بناء على أمر صادر مني ».

وهكذا أصبح موقفي حرجا بصورة مفاجئة، وصرت اتوقع القاء القبض علي في كل يوم واحالتي للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى. أما صديق فون كيتيلر الذي تجسس عليه لدى الشرطة السرية للدولة فقد اختفى بصورة مفاجئة ايضا. وقد برزت التهم التي وجهتها الشرطة السرية للدولة ضد البارون فون كيتيلر فكانت منها تهمة افشاء خطط تقدم الجيش الألماني لمسؤولين نمسويين ومنها محاولته الحصول على سلاح ناري مزود بجهاز كاتم للصوت بغية اغتيال هتلر به عندما تسنح الفرصة له او لأحد اصدقائه. ومع انني كنت قد سمعت من البارون نفسه هذا القصد واستهجنته محذرا من مغبة الاقدام على هذه المحاولة الا انه يبدو ان الموما اليه تحدث عن هذه الفكرة امام شخص ثالث لم يتحمل السر فتسبب افشاؤه في أن يورد الرجل حتفه. والآن فانني بعد ان عرفت بالتهمتين المثبتتين في اضبارة البارون لدى الشرطة السرية فقد استطعت تحديد الرجل الذي افضى للشرطة بالمعلومات الدقيقة بصورة مؤكدة. ذلك لأن غراف كاغنيك الذي رافق زوجتي برحلتها الى برلين بالطائرة يوم الأحد قال لها عند توديعه لها:

« ابذلي جهدك لكي يغادر البارون كيتيلر فينا بأسرع ما يمكن فهو مهدد بالخطر ».

ولربما كان تحذيره هذا نتيجة لتأنيب الضمير ازاء صديق لم يصبه بسوء.

دلت تحرياتنا الخاصة على ان سيدة كانت تستقل سيارة تحمل رقما المانيا كانت ترصد فون كيتيلر قرب منزل الآنسة روزا قبيل مغادرته للمنزل المذكور في تلك الليلة . ولما سألت هملر عمن يملك السيارة التي تحمل ذلك الرقم الالماني أجابني بأن الرقم المذكور لسيارة من مقاطعة ماكلنبورغ وانها لم تغادر المانيا قط.

في أواخر نيسان ١٩٣٨ تم العثور على جثة غريق مجهول في نهر الدانوب وسرعان ما تعرف غوسقين شقيق البارون فون كيتيلر على الجثة التي كانت لأخيه ولكنها لم تسلم للأسرة الا في ٢٥ مايس ١٩٣٨ حيث ووريت التراب.

وفي تلك اللحظات الممضة حزنا تذكرت عبارة قيمة للبارون الفقيد قالها بمناسبة تشييع المرحوم البارون فون بوسه في ٣٠ حزيران وكان نصها:
« دعونا نناضل وليقل الآخرون ما يشاؤوا فالقضية في سبيل المانيا ».

وعند القاء نظرة شاملة على فعالياتي خلال السنوات الأربع التي قضيتها بمنصبي الذي شغلته في ڤينا يمكنني ان اوجز تلك الفعاليات بما يلي:

انني تقبلت النهوض بتلك المهمة العسيرة والمشرفة معا بموجب الاتفاق الذي توصلت له مع هتلر في بايرويت عام ١٩٣٤ على امل اللجوء للوسائل الودية لاقامة العلاقات الممتازة المتطورة بين البلدين الشقيقين لأنني آمنت بأن ذلك هو الحل الأمثل لمعضلة الوحدة مع النمسا.

لقد قام الحزب النازي النمسوي باللجوء الى وسائل قسرية جافية بايحاء من الحزب النازي الالماني وهذا احباط متعمد للمساعي السلمية التي دأبت على ممارستها بهدوء وكسبت بها ثقة ابناء الشعب النمسوي بألمانيا.

والغريب في هذا الأمر ان مناقضة نشاطاتي كانت تتم بأمر من الحزب النازي الالماني الذي يتزعمه هتلر الذي هو رئيس الحكومة التي اقوم بخدمتها بكل اخلاص.

لكنني أظن بأن سبب هذا التناقض لابد ان يكون بتأثير من المتطرفين الغلاة من اعضاء الحزب النازي الكبار. مع انني قلت لهتلر في مناسبات عديدة بأن الوسائل القسرية لا يمكن ان تؤدي الى تحقيق نتيجة سلمية وكان يؤيد هذه الافكار الا انه لابد ان يتأثر بأقوال اصحابه فيسايرهم باتخاذ اجراءات تحبط الخطط التي دأبت على تنفيذها بعناية وادركت بها نتائج طيبة.

واعتبارا من صيف ١٩٣٧ تمكنت من احكام قبضتي وبصورة تدريجية على المسائل المشتركة بين المانيا والنمسا. على الرغم من محاولات غورنغ

المتعطش للسلطة وممارساته للتأثير على السياسة الدولية كمراسلاته مع غويدو شميت او زيارته لموسوليني واستطاع تحقيق الكثير من المكاسب نظرا للموقع السياسي المرموق الذي يتمتع به بصفته الرجل الثاني في الدولة الالمانية مما اتاح له فرصة التباحث مع فون شوشنيغ او مع غويدو شميت من موقع أقوى من موقعي وبالتالي فانه كان بمقدوره التحرك بصورة اسهل وتنفيذ التزاماته بطريقة افضل واسرع.

وان الملابسات التي حصلت امامي في دار المستشارية يوم ١١ آذار ١٩٣٨ أكدت لي مدى تأثير غورنغ على سير الاحداث وكانت دعوته الدائمة لايجاد (حل شامل) للقضية النمسوية قد حفز هتلر على اتباع هذا الرأي.

وحتى في لينز يوم ١٣ آذار كان قرار هتلر بعدم اعطاء النمسا أي شكل من الحكم الذاتي بناء على تحريض مباشر من غورنغ. وهكذا ذهبت كل تحذيراتي المخلصة لهتلر والمتضمنة تجنب اللجوء للوسائل القسرية التي لابد ان تثير الدول الاخرى المنزعجة من تحقق الوحدة لكي لا نعطيها أي مبرر للتدخل او الانتقاد. واعتقد جازما بأن المستشار النمسوي فون شوشنيغ لو ابدى تفهما اكثر ولو تعامل معي باخلاص اوفر ولو سايرني في نهجي السياسي السلمي لسارت الامور بشكل افضل بالنسبة له ولبلادنا. ولو انه اخبرني في حينه بمباحثاته الجارية مع غورنغ لادركت مرامي الاخير ولمحضت فون شوشنيغ النصيحة ولأخذت مباحثات برختسغادن مسارا آخر. الا ان فون شوشنيغ نفسه اعترف بعد حين بجهله التام بالمشاعر الحقيقية للشعب النمسوي وكان هذا من اسباب فقدانه المبادأة في مباحثاته العاصفة مع هتلر بيرختسغادن.

وقد تبين بجلاء في ٤ شباط ١٩٣٨ عندما انهيت مهمتي وغادرت فينا بأن هتلر لم يعد يأبه للوسائل التي حرصت على اتباعها في تحقيق الوحدة ولكن التأريخ لابد ان يقول كلمة الانصاف ويشهد للاجيال بأنني كنت على صواب وان غيري كان على ضلال.

الفصل السادس والعشرون

مِنْ أَنقَرة الى نورمبرغ

نشُوبُ الحَرْبُ

العودة الى المانيا . اقضية الخيانة العظمى ؟. احرب ام سلام . نزاع مع فون ريبنتروپ . رجاء موجه لملك السويد . ايطاليا غزت البانيا . عرض لقبول منصب في انقرة . شروطي . هتلر يلغي اتفاقية لندن البحرية . الوصول الى اسطنبول . مخاوف تركيا . تذبذب بين شيانو وفون ريبنتروپ . زيارة هتلر . فون ريبنتروپ يطير الى موسكو . حرب مع پولندا . اندحار المانيا مؤكد . ثلاثة احتمالات .

عندما انتهت قضية النمسا رجعت الى مسكني في (ڤالرفانغن) بمنطقة السار وكان مسكني قد صار في وسط تحصينات الجدار الغربي المليء بالاسلاك الشائكة وموانع الدبابات والترتيبات الدفاعية من جميع الانواع. وهكذا وجدت نفسي بعد ست سنوات من العمل في النمسا وقد وصلت نذر الحرب الى عقر داري وصرت اتوقع بعد هذه الاستحضارات المحمومة لشوب حرب جديدة.

ساورتني في تلك الفترة هموم كثيرة لانني اقدمت على ارسال تقاريري المعنونة الى هتلر الى سويسرا مما يحتمل معه احالتي الى المحاكمة

بتهمة الخيانة العظمى.

وكان كيتلر وكاغنيك قد اودعاها في خزانة بأحد مصارف زيوريخ وكان صاحب ذلك المصرف ابن عم كيتيلر • ولا علاقة لموت كيتيلر بذلك الموضوع فقد (اختفى) قبل أن تتاح للشرطة السرية الألمانية فرصة التحقيق معه. الا ان متابعتهم له اتاحت لهم امكانية اكتشاف مكان الوثائق المخفية • ولو أنهم وضعوا أيديهم عليها لقدموها الى هايدريش ولأعطوه سلاحا ماضيا لتبرير اختفاء كيتيلر ولاتيحت لهم ولهتلر وغورنغ فرصة تصفية الحساب معي أيضا.

وقد ذكر ڤالتر هاغن وهو عضو فعال جدا في هيئة الاستخبارات العسكرية في كتابة الموسوم (الجبهة السرية) ان هايدريش بقي حتى موته يحاول ارسال من يغتال فون پاپن وقد كلف مرؤوسيه بهذه المهمة التي لم يكتب لها التنفيذ.

لم أرسل الى سويسرا أية وثائق سرية تدينني امام شرطة الدولة السرية • ولم تحتو تلك الاضبارات على الوصايا السرية التي وجهها لي الرئيس فون هندنبورغ • ولكن ربما كان كيتيلر قد علق على وثائقي ومحادثاتي بملحوظات ضد نظام هتلر وأودعها الخزانة السرية مع وثائقي • ولكي أتخلص من هذا المأزق فقد أوفدت كاغنيك الى زيوريخ وزودته بهوية من مكتب المراسلات الدبلوماسية التابع لوزارة الخارجية ولما وجد كاغنيك ان الاضبارات الضخمة التي كانت حصيلة عمل اربع سنوات حافلة أكبر من ان تستوعبها حقيبته التي ربما ستجلب نظر رجال الشرطة الدولة السرية فقد قرر احراق القسم الأكبر منها وعاد الي بالجزء المتبقي منها دون أن يكتشفه أحد •

وقد توسمت ان الشرطة السرية ادركت بشكل او بآخر ما اقدمت عليه وكان ان تأكدت مخاوفي عندما اخبرني مدير مكتب المراسلات الدبلوماسية بوزارة الخارجية بأن شرطة الدولة السرية توشك على اعتقال كاغنيك لكنه افلت في آخر لحظة عندما لجأ الى السويد. ثم انني لجأت الى اجراء حصيف عندما أودعت تلك الوثائق الى هتلر نفسه ليتحرى شخصيا عما اذا كنت

استحق الاحالة بسببها الى المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى. وقد اعدت على اسماعه تبريرا لاقدامي على ايداع تلك الوثائق في سويسرا يتضمن محاولتي لتبرئة نفسي من التهم التي قد تلصق بشخصي بسبب فعالياتي السياسية في النمسا عندما كنت سفيرا فيها. وقد علمت فيما بعد ان تحقيقات شرطة الدولة السرية اوصلتها الى الخزانة التي كانت تضم الوثائق ـ ولكن بعد فوات الأوان ـ ولما فتحت تلك الخزانة وجدت خاوية . وقد بقيت مبلبل الخاطر ومتوجسا من شر وشيك طوال اسابيع عديدة حتى حدث ما غير الحال ودعى هتلر وغورنغ الى اصدار توجيهاتهما لكل من هملر وهايدريش بجعل القضية منتهية بالنسبة لي.

علمت بتطورات الموقف بشأن مسألة السوديت من الصحافة فقط. وقد عشنا بطبيعة الحال توتر الاعصاب الى حد الارهاق عندما تابعنا المفاوضات المطولة بين هتلر وتشامبرلن . وقد اعجبني ما كتبه الاخير فيما بعد بشأن مقابلته الاولى لهتلر عندما ذكر ما يلي:

« على الرغم من الجفوة والفظاظة الواضحتين فقد توسمت من قراءة وجهه امكانية التوصل الى ما يرضي. وقد حصلت على انطباع بأنني بمواجهة رجل يمكن الوثوق به اذا ما أعطى كلمة » . وعندما يتحدث المؤرخون عن اتفاقية ميونيخ وينحون باللائمة على تشامبرلن فانني اعود بذاكرتي للحفاوة المفرطة التي قوبل بها الرجل عند وصوله الى المانيا لأنه جاء يحمل بوادر السلام للشعب الالماني.

وقد كتب له المهاتما غاندي رسالة بهذه المناسبة جاء فيها:

« ان ملايين الامهات في اوربا وفي العالم اجمع يباركن مساعيك السلمية اليوم ».

كانت مساهمتي الوحيدة في محادثات بادغوسبرغ[1] تتمثل ببرقية

---

(١) بادغودسبرغ هي ضاحية مدينة بون عاصمة المانيا الاتحادية حاليا وتقع على نهر الراين . ـ المترجم ـ

ارسلتها الى هتلر ذكرته فيها بالوعد الذي سبق ان قطعه على نفسه بتأمين السلام للشعب الالماني. كما كتبت رسالة الى تشامبرلن ذكرته فيها بمساعينا الحثيثة لتحقيق السلام الأوربي في مؤتمر لوزان . وقلت له أن الشعب الألماني يشكره من اعماق فؤاده على مساعيه الحميدة في سبيل السلام. وقد دلت الوثائق البريطانية التي أعلنت فحواها للملأ فيما بعد على أن تشامبرلن كان يسعى لتصحيح وضع المانيا السياسي بعد الاجحاف الذي أصابها نتيجة لخسارتها الحرب العظمى .

ومع انني فقدت رسالة تشامبرلن الجوابية مع الاسف أثر انهيار داري خلال الحرب الا انني لا أزال اتذكر عبارة مهمة جائت بتلك الرسالة وكان نصها:

« لقد كنت محظوظا عندما وصلت مباشرة الى قلب المانيا » .

الا ان اوهامنا بتحقيق السلام سرعان ما تبددت عندما القى هتلر خطابا في تشرين الثاني ١٩٣٨ في مدينة ساربروكن وضمنه سخطه على بريطانيا بدعوى مبالغتها بالتسلح. وبينما كان فون ريبنتروب يوقع على اتفاقية مع فرنسا بباريس وهي اتفاقية كنت قد بذلت الكثير من الجهود لوضعها موضع التنفيذ فان هتلر كان يسعى لتقويض أسس السلام الاوربي .

وقد علمنا فيما بعد ـ اثر كشف الأسرار في محاكمات نورمبرغ[٢] ـ . بأن هتلر كان قد اتخذ قراره قبل ذلك التأريخ بادارة الحرب وخطى بضع خطوات سرية بهذا الاتجاه.

---

(٢) جرت محاكمات نورمبرغ ـ وهي أول بادرة من نوعها بالتاريخ ـ بمحاكمة زعماء المانيا التي خسرت الحرب العالمية الثانية امام قضاة من الدول الاربع المنتصرة وهي بريطانيا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة الامريكية وقد جرت المحاكمات في مدينة نورمبرغ التي كانت موئل الحزب النازي ومقر احتفالاته السنوية ـ ولم يسكنها اي يهودي منذ القرن السابع عشر ـ وقد تمخضت المحاكمات المذكورة عن اعدام ٢١ شخصية وسجن ٧ شخصيات واطلاق سراح ثلاثة فقط احدهم مؤلف هذا الكتاب . ومما هو جدير بالذكر ان احد المتهمين ـ البارون فون نويرات ـ توفي اثناء المحاكمة وانتحر ثلاثة منهم خلال فترة المحاكمة . ـ المترجم ـ

في هذه الاثناء تلقيت دعوة من جمعية الصداقة الالمانية ـ السويدية لالقاء محاضرة بستوكهولم في كانون الثاني ١٩٣٩ وقد أخبرت الجمعية بتلبية الدعوة بعد ان حصلت على موافقة وزير الخارجية فون ريبنتروپ.

ولما كان لي في السويد عدد كبير من الاصدقاء ومنهم ملك السويد الذي ابدى اعجابه بسياستي فقد كنت آمل ان أجد آذانا صاغية لما سأؤكده من رغبة عميقة تحدونا لتحقيق السلام.

ولما مررت ببرلين وأنا في طريقي الى السويد عرجت على وزارة الخارجية وقابلت فون ريبنتروپ الذي طلب مني عرض مسودة محاضرتي عليه فرفضت الطلب لأنني ـ وبكل صراحة ـ لم اكن قد أعددت اية مسودة للمحاضرة المذكورة . ثم قلت له بأنني حتى وان كنت كتبتها فانني أمتنع عن ارائتها له. فأجابني بجفاء ظاهر:

« لقد سبق لك ان القيت محاضرة معادية للدولة وسوف لن اسمح بتكرار مثل هذا الخطر ».

ولما قرأ آيات التعجب لهذا الاتهام المفاجيء على محياي اردف موضحا ادعائه:

« لقد كان هذا في ماربورغ »

فأجبته عندئذ:

« أجل يا سيد فون ريبنتروپ. لقد القيت المحاضرة المذكورة متحملا كامل مسؤولياتي الرسمية بصفتي نائب المستشار آنذاك. ولم يكن من حقك الاعتراض عليها او توجيه النقد لي. واذا كنت الآن غير راغب بقيامي بالتحدث للناس في ستوكهولم فأرجو اخباري بذلك بصراحة لكي ابرق لصاحب الجلالة ملك السويد معتذرا عن القاء المحاضرة».

ثم تركت مكتب فون ريبنتروپ دون أي انتظار لانني يصعب على التفاهم مع وزير خارجية المانيا الذي كان أسيرا لاوهامه ولمركب النقص الذي يعاني منه . الا أن الرجل ما لبث أن خف ورائي معتذرا عما بدر منه . وقد سر فيما بعد لأنه وجد من يتبرع لتحسين سمعة المانيا ويطري سياستها في الخارج.

كانت صفوف المقاعد المرصوصة في الحديقة الشتائية بفندق غراند بستوكهولم مشغولة برمتها وقد تحدث قبلي صديق المانيا الكبير سفن هدين قائلا ان المرء يحدوه الامل باستعادة الشعب الالماني لمكانته المرموقة في قلب اوربا لكي يساهم في وضع اسس السلام المتوازن. وأخبر الحاضرين بأن مجرد وجودي في ذلك المكان ينطوي على العزم الاكيد لجميع شعوب أوربا لاقرار السلام في القارة وتوجه لي بشكره الجزيل.

استقبلني الملك باحترام وبتفهم تام لارائي كما هي العادة. وقد تقدمت لجلالته باقتراح خلال مقابلتي له وقلت له انه بصفته عميد ملوك اوربا فيمكنه ان يخطو خطوة تنطوي على كل معاني الصداقة الصميمة للشعب الألماني وتخدم شعوب أوربا قاطبة عندما يوضح لهتلر بأن سياسته الخارجية لابد ان تؤدي الى الحرب . فبعد مؤتمر ميونيخ ومعاهدة باريس اصبحت جميع السبل مفتوحة من اجل اقرار السلام الاوربي المنشود . وقد رحب ملك السويد بوجهة نظري وتحمس لهاء ولكنني علمت فيما بعد ان تغير الوزارة السويدية بوصول حكومة اشتراكية جديدة الى سدة الحكم في تلك البلاد ادى الى عدم قبول الحكومة الجديدة للاقدام على هذه الخطوة.

وعندما رجعت الى برلين استقبلني الوزير فون ريبنتروب بمنتهى المودة وعرض علي منصب السفير في انقرة ـ وهو منصب شغر منذ ثلاثة أشهر ـ لكنني رفضت المنصب . ثم انه جدد العرض في شباط ١٩٣٩وعاودت الرفض . وفي اواسط آذار ذهبت الى دريسدن لاجراء معالجة طبية ضرورية في مصح «ڤايسن هرش» وقد لاحظت هناك المساعي المحمومة لتشكيل فرق جديدة فأدركت بحكم خبرتي ـ وأنا ضابط الركن القديم ـ بأن وراء هذه الجهود نوايا أكيدة لدخول الحرب . وسرعان ما صح توقعي عندما تلقيت امرا مكتوما من ادارة النفير يقضي بتعييني في حالة نشوب الحرب بمنصب آمر لواء مشاة في احدى فرق الاحتياط المتشكلة بمنطقة ڤيزبادن والتي عليها ان ترابط على خط التحصينات الغربي على حدود فرنسا.

ثم تعاقبت نذر الحرب بصورة متلاحقة وكانت أولاها في ١٥ آذار ١٩٣٩ عندما انهارت حكومة هاشا في تشيكوسلوفاكيا وتقدم الجيش الألماني نحو براغ. وكانت حصيلة هذه الفعلة ان فقد هتلر سمعته السياسية كرجل دولة لأنه لم يحافظ على كلمته. وكان تشامبرلن اشد من اصيب بخيبة الامل لأنه سبق ان صدق مزاعم هتلر ثم رآه ينكص عنها بلا حياء على رؤوس الاشهاد. ولم يعد بمقدور هتلر مطلقا ـ بعد ان تجاوز حدوده بشكل سافر ـ استعادة اية فرصة لكسب السلام.

بينما كنت اتعالج في دريسدن ناقشت تدهور الموقف مع رفيقي القديم منذ ايام حملة فلسطين الفريق فون فالكنهاوزن. وفي هذه الاثناء تلقيت نداء هاتفيا من وزارة الخارجية ببرلين. وقد تحدث الي هاتفيا الوزير فون ريبنتروپ بلهجة ودية مكررا رجاءه لقبولي منصب السفير في انقرة قائلا انه يرجو الا يسمع مني كلمة رفض هذه المرة. ولما ابديت تعجبي لهذا الالحاح قال لي السيد فون ريبنتروپ بأن موسوليني اقدم في اليوم السابق على اجتياح البانيا بصورة مباغتة وان بضعة فرق ايطالية قامت باحتلال تلك البلاد. وكان من الواضح ان فون ريبنتروپ فوجيء بهذا العمل الذي قامت به حليفة المانيا بالمحور دون استشارة المانيا وهو اجراء مشابه لما قام به هتلر عندما أقدم على احتلال براغ. ثم قال لي فون ريبنتروپ بأن هذا العمل من شأنه زيادة حدة التوتر السياسي في اوربا وكان هذا الاعتراف وحده دالا على عدم امكانية حصول أي تدخل اوربي لتهدئة الحالة المتدهورة. أما انا فلم يكن بمقدوري الحصول على فكرة واضحة عن تطورات الموقف من ذلك النداء الهاتفي بطبيعة الحال وهكذا قطعت علاجي ورجعت الى برلين.

صادف يوم ٧ نيسان ١٩٣٩ يوم الجمعة الحزينة[٣] وهو يوم لا أنساه ما حييت. فقد عانيت من القيام بمهمة السفير في انقرة طوال خمسة اعوام من الجهد النفسي الى درجة تفوق قدرتي على التحمل.

---

(٣) هي يوم الجمعة التي تم فيها صلب السيد المسيح من قبل اليهود.
ـ المترجم ـ

ما ان وصلت الى برلين حتى حصلت على صورة واضحة عن الموقف، وانني اعلم علم اليقين بأن اتاتورك كان يعتبر التمسك بالمضائق التركية قضية مقدسة تستحق كل تضحية،

وكثيرا مـا حذر قائلا بأن الخطر الأوربي الوحيـد الذي تتعرض له المضائق لن يجيء من غير ايطاليا الفاشية • ومما لا شك فيه ان احتلال الطليان

لألبانيا بهذه الطريقة الغادرة وتصريح الكونت شيانو بأن ايطاليا عازمة على الاحتفاظ بثلاثين فرقة تحت السلاح معناه ان للاتراك ما يبرر مخاوفهم من تعاظم قوة ايطاليا وكان اتاتورك وخلفه عصمت اينونو قد حرصا على ترصين حلف مع دول البلقان للتصدي لأية مطامع اوربية تهدف للاستحواذ على أي جزء من جنوب شرق اوربا، الا ان رومانيا كانت قد توصلت الى عقد اتفاقية تجارية مع المانيا وهذا العمل يعتبر في نظر الاتراك انحيـازا رومانيا وشيكا الى صفوف المحور،

ثم ان بلغاريا رفضت الانضمام الى حلف البلقان وصارت تتودد لألمانيا، وهكذا وجدت تركيا نفسها شبه وحيدة بمواجهة الخطر الايطالي المتمثل بالنواة الاساسية لسياسة موسوليني الذي دأب على تسمية البحر الابيض المتوسط (بحرنا) وهي ايمائة واضحة لعزمه على جعل البحر المذكور بحيرة أيطالية والتوسع بامبراطوريته حول ذلك البحر من جميع الاتجاهات •

والواقـع ان الموقف الاوربي زاد اضطرابه لدرجـة تفوق الوصف وجدّت جميع الدول بمساعيها المحمومة اما لحمـاية نفسهـا او لضمـان الحصول على مغانم كانت تصبو اليهـا • وقد أرسل الانكليز والفرنسيون بعثات عسكرية الى موسكو بغية الحصول على ضمـانات لسلامة پولندا ورومانيا والاتفاق مع روسيا للتعاون في التصدي لعدوان هتلر الوشيك،

رفع الانكليز ميزانية الدفاع بعد ان لاحظوا توتر الموقف الدولي الى ٧٠٠ مليون باون • وأجروا مناورات واسعة لأساطيلهم كما أجروا محادثات مع هيئة الركن الپولندية واخذوا يطلقون التعهدات جزافا لكل من پو لندا

ورومانيا واليونان وتركيا، وقد قال لي سير نيفيل هندرسون في تلك الفترة بأن المجال لا يزال مفتوحا لانقاذ الموقف المتدهور اذا ما تمكنا من افهام هتلر بكل جدية ووضوح بأن أي عدوان جديد سيتمخض حتما عن نشوب حرب عالمية، وان بالامكان الغاء معاهدة فرساي وحل معضلة الممر البولندي دون الاضطرار على اللجوء للحرب.

ذكّرني هذا الموقف بموقف مشابه عشته عندما استدعيت من بايرويت للذهاب الى النمسا في عام ١٩٣٤ بعد اغتيال مستشارها دولفوس مباشرة، وقد استغرب اغلب أصدقائي لقبولي هذه المهمة آنذاك ومنهم ڤيلهلم كيتلر الذي قال لي متفهما لموقفي:

« من الطبيعي انك يجب ان تقبل المهمة ».

أما الفريق فون فالكنهاوزن الذي كان يعمل مستشارا في الصين لدى تشيان كاي تشيك واستدعاه هتلر بشيء من التهديد فقد قال لي عندما شد على يدي مودعا في دريسدن حينما استدعيت الى برلين استحضارا للسفر الى انقرة:

« ان كل فعالياتنا لا تجدي فعلينا الا نغادر سفينتنا الموشكة على الغرق».

وكنت قد توصلت الى اتخاذ قراري بمحاولة انقاذ المانيا والعالم اجمع من الكارثة المحدقة بنا فذلك افضل بكثير من العودة لارتداء قيافتي العسكرية التي خلفتها منذ عشرين عاما والاشتراك بحرب بلا أمل في الجبهة الغربية .

لم يزودني فون ريبنتروپ بتوجيهاته بأي شيء جديد . وواضح انه كان يأمل مع هتلر باحتمال التوصل الى حل سلمي لمعالجة مشكلة الممر البولندي دون اللجوء الى الاشتراك بحرب عامة . وكان تقدير فون ريبنتروپ للموقف يتضمن اعتبار التهديد البريطاني لالمانيا مجرد مناورة تضليلية . وكانت هناك احتمالات كثيرة منها اقدام موسوليني على حماقة تجر اوربا الى حرب عدوانية نتيجة لحسابات موسوليني المغلوطة، وهكذا وجدت نفسي مضطرا على اتخاذ

قرار جازم بقبول المنصب المعروض علي والتوجه الى انقرة.

كانت شروطي مشابهة لشروطي السابقة التي طرحتها على هتلر في عام ١٩٣٤ عندما كنت في بايرويت حيث اردت أن اكون تحت امرة هتلر المباشرة. والتأكيد لي بعدم تدخل رئيس شرطة الدولة السرية في السفارة بأعمالي مطلقا وان تقتصر فعالياته في السفارة على مهماته الوظيفية ـ وافق هتلرعلى شروطي لكنه رجاني تحقيق أفضل تعاون ممكن مع وزارة الخارجية. وقد انحى باللائمة على موسوليني مدعياً انه السبب في تدهور الموقف السياسي الاوربي لاقدامه على احتلال البانيا وتناسى ما فعله هو في ١٥ آذار ١٩٣٩ عندما اجتاح تشيكوسلوفاكيا.

ولو أردت تقدير نقده لموسوليني فلابد ان أعود بذاكرتي الى الماضي القريب في ٢٨ نيسان ١٩٣٩ عندما القى هتلر خطابا في مجلس الأمة رد به على وساطة الرئيس الامريكي فرانكلن روزفلت التي طالب بها هتلر بتقديم تعهد بعدم وجود اية نوايا عدوانية المانية للاعتداء على ثلاثين أمة سماها روزفلت برسالته وقد كان هتلر بليغا في خطابه المفعم بالسخرية والذي جعله الاجابة الرسمية على رسالة روزفلت فقال:

« لقد حرصت على استطلاع اراء جميع الامم الثلاثين الواردة اسماؤها في رسالة الرئيس روزفلت وكانت اجابات اغلبها بأنها لا تشعر بأي خطر يتهددها من جانب المانيا اما الجزء الباقي فقد استنكر التساؤل اصلا».

ثم ان هتلر الغى في ذلك الخطاب الاتفاقية البحرية المعقودة بين المانيا وبريطانيا. كما انه قال بأن «الضمان الانكليزي لبولندا جعلني اشعر بفقدان روح المعاهدة التي سبق ان عقدتها مع المشير بلسودسكي » وهذا معناه انه اعتبر تلك المعاهدة المعقودة بين المانيا وبولندا والتي تبادل بها الطرفان التعهد بعدم اعتداء احدهما على الآخر والتي سبق لهتلر ان ابرمها مع رئيس جمهورية بولندا المشير بلسودسكي قبل خمس سنوات عديمة القيمة . وكانت نتيجة ذلك الخطاب ان قام تشامبرلن بعد يومين فقط باعلان التوصل الى اتفاقية بريطانية فرنسية لضمان أمن بولندا.

ولو تمعنا بالاخطاء التأريخية التي حصلت آنذاك لتبين لنا ــ دون ادنى شك ــ بأن هتلر لم يكن الملام الوحيد • فالضمان الانكليزي لپولندا لم يتخذ صفة التحذير الجدي لألمانيا وقد برهن على عدم جدواه في انقاذ پولندا عندما هاجمها هتلر وهكذا كان مجرد ورقة عديمة القيمة • وكان يمكن اعتبار الضمان الانكليزي حاسما للموقف فيما لو استطاع تشامبرلن اقناع السوفيت بالتضامن معه في اصدار هذا الضمان ــ حتى ولو تم هذا الضمان لقاء تعديل خط الحدود الروسية ــ الپولندية لصالح روسيا فيما بعد ــ فمثل هذا الضمان كان سيجعل هتلر يحجم تماما عن المغامرة باشعال حرب طاحنة على جبهتين والشروع بالاعتداء على پولندا•

لكن الحقيقة هي ان بريطانيا لم تحاول في اتصالاتها مع موسكو التوصل الى اصدار ضمان مشترك لپولندا ،مما حفز الروس للاتفاق مع هتلر بشأن پولندا•

سافرت الى انقرة في أواخر نيسان ١٩٣٩ بقطار الشرق السريع وكانت قد احتدمت برأسي مختلف الافكار والهواجس طوال تلك الرحلة • وكنت قد جعلت فون ريبنتروپ على ثقة تامة بأنني سأبذل قصارى جهدي في انقرة للمناداة بالسلام وعدم جعل التوتر السياسي الحاصل بسبب مشكلة پولندا مدعاة للقلق المتزايد في أوربا • وقد أوضح لي من جانبه تأييده للخطوات التي عزمت على تنفيذها وطلب أن تكون مهمتي : التأكيد للاتراك بأننا نسعى جاهدين لتجنب حصول أي نزاع اوربي• كما اننا سنحاول اقناع اصدقائنا الطليان بضرورة تجنب اللجوء الى تهديد اقطار البلقان وتركيا • وان الهدف الاساس من مهمتي هو الحفاظ على الحالة الراهنة وان اسعى لتجنب دخول تركيا في أي حلف مناوىء لنا ــ وقد اكد لي فون ريبنتروپ بأن هتلر ايد الخطوط العامة لهذه السياسة•

استقبلني في اسطنبول قنصلنا العام فيها وعدد كبير من ابناء الجالية الالمانية وقد عكر مشاعري سماعي نبأ ارسال ستالين احد اعوانه ويدعى السيد پوتمكين الى انقرة لاجراء محادثات مهمة مع الحكومة التركية •

وعليه فقد قررت مواصلة السفر الى انقرة بذلك المساء فقابلت وزير الخارجية السيد شكري سراج اوغلو وحدثته بالغرض الذي أوفدت من أجله • وكان سراج اوغلو رجلا واضحا ومريحا وكان من طراز الرجال الذين تسهل اقامة علاقات ودية معهم وهو يعالج مختلف المسائل بصراحة مثيرة للاعجاب•

استطعت في اليوم التالي لوصولي تقديم اوراق اعتمادي لرئيس الجمهورية وهو الرئيس عصمت اينونو الذي خلف الرئيس مصطفى كمال (اتاتورك) وكانا قد ناضلا جنبا الى جنب في سبيل حرية بلادهما كما خاضا في سبيلها معارك حاسمة • وكان عصمت اينونو قد شغل منصب رئيس وزراء بلاده طوال عهد رئاسة صديقه الحميم اتاتورك وساهم معه في وضع الاسس الراسخة للجمهورية التركية الحديثة•

تحدثت الى الرئيس باسهاب واوضحت له بأن عدوان ايطاليا على البانيا قوبل من المانيا بالامتعاض لدرجة اثرت على الصداقة الالمانية ـ الايطالية القائمة • وقد قابل الرجل تطميني لبلاده وتأكيدي لحرص المانيا على سلامتها بالارتياح التام لكنه لم يكتف بهذه الكلمات الودية لأن ايطاليا اعربت هي الاخرى عن مثل هذه المشاعر لكن موقفها لم يتغير • لأن الكونت شيانو اكد عزم بلاده على الاحتفاظ بتشكيلات قوية في البانيا اصرارا منه على العدوان بينما تكفي قوة من الشرطة للمحافظة على الأمن في تلك البلاد الصغيرة • كما ان الطليان دأبوا على تقوية وجودهم في جزر الدوديكانيز وزيادة التحصينات فيها • فهل في نية المانيا اسناد هذه السياسة ؟

دافعت بحرارة عن سياسة بلادي وأخبرته بتأكيدات هتلر وفون ريبنتروب وارائهما بشأن تركيا • فقال لي الرئيس التركي عندئذ بأنه يسعى لاقامة حلف مع كل من بريطانيا وفرنسا وانه لا يزال في دور المباحثات الشفوية معهما • فرجوته ان يمنحني فرصة الرجوع الى برلين لكي احرك هتلر ازاء اصدقائنا الايطاليين بغية احباط مساعي ايطاليا المناوئة لتركيا فوعدني الرئيس اينونو بأنه سيتريث في عقد الاتفاقية مع الانكليز والفرنسيين وسينتظر ما ستتمخض عنه مساعي ببرلين•

أبرقت حال رجوعي للسفارة رسالة مطولة الى كل من هتلر وفون ربنتروب ضمنتها تقريرا عن المخاوف التركية • واقترحت عليهما ممارسة ضغط شديد على ايطاليا لكي تحتفظ بأقل ما يمكنها من قوات في البانيا بما يكفيها للمحافظة على الامن والنظام.

واقترحت ايضا قيام ايطاليا ـ اعراباً عن حسن نواياها ـ بمنح تركيا جزيرتين صغيرتين من جزر الدوديكانيز لا أهمية لها وتبعدان عن المياه الاقليمية التركية مسافة ثلاثة اميال فقط. وقد لاحظت بعدئذ رد فعل الكونت شيانو على رسالتي المذكورة بمذكراته التي نشرت نشرت بعد الحرب العالمية الثانية. اذ كتب في ١ مايس ١٩٣٩ ما يلي:

« اشار فون ماكنزن[٤] من روما وآتوليكو[٥] من برلين الى عدم ارتياح تركيا لسياستنا واقترحا علينا اعطاء الاتراك اشارات مطمئنة. وقد قال لي الزعيم[٦] ان الاتراك يستحقون مهاجمتنا لهم لمجرد خشيتهم من الهجوم».

وهذا معناه ان المساعي التي قمت بها لم تلق من الطليان أي اهتمام.

قررت كتابة مذكرة ضافية بشأن مخاوف الحكومة التركية من تهديد ايطاليا الى هتلر وأعطيت نسخاً من تلك المذكرة الى كل من فون ربنتروب والفرقاء كايتل وفون براوختش وهالدر •

والمؤسف انني لم احتفظ بنسخة اصلية من الوثيقة المذكورة لكن فحواها كانت كما يلي تقريبا:

« ان بواعث اقدام تركيا على عقد اتفاقية دفاعية مع كل من بريطانيا وفرنسا هي خشيتها من التعرض لعدوان ايطالي. فايطاليا تحاول منذ خمسة عشر عاما الاستيلاء على السواحل الشرقية لحوض البحر الابيض المتوسط. ويخشى الاتراك من اسناد المانيا لهذه المطامع الاستعمارية الايطالية بحكم قيام

(٤) هو سفير المانيا لدى ايطاليا آنذاك .
(٥) هو سفير ايطاليا لدى المانيا آنذاك .
(٦) المقصود بنيتو موسوليني . ـ المترجم ـ

المحور بينهما.

وان جميع التأكيدات الاعتيادية التي قد تقوم بها ايطاليا تعتبر في هذا الموقف عديمة الاهمية. وعليه فانني اقترح ان تقتصر القوة الايطالية التي تحتل البانيا على قوات الشرطة الضرورية للمحافظة على الأمن والنظام كما اقترح للبرهنة على حسن نوايا ايطاليا ازاء تركيا تخليها لها عن جزيرتين صغيرتين لا أهمية لهما من جزر الدوديكانيز وتقعان قرب السواحل التركية . وعلينا ان نبذل جهودنا لاستمالة تركيا خشية انحيازها الى خصومنا مما سيؤثر على موقفنا الى حد كبير . ذلك لأن أي نزاع بشأن البانيا أو پولندا ربما سيؤدي الى نشوب حرب عالمية ثانية وسنخسر هذه الحرب اعتبارا من اليوم الاول لنشوبها.

لقد كانت تركيا الى جانبنا في حرب ١٩١٤–١٩١٨ ومع ذلك فاننا لم نستطع قطع شرايين المواصلات البريطانية لا في الخليج العربي ولا في شرق البحر الابيض المتوسط.

أما الآن فموقفنا اصعب لأن المواقع المسيطرة عسكريا في الشرق الادنى وفي الاناضول ستكون جاهزة لصالح خصومنا مما سيسهل عليهم اداره الحركات ويزيدها تعقيدا بالنسبة لنا.

وعليه فان الحفاظ على السلام يعتبر قضية حياة بالنسبة لالمانيا ».

قوبلت هذه المذكرة بأول استنكار من وزير الخارجية . اذ كان من رأيه انه ليس من حقي عرض مثل وجهة النظر هذه على شخصيات اخرى. لكنني أردت ان اوضح لكبار قادة الجيش الالماني آنذاك بأن الحرب تعني انتحار المانيا . وان عليهم ان يتدبروا مع هتلر ايجاد حل لتفاقم الحالة السياسية في اوربا. وقد عنيت من تلك المذكرة – اعتمادا على تجاربي في القتال ابان الحرب العظمى في فلسطين وفي الصحراء السورية – ان من الخطر على المانيا انحياز تركيا الى صفوف اعدائنا.

صادف رجوعي الى برلين الاستعداد للاحتفال بعقد المعاهدة الألمانية – الايطالية التي وقع عليها بالاحرف الاولى فون ريبنتروب والكونت شيانو

في أول مايس ١٩٣٩ وكنا نتوقع قيام هتلر بالرد بشدة على جواب تشامبرلن.

أقيم احتفال كبير بمناسبة عقد المعاهدة في البناية الجديدة لدار المستشارية ووجدت هذه المناسبة فرصة سانحة للتحدث الى الكونت شيانو بصراحة. وكانت نفسي قد اطمأنت للمادة الاولى من المعاهدة التي تشير الى ضرورة تبادل الدولتين للآراء بصدد جميع المشاكل الاوربية.

وكنت لا ازال اعتقد بأن موسوليني احصف الحليفين وانه يتمكن عند الضرورة من سحب هتلر وايقافه عن الاستمرار على زيادة حدة الموقف السياسي . وعليه فقد توجهت لوزير خارجية ايطاليا برجاء لتهدئة تركيا والتوصل معها الى تفاهم ايطالي-تركي.

انصت لي الكونت شيانو وانتظر فراغي من كل ما اوردته في مذكرتي السالفة الذكر وهو يتميز غيظا . ولما فرغت من كلامي اندفع بكل حماس نحو فون ريبنتروب .

راقبت شيانو وهو يحدث فون ريبنتروب فلاحظت ان وجه الاخير يزداد امتقاعا ثم ما لبث أن توجه نحوي وقال لي بغضب ظاهر :

« من الذي سمح لك بتوجيه النصائح للكونت شيانو بشأن سياسة ايطاليا الخارجية ؟ ان هذا سلوك لا يطاق. ومن الذي يتحمل هنا مسؤولية السياسة الالمانية . انت أم انا؟ ثم ما هذا التصرف بهذه الليلة التي نحتفل فيها بعقد معاهدة الصداقة الالمانية الايطالية . لقد شكى لي الكونت شيانو من تصرفك بمنتهى المرارة».

عندئذ اجبته:

« مما لا شك فيه انك المسؤول عن سياسة المانيا الخارجية يا سيد فون ريبنتروب. الا ان هذا لا يمنع من محادثتي لوزير خارجية ايطاليا عن متطلبات الموقف الدولي الراهن. ثم انك كنت قد ارسلتني قبل ثلاثة اسابيع الى انقرة بمهمة التحري عن الوسائل التي يمكننا اللجوء اليها لانقاذ الموقف في جنوب شرق أوربا. وقد وجدت لزاما علي ان أعرض الحالة السائدة على الكونت

شيانو كما عرضتها عليك. فاذا وجدت ان تصرفي هذا كان مغلوطا فانني اعرض عليك استقالتي راجيا قبولها. ثم انني اصارحك بأن لهجتك معي لم تعجبني وارجو ان تلاحظ بأنني لم آلف مثل هذه المعاملة ».

ثم استدرت جانبا وتركته واقفا لوحده.

عندما كنت ساهما في اليوم التالي افكر بما ينبغي علي عمله وصلتني رسالة من فون ريبنتروب يأسف فيها على ما بدر منه في الليلة الماضية من جفاء كما انه يعتذر عن الكونت شيانو ايضا. ويدعوني في رسالته للحضور الى منزله في مساء اليوم نفسه لحضور وليمة اقامها على شرف الكونت شيانو لكي يمكننا مواصلة الحديث سوية.

أدت تلك المحادثة الصريحة مع الكونت شيانو الى تحفظه تجاهي فقد علمنا من رسائل السفارة الايطالية في انقرة ان وزير الخارجية الايطالي كلف سفيره دي پيبو بمهمة مراقبتي بحذر زائد. وقد جاء في مذكرات الكونت شيانو التي نشرت بعد الحرب ما يلي:

٢١ مايس ١٩٣٩

« قال لي فون ريبنتروپ ان رغبة المانيا ومصالحها تقتضي الحصول على فترة سلم امدها ثلاث سنوات على الاقل. كما ان فون ريبنتروپ تحدث عن موقف تركيا . ويبدو انه متأثر بتقارير سفيره فون پاپن الخيالية والتي مفادها ان تركيا تخشى كثيرا من ايطاليا » .

رجعت الى مقر عملي في انقرة دون ان احقق أية فوائد من اتصالاتي مع وزيري خارجية المانيا وايطاليا . وأخذت ألاحظ مراقبة السفير الايطالي دي پيبو لفعالياتي بكثير من الاسفاف ، أما وزير الخارجية الايطالي فقد كتب بمذكراته ما يلي :

٤ أيلول ١٩٣٩ .

« ان فون پاپن مستمر على تدبير الدسائس في انقرة. وقد اقترحت

تقديم احتجاج تحريري عن فعالياته الى فون ريبنتروپ».

وجدت أمامي مجالا واسعا للاتصال بالوزراء الاتراك وبزملائي السفراء الاجانب لكي المس آرائهم عن كثب. فوجدت ان الرأس المدبر لسياسة تركيا الخارجية كان امين سر الخارجية التركية نعمان مينمينجي اوغلو وهو رجل قدير قدم لبلاده خدمات جليلة في أصعب مرحلة من مراحل تأريخ تركيا الحديثة ويتمتع بكفاية نادرة في مجال اختصاصه كما انه لديه وضوح تام بشأن ضرورات السياسة الاوربية ويتمكن من ايجاد الحل المناسب لكل موقف صعب من مواقف السياسة المعقدة . وهو يحب التكلم بكل صراحة ويمكن الوثوق بكلامه الى ابعد الحدود. وكان رأيه الاولي بشأن المانيا الهتلرية انها تسبب له الكثير من الخوف والقلق . فهو يريد لألمانيا أن تبقى قوة شديدة البأس ومرهوبة الجانب في وسط اوربا بحيث تخشاها روسيا ولا تجسر على اية محاولة للوصول الى المضائق التركية والتوسع على حساب الاقطار الاخرى. الا ان سياسة المحور العدوانية من شأنها الاخلال بالتوازن الاوربي لأنها تنطوي على المغامرة التي اقدمت المانيا وايطاليا على خوضها لدرجة ارهبت تركيا وغيرها. وقد حزمت تركيا امرها على الاجابة بالدخول في الحرب ضد اية دولة تحاول الاعتداء على احدى دول حلف البلقان اما جوابي على كلامه فهو ان رغبتي الوحيدة هي الحفاظ على السلام. وكنت اقول في نفسي ان هذا السبب وحده هو الذي يدعوني لبذل كل المساعي الممكنة للنجاح بهذه المهمة على الرغم من كل تجاربي الشخصية المريرة غير المشجعة التي سبق ان حصلت عليها في تعاملي مع النظام النازي.

وصفت لنعمان مينمنجي اوغلو ـ خلال محادثاتي معه ـ شخصيتا هتلر وفون ريبنتروپ ورجوته قضاء اجازته في المانيا وزيارة الاخير ببرلين وقلت له بأنه لابد ان يقع في موقع اثير في فؤاده. وقد تحققت هذه الامنية وحدثني عنها نعمان مينمنجي اوغلو بعد عودته وقال ان فون ريبنتروپ دعاه الى منزله الريفي وبقى يتجول في الحديقة طوال ساعات عديدة شارحا له مزايا الانضمام للمحور بدلا عن الدخول في حلف مع فرنسا وبريطانيا . ثم اعاد على مسامعه مرات عديدة مدى قوة المانيا وايطاليا وان رغبة المانيا

تنحصر في التخلص من قيود معاهدة فرساي المجحفة. وكانت لفون ريبنتروب صورة قاتمة عن انحلال الامبراطورية البريطانية الوشيك . ولم يخبرني نعمان مينمنجي اوغلو بطبيعة الحال عن عدم استجابته لدعوة فون ريبنتروب لضم تركيا الى المحور. لكنه ابدى تعجبه من مسلك وزير الخارجية الالماني.

كنت معجبا من بين جميع زملائي الدبلوماسيين الاجانب بممثل الدولة المعادية الاولى لبلادنا والذي كان جل اهتمامي بنشاطه وهو سفير بريطانيا سير هوغ ناتشبول هوغيسن وهو رجل كيس حلو الشمائل وقد حصل عني على انطباع مشابه لأنه يعتبر مثالا للنبيل الانكليزي من الطراز القديم ولو انه ذكر بعض الأمور غير الحقيقية عن زميله الألماني[7] في كتابه الموسوم «دبلوماسي في السلم والحرب» ولابد انه كانت لديه مبررات ضرورية لما كتب .

كتب سير هوغ عن وصولي الى انقرة ما يلي:

« لقد مارست حكومته ضغطا على الاتراك لمدة تزيد على السنة لكي يقبلوه سفيرا لبلاده في انقرة. وقد رفض الاتراك قبوله حتى آخر تأريخ ممكن لتأجيل وصوله . ولما وصل استقبلوه بفتور ظاهر ».

وأنا لا أفهم ابدا لماذا رفض الاتراك ــ حسب زعم سير هوغ ــ قبولي ثم عادوا فقبلوا . لقد سبق ان عرض علي المنصب ثلاث مرات رفضته فيها ولما قبلته في آخر مرة قامت الحكومة الالمانية بمفاتحة الحكومة التركية بترشيحي قبل التحاقي بأسبوعين فقط ولو حصل اعتراض الحكومة التركية فعلا فان الاعتراض والموافقة اللاحقة لم تستمر أكثر من اسبوعين وليس اكثر من سنة.

ويبدو ان سير هوغ كان متأثرا بالدعايات الموجهة ضد شخصي فكتب

---

(٧) المقصود هو المؤلف بالذات . أما مبررات الكتابة فاهمها قضية التجسس المعروفة باسم عملية (شيشرون) والتي كان السفير الانكليزي مسؤولا عنها مسؤولية مباشرة وسيتطرق لها المؤلف في فصل قادم من هذا الكتاب .
ــ المترجم ــ

عني في كتابه :

« كان اسم فون پاپن مرتبطا بصورة وثيقة بكل ما هو مقرف وخبيث في عالم الدبلوماسية »٠

ولا الومه على هذا ابدا لأن هذه هي الصورة التي ينبغي ان تكون لدى كل دبلوماسي انكليزي عن كل دبلوماسي الماني ٠ لأنه ليس من المعقول ان يعامل الانكليزي خصمه باعتباره (أميناً) او يتمتع بأية فضائل٠

وأود في هذا المقام ان أصحح واحدة من التهم الكثيرة التي الصقها بي الرجل على الرغم من مرور سنين عديدة على حدوث الواقعة التي انا بصددها٠ فقد حدث ان دعوت السفير البريطاني سير هوغ والسيدة عقيلته لتناول الفطور في منزلي يوم ١٥ آب ١٩٣٩ ولم يدر بخلدي ان ذلك اليوم بالذات سيكون يوم نحس مشهود ٠ فقد تلقيت وأنا على مائدة الفطور وقبل تناول الفطور مباشرة برقية تفيد بوفاة أمي الحبيبة٠ وقد تحاملت على نفسي وكتمت عواطفي ريثما يفرغ ضيوفي من فطورهم وينصرفوا٠ ولربما كنت قليل المجاملة اثناء ذلك الفطور ــ بسبب تأثير النبأ المفجع على نفسي ــ وكان ان كتب السفير الانكليزي في مذكراته بصدد يوم افطاره عندي:

« لقد بدى على فون پاپن اثناء الفطور تأدب وظيفي رهيب » فهل لي ان استميحه عذرا بعد كل هذه المدة الطويلة ؟ انني آمل ان يقدر ظروفي النفسية ويقبل تبريري لذلك الثقل الذي ظهر على ملامحي قسرا دون قصده٠

كان زميلي الفرنسي السيد رينيه ماسيغلي دبلوماسيا مشهورا في جميع ارجاء العالم بسبب اشتغاله قبل ذلك الحين في عصبة الامم ٠ ولم يقدر مدى معاناة الشعب الالماني ابان عقد العشرينيات كما لم يحاول مد يد المساعدة لالمانيا بأية صورة كانت وعليه فاننا كنا على علاقة لا نحسد عليها٠

اقتضى حادث وفاة والدتي ان اقوم بسفرة الى المانيا في وقت بالغ الحرج٠ فطرت الى ديوسلدورف يوم ١٦ آب ١٩٣٩ وبعد ان شيعتها الى مثواها الأخير وجدت من الضروري أن اقابل هتلر واستطعت مقابلته يوم

٢٠ آب ١٩٣٩ في برختسغادن[٨] وقد لاحظت خلال تنقلي اليهـا جوا وجود ارتال عسكرية تتقدم على كل الطرق تقريبا. فقدرت ان المانيا اعلنت النفير الشامل ولكن بصورة مكتومة. وقد تركز همي على الاستفسار عن آخـر تطـورات المـوقف مع پولندا . وعليه فقـد سألت هتلر عن سبب هـذه الاستحضارات الواضحة للحرب فأجابني ضاحكا ـ وكان في احسن حالاته:

« تحت الختم تكمن أخطر الأسرار[٩] . هل لي أن اوجزك بشأن الواقعة العظمى التي نحن بصددها ؟»

ثم استرسل في سرد اجراءاته بطريقة رائعة حيث قال انه افلح في نسف محاولات الحلفاء الغربيين لاستمالة روسيا الى جانبهم واردف قائلا:

« سيطير فون ريبنتروپ غـدا الى موسكو لكي يوقع مع السوڤيت معاهدة لعدم الاعتداء».

فوجمت مذهولا وأنا في غاية الفرح. ذلك لأن انطباعي الاول عن هذا النبأ كان كما يلي:

الآن تم تجنب الحرب . فبعد ان توقع المانيا مع روسيا على معاهدة لعدم الاعتداء سيتوقف البولنديون عن العناد بشأن قضية الممر التي توشك ان تؤدي الى نشوب الحرب. لأن الضمان الانكليزي وحده ـ دون التأكد من حياد السوڤيت ـ لا يكفي للاستمرار على العناد او الوصول بالقضية الى اعلان الحرب . وقد تنفست الصعداء وهنأت هتلر على هذه السياسة التي حقق بها النجاح الدبلوماسي الرائع. وقلت له بأنه ترسّم في هـذه الخطوة فكرة بسمارك التي تقضي بالتوصل الى تفاهم مع روسيا . كمـا قلت له بأن موقف المانيا السياسي سيكون اكثر رصانة في اوربا مما لو حققنا اغراضنا السيـاسية باللجوء للحرب. لأنني أجد من الخطر علينـا اللجوء

---

(٨) تقع برختسغادن في المانيا الغربية على مقربة من حدودها مع النمسا وكان فيها مقر هتلر الصيفي . ـ المترجم ـ

(٩) هذا مثل الماني مشهور .

ـ المترجم ـ

للاساليب القسرية في التعامل مع جيراننا الاوربيين الاقوياء او اثارة الضغائن مع شعوب الاتحاد السوڤيتي او جعل علاقاتنا الدولية مبنية على الاستفزاز والارهاب.

ضحك هتلر . ولم يحاول التخفيف من حماسي. ولم ينبس ببنت شفة وانما تطلع ببصره وكأنه يرنو الى الفراغ اللامتناهي لأنه كان قد حزم أمره على اقتسام پولندا مع السوڤيت . ولست أدري عما اذا كان قد قرر في تلك الأيام التضحية بأقطار البلطيق(١٠) والتخلي عنها للسوڤيت لقاء توقيعهم على اتفاقية عدم الاعتداء. أو انه كان قد اتفق معهم على خط حدود معين في المناطق الشرقية من أوربا. لأن النتيجة لم تظهر الا بعد المفاوضات التي استمرت ثلاث ساعات بين فون ريبنتروب من جهة وبين ستالين ومولوتوف من الجهة الاخرى وكان ذلك يوم ٢٣ آب ١٩٣٩ .

وعلى كل حال فان الملحوظة الواضحة بشأن تلك الاتفاقية ذات الصفة السرية قد تجلت فيما بعد نتيجة لتطورات الحرب وتمخضت عنها حدود پولندا المستقلة بشكلها الجديد(١١) . وواضح ان هتلر كتم عني نواياه في الحديث الذي دار بيننا يوم ٢٠ آب ١٩٣٩ .

في صباح يوم ٢١ آب ١٩٣٩ ذهبت الى المطار بقصد العودة الى انقرة فصادفت فون ريبنتروپ وكان متجها بمهمته المشهورة الى موسكو فودعته فنشرت صحيفة (فولكشه بيوباختر) صورتي مع الوزير اثناء توديعي له . فتكهن الناس بأن لي ضلعا في الاتفاقية الالمانية ــ السوڤيتية ثم مضى بعضهم

---

(١٠) هي جمهوريات استونيا وليتوانيا ولاتفيا التي اصبحت منذ عام ١٩٣٩ جمهوريات سوڤيتية .

ــ المترجم ــ

(١١) تخلت پولندا بعد الحرب العالمية الثانية عن اقليمها الشرقي لصالح الاتحاد السوڤيتي وحصلت على نصف پروسيا الشرقية ــ التي اقتسمتها مع الاتحاد السوڤيتي ــ كما حصلت على اقليم پوميرانيا الواقع شرق المانيا واصبحت حدودها تمتد مع نهري الاودر وفرعه نايسه .

ــ المترجم ــ

في تصوراته زاعما بأنني التقيت مع زميلي السفير السوڤيتي بأنقرة بعدثلاثة ايام بسفينة في عرض البحر لبحث تفاصيل اتفاقية الصداقة الجديدة . والواقع هو انني طرت عائدا الى اسطنبول يحدوني الامل بأننا سنتجنب الحربالتي كانت أسوأ ما ينتظرنا . وقد أوضحت للحكومة التركية بأن الاتفاقية الألمانية السوڤيتية هي اتفـاقية ترمي الى وضع اسس سلمية لحـل مشكلة النزاع الالماني ـ البولندي بشأن الممر.

أما بالنسبة للتطور المأساوي الذي حصـل في آخر ايـام آب ١٩٣٩ ببرلين فقد كنت مع شديد الأسف بعيدا عن الاحداث وكنت شـاهدا بعيدا ومستبعدا عن الايجاز بشأنها. وقد تقوضـت احلامي السعيدة بكسب السلام عندمـا سمعت مثل ملايين البشر خطـاب هتلر المشؤوم بمهـاجمة پولندا لحل معضلة الممر كمـا انني لم ادرك آنذاك بأنه اقدم على المرحلة الاولى من خطته الواسعة لخوض حرب عالمية. وكان ان وقع المحذور.

لقد كان هتلر واهما الى ابعد الحدود عندمـا تصور بأن التهـديد الانكليزي ـ الفرنسي كان مجـرد حيلة وانـه سيتمكن من حل المعضلـه الپولندية لوحده بقوة السلاح. وعندما اعلنت بريطانيا الحرب علينا في يوم الاحد المصادف ٣ أيلول ١٩٣٩ ادركت آنذاك بأننا سنخسر الحرب. وهذا ليس مجرد ادعاء اطلقه الآن جزافا وانما هناك شاهد عليه . فقد كتبتأمينة سري المخلصة الآنسة ماريا روزه في مذكراتها :

«علمت بنبأ نشوب الحرب من راديو سفارتنا بأنقرة مع السفير واغلب موظفي السفارة . ثم ذهبت مع السفير الى الحديقة وكان في غاية الانزعاج والشحوب . ولم يسبق لي ان رأيته بمثل تلك الحـال مطلقا. حتى ولا في الايام القاتمة التي اعقبت ٣٠ حزيران ١٩٣٤ ولا بعد اغتيال صديقه كيتلر. ولذا فأنني اتذكر تماما نص العبارة التي قالها لي: تمعّني بما سأقوله لك. ان الاصرار على هذه الحرب هو اكبر جريمة واكبر حمـاقة ارتكبها هتلر وزمرته . وان المانيا لا يمكن ان تكسب هذه الحرب التي ستؤدي بنا الى الدمار».

ولقد سائلت نفسي في ذلك اليوم القدري عما يجب ان افعله وكأنني أتكهن بما يخفيه لي القدر باحالتي بعد الحرب الى محكمة دولية بتهمة المساهمة في اشعال نار الحرب.

وكان من الواضح وضوح الشمس - حتى بدون البرهنة بالوثائق والمستمسكات - ان هتلر هو الذي اراد الحرب وهو الذي ساق المانيا الى مصيرها المحزن. لكنني وجدت امامي بتقديري للموقف آنذاك - بصفتي ضابط ركن سابق - ثلاثة مسالك فقط.

اولها القيام باحتجاج علني في العالم الخارجي لفضح نوايا هتلر وهذا المسلك ينطوي على تحطيم الروح المعنوية للشعب الالماني في وقت المحنة. ثم ان اختيار المنفى في خارج المانيا معناه عدم احتمال العودة لالمانيا وهذا مسلك لا ارتضيه لنفسي. فقد اثبتت التجارب ان الوطنيين المتحمسين لا يمكن ان يستعجلوا في هجر اوطانهم لأنهم ربما يضعون أنفسهم بمأزق حرج فيما لو انتهت الحرب بعد فترة قصيرة وعاد السلام .

وهكذا بقي امامي مسلك من اثنين فاما البقاء بمنصب السفير او الاستقالة والعودة للوطن حيث ينتظرني منصب آمر لواء مشاة احتياط بموجب لائحة النفير. ولم يكن من العسير اختيار المسلك الافضل. وكان ان قررت البقاء بمنصبي سفيرا لبلادي في انقرة لكي أبذل المستحيل في سبيل تجنب الكارثة المحدقة بالمانيا من موقعي الحساس والمطل على العالم الخارجي.

الفصل السابع والعشرون

ضمانُ الحيادُ التركي

الحرب تغير من نمط حياتنا . حياد روسي وتركي . حلف البلقان . موقع بلغاريا الحساس . وساطة هولندا السلمية . فون ريبنتروب يمتنع عن اجراء اية محادثات سياسية معي . محادثة مع فون فيتزليبن . هتلر واتفاقية ويستفاليا للسلام . رجاء الملكة ولهلمينا . محادثة مع الملك بوريس . انا اطالب بالعدالة واعادة الحياة الدستورية . غزو الدانمرك والنرويج . غزو بلجيكا وهولندا . رسالة الى صديق . دخول ايطاليا الحرب وحق التحالف مع تركيا . سياسة بريطانيا وسياسة المانيا . زيارة لهتلر . غضبه بشان موقف بريطانيا . هل لا زال السلام ممكنا ؟ خطاب البرلمان واصدائه . تقرير السيد ماسيغلي . ايطاليا تهاجم اليونان . التزامات تركيا . كلمة لاينونو . زيارة مولوتوف لبرلين . قرار ذو اهمية تاريخية . عملية ((باربا روسا)) .

أدى نشوب الحرب الى تعقيد حياتنا الاجتماعية في انقرة الى حد كبير . اذ كان في انقرة شارع رئيسي واحد يدعى شارع جانقايه وكنا نلتقي عند المسير فيه يوميا مع جميع أعضاء الهيئات الدبلوماسية الاخرى وغالبا ما كنا نلتقي ببعضنا أكثر من مرة في اليوم الواحد عندما نسير في ذلك الشارع . وقد

ادى نشوب الحرب الى تعقد علاقاتنا السابقة وخصوصا مع اعضاء السفارات التي دخلت بلدانها الحرب ضد بلادنا . الا ان السفير الانكليزي سير هوغ شذ عن هذه التعقيدات عندما اخذ يرفع قبعتــه لي او لزوجتي كلما قابلنـا مصادفة دون ان تتبادل واياه الكلام. وقد وجدنا هذا التصرف النبيل الذي يدل على اصالة روح الفروسية في نفسه مدعاة للاجابة بالمثل.

كان عدد المحايدين الحقيقيين قليلا ولوحظ ان أغلب الدبلوماسين يناصبون المانيا الهتلرية شيء من العداء مع استثناء واحد هو استمرار السفير الاسپاني المركيز دي‌پرات دي ناتتواليه الذي اولانا كل محبته واخلاصه. وهو دبلوماسي مجرب وشجاع لا يتورع عن المجاهرة بشعوره الموالي لالمانيا حتى وان تعرض للنقد الشديد بسبب صداقته لالمانيا . وقد وجـدنا بشخصه وشخص عقيلته اللطيفة صداقة حميمة استمرت حتى بعد اندحار بلادنا في الحرب أي في الفترة المظلمة التي أعقبت الحرب.

كان جـارنا المبـاشر في انقرة السفير السويسري لاردي الذي كانت عواطفه كلها للطرف الآخر ولكنني اجريت معه على الرغم من معرفتي لهذه الحقيقة محاورات عديدة بقصد احاطة السفير الانكليزي علما بوجهة نظري بشأن بعض الامور. ولم اتردد في عام ١٩٤٤ عندما قطعت العلاقات الدبلوماسية التركية ــ الالمانية عن تكليف السفير السويسري بمهمة رعـاية المصـالح الالمانية في تركيا.

واذا ما انتقدني احد لهذا التكليف رغم علمي بمناوأته لنا فانني ابرر التصرفات المريرة التي شعرنا بها وكأنها مضادة لنا بأنها مجرد مظاهر لطبيعته الرتيبة الجامدة ولا اظن انها مقصودة بحال.

وكان هناك محايد آخر يولينا الكثير من عواطفه وهو القنصل الهولندي فيلبيس كريستيان فيسر المشهور ببعثته الاستكشـافية في جبال قرهقورم الآسيوية . وقد تحدثت معه كثيرا بشأن الضـرورة الملحـة لانهـاء الحرب بالسرعة الممكنة. وكان ان كتب الكثير من التقارير بهذا الصدد.

سارت الحملة على پولندا وفق الخطط المرسومة وحققنا نجاحا باهرا

فيها وقد كتب السفير الالماني بموسكو غراف شولنبورغ في ٢ أيلول ١٩٣٩ تقريرا عن مداولات الحكومة السوفيتية مع الاتراك من اجل الابقاء على حيادهم. وكان فون ريبنتروپ قد حمل هذه الرغبة معه الى موسكو بناءعلى رجائي الخاص لأنني كنت اهدف الى تحديد عدد الدول المتحاربة الى أقل ما يمكن بغية انهاء الحرب بسرعة وبسهولة اكثر. وكانت محاولة بريطانيا لاستمالة رومانيا على أمل ايصال المساعدات الانكليزية عن طريقها الىپولندا ايفاء بالضمان الذي سبق ان قطعته لها امرا طبيعيا . الا ان دخول رومانيا الحرب يهدد حياد تركيا. ثم ان معاهدة مونترو نصت على حق تركيا في منع مرور اية وسائل حربية عبر مضيقي البسفور والدردنيل.

ناقشت مع زميلي الهولندي فيسر كيفية التوصل الى السلام المنشود بعد انتهاء الحملة على پولندا . لاسيما وان الجبهة الغربية كانت هادئة نسبيا ولم يحدث أي قصف متبادل لأن الالمان لم يتعرضوا على فرنسا مما حدى بالفرنسيين ان يقولوا لأنفسهم:

« اذا لم يرم علينا الالمان فسوف لن نرميهم ابدا».

وقدرت آنذاك ان الطرفين راغبان في وضع حد للحرب القائمة وكل ما يحتاجه الموقف هو بذل المساعي الدبلوماسية لاقرار السلام. وكان الحل الذي وضعته لانهاء الحرب يتضمن منح پولندا استقلالها بعد استرجاع الاقسام الالمانية التي سبق ان استحوذت عليها. كما يقتضي منح تشيكوسلوفاكيا سيادتها وجعلها مرتبطة بالمانيا بمعاهدة صداقة. ويجب منح بلاد البلقان وبلدان شرق البحر الابيض المتوسط ضمانا المانيا للحفاظ على وجودها. ولما تبلورت هذه الفكرة في خاطري قررت عرضها على هتلر والوزير فون ريبنتروپ بصورة شخصية. ولكن القضية أصبحت رسمية تماما بعدان عرض فكرتها القنصل الهولندي فيسر على حكومته وقامت هذه بمناقشة تفاصيلها مع الحكومة الانكليزية. مما اضطرني على طرح المقترح بصورة رسمية على الوزير فون ريبنتروپ . كما أن القنصل فيسر عرض الفكرة على السفير البريطاني في انقرة الذي أخبر بها حكومته على الفور.

في هذه الاثناء القى ادولف هتلر خطابا في البرلمان يوم ٦ تشرين الاول ١٩٣٩ وكان كلامه عموميا الا انه اراد أن يوضح للملأ طبيعة اهداف السياسة الخارجية للدول الكبرى. واراد ايضا:

« وضع دستور اوربي يضمن لجميع الشعوب الشعور بالامن والراحة وبذا يمكن تحقيق السلام ».

وقد فسرت هذه الخطبة بأنها استحضار واضح لقبول السلام. فقررت بتأييد من فيسر الذي كان يقوم بزيارتنا القيام بسفرة طارئة الى برلين.

في ١٨ تشرين الاول ١٩٣٩ وصلت الى برلين فوجدت فون ريبنتروپ مريضا لكنه حذرني من عرض أية مقترحات تتعلق بالسلام على هتلر . لكنني لم التزم بهذه النصيحة وقابلت هتلر بعد يومين حيث بحثت معه الموقف السائد وامكانية التوصل الى سلام بوساطة تقوم بها هولندا . ثم عرضت عليه خلاصة المقترح الذي سبق ان ناقشته مع القنصل الهولندي فيسر. فقال لي هتلر انه سيقابلني بشأن الموضوع بعد عودتي من زيارة لأسرتي في اقليم السار.

كان تأثير محادثاتي مع هتلر قيام فون ريبنتروپ بعمل عدواني سافر ضدي لأنه لم يكد يودعني الا ووجه رسالة رسمية دورية الى وزارة الخارجية معنونة الى جميع موظفي ديوان الوزارة يمنعهم بموجبها من استقبالي أو اجراء اية محادثات سياسية معي. ولم يحدث في تأريخ العمل الدبلوماسي سوى مرة واحدة ان قام وزير خارجية بمنع سفير من ممارسة وظيفته بوضع كل المعوقات في سبيله وكان فون ريبنتروپ هو وزير الخارجية الذي قام بذلك العمل وكنت انا ذلك السفير الذي أعيق عن تنفيذ مهمته الاصلية . ولا تزال بحوزتي نسخة من تلك الوثيقة العجيبة.

حدث اثناء زيارتي القصيرة انا وزوجتي لمزرعتنا في منطقة السار ان التقيت بالقائد العام في قاطع الجدار الغربي الفريق الاول فون ڤيتزليبن[1] وكان معروفا لدي بالذات وقد صار بعدئذ من ضحايا محاولة اغتيال هتلر

(١) وصل بعدئذ الى رتبة مشير . — المترجم —

الفاشلة في ٢٠ تموز ١٩٤٤ وقد تحدثت اليه مليا بصدد امكانية انهاء الحرب حتى خلافا لرغبة كل من فون ريبنتروب وهتلر. فقال لي فون ڤيتزليبن بأنه لايزال يأمل تجنب هتلر لخوض حرب عالمية. وعلى الرغم من تفاؤل هذا القائد الكبير فانني بقيت اتحرى عن الوسائل التي يمكنني اللجوء اليها لمنع الكارثة من الوقوع انقاذا لبلادي من وهدتها.

عندما رجعت الى برلين قابلت هتلر للمرة الثانية في تلك الزيارة بناء على اتفاقه السابق معي. وقد ابتدرني الرجل بالاعتذار عن الامر المضحك الذي سبق ان أصدره الوزير فون ريبنتروب. فقلت له بأن من المتعذر علي العمل مع وزير يلجأ لمثل هذه الوسائل. لكنه برر تصرف فون ريبنتروب هذا لكونه ذو أعصاب قليلة التحمل ولذا فانه لا يمكن ان يتحمل كل المشاكل التي تعرض له.

ثم انني تطرقت لانطباعي عن الحالة العسكرية السائدة على الجبهة الغربية . ورجوته ان يبذل كل مساعيه لوضع حد للحرب وعدم العمل على توسيعها لكنه رفض قبول مقترحي السابق بشأن پولندا وتشيكوسلوفاكيا.

عندئذ قلت لهتلر ان وزير خارجيته لا يمكن أن يمنعني عن مصارحتكم بما يدور على لسان كل الماني في هذه الأيام. اذ يجب علينا ان نبذل قصارى جهودنا لتجنب الانسياق في توسيع هذه الحرب وتحويلها الى حرب عالمية ثانية.

لم يقاطعني هتلر وانتظرني حتى افرغ من كلامي ثم اقترب مني متوددا ووضع يديه على كتفي قائلا:

« لا . لا يا عزيزي پاپن . ان هـذه الواقعة سوف لن تتكرر . فالآن ستتم اعادة النظر باتفاقية ويستفاليا للسلام ».

وكتمت انفاسي مرددا في خاطري (اتفاقية ويستفاليا للسلام؟) انها عبارة لم يسبق ان سمعت عنها في كل دراساتي للتأريخ. ولما قرأ هتلر على محياي علائم الحيرة اردف موضحا بأنه يقصد الاتفاقية التي وقعت بعد حرب

الثلاثين عاما بمدينة مونستر في عام ١٦٤٨ ولم يعد من الضروري تكرار اعتراضاتي لانني صرت واثقا من عدم جدواها. ذلك لأن هتلر اتخذ قراره الجازم ولم يشأ الاصغاء لأية نصيحة. ومع ذلك فقد تركت قاعة دار المستشارية بعد ان خضت جدالا مطولا من اجل ايضاح الحقائق استمر زهاء الساعتين بدون انقطاع تحولنا خلالها ــ انا وهتلر ــ لبحث قضية الحرب والسلام وقلبناها على جميع الأوجه.

كانت اجهزة فون ريبنتروپ تعمل بصورة منتظمة جدا... فقد بقيت رسالة ملكة هولندا (التي سبق ان وجهتها الى هتلر ترجوه فيها ايقاف استعداداته للمضي في الحرب لكي يسهل اتخاذ ما يقتضي لاقرار السلام) بلا جواب.

ولما قابلت مشير الدولة هرمان غورنغ وعرضت عليه فكرة انهاء الحرب نصحني الرجل بضرورة الكف عن الاشارة لامكانية تغيير النظام في المانيا عند التقائي بالدبلوماسيين الاجانب في الخارج او الاشارة الى امكانية عودة الملكية الى المانيا. ذلك لأن برقيات اولئك الدبلوماسيين الاجانب يتم استراقها كلها وتقرأ من قبل المسؤولين الالمان وربما يصدقون ما جاء فيها وعندئذ ستؤدي بي الى مصير محزن . ثم أردف قائلا بأنه شخصيا يؤيد وضع حد عاجل للحرب الا ان هتلر وفون ريبنتروپ[٢] يسعيان لمواصلة الحرب ضد بريطانيا . وانه عاجز عن منعهما من المضي في هذا السبيل.

عدت راجعا الى انقرة وانا مصاب بالاحباط والخذلان . وقد بتنا ليلة في صوفيا قضيتها في حديث مطول مع بوريس ملك بلغاريا ولم اتمكن من مصارحته بأنني استنفذت كل ما لدي من وسائل لتحديد نطاق الحرب لكنني اكدت له بأنني سأبذل ما بوسعي من اجل الابقاء على حياد تركيا. وبذا سيتخلص من جميع مخاوفه.

---

(٢) عمل فون ريبنتروپ سفيرا لبلاده في لندن خلال الفترة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٨ ورغم انه حائز على فكرة معينة عن الانكليز الا ان هؤلاء كانوا يعرفونه ايضا حق المعرفة .

ـ المترجم ـ

تكلم الملك عن سياسته بصراحة تامة. فهو لا يريد الالتزام بأي ارتباط مع أية جهة. لكنه يؤيد نضالنا من اجل التخلص من قيود معاهدة فرساي. وقال ان الزمن كفيل بمدى امكانية بلغاريا للقيام بعمل مشابه تحذو به حذو المانيا. وقد كانت مشاعره مناهضة لتركيا بشكل واضح. اذ رجاني الا أحمل مزاعم الاتراك بالحفاظ على الحياد على محمل الجد لأنه لا يثق بمزاعمهم. لكنه كان يؤيد وجهة نظري بوجوب الكف عن محاولات اقامة تكتلات متناحرة. وقال لي عندما ودعني بأنه يرغب برؤيتي كلما مررت من صوفيا.

ما ان وصلت الى انقرة الا ولاحظت ان زميلي الهولندي مصاب مثلي بخيبة امل شديدة بعد أن علم بخططنا. الا اننا ابقينا رغم ذلك على علاقتنا الوثيقة.

أرسلت الى هتلر في اواخر كانون الاول ١٩٣٩ مذكرة أخرى تطرقت فيها لاستعراض الموقف العام وسردت له المسالك المفتوحة لنا للتخلص من مأزق الحرب.

وتطرقت في تلك المذكرة الى تفاقم دعايات الحلفاء لدرجة أصبحت معها سلاحا ماضيا وقلت ان خلاصة الدعايات المعادية هي الزعم بأن نظام الحكم النازي نظام استبدادي وانه يمارس العدوان على الشعوب المحايدة وبخاصة على الاقطار المجاورة لالمانيا . ولكي نفند هذه الدعايات المعادية يمكننا اللجوء الى وسيلة في غاية البساطة خلاصتها قيام هتلر بتنفيذ وعوده التي سبق ان قطعها على نفسه للشعب الالماني. باصدار الدستور واجراء انتخابات حرة لكي يتمكن الشعب من مناقشة مشكلاته بحرية اوسع. ثم تطرقت الى مزايا النظام البرلماني خلال الحرب. وضربت مثلا على ذلك بالنظام الانكليزي الذي يتعاون فيه الشعب مع الحكومة في سبيل مصالح الوطن. وقلت ان بمقدور المانيا اللجوء لنظام مشابه لجني المزايا المتحققة عند تطبيقه. والمؤسف انني لم اسمع ابدا عن مصير تلك المذكرة.

تلاحقت الاحداث في النصف الاول من عام ١٩٤٠ بسرعة مذهلة. ففي نيسان ١٩٤٠ قامت القوات المسلحة الالمانية بغزو الدانمرك والنرويج. وفي

١٠ مايس ١٩٤٠ قرر هتلر تقويض اتفاقية ويستفاليا للسلام عندما اقدم على مهاجمة كل من بلجيكا وهولندا وفرنسا وكان ذلك اليوم من ايام حزني المشهودة. فكتبت الى صديقي فيسر رسالة شخصية قلت له فيها:

« ان المأساة التي تشهدها بلاد اوربا الغربية تحز في نفسي الى اقصى الحدود. فالسيل الملتهب من اللظى لا يبقى ولا يذر. والانكى من هذا ان وقت الضياع الذي نشهده والذي يتحكم بمصائرنا يجب ان يضطرنا على فقدان اعز الاصدقاء.

اسمح لي ان اقول لك في هذه الساعة مرة أخرى: بأنني – بل اننا جميعا – كنا سعداء لأننا وجدنا لانفسنا سبيل الحياة (حتى ولو لمدة قصيرة) بالتعرف على الانسان والوطني الغيور والاوربي الدكتور فيسر. لكن الذي حدث هو اننا اضطررنا على الافتراق ولكن على امل اللقاء للعمل المشترك في سبيل بلداننا وفي سبيل اوربا.

أما بالنسبة للساعة الراهنة وبالنسبة للمستقبل فأجد من المناسب ان اتمثل قول الشاعر :

« ان الحياة والحرية ليست جديرة الا بمن يجب ان يستخلصها لنفسه في كل يوم ». »

في ١٠ حزيران ١٩٤٠ دخلت ايطاليا الحرب الى جانبنا وعندئذ ثارت حفيظة تركيا مجددا لخشيتها على نفسها من خطر التعرض لعدوان ايطالي وشيك. وكانت تركيا قد عانت منذ انعقاد اتفاقية فون ربنتروب – مولوتوف بين المانيا والاتحاد السوفيتي من برود علاقات السوفيت السياسية بها الى درجة ملحوظة . وكان السبب في ذلك هو ان روسيا بقيت ترنو نحو احلامها القديمة بالاستحواذ على مضيقي البسفور والدردنيل طالما بقيت تركيا على علاقة جيدة مع الدول الغربية .

لقد دأبت بطبيعة الحال على تطمين وزير الخارجية التركي شكري سراج اوغلو ووكيل وزارته نعمان مينمنجي اوغلو والتصدي لاحتجاجاتهم

على سياسة روسيا الواضحة لهم على الرغم من اصرار فون ريبنتروب على اصدار تعليماته المؤيدة لخطط روسيا، ووجب علي التحدث مع السفير الروسي في انقرة تيرتتيبيف مرات عديدة لأن هذا كان يشعر بشيء من عدم الارتياح لعدم استطاعة بلاده تغيير اتفاقية مونترو، لا سلميا ولا باللجوء لاستخدام القوة.

ولعل من الممتع ان اعود الى مذكرات زميلي السفير البريطاني سير هوغ الذي ذكر فيها ان السبب في عدم التزام الاتراك بالاتفاقيات يرجع الى نقص تسليح الجيش التركي.

ثم قال متسائلا :

اين يمكن ان يقاتل ذلك الجيش؟
وهل سيقاتل ضد ايطاليا أم سيقاتل بعدئذ ضد اليونان؟

ثم انه لا يوجد مجال كاف لمناورة السفن التركية. اضف الى ذلك عدم امكانية مطالبة تركيا بدخول الحرب بعد ان انهارت فرنسا وتعرضت بريطانيا لكارثة دانكرك[٣].

وكان هذا اعترافا واضحا بمدى تدهور موقف الحلفاء الغربيين في تلك المرحلة من الحرب. كما ان هذا الموقف يوضح طبيعة الجهد المزدوج الذي بذله كل من سيرهوغ والسيد رينيه ماسيغلي مع جميع المسؤولين الاتراك من اجل الحفاظ على المعاهدة المعقودة بين تركيا وبلاديهما وحرصهما على ضمان المقاومة التركية لأية محاولة قد تجري لنقضها.

كان الجيش التركي يفتقر للأسلحة الحديثة المتطورة وخصوصا الدروع

---

(٣) انسحبت اغلب قوة الانقاذ البريطانية لفرنسا من ميناء دانكرك تاركة جميع اسلحتها ومعداتها بعد انهيار مقاومة الجيوش الفرنسية في حزيران ١٩٤٠ لكن هذه العملية تعتبر نصرا انكليزيا مشهودا لان الانكليز اعادوا تدريب وتسليح تلك القوات فساهمت في المعارك اللاحقة دون ان يخسروها. ويجمع المؤرخون العسكريون على ان السبب في افلات تلك القوة من الاسر يعود لعدم رغبة هتلر في القضاء عليها لانه منع تطويقها واتاح لها فرصة الهروب عن طريق البحر . — المترجم —

والطائرات ولما كان الانكليز قد فقدوا اغلب معداتهم واسلحتهم في كارثة دانكرك فانهم لم يكونوا بموقف يساعدهم على تلبية متطلبات الجيش التركي من تلك المعدات. وكان للمشير فوزي تشاقماق رئيس هيئة الاركان العامة التركية وللرئيس عصمت اينونو تصورا واضحا بشأن متطلبات الحرب الحديثة. وقد حرصت في محادثاتي معهما ومع الفريق علي فؤاد أردن على ايضاح تجاربنا في الحملتين على پولندا وفرنسا لهم. كما قام ملحقنا العسكري في انقرة اللواء روهده ـ الذي سبق أن عمل خبيرا لدى الجيش التركي ـ بتزويد المسؤولين الاتراك (بموافقة مني) بما يحتاجونه من معلومات عسكرية مسموحة.

عندما علمت بأن بعثة عسكرية بريطانية على وشك الوصول الى تركيا بدعوة خاصة من الحكومة التركية وجهت الدعوة لعدد من اصدقائي العسكريين الاتراك لمشاهدة فلم سينمائي عن فعاليات جيوشنا في مختلف الميادين . ولما كان مصورونا الحربيون يندفعون الى أقصى الأمام فان الأفلام التي شاهدناها كانت واقعية تماما وتشرح بكل وضوح وسائل القتل الحديثة في الحرب التي كانت قائمة. وقد أثرت تلك الافلام على مشاهديها وكانت استحضارا جيدا لاستقبال البعثة العسكرية البريطانية التي قوبلت بفتور واضح حيثما حلت في تلك الزيارة.

كان الفرق بيننا وبين الانكليز جوهريا في نوايا كل منا تجاه تركيا . فبينما كنا نكرر دعواتنا لتسليح الجيش التركي بأحدث الأسلحة والمعدات بقصد رفع مستوى قدرته القتالية دأب الانكليز طوال اربع سنوات على المحاولة بشتى الوسائل سحب تركيا الى صفوفهم في الحرب . وعليه فقد بذلت جهودي لتقوية الجيش التركي بحيث يكون قادرا على حماية حياد تركيا ـ ازاء أي خصم كان ـ والدفاع عن وطنه بمقدرة تامة. ولكن الم يكن بالامكان اجراء محاولة لتوحيد اوربا ؟ وهل كان الحلف الألماني ـ الروسي مجرد اجراء مرحلي من اجل تحقيق اهداف محدودة ؟ ثم أنه ألم يعد بالامكان التوصل الى سلام في وسط اوربا دون التفكير بأي انتقام مع

الاعتراف بسيادة شعوب المنطقة وربطها باتفاقية شاملة للصداقة ؟ ألم يعترف هتلر ضمن شروط الهدنة المتفق عليها في كومبن[٤] بامكانية التوصل الى تفاهم في اوربا؟ واذا أرادت اوربا ان تحيا بوئام فهل كان الاختيار الوحيد أمام تشرشل محصورا بين القضاء على روسيا الشيوعية أو القضاء على المانيا النازية؟ تبين لي بوضوح ان الاتراك ــ رغم بعد بلادهم النسبي عن بلادنا ــ يتفهمون طبيعة الوضع السائد في المانيا افضل من تفهم الانكليز لظروف المانيا وحالة الشعب الالماني تحت وطأة نظام هتلر.

وقد استغربت اشد الاستغراب عندما اخبرني غراف شولنبورغ هاتفيا في ١٣ تموز ١٩٤٠ بأن مولوتوف أخبره بأنه اتصل به سير ستافورد كريبس[٥] قائلا بأن سيادة المانيا على أوربا تشكل خطرا على روسيا مثلما تشكل خطرا على بريطانيا . وليس أدل على ذلك من استيلاء المانيا على اقطار البلقان بقصد جعل الاتحاد السوفتي أمام الامر الواقع. كما اخبرني غراف شولنبورغ ببرقيته المرقمة ٦٤/١٣ بأن سير ستافورد كريبس يرى ايضا بأن الروس لا زالوا راغبين في الاستحواذ على المضائق التركية.

أما أنا فكنت أحاول حتى في ذلك الحين ايجاد وسيلة أحصر بها نطاق الحرب ضمن القارة الاوربية تمهيدا لوضع حد لها. وعليه فقد استقبلني هتلر قبل ان يلقي خطابه في مجلس النواب يوم ١٩ تموز ١٩٤٠ بثلاثة ايام. وكان في غاية الغضب لأن صحافة الحلفاء شددت عليه النكير في الآونة الأخيرة والصقت به تهما باطلة ونسبت اليه ما لم يقله قط.

حاولت التأثير عليه بعرض خططي التي تتلخص بوضع أسس جديدة لانشاء أوربا الحديثة وقلت له ان التأريخ سوف لن يتيح لنا اية فرصة

---

(٤) عقدت هدنة الحرب العالمية الاولى يوم ١١-١١-١٩١٨ في غابة كومبين قرب باريس بعربة قطار احتفظ بها الفرنسيون ذكرى لاندحار المانيا فلما سقطت فرنسا في حزيران ١٩٤٠ عقدت الهدنة بعربة القطار المذكورة لكن الالمان اتلفوها قبل انسحابهم من باريس عام ١٩٤٤ . ــ المترجم ــ

(٥) كان سير ستافورد كريبس سفيرا لبريطانيا بموسكو ثم صار وزيرا في حكومة العمال التي راسها اللورد اتلي بعد الحرب العالمية الثانية. ــ المترجم ــ

مشابهة للفرصة السانحة حاليا لجمع رجالات اوربا وحكمائها ما عدا اولئك القابعين وراء القنال في جزيرتهم المنعزلة عن اوربا • ولو استطعنا التوصل الى اتفاق مع فرنسا وهولندا وبلجيكا والاقطار الاسكندنافية من اجل وضع اسس السلام دون اجبارها على التخلي عن اية اقاليم من بلادها او اعطائنا اية امتيازات اقتصادية فاننا سنضمن عزل بريطانيا عن اوربا • وعلينا بهذه المناسبة تجنب أي اجراء من شأنه توسيع نطاق الحرب•

ثم اننا حتى لو كنا قد نجحنا في غزو الجزر البريطانية فلابد ان الامبراطورية البريطانية كانت ستواصل الحرب من العالم الجديد • وعلينا الا ننسى السوفيت• فهؤلاء سوف لن يبقوا محافظين على حيادهم الى امد غير محدود• لأنهم سينتظرون ريثما يجهد المتقاتلين انفسهم بالحرب الدائرة وعندئذ يجيء الروس في آخر الامر لكي يحققوا اهدافهم الثورية في اوربا بصورة أسهل•

انصت الي هتلر باهتمام دون ان يقاطعني • وكان يؤيد ما ذهبت اليه من حيث المبدأ• الا ان الامر الذي فكر به آنذاك هو من الذي سيسدد نفقات الحرب الباهظة اذا ما انهيت الحرب دون غرامات مالية ؟ فقلت له ان ايجاد اوربا المستقرة سيؤدي الى حصول ازدهار اقتصادي ومما لا شك فيه ان المانيا ستحصل عندئذ على تعويضات عادلة عما خسرته بسبب هذه الحرب• وانني ارى ان هذه ستكون آخر حرب تعرضت لها اوربا• فقال هتلر ولكن اذا استمرت بريطانيا على مواصلة الحرب فمن الذي سيدافع عن هولندا وبلجيكا اذا سحبنا قطعاتنا منهما؟

فأجبته بأننا اذا ما اتفقنا على هـذه الأسس فيمكننا انشاء حلف دفاعي مشترك تقوم بموجبه بأشغال المواقع المهمة لأغراضنا الدفاعية المشتركة لحين انجلاء الخطر الماثل •

حصلت من محادثاتي مع هتلر على انطباع بأنه مشغول الذهن لمعالجة هذه المشكلة بالذات • وانه كان يأمل التوصل الى تفاهم مع فرنسا لتحقيق العمل المشترك مع المانيا • ولكنه لم يكن راغبا في معاونة ايطاليا على تحقيق مطامعها الكثيرة• وكان يستهزيء بفعالياتها العسكرية التي قامت بها حتى

ذلك الحين.

كنت آمل ان يعرض هتلر في خطابه الذي عزم على القائه في مجلس النواب يوم ١٩ تموز ١٩٤٠ آرائه بشأن السلام المنشود . لكن ما قاله في ذلك الخطاب كان مخيبا آمال الشعب الالماني. اذ قال في خطابه المذكور:

« لا اجد سببا مبررا لاستمرار هذه الحرب . لاسيما وان الضحايا التي ستترتب عليها ستكون رهيبة.. ويحتمل ان السيد تشرشل سيتجاهل هذا النداء ويقول ان الخسائر المتوقعة ما هي الا مجرد ثمرة للرهبة المتولدة لدى المتشكك في تحقيق النصر النهائي. وفي هذه الحالة سوف لن اكترث لما يفكر به....».

أما جواب السيد تشرشل فقد صار معروفا . اذ قال بهذا الصدد:

« ان وجهة نظر حكومة صاحب الجلالة تتضمن مواصلة الحرب باستخدام الوسائل المتاحة لكي نساهم جميعا في التخلص من الكارثة المحدقة ببلادنا وننفذ جميع الواجبات المترتبة علينا ».

وهكذا اضطرت اوربا على تسديد الثمن الباهظ.

بقيت ببرلين لكي ارقب تطور الاحداث عن كثب. ثم ما لبثت ان زرت هتلر بمقره مودعا يوم ١ آب ١٩٤٠ فوجدت ان رأيه تحول الى عقد اتفاق مع الفرنسيين لكي يستفيد منهم في المقاومة المسلحة ضد الانكليز. أما انا فاعتقدت ان هذه الفكرة خيالية بعد ان رجعت الى برلين وسمعت آراء عمدتها(٦) الذي كان ينادي بضم شمال فرنسا الى المانيا واحياء امارة برابان القديمة التي ترقى الى عهد كارل الشجاع.

في هذه الفترة داعبني فون ريبنتروب مداعبة سمجة أخرى من تلك التي الفتها منه . فقد اكتشف اعوانه في مكاتب وزارة الخارجية الفرنسية تقريرا سبق كتبه السفير الفرنسي بأنقره اندريه ماسيغلي ضمنه محادثة مع

---

(٦) كان عمدة برلين آنذاك الدكتور يوسف غوبلز وزير الدعاية المعروف . ـ المترجم ـ

وزير الخارجية التركي شكري سراج أوغلو . وكان ماسيغلي قد اقترح شن هجوم جوي على حقول نفط باكو . وقد فضح امر هذا التقرير فأثار تعجب السوفيت وقلق الاتراك.

أما ماسيغلي فقد انكر الواقعة بطبيعة الحال ـ ولم يكن بمقدوره اتخاذ أي مسلك آخر ـ وقام شكري سراج اوغلو بايجاز سفيره في موسكو بشأن الواقعة ببرقية مفتوحة تتضمن وجوب الادعاء بأن قضية التقرير المنسوب الى ماسيغلي مجرد قصة مفتعلة وأمره بتهدئة الروس . الا أن فون ريبنتروب لم يقتنع بانهاء الواقعة على هذه الصورة وانما أراد اشاعة نبأ مفاده ان انكار ماسيغلي لا يمكن ان يكون مقنعا. وواضح ان فون ريبنتروب كان يبغي من هذه الشائعة الاطاحة بشكري سراج اوغلو على أمل حلول وزير خارجية تركي جديد بمحله يكون اكثر ميلا الى المانيا.

أما بالنسبة لي فعلى الرغم من عطف السيد سراج اوغلو على بريطانيا بشكل سافر فقد كنت على علاقة حسنة بالرجل وقد سائني تعرضه لذلك الهجوم الرخيص. لأنني ايقنت بأن غريمي السفير الانكليزي لابد ان ينسب لي تدبير تلك المكيدة. وعليه فقد صارحت فون ريبنتروب بأن تشهيره بوزير خارجية تركيا سيجعل تعاون هذا الوزير معي متعذرا . لكن فون ريبنتروب لم يأبه لذلك التحذير واكتفى بالادعاء بأن مثيري هذه الازمة هم رجال مكتب الصحافة بوزارته وقال انه عاقبهم بالطرد جزاء على فعلتهم . لكنه بالواقع تسبب منذ ذلك الحين بمقاطعة وزير الخارجية التركي سراج اوغلو للسفارة الالمانية بأنقرة ممثلة بشخصي.

قبل ان يفاجئنا خريف ١٩٤٠ بتطورات جديدة نشبت في ڤينا مشكلة الحدود بين رومانيا والمجر. فلكي تعوض رومانيا عن فقدان اقليم (زيبن بيرغن)[٧] أرادت المانيا تعويضها بتعديل خط حدودها على حساب المجر[٨].

---

(٧) معناه لغة (الجبال السبعة) وهو اقليم روماني تقطنه اقلية المانية .
ـ المترجم ـ

(٨) لا تزال المجر تشعر بشيء من الغبن بفقدان بعض اراضيها التي ضمتها رومانيا اليها منذ ذلك الحين .

ـ المترجم ـ

وقد استغلت روسيا هذه المشكلة فانحازت الى رومانيا بعد ان اوفدت اليها في ٩ تشرين الأول ١٩٤٠ بعثة عسكرية لتدريب التشكيلات الرومانية(٩) . وكانت هذه هي الخطوة الاولى لتوسيع نطاق الحرب العلمية الثانيه لكي تشمل بلاد البلقان.

وتفاقمت الحالة في پولندا حتى أصبحت لا تطاق. فقد كنا ـ انا وزوجتي ـ قد اقمنا خلال فترة اشتغالي في ڤينا علاقة صداقة وطيدة مع المبعوث الدبلوماسي الپولندي في ڤينا فون غاڤرونسكي وعقيلته المحترمة التي كانت كريمة غراف فراساتي سفير ايطاليا السابق ببرلين .

وكنت قد حصلت بوساطته على موافقات عديدة لزيارة پولندا في تلك الفترة كما انه كتب بعدئذ كتابا نفيسا ضمنه صورة جلية عن مدى معاناة الشعب الپولندي.

في ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٠ اجتازت تشكيلات ايطالية كبيرة حدود البانيا المحتلة بصورة مباغتة وباشرت بالاعتداء على سيادة اليونان . وبذا تحققت نبوءة اتاتورك بالحذر من مطامع ايطاليا التوسعية . وكان من اشد حماقات هتلر ان أيد حليفه موسوليني في هذا العدوان السافر . لكن تأييد هتلر جاء في غير محله لأن العدوان ارتد الى نحر المعتدي. فمما لا شك فيه ان اضطرار المانيا على التدخل في البلقان ادى الى بعثرة القوات الالمانية بشكل يخل بمبدأ تحشد القوة . وكانت حصيلة الهجوم الألماني على البلقان ان أصيبت تركيا بالهلع الشديد لأنها تصورت بأن دورها سيحين وشيكا . لا سيما بعد ان رأت ايطاليا وحليفتها المانيا تطبقان على اليونان شريكة تركيا في حلف البلقان. وقد استغل الحلفاء هذه الحقيقة وصاروا يذكرون تركيا بالتزاماتها ازاء اليونان ويمارسون عليها ضغطا أشد.

الا ان هذا الموقف الحرج لم يكن ليستثير رئيس جمهورية تركيا

(٩) انحازت رومانيا ـ بقيادة المشير انطونسكو ـ الى المانيا خلال الحرب العالمية الثانيه .
ـ المترجم ـ

الواقعي عصمت اينونو ومستشاريه الاقربين فبعد العدوان الايطالي المباغت على اليونان بيوم واحد صادف يوم ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٠ عيد الجمهورية التركية وتم الاحتفال بهذه المناسبة بشكل طبيعي كالمعتاد • الا ان ذلك اليوم كان يوما مشهودا بالنسبة لي• فقد جمعنا نحن رؤساء السلك الدبلوماسي تحت قبة البرلمان لتقديم التهاني لرئيس الجمهورية بهذه المناسبة • وقد جرى الفصل بين ممثلي الاقطار المتحاربة في قاعتين كبريين متجاورتين وكان استدعائنا يتم حسب الحروف الابجدية كل من قاعته التي استقر فيها آنفا• وتم استدعائي للمثول امام حضرة الرئيس التركي بعد استئذان السفير البريطاني سير هوغ كناتشبول وأعوانه من الرئيس اينونو•

ابتدرني الرئيس التركي بنظرة جادة هي غير النظرة الحانية التيالفتها منه في جميع المرات السابقة وافتقدت على وجهه الابتسامة اللطيفة التيعهدته يتلقاني بها — انا رفيقه في الحرب العالمية الاولى — وكان هذا اكثر مما اطيقه•

قدمت للرئيس التهنئة الرسمية لحكومة المانيا بهذه المناسبة السعيدة ثم اردفت قائلا:

« انني أعلم يا سيدي الرئيس مدى قلقكم وقلق بلادكم في هذه الساعة الحرجة • كما انني أقدر مدى المرارة التي تواجهون بها هذه المشكلة الجديدة • لكنني أرجو ان تسمحوا لي على الاقل ان أقول لكم الآن وفي هذا المقام:

ان المحادثات الدبلوماسية قد تكون بالنسبة اليكم جعجعة بلا طحن ولكن يقف امامكم الآن رجل سبق له ان تشرف بارتداء قيافته العسكرية والمساهمة بالقتال الى جانبكم وهو رجل يحب تركيا كمحبته لوطنه الثاني• وطالما ستراني — يا سيدي الرئيس — بموقعي هذا فسوف لن تخل بلادي بالسلام القائم مع بلادكم • وهذا ما يقتضي ان اوضحه لكم بصفتي ممثل الدولة الصديقة التي سبق ان حالفتكم في الحرب وهو ما ارجو أن تضعوه نصب عينكم عندما تتخذوا أي قرار بصدد المشكلة القائمة »•

وسرعان ما قرأت على ملامح الرئيس عصمت اينونو تهللا واضحا لأنه فرح لما قلته وتناول يدي مصافحا فأدركت اننا عدنا للتفاهم.

تم استدعائي الى برلين بعد بضعة أيام فظننت ان استدعائي ربما يكون بسبب التوتر الحاصل نتيجة لقيام قواتنا بالحملة على اليونان . لكنني فوجئت بأن استدعائي قد تم لحضور مناقشة للتأريخ العالمي خلال يومي ١٢ و١٣ تشرين الثاني ١٩٤٠ بقصد التوصل الى قرار بشأن مستقبل بلادنا على ضوء تأريخ العالم.

اوضح لي فون ريبنتروپ في محادثة اجريتها معه يوم ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٠ الغرض من محادثاته التي كان يوشك على اجرائها مع وزير الخارجية السوڤيتي مولوتوف بطريقة تملص بها من ذكر الحقيقة. اذ قال لي ان الوقت قد حان لاجراء تفاهم مع الروس بشأن المستقبل وتقسيم مناطق النفوذ الواسعة بيننا وبينهم. اذ يجب علينا ان نضمن لهم مخرجا الى (المياه الدافئة) وأراد ان يستمع الى وجهة نظري بشأن موقف تركيا وقضية مضائقها . فأعدت على مسامعه ما سبق ان رددته مرارا وهو ان الاتراك يرون مسألة احتفاظهم بالسيادة على مضيقي البسفور والدردنيل قضية حياة أو موت.

الا اننا بمقدورنا اللجوء الى تدبير يرضي الروس ولا يثير مخاوف الاتراك بتغيير اتفاقية مونرو بحيث يسمح الاتراك بمرور السفن العسكرية الروسية عبر المضائق التركية . وانني أحذر من اللجوء الى هذا الاجراء قسرا لأن هذا يعني اجبار تركيا على دخول الحرب الى جانب الطرف الآخر.

كان هتلر ــ كشأنه دوما ــ في غاية الدقة . فقد رغب بمعرفة ما يمكن أن نقدمه للروس لقاء ابقائهم الى جانبنا . فلربما تتفاقم هذه المشكلة بعد انتهاء الحرب ونحن أنفسنا مرتبطين بالتزامات لا قبل لنا بها وعليه فلابد لنا من معرفة طلباتهم من الآن. ذلك لأن مشكلتنا هي عدم معرفتنا بالثمن الذي يبدي الروس استعدادهم لدفعه لقاء الامتيازات التي يريدون الحصول عليها. اذ ربما يأمل الروس الحصول على موطيء قدم لهم في منطقة الخليج العربي الغنية بالنفط على حساب الامبراطورية البريطانية للاستعاضة بها عن

حقول نفط رومانيا، وقد يكون هذا الاجراء مناسبا لنا من الناحية الاقتصادية، ولكن كيف يمكننا معالجة موضوع المضائق مع الاتراك ؟

والمأثور عن هتلر ان له شعور صائب في كل ما يتعلق بالتطور التأريخي ولذا فقد حاولت ان اترجم له من هذه الناحية مدى ارتباط تأريخ تركيا ووجودها بسيادتها على المضائق • فقد استولى الاتراك على مضيق الدردنيل الذي يسمونه (غاليبولي) منذ عام ١٣٥٦ أي قبل استيلائهم على القسطنطينية بزهاء مائة عام • أما مضيق البوسفور فقد استولوا عليه في عهد يلدرم بايزيد[١٠] في عام ١٣٩٣ الذي أمر بانشاء (قلعة الاناضول) وهي التي بنى محمد الفاتح[١١] فيما بعد على اساسها (روميلي حصار) وهكذا نجد ان المضائق بقيت بحوزة الاتراك منذ ستة قرون • وقد تمكن بطرس الاكبر[١٢] من احداث اول ثغرة في السيادة العثمانية على المضائق في تموز ١٧٠٠ عندما اجبر الاتراك على السماح لاسطوله بالمرور من المضائق، وقد بقي زعماء روسيا كلهم منذ ذلك الحين يسعون للتمسك بهذا الحق مع محاولاتهم

---

(١٠) يلدرم بايزيد ـ هو السلطان العثماني بايزيد الاول ولقب يلدرم معناه (الصاعقة) تولى الحكم عام ١٣٨٩ واستولى على مدن سيواس وقيصري وارزنجان ثم على انقرة وازمير وقد توفي سنة ١٤٠٣ .

ـ المترجم ـ

(١١) محمد الفاتح ـ هو ابن السلطان مراد ولد عام ١٤٣٢ وفتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ وتوفي عام ١٤٨١ .

ـ المترجم ـ

(١٢) بطرس الاكبر ـ هو ابن القيصر اليكسس ولد بموسكو عام ١٦٧٢ واصبح قيصرا على روسيا عام ١٦٨٢ ثم امبراطورا عليها عام ١٧٢١ واشتهر بانه العاهل الذي حقق لروسيا منافذ على البحر الاسود وبحر قزوين وبحر البلطيق واقتبس عن اوربا حضارتها الوليدة لكي تواكب بلاده الركب فوضع اسسا راسخة لها وحقق توسعا اقليميا وتقدما حضاريا واجتماعيا بفضل الاصلاحات الواسعة التي اشتهر بها في شتى المجالات التنظيمية للدولة والمجتمع . وقد خاض حروبا ناجحة ضد الدولة العثمانية وفارس والسويد . وهو الملك الروسي الوحيد الذي لا يزال يحظى بالاعتبار والتقدير في روسيا لكونه من الرواد القوميين الذين حققوا المجد التليد لأوطانهم .

ـ المترجم ـ

المستمرة للاستيلاء على المضائق لضمان حرية الملاحة لاساطيلهم من البحر الاسود الى البحر الابيض المتوسط وبالعكس لكي يجعلوا من البحر الاسود بحيرة روسية وينفذوا الى مياه البحر الابيض المتوسط ذو المياه الدافئة فيبسطوا سطوتهم على سواحله. وقد سبق للدول الاوربية ان تظافرت منذ زمن طويل من أجل منع الروس من تحقيق هذه الامنية . ولو اعتبرنا روسيا من الدول الاوربية لأمكننا بحث هذا الموضوع . واليوم لا يمكن اعتبار روسيا من الدول الاوربية.

اننا يمكن ان نعتبر تركيا من الدول العازلة لروسيا عن اوربا . ولو تصورنا استحواذ الروس على سواحل البحر الاسود كلها وخليج ازميت حيث سينفتح امامهم المحور المؤدي الى كل من أنقرة وبورصة وازمير وهذا معناه ضياع الوحدة الجغرافية المعروفة بأسم آسيا الصغرى برمتها.

وعليه فانني اقترح بأننا يمكننا الاتفاق مع الروس على التوصل الى تفاهم مع الاتراك والدول الاخرى المعنية لتعديل بعض بنود اتفاقية مونرو. ولكن ينبغي علينا الالتفات الى ان الموقف الراهن لا يمكن ان يؤدي الى تهديد مصالح الروس في البحر الأسود طالما بقيت تركيا على الحياد ومتمسكة بحقها في منع مرور جميع الاساطيل الحربية من المضائق. وعليه فأنني أرى من الضروري اقناع مولوتوف لتشجيع المساعي المبذولة لابقاء تركيا على حيادها.

ثم انني عرضت لهتلر شكوكي بقناعة الروس لهذا الاجراء. وذكرته برجاء البلغار لنا بعقد اتفاقية للتعاون مما اثار حفيظة الروس لأنهم يحاولون بكل وضوح تقوية نفوذهم في بلاد البلقان . وهذا من شأنه أنه يتعارض مع مصالح موسوليني الذي هاجم اليونان ودعانا لمساعدته في تلك الانحاء ونحن الآن على أتم استعداد لمقاومة أي نزال انكليزي في اليونان كما اننا لا يمكن ان نسمح بتهديد الروس لجناحنا الجنوبي في البلقان طالما بقيت هذه الحرب قائمة.

وصل مولوتوف الى برلين وبصحبته معاون قومسير الشعب السوفيتي

للشؤون الخارجيـة ديكانوسوف يوم ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٠ ولم اشترك انا بالمحادثات التي أجريت معهما. ولكنني حضرت حفل الاستقبال الذي اقيم على شرفهمـا في فندق كايزر هوف ببرلين وقـدمني فـون ريبنتروپ الى مولوتوف. ولاحظت ــ وفي نفسي شيء من السخرية ــ انني لم اكن غير معروف تماما بالنسبة للرجل . وكان ترتيب جلوسي على مائدة الطعام بين ديكانوسوف وقائد الشرطة السرية السيء الصيت هايدريش . وقد لاحظت ان السيد ديكانوسوف كان صغير الجرم وسيم الطلعة دائب الحركة ولكنه لا يتكلم سوى الروسية وكان ذلك مدعاة أسفي فمع انني اتقن عدة لغات الا انني لم اتعلم من الروسية شيئا . ولم يكن هناك أي مترجم على مقربة منا. وعليه فقد حاول هايدريش ان يعوض عني في مجاملة الضيف ومع انه لا يمكن ان يجاريني في ادارة دفة الحديث الا انه كان الرجل الملائم لمحادثة ذلك الضيف بالذات . وقد قال لي هايدريش في تلك المنـاسبة انه عندما يكون في الطائرة مثلا فانه يشعر بأنه قريب الى الله اكثر من شعوره عندما يكون في الكنيسة. فلم اتمالك نفسي واجبته:

« هذا واضح تماما . فأنت ستكون ــ وانت في السماء ــ اقرب الى الله ببضعة آلاف الامتار . ولكن الا تتصور بأنك ستكون ايضا اقرب الى الجحيم وبنفس المسافة ؟».

وبذا اختتمت محادثاتنا ــ انا وهايدريش ــ الى الابد.

عاد الضيفان الروسيان الى بلادهما بعد يومين فقط على امل مواصلة المحادثات على الصعيد الدبلوماسي. ويبدو ان مباحثات اليوم الاول اتسمت بشيء من الحـدة . ذلك لأن هتلر كان كشأنه دوما اكثر دقـة من وزير خارجيته. فبينما كان فون ريبنتروپ يحاول ان يوضح للضيفين بأننا كسبنا الحرب منذ أمد بعيد كان هتلر يصر على اعتبار الحرب القائمـة حالة حاسمة ستؤدي الى حياة المانيا او فنائها. وان على مولوتوف أن يقدر طبيعة ظروف الحرب الحرجة واحتمالاتها الواردة . وعند التطرق في المحادثات الى موضوع (منـاطق النفوذ) ومجـالات المصالح الروسية ابدى هتلر ملحوظة مفعمة

بالتنبؤ:

« اذا سرنا على هذه القاعدة فلابد ان تتوقع حساب مجال حيوي للصين ايضا فهي حريصة ايضا على كسب مجال حيوي لملايينها الكثيرة».

لكن مولوتوف توخى الدقة المتناهية بشأن القضايا المطروحة ولم يشأ الاسترسال في اية مباحثات نظرية . فطالب باخلاء فنلندا التي تمسك بها هتلر ورفض سحب قواته منها مهما كانت النتائج.

ثم ان مولوتوف اعتبر الضمان الالماني لرومانيا موجها ضد الاتحاد السوفيتي وطالب بالغائه . وما الذي سيقوله هتلر اذا منح ستالين لبلغاريا ضمانا مشابها لاسيما وان بلغاريا مصاقبة للمضائق التي يتطلع نحوها الروس ؟ وان التوصل الى تفاهم مع تركيا قد يكون ممكنا ولكن روسيا لا تريد اية ضمانات من الورق فهي تريد اتخاذ تدابير عملية حقيقية . وأشد ما يهم مولوتوف في هذه المباحثات محاولة روسيا ايجاد منافذ مائية لها الى بحر البلطيق.

بعد ان غادرنا الضيفان الروسيان استدعاني هتلر فأجريت معه محادثة وداعية قصيرة . ولما سألته عن مدى تأثر موقف تركيا نتيجة لمحادثاتنا مع الروس أجابني بأنه ينظر للموضوع بشيء من التأثر المكدر . وقال انه حصل عن الروس على انطباع مفاده عدم تفكيرهم بالمشاكل المنتظر مصادفتها بعد الحرب وأنهم جعلوا بعض الاهداف الصغيرة نصب أعينهم في هذه المرحلة فتحولوا بعد استحواذهم على اقطار البلطيق الى فنلنداء وما الذي بوسعنا عمله اذا ما تحولوا الى منح بلغاريا ضمانا بسلامتها ؟ وضد من سيكون هذا الضمان؟ وعليه فمن الطبيعي اننا سنسعى لتلبية طلباتهم الصغيرة تجنبا لاصطدام مصالحنا بشأن القضايا الكبيرة . ثم انه ليس بالامكان ايجاد تضامن بين المانيا والاتحاد السوفيتي لأن هذا التضامن معناه تحقيق النصر الكامل لصالح السوفيت.

لم استطع مناقضة هذا الرأي بطبيعة الحال . لكنني ساورني شعور

جامح بنفاذ الصبر ولم اتمكن من السكوت فقلت له:

« ولكن ما الذي سنكسبه اذا ما اقتسمت العالم مع السوفيت؟ ثم اننا حتى اذا سهلنا بلشفة بلغاريا وساعدنا الروس على الاستيلاء على المضائق التركية فهل تعتقد بأن الروس سيمتنعوا عن ابتلاع البلقان كلها بنفس الطريقة التي ابتلعوا بها دويلات البلطيق ؟ فهم قد ضمنوا لرومانيا حدودها وتربطهم ببلغاريا علاقات صداقة وطيدة وان لم يكن بينهم وبينها حلف معلن. أما المجر فقد كانت جزءا من امبراطورية النمسا والمجر لسنين طويلة وتعتبر افضل حد فاصل بوجه الغزو الآسيوي. فكيف يمكن التخلي عن كل هذه البلدان من اجل ترضية الروس ؟ وسيقاتل الاتراك حتى النفس الاخير اذا ما تعرضت سيادتهم على المضائق للانتقاص لحساب الروس . وعليه فان دخول الاتراك للحرب سيكون مؤكدا وستكون حصيلة الحرب خروج الروس الى البحر الابيض المتوسط » فأمعن هتلر نظره نحوي وظل ساهما برهة من الزمن.

لقد حذرت بما فيه الكفاية من ضمان روسيا لبلغاريا . وبدى لنا في تلك الفترة اننا وصلنا الى المرحلة الحاسمة من تأريخنا. وصرت اشعر بمدى معاناة هتلر من الموازنة الصعبة التي عليه اختيار المسلك المناسب على ضوئها بالمسير مع الروس يدا بيد ضد الامبراطورية البريطانية والولايات المتحدة الامريكية لاسيما وانه اصبح مضطرا على اتخاذ قرار جازم ــ بنعم او لا ــ وعلى هذا القرار سيتوقف تغيير الوضع العالمي. وعندما اوشكت على مفارقة هتلر في ذلك اللقاء اختتمت محادثتي معه قائلا:

« ألم نستلم الحكم سوية بوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ على أمل حماية المانيا ــ ومعها اوربا ــ من البلشفية ؟ » .

اقتضى علي عندما وصلت الى انقرة التكتم الشديد بشأن المحادثات التي اجراها مولوتوف ببرلين . وكان تصريح فون ريبنتروب بصدد الموضوع المذكور أكثر من هزيل . ولو تسربت الحقيقة للاتراك لكانت حصيلة ذلك

ضد الحكومة التركية للجانب الآخر. وكان سفيرنا بموسكو غراف شولنبورغ قد عرض على فون ريبنتروپ منذ ٣٠ تشرين الأول ١٩٤٠ عدم اخبار دول الحلف الثلاثي بعزم المانيا على اجتياح المجر ورومانيا وسلوڤاكيا وبلغاريا قبل زيارة مولوتوف لبرلين . اذ كان من الحصافة بحث هذا الموضوع معه لأنه ليس من مصلحتنا زيادة شكوك الروس بصدد نوايانا في البلقان بصورة مضطردة. ولكن هتلر وفون ريبنتروپ لم يشيرا الى تلك النصيحة ابدا.

في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٠ اعلن دخول رومانيا في الحلف الثلاثي وبعد يومين من ذلك التأريخ جاء جواب مولوتوف على دخول رومانيا في حلف مع المانيا ويتضمن الجواب استعداد الاتحاد السوڤيتي للدخول في الحلف الرباعي ولكن وفق الشروط التالية:

١ ـ الانسحاب الفوري لجميع القوات الالمانية من فنلندا.

٢ ـ الاعتراف بمعاهدة التعاون بين الاتحاد السوڤيتي وبلغاريا وتدبيرقواعد لمرور القوات البرية والبحرية السوڤيتية عبر مضيقي البسفور والدردنيل.

٣ ـ الاعتراف بالمنطقة الممتدة الى الجنوب من باطوم وباكو باتجاه الخليج العربي باعتبارها منطقة مهمة لمصالح الاتحاد السوڤيتي.

٤ ـ يجب عقد بروتوكول سري في حالة اصرار الاتراك على رفض التخلي عن المضائق حيث يترتب على ذلك اشتراك الدول الأربع في اتخاذ اجراءات عسكرية ضد تركيا من أجل الاستيلاء على المضائق.

وكان جواب هتلر على هذه الطلبات السوڤيتية اصدار وصاياه الى القائد العام للقوات المسلحة في ١٨ كانون الاول ١٩٤٠ للاستحضار لتنفيذ (عملية بارباروسا) وجاء في تلك الوصايا وجوب الانتهاء من جميع الاستحضارات اللازمة للشروع بالعملية المذكورة قبل ١٥ مايس ١٩٤١ . وهكذا وقع المحذور.

انه من غير المعلوم تماما عما اذا تأثر هتلر بتحذيراتي من تلبية رغبات السوڤيت. أو عما اذا كانت تقاريري المتعاقبة التي أرسلتها من أنقرة قد

أثرت بشكل ما على اتخاذ هتلر لقراره الحاسم. ذلك لأنني لم اتصور آنذاك بأن هتلر سيحول القوات الجاهزة لغزو بريطانيا وتحشيد جميع القوات الجاهزة لديه لغزو الاتحاد السوفيتي في ربيع ١٩٤١ .

وانني بصفتي عسكري سابق لا يمكن ان اتصور الحماقة التي أقدم عليها هتلر بالمغامرة في زج المانيا بحرب على جبهتين والاندفاع بهذا الاتجاه على الرغم من التحذيرات المتكررة التي قامت بها هيئة الاركان العامة الالمانية . ولكنني وجدت في هذا العمل اجراء حاسم من شأنه خيانة اوربا برمتها

الفصل الثامن والعشرون

الصِّرَاعُ حَوْلَ تُرْكيا

الحرب على جبهتين . خطر مهاجمة تركيا . تحد متبادل بين هتلر وتشرشل . مقترحات ملك السويد لاقرار السلام . ايدن وديل في انقرة . وعود هتلر . الحملة على يوغسلافيا . مخـاوف روسـية . محادثات في مقر هتلر . الملك بوريس واقتسام الغنائم . تركيا تزودنا بالكروم . غيرونغ في انقرة . ثورة في العراق . الرئيس اينونو مستعد للتوسط من أجل السلام . ميثاق الصداقة الالماني ـ التركي . المانيا تهاجم الاتحاد السوفيتي . في مقر هتلر . اصطـدام جديد مع فون ريبنتروپ . حرب مع الولايات المتحدة الامريكية .

أدت المقاومة البطولية التي ابداها اليونانيون في دفاعهم عن وطنهم الى بقاء القوات الايطالية الغازية في مواقعها دون أن تتمكن من اجتياح بلاد اليونان . وجاء في تقارير مبعوثنا الدبلوماسي في اثينا وهو معاوني السابق پرنس فون ارباخ اننا يجب ان نتوقــع تدخلا بريطانيا مؤكدا في اليونان . وعليه فقد اهتم هتلر كثيرا للامر وصار يفكر باحتلال بلاد البلقان برمتهـا

لحل كل مشاكل هذه المنطقة[1]. فصار هذا التدخل الالماني مثلا نموذجيا لتضارب مصالح المحور وبروز الصعوبات الناتجة عن توخيهما لهدف معين يحاول كل طرف منهما الاستئثار به.

ارسلت المانيا ـ بعد المجموعة الكبيرة من المدربين والمستشارين العسكريين الذين سبق ان أوفدوا الى رومانيا ـ بضع فرق الى تلك البلاد في كانون الثاني ١٩٤١ شكلت مجموعة جيوش ولكي تندفع هذه القوات من رومانيا الى اليونان فلابد لها من المرور عبر بلغاريا . وسيؤدي ذلك الى دخول تركيا الحرب ضدنا بصورة حتمية. لكن تخلي تركيا عن التزاماتها في حلف البلقان كان باتا لدرجة لم تنفع معها كل مساعي بريطانيا الحثيثة لاستمالة تركيا الى صفوف الحلفاء.

في هذه الاثناء ابدت هيئة الاركان العامة الالمانية اعتراضاتها على زج المانيا في حرب على جبهتين وحذرت من تأثيرات الحملة على البلقان على قدرة القوات المسلحة الالمانية ان كانت نية القيادة العليا متجهة لمواصلة الحرب ضد بريطانيا . لاسيما بعد ان فشلت القوة الجوية الالمانية في معركة بريطانيا ولم تتمكن من فرض الحصار التام على الجزر البريطانية . وقد كتبت في مفكرتي خلال مايس ١٩٣٩ بأن الامبراالطورية البريطانية لا يمكن ان تحيا اذا ما تمكنا من قطع شريانها الحيوي المار من قناة السويس واستطعنا حرمانها من منابع النفط الغزيرة في منطقة الخليج العربي. والطريق المؤدية الى هذين الهدفين يمكن ان تمتد بنا من صحراء شمال افريقيا أو عبر بلاد سوريا. واذا لم تتمكن من السيطرة على السواحل الشرقية للبحر الابيض المتوسط فلابد من الاندفاع نحو الهدفين الحيويين عبر الاراضي التركية.

هبطت ثقتنا بالايطاليين الى الصفر بعد اندحارهم الشنيع في اليونان. ولم يبق امامنا أي مسلك غير المرور من سوريا لاحتلال قناة السويس ومنطقة

---

(١) ان احتلال بلاد البلقان من قبل القوات الالمانية كان تنفيذا لهدف مركزي جعله هتلر نصب عينه قبل وصوله الى السلطة لانه اعتبر بلاد البلقان كلها (المجال الحيوي) لتوسع المانيا وكتب ذلك في كتابه المشهور (كفاحي) .
ـ المترجم ـ

الخليج العربي. وقد قدرت بأن المرور من سوريا سيكون متعذرا هو الآخر اذا ما انحازت تركيا الى صفوف الاعداء.أما فون ريبنتروپ الذي لم يكن يؤمن بالاتفاقيات فقد أمطرني بوابل من وصاياه التي حاول بها الالحاح على لاستمالة تركيا وتحويل ميلها للحلفاء الى الانحياز لصفوفنا . وكان جوابي المتكرر هو أن الاتراك اناس يحـافظون على عهودهم ويلتزمون بالمواثيـق التي يعقدونها وانهم ليسوا على شاكلة غيرهم من الذين يعتبرون المعـاهدات مجرد قصاصات من الورق لا قيمة لها.

وكان تقدير هتلر واقعيـا عندما قال بأن الهجوم الالماني على المضائق ربما سيؤدي ــ وباحتمال كبير ــ الى استيلائنا على المضائق التركية . ولكنني اوضحت مرارا بأن ما سيعقب ذلك هو الانتحار بعينه. فالدفاع عن شبه جزيرة الانـاضول (التي يخترقهـا طريق ادامة واحد يؤدي الى اسكي شهر ويمر عبر جبال طوروس المنيعة ولا محيـد فيه عن المرور من مضائق وانفاق كثيرة جدا) يعتبر بالنسبة للجندي التركي الشجاع من الامور السهلة التي اتقنها جيدا بينما يستنزف الهجوم على الاناضول قوات كبيرة جدا من المهاجم ويعرضه الى خسائر فادحة.

أسندني ملحقنا العسكري الحصيف اللواء روهده بعرض التحليلات والآراء التي كنت اتوصل اليها والمتميزة بالصراحة الخالية من البهرجة على هيئة الاركان العامة وخصوصا تلك المتعلقة بالصعوبات التي تنتظرنا في حالة مهاجمة تركيا . وكانت حصيلة ذلك ان اقتنع بها رئيس هيئة الاركان الفريق الاول فرانز هالدر ثم ما لبث ان عرضها على هتلر واوضح له تعذر تنفيذ أية خطط ضد تركيا في تلك المرحلة من الحرب. وكانت وزارة الخارجية الالمانية ترى عدم وجود جدوى من تعاون دبلوماسييها مع العسكريين آنذاك الا ان تعاوننا الوثيق اثبت خطل ذلك الرأي.

في ٢٨ كانون الثـاني ١٩٤١ كتبت تقريرا صريحـا الى هتلر ضمنته تقديرا للموقف السائد في جنوب شرق اوربا وخلصت في ختامه الى ضرورة الحرص على تجنب الاخطار التي ستنجم عن شمول بلغاريا بنطاق الحرب

ونصحته (في حالة الاضطرار على المرور من الاراضي البلغارية بقصد الوصول الى اليونان لنجدة ايطاليا المتورطة هناك) بتوجيه رسالة شخصية الى رئيس الجمهورية التركية توضح له فيها ضمان عدم التجاوز على الاقاليم التركية والبرهنة على ذلك بالقرار على عدم وصول أي جندي الماني لمسافة ٣٠ كيلومترا عن الحدود البلغارية ـ التركية اثباتا لحسن نوايا المانيا ازاء تركيا •

والطريف ان ونستون تشرشل كتب بعد ثلاثة أيام فقط رسالة شخصية للرئيس التركي يحذره من الخطر الشديد المحدق بتركيا نتيجة لاعداد القوة الجوية الالمانية مطارات بلغارية عديدة استحضارا لعدوان جديد وجاء في تلك الرسالة ما يلي:

« انكم اذا منعتم المانيا من مرور قواتها عبر بلغاريا فستهاجم الطائرات القاصفة الالمانية مدينتي اسطنبول وادرنة بنفس الليلة ••• اذ مما لا شك فيه ان الالمان يرغبون بالوصول الى سلانيك بدون مقاومة او اجبار اليونان على الخضوع لايطاليا والسماح لهم باستعمال مطارات اليونان • وسيؤدي هذا الى تهديد الإتصالات بين الجيش التركي وقواتنا التي في مصر بصورة خطيرة وسيمنعون الاسطول البريطاني من المرور من بحر ايجة وسيسيطرون على منفذ الدردنيل وسيعزلون تركيا عن أوربا من ثلاث جهات• وأنا اعلم يا سيدي الرئيس بأن تركيا وقد وجدت نفسها مهددة بهذا الخطر المميت لا بد ان تعلن الحرب•••»•

ثم تسائل تشرشل في رسالته المذكورة • لماذا يدع المرء الالمان يستحوذون على القواعد الجوية البلغارية دون رمي اطلاقة واحدة عليهم؟ انهم سيكررون نفس المناورة التي سبق ان مارسوها ضد الدانمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا• وواصل تشرشل رسالته قائلا فيها:

« هل ينبغي ان نظل سادرين ونحن مشتتي الجهود بينما يقوم الالمان باستحضاراتهم القاتلة دون ان تتصدى لمقاومتهم ؟ ان بريطانيا على أتم استعداد لارسال عشرة أسراب من الطائرات القاصفة والمقاتلة الى تركيا حالا مع ارسال

خمسة اسراب أخرى فيما بعد من الاسراب القائمة بمقاتلة المحور من المطارات اليونانية حاليا . وبذا سيمكننا قصف آبار النفط الرومانية . والمهم اكثر في هذا الموضوع هو اننا سنحقق تأثيرا مباشرا على روسيا التي ستكون حقول نفطها في باكو ضمن مجال القاصفات البريطانية . والى جانب الطائرات فان بمقدور بريطانيا تزويد تركيا بمائة مدفع لمقاومة الطائرات مع طوائفها التي يمكن ارسالها اما بملابس مدنية أو بقيافة عسكرية حسبما ترغب به تركيا تماما ».

وفي ١٢ شباط ١٩٤١ كتب رئيس الوزراء تشرشل الى القائد البريطاني الفريق ويفل رسالة جاء فيها:

« ... اذا استطاعت اليونان بمساعدة بريطانيا تعويق القوات الالمانية بضعة اشهر فسيزداد املنا باستمالة تركيا الى جانبنا».

ويقتضي الا يتحقق امل الحلفاء هذا حيث يبدو انه في الواقع مجرد برهان على التفكير الواقعي للاتراك الذين كانوا يتعرضون لضغوط الحلفاء التخويفية بينما كانت المانيا حريصة على طمأنتهم والتأكيد لهم بأنهم سيبقون بعيدين عن الحرب . وهكذا قررت في أواخر كانون الثاني ١٩٤١ اجراء محاولة سلمية جديدة . فتذكرت علاقتي السابقة المتينة مع جلالة ملك السويد وكتبت له رسالة شخصية بشأن الموقف السائد ورجوته مفاتحة جلالة ملك بريطانيا بمبادرة جديدة للسلام ثم سلمت الرسالة للسيد ثيبرغ وزير السويد المفوض لدى تركيا الذي كان يسند محاولتي السلمية بتفهم تام لموقفي. والمؤسف انني لم أعلم في حينه بالاجابة الواهية التي تلقاها ملك السويد من تشرشل في الصيف المنصرم. وعليه فان الملك ارسل لي مع وزيره المفوض اسفه لأنه لم ير في تلك الظروف ما يشجع علي اجراء مثل تلك الوساطة.

لم يلبث الموقف ان ازداد حراجة عندما وصل الى انقرة في ٢٦ شباط ١٩٤١ كلا من وزير خارجية بريطانيا السيد انطوني ايدن والمشير سير جون ديل لبحث امكانية اقامة جبهة البلقان المؤلفة من اليونان ويوغسلافيا وتركيا

وكنت قد اقمت وليمة في اليوم السابق لحضورهما دعوت لها السيد رفيق سيدام رئيس وزراء تركيا واعضاء حكومته. وكانت تلك الوليمة مناسبة جيدة اكدت بها لاولئك السادة أملي في حرص تركيا على تمسكها بسياسة الحياد . وقد علمنا فيما بعد من رسالة ايدن الموجهة الى تشرشل في ٢٨ شباط ١٩٤١ بأن الترك قد عزموا على القتال في حالة تعرض بلادهم لأي عدوان . ولكنهم لا يملكون جيشا حديثا قادرا على تنفيذ اية خطط هجومية ولذا فأنهم سوف لن يغامروا بزج ذلك الجيش بأية مغامرة لا تحمد عقباها الا بعد تجهيز جيشهم بمعدات حديثة.

وصادف في اليوم الاول لزيارة الانكليزيين للعاصمة التركية ان اعلنت بلغاريا انضمامها للمحور. وبعد ايام قلائل انجلت مخاوفي كلها عندما تلقيت في ٤ آذار ١٩٤١ رسالة من هتلر موجهة الى الرئيس عصمت اينونو كانت تحتوي على مفاجأة سارة لي وله لأنها تضمنت تطميننا رسميا بأن القوات المسلحة الالمانية ستبقى على مسافة لا تقل عن ٣٠ كيلومترا عن الحدود التركية حتى ولو اضطرت القوات الالمانية على التصدي لتدخل انكليزي تندفع به قواتهم من اليونان باتجاه بلغاريا.

وهكذا يبدو اننا تجاوزنا مرحلة الخطر هذه المرة ايضا.

ولو كان لي ادنى شك بصدق هتلر في تطميناته هذه لما بقيت بمنصبي ساعة واحدة. ولما شاع امر الرسالة المذكورة هنأني العديد من اصدقائي الاتراك من اعماق افئدتهم. فقد كان يساورهم شعور عميق بوجوب النأي ببلادهم عن اتون الحرب المستعرة دون التفريط بسمعة بلادهم أو الاخلال بموقف حيادها المشرف.

الا ان الحرب امتد اوارها الى يوغسلافيا وكما علمنا فيما بعد فان خطط هتلر لغزو روسيا تطلبت التعجيل باجتياح البلقان قبل المباشرة بالاعمال العدوانية ضد الاتحاد السوڤيتي. واستغربنا كثيرا في تلك الفترة لتدهور العلاقات الالمانية الروسية بصورة مضطردة. فقد استفسر مني السفير السوڤيتي ڤينوغراف يوم ١ نيسان ١٩٤١ عن معنى اعلاننا التعهد بالدفاع عن السواحل الرومانية والبلغارية على البحر الاسود ازاء أي تدخل خارجي.

واستطعت ان أجيبه بأن هذا ربما يعتبر تحذيرا للاسطول البريطاني . لكنني خابرت الوزير فون ريبنتروپ باليوم نفسه وافهمته بأنالروساعتبروا تحذيرنا هذا موجها ضدهم.

عندما اوشكت حملتنـــا على يوغسلافيا على الانتهاء وسقطت بلغراد بأيدينا استدعاني هتلر الى مقره فوصلت الى هناك يوم ١٨ نيسان ١٩٤١ فوجدت بوريس ملك بلغاريا مع هتلر في قطاره الخاص على مقربة من مونيخ كرشن. وكانت القوات البلغارية قد ساهمت مع القوات الالمانية في اجتياح اراضي يوغسلافيا تسديدا لثأر قديم بينهما يرقى الى ايام الحرب العالمية الاولى . والآن جاء الملك البلغاري يحمل طلباته لهتلر . وكنا على استعداد لتلبية أية طلبات معقولة ولكن دون الاضرار بمصـــالح اليونان او تركيا. وكانت المطالبة الرئيسة للملك هي الحصول على اقليم مقدونيا مع مقاطعة أخرى صغيرة على بحيرة اوخريدا وكنت أعلم ان هذا يمس مصالح الكونت شيانو الشخصيـــة لأنه كانت لديه املاك جيدة هناك. ثم ان ملك بلغاريا طالب بمنفذ لبلاده على بحر ايجة وكان يقصد استعادة ميناء ديديغاتشي الذي استحوذت عليه اليونان بالقوة في عام ١٩١٨ وحرمت بلغاريا منه. كما ان الملك طـالب أخيرا باقليم سلانيك فقلت لهتلر انني أعتبر هذا الطلب غير ممكن. لأنني لا اتصور امكانية وجود اليونان بدون اقليم سلانيك. وكان ان أدت هذه المطالبـات الى سلسلة من الصعوبات الجديدة مع حلفائنـا البلغار دون ان نجد لها حلا ناجعا . ولعل اصعب ما طالب به ملك بلغاريا هو اعادة فتح الممر البلغاري بين بلغاريا وتركيا والذي حرمت منه بلغاريا بعد الحرب العالمية الاولى لأن الاتراك خسروا بذلك الممر اهم قلعة بحرية لهم في تراقيا الشرقية وهي قلعة ادرنة لأن تحصيناتهم اصبحت بدون تلك القلعة عديمة الاهمية . كما ان وجود ذلك الممر يؤثر على المواصلات البرية الدولية حيث يمر خط سكة الحديد الوحيد الذي يربط تركيا باوربا من ذلك الممر الضيق وعليه فقد اقترحت جعل خط سكة حديد ادرنة ـ صوفيا الذي يمر من الاراضي اليونانية تحت الادارة التركية.

وكانت حصيلة تنفيذ مقترحي المذكور ان سر له الاتراك غاية السرور بينما غضب الملك بوريس لأنه شعر بحيف كبير اصاب بلاده المحالفة لألمانيا ولم يتفهم مراعاتنا لتركيا التي اعتبرها دولة حليفة لاعدائنا وقد بذلت جهودا مضاعفة لاقناع الملك بأن ما يعتبر متعذرا الآن يمكن ادراكه بعد تطور الاحداث وان عليه التذرع بالصبر الى ان نحقق النصر المأمول وعندئذ ستحوز بلغاريا مكانتها المرموقة في بلاد البلقان.

أما تركيا فكانت تحاول جاهدة لجعل نفسها قوة اوربية لا يستهان بها. ووجدت ان بالامكان ادامة التفاهم معهم بالتأكيد على تحالفنا السابق معهم ابان الحرب العالمية الأولى وتناسي الصراعات التأريخية القديمة معهم من أجل ضمان تحقيق السلام في جنوب شرق اوربا. وقد انتقد الملك بوريس سياستي زاعما اننا يجب ان نعامل اصدقائنا الاتراك بأقصى درجات الشك واجبارهم على توقيع اتفاقية سلمية معنا. لا سيما وان الانكليز دأبوا على محاولة شن تعرض واسع ضد اوربا بالاندفاع من الاراضي التركية.

تفهمت تماما مدى حراجة موقف الملك بوريس ازاء الاتحاد السوفيتي مع الالتفات الى حقيقة مهمة هي تأثر الشعب البلغاري بوشائج النسب السلافي الذي يربطه مع الشعب الروسي برباط وثيق. وعليه فقد حافظ الملك على علاقة متينة مع روسيا رغم ارتباطه بالحلف الثلاثي مع المحور وخوضه الحرب ضد يوغسلافيا. وكانت البعثة الدبلوماسية السوفيتية الكبيرة في صوفيا ـ والتي بقيت فيها حتى عام ١٩٤٤ ـ شوكة في عين هتلر . وقد كانت بطبيعة الحال مركزا مهما لجمع المعلومات لصالح موسكو وعليه فقد كرر محاولاته لاغلاقها لكنني طالما نصحته بالكف عن مثل هذه المحاولات لأنها تمس مشاعر حلفائنا البلغار في الصميم.

سافرت من مقر الزعيم الى برلين لأن رغبتي بالعودة الى انقرة لم تتحقق بسبب رغبة الوزير فون ريبنتروب في بحث عدة مسائل معي. وكانت اشدها الحاحا مسألة حرصنا على الاستمرار في استيراد معدن الكروم من تركيا. ولو كنا قد اشترينا مقادير وفيرة من هذه المادة في وقت مبكر لما جعلنا

للانكليز امكانية الاشتراط في الاتفاقية التي عقدوها مع تركيا لايقاف تصدير الكروم الى المانيا • لكن هذا التحديد لم يبق نافذا عندما استطعنا الاستمرار على الشراء من تركيا في مطلع سنة ١٩٤٢ وكانت جهودي المتواصلة في التصدي لمقاومة الانكليز لهذه الصفقات من المشاكل قد تطلبت بذل كل ما لدي من قوة لأنني كنت أعلم بعدم وجود أي مصدر آخر لنا يمكن ان نحصل منه على تلك المادة المهمة لمواصلة التسلح• والمؤسف اننا تعرضنا لهذه الازمة المزعجة بسبب عدم كفاية جهاز الاستيراد الالماني الذي أدى الى تقويض علاقاتنا التجارية العريقة مع تركيا•

وهكذا وجب علي أن أحاول ايجاد بداية جديدة لانشاء قواعد تجارية تلائم مصلحة تركيا • واستطعت التوصل الى عقد اتفاقية حزيران التي ضمنت بها الاستمرار على استيراد الكروم من تركيا حتى صيف ١٩٤٤ عندما استطاع الحلفاء التأثير على تركيا بعد تغير الموقف الحربي واجبار حكومتها على ايقاف تصدير الكروم الى المانيا•

عندما رجعت الى انقرة بعد غيبتي الطويلة وجدت الحالة فيها متوترة لأن مختلف الاوساط السياسية حسبت لغيابي الف حساب وكان أهم الاسئلة المطروحة يتعلق باحتمال الضغط على تركيا واجبارها على الانحياز للمحور بعد ان سيطرت المانيا على البلقان واليونان • والواقع هو ان الموقف اضحى في غاية الدقة وقد كانت الحكومة التركية شديدة القلق لتغيبي عن انقرة ولو انني تركت ابنتي لوحدها مضطرا بسبب الموقف العائلي طوال تلك الفترة•

جعلت ثورة العراق ضد بريطانيا حياتي خلال الاسابيع الثلاثة التالية بمنتهى الصعوبة • وكانت بريطانيا قد عقدت معاهدة مع العراق في عام ١٩٣٠ حصلت بموجبها على قاعدتين جويتين في البصرة والحبانية مع تسهيلات عسكرية اخرى جعلت من العراق محمية بريطانية • وفي آذار ١٩٤١ تشكلت حكومة منبثقة عن حركة التحرر العربي برئاسة رشيد عالي الكيلاني على انقاض حكومة كانت موالية للانكليز• وقد فر الوصي على العرش• فأمر

تشرشل ـ الذي خشي من ضياع منابع النفط وانابيب نقله الى البحر ـ بأرسال لواء هندي الى البصرة[٢]، وبذا أجبر حكومة رشيد عالي الكيلاني على خوض حرب لم تستكمل الاستحضار لها، وقبل ان تتاح للعراقيين فرصة التعاون مع المحور ٠

قامت القوات العراقية ـ بعد نزول القطعات الهندية في ميناء البصرة ـ بمهاجمة مطار الحبانية يوم ٢ مايس ١٩٤١[٣] ولكنها لم تتمكن من احتلاله واستطاع الانكليز تحشيد كل الوسائل المتاحة لهم لترجيح كفة القتال لصالحهم فأستطاعوا تحقيق ذلك في ٧ مايس ١٩٤١ ٠

رفض تشرشل الوساطة التركية ٠ اما هتلر وهيئة اركان القيادة العامة للقوات المسلحة الالمانية فقد تصوروا ان الوقت قد حان لتسديد ضربة قاتلة لبريطانيا بعد ان تمكنت المانيا من تحقيق انتصارها اللامع في الحملة على اليونان وامنت التفوق الجوي في شرق البحر الابيض المتوسط، لكن فرصة المانيا الرائعة في تلك الفترة كانت بارسال قواتها المظلية الممتازة والمتفوقة لاحتلال بغداد والبصرة وقذف القوات الهندية في البحر والحصول بضربة واحدة على منابع النفط الغزيرة في الخليج العربي[٤]، لاسيما وان القائد العام للقوات الفرنسية المرابطة في سوريا كان الفريق دينتز الموالي لحكومة ڤيشي كما ان القوات الانكليزية التي كانت في فلسطين آنذاك كانت ضعيفة جدا،

---

(٢) بلغت قوة الحملة الانكليزية على العراق (١٤٨٠٠) رجل في قاطع البصرة (الفرقة الهندية ١٠) و (٧٢٩٠) رجلا في قاطع الحبانية مع اعداد وفيرة من الطائرات الحديثة . ـ المترجم ـ

(٣) تؤكد مختلف المصادر التاريخية المنصفة بان الانكليز هم الذين بدأوا العدوان على القوات العراقية يوم ٢ مايس ١٩٤١ نتيجة لتدبير مبيت وذلك تنفيذا لامر صادر عن قيادة تشرشل نفسه للفريق سمارت قائد القوات البريطانية في الحبانية . ـ المترجم ـ

(٤) زج هتلر قواته المظلية الممتازة في اكبر انزال جوي وبحري على جزيرة كريت اليونانية في مايس ١٩٤١ ومع انه حقق انتصارا باهرا في هذه الغزوة الا انه تكبد خسائر فادحة في قواته المظلية والبحرية بحيث لم يعد بمقدور تلك القوات تنفيذ اية عملية مشابهة بعدها . ـ المترجم ـ

ولكن هذه المعركة ـ معركة العراق ـ كانت مجرد البداية للصراع بين الموت والحياة بالنسبة للامبراطورية البريطانية نفسها. اذ كيف يمكن ايصال المهمات العسكرية الضرورية عبر سوريا ما لم يتم تأمين سلامة القوافل البحرية بتحقيق التفوق البحري؟ وكان الانكليز قد افلحوا في ٢٨ آذار ١٩٤١ بتسديد ضربة قاصمة للاسطول الايطالي قرب ماتا ـ پاذ . كما تلقت القوات البحرية الالمانية التي ساهمت في الانزال بكريت ضربة شديدة بالاضافة الى عدم توقع الالمان لأية مساعدة ايطالية في تلك المعركة.

بقي طريق تركيا البري مغلقا بوجوهنا بسبب امتناع هتلر عن قبول اعتراضاتي. وهكذا لم يكن بمقدورنا الأسراع في تقديم اية معاونة جديـة للثوار العراقيين . وكانت كل المعونة الألمانيـة التي أمكن تدبيرها للعراق هي ارسال بضع طائرات الى الموصل يوم ١٣ مايس ١٩٤١ ولكنها لم تحقق اية نتائج تذكر . وقد كان الرائد فون بلومبرغ ابن وزير حربية المانيا السابق ممن ساهم في تلك المهمة وقد لقي مصرعه عندما أصيب بنيران العراقيين فوق بغداد خطأ[٥].

وقد تلقى اللواء الطيار فيلمي ـ الذين تم تعيينه قائدا عاما للقـوات الالمانية في العراق ـ وصايا هتلر المؤرخة ٢٣ مايس ١٩٤١ المتضمنة وجوب اسناد حركة التحرر العربي[٦]. أما كيفية اسقاط المواضع الانكليزية الكائنة بين البحر الابيض المتوسط والخليج العربي بالتوفيق مع التعرض على قناة السويس فسيتم فيما بعد وهذا ما سيجري حسمه بعد باربار وسا[٧]. ومما

---

(٥) يؤكد السفير الالماني ببغداد آنذاك فريتز غروبا في مذكراته (رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق ص ٤٠٩) بأن الرائد فون بلومبرغ قتل بمعركة جوية فوق بغداد نتيجة لاصابته برصاصة في الدماغ خرقت قمرة الطيار وهبطت طائرته من قبل طيارها بسلام وقد زعم الانكليـز ان العراقيين قتلوا فون بلومبرغ خطأ والواقع هو ما يؤكده فريتز غروبا بصفته شاهد عيان للواقعة. ـ المترجم ـ

(٦) ان نص الوصايا المذكورة مبين في الملحق (٢) من كتاب (رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق) لفريتز غروبا ترجمة فاروق الحريري . ـ المترجم ـ

(٧) هو الاسم الرمزي لعملية العدوان الالماني على الاتحاد السوفيتي التي شرع بها الجيش الالماني في ٢٢ حزيران ١٩٤١ . ـ المترجم ـ

لا شك فيه ان الماكنة الحربية الالمانية والقيادة السياسية الالمانية التي كانت على وشك تنفيذ هذه الحركة الواسعة لم يكن بمقدورها اسداء معونة جادة للعراق.

قام المبعوث الدبلوماسي الالماني في سوريا رودولف راهن بتجميع مقادير من الاسلحة الفرنسية للفرق العراقية ولكنها وصلت الى الموصل بعد فوات الأوان. كما ان الطائرات الالمانية القليلة التي ارسلت الى العراق لم تتوفر لها مقادير الوقود المصفّى الضرورية وهذه لم يكن بالامكان ايصالها الا عن طريق تركيا البري. وقد امطرني في هذه الفترة الوزير فون ريبنتروب بوابل من برقياته المتعاقبة للحصول على موافقات الاتراك بمرور مختلف المواد الضرورية للمجهود الحربي العراقي عبر تركيا. بينما رفض الاتراك هذه الطلبات بطبيعة الحال ولم يسمحوا الا بمرور البنزين لأنه لم يكن مدرجا في قوائم المواد التي يعتبرونها من المواد الحربية.

حاولت افهام فون ريبنتروب بطبيعة موقف الاتراك الدقيق في تلك المرحلة الحرجة لأنهم كانوا معرضين للتجاذب الشديد بين الحلفاء من جهة ومن المحور من الجهة الاخرى كما دأبت في تلك الفترة على الاتصال بوزير خارجية تركيا شكري سراج اوغلو.

وصل الى انقرة فجأة السيد رودولف راهن لكي يعمل على حل مشكلة نقل المواد العسكرية الى العراق عبر تركيا . وقد عبر في كتابه الذي ضمنه ذكرياته عن تلك الفترة عن غضبه لأنني تركته ينتظر مدة ساعة ونصف لانني كنت مشغولا في حفلة لممارسة رياضة التنس وواضح انه ــ رغم بقائه في الشرق مدة طويلة ــ لم يسمع بالمثل الجميل الذي يردده الاتراك والذي مفاده. « العجلة من الشيطان ».

وصلت ثورة العراق الى نهايتها في ٣٠ مايس ١٩٤١ وتقدمت القطعات الهندية من البصرة الى بغداد(٨) وفر اعضاء الحكومة العراقية مع مفتي فلسطين الأكبر الى خارج العراق كما وصلت مغامرة السيد راهن الى نهايتها عندما

(٨) احتلت بغداد قوات العدو المندفعة من الحبانيــة وليست تلك التي نزلت بالبصرة .
ــ المترجم ــ

اضطر على ترك سوريا بعد ان اقتربت قوات اللواء كاترو التابعة لفرنسا الحرة من مدينة دمشق من الجنوب.

فرح تشرشل الى اقصى الحدود عندما سمع بانهيار مقاومة العراق. وقد كتب في مذكراته بعدئذ:

« من المؤكد ان هتلر فقد فرصة رائعة لأنه حقق انتصارا تافها في كريت لقاء ثمن باهظ » .

وانتقد هتلر لأنه لم يستخدم قوات مظلييه المدربة والمجهزة بأحسن المستويات لاحتلال حوض الفرات وانما هاجم بهم جزيرة كريت العديمة الاهمية والتي كلفه احتلالها ثمنا غاليا . ألا انني اتصور بأن هذا الرأي كان مغلوطا لأن هتلر ما كان بمقدوره القضاء المبرم على الامبراطورية البريطانية بعد تنفيذ عملية جريئة في منطقة الخليج العربي.

تحدثت بعد عودتي الى انقرة مع كل من رئيس جمهورية تركيا ووزير خارجيتها وناشدتهما التوسط لانهاء النزاع العراقي ـ الانكليزي لأننا ليس من مصلحتنا توسيع نطاق الحرب في منطقة الشرق الاوسط بذلك الاتجاه. وقد اخبرني الرئيس عصمة اينونو بأنه على اتم استعداد للتوسط بهذا الشأن اذا اعتقدت الحكومة الالمانية بأن هذه المساعي يمكن ان تؤدي إلى نتيجة سلمية . ومن الطبيعي ان انهاء الحرب العراقية ـ الانكليزية كان من مصلحة الجمهورية التركية لاسيما وان الجيوش الالمانية كانت ترابط على مقربة من حدود تركيا الشمالية وحدودها الغربية بينما لم يكن للانكليز ثمة امل في التصدي للقوات الالمانية في جنوب شرق اوربا. وكان من رأي الرئيس اينونو ان المانيا يمكنها كسب الحرب ضد بريطانيا في حالة تحقيق النجاح في حركة حاسمة . اما انا فكنت متشائما من تنفيذ عملية «بارباروسا» وكنت انتظر نشوب معارك جديدة في ليبيا . ولم يكن من الصواب مباحثة وزارة الخارجية الالمانية بأية محاولة سلمية. ذلك لأن الوزير فون ريبنتروپ كان قد اصدر الكثير من التوجيهات الرسمية المشددة بالامتناع عن أية محاولة للقيام بمحادثات سلمية . وانه سبق ان قال لي

ببرلين:

« يبدو أنك لم تقتنع بعد بأننا كسبنا هذه الحرب يا سيد فون پاپن ».
فأجبته بأنني لم اقتنع بعد طالما ان الحرب لا زالت قائمة.

في هذه الاثناء هبط رودولف هيس بطائرته بصورة مفاجئة على الارض الانكليزية بمبادرة فردية منه لتحقيق السلام على طريقته الخاصة مع بريطانيا وكانت تلك الفضيحة مثار استهزاء كلا من هتلر وتشرشل على حد سواء. وأرى ان من المناسب القاء الضوء التأريخي على تلك الواقعة بملحوظات قليلة لابد منها. فأول الدلائل المستخلصة من تلك الحادثة هي ان الانكليز حصلوا على أول ايمائة مؤكدة على وجود انشقاق خطير في صفوف زمرة هتلر المقربة منه .

فقام تشرشل باخبار الرئيس الامريكي فرانكلين روزڤت في ١٧ مايس ١٩٤١ بحادثة طيران رودولف هيس الى بريطانيا .

ولكن تشرشل اكد في مذكراته بأن هيس حذر الانكليز من الخط المحدق بأوربا في حالة اقدام هتلر على مهاجمة الاتحاد السوڤيتي.

أما من وجهة نظر الدعاية التي لجأ اليها الانكليز بعد الحادثة فكانت كما يلي:

هبط رودولف هيس من السماء بصورة مفاجئة وعندما حطت طائرته على الارض الانكليزية استدعي لمقابلته سير ايڤون كيرك پاتريك الذي كان مسؤولا عن توجيه الاذاعة البريطانية ضد المانيا لأنه سبق له الاشتغال بمنصب امين سر السفارة البريطانية ببرلين خلال الفترة ١٩٣١ـ١٩٣٩ وهو على معرفة وثيقة بحقائق الامور في المانيا . وقد اوضح رودولف هيس في اول الامر مكانته في الدولة الالمانية ثم أشار الى انه من الواجب على بريطانيا أن تبذل كل ما بوسعها وبصورة مباشرة لمنع هتلر من شن هجومه الوشيك على الاراضي الروسية . ذلك لأن اندحار هتلر على ايدي الروس من شأنه تفشي الشيوعية في اوربا ثم وصل الى السبب الذي حدى به للقيام بمغامرته

حيث قال ان على كل من المانيا وبريطانيا التوصل الى تفاهم سريع في سبيل الحفاظ على قارة اوربا • وقد اخبرني من اثق به بأن تشرشل لم يهمل مزاعم هيس لكنه وجد نفسه ازاء نقطة تحول جدية في مسار الحرب الناشبة الا ان سير ايفون كيرك پاتريك اعتبر القضية كلها العوبة مدبرة بأتقان وان هتلر يرمي من ورائها تصديق الانكليز لأقصوصة هيس بينما تعتبر بريطانيا هجوم هتلر على روسيا فرصة رائعة للقضاء على المانيا وانهاء اسطورة الأمة الالمانية المتفوقة•

وقد ذكر تشرشل فيما بعد بأن ستالين قد سر كثيرا لحادثة طيران هيس بعد ان علم تفاصيل افشائه لسر هتلر ولم يصدق في حينه ابدا مزاعم تشرشل واجابته السلبية على عروض هيس•

بذلت جهودي خلال اسابيع عديدة وبعلم من برلين في سبيل المضي نحو خطوة عملية جديدة الغرض منها تقوية اواصر العلاقات الالمانية ــ التركية وتحويل العلاقات القائمة من اتفاقية عدم الاعتداء الى اتفاقية حياد حقيقي وصداقة متينة • وقد اقترحت هذه الفكرة على كل من السيدين شكري سراج اوغلو ونعمان مينمنجي اوغلو وكان ان ايدا فكرة عقد الاتفاقية المقترحة•

ولم يكن فون ريبنتروپ متحمسا للفكرة بطبيعة الحال حيث دأب على مطالبتي بالضغط على الاتراك بالامتناع عن منح الانكليز اية ضمانات مشابهة هذا والا ينبغي علي عدم ابرام اية اتفاقية مع تركيا • لكنني جعلته لا يشك قيد أنملة بأن الاتراك يولون اخلاصا تاما لحلفائهم وانهم يخبرون السفير البريطاني في انقرة بكل مراحل مفاوضاتنا معهم • ولما عاد فون ريبنتروپ الى الايصاء بعدم عقد الاتفاقية المطلوبة مع تركيا في حالة عدم تعهدها بعدم عقد اية اتفاقية مشابهة مع الطرف الآخر• فأضطررت عندئذ على مخابرته هاتفيا واخباره بأن الاتراك (سادة) وان من شمائل (السادة) احترام التزاماتهم الدولية وعندها تراجع فون ريبنتروپ عن عناده وتوصلنا الى توقيع الاتفاقية التالية مع تركيا في ١٨ حزيران ١٩٤١:

« ان الدولة الالمانية وجمهورية تركيا رغبة منهما في وضع الاسس المتينة للصداقة القائمة بينهما اتفقتا على توقيع هذه الاتفاقية التي تتضمن ما يلي:

المادة الاولى - تتعهد الدولة الالمانية وجمهورية تركيا بالاحترام المتبادل وعدم الاضرار بمصالح كل منهما من قبل الاخرى والامتناع عن مهاجمة أي منهما للاخرى وعدم اشتراك أي منهما في اتفاق او معاهدة من شأنها الحاق الأذى بالاخرى سواء بطريقة مباشرة او غير مباشرة.

المادة الثانية - تتعهد الدولة الالمانية وجمهورية تركيا بمعالجة جميع القضايا المشتركة بينهما في المستقبل بروح الصداقة والتوصل الى تفاهم تام بشأنها عن طريق الاتصال المباشر بين الدولتين.

المادة الثالثة - تكون هذه الاتفاقية نافذة المفعول اعتبارا من يوم توقيعها وهي تسري لمدة عشرة اعوام...

وكانت المفاجأة عامة لأن المفاوضات تمت بكل ثقة واخلاص وقد أحيطت السفارة البريطانية في انقرة علما بعقد هذه الاتفاقية . كما اكد لي اصدقائي الاتراك بأن علاقات الصداقة القديمة القائمة بين بلدينا هي الضمان الاساس لازدهار علاقاتنا المقبلة .

وقد كتب زميلي السفير الانكليزي في انقرة سير هيوغ بشأن الاتفاقية المعقودة مع تركيا:

« لقد كانت فكرة غير مريحة بالمرة . وواضح ان الترك تعرضوا الى ضغط شديد حيث لم يكن ما يبرر لعقد اتفاقية الصداقة المبرمة مع المانيا ».

ولكن هل كان من اللياقة بشيء بالنسبة للدبلوماسي جيد ان يمس شعور الاتراك كما فعل السفير المذكور عندما عقد مؤتمرا صحفيا مساء يوم ١٨ حزيران ١٩٤١ قال فيه للصحفيين بأن الاتفاقية المعقودة بين المانيا وتركيا لا قيمة لها وانها لا تدل ابدا على فشل السياسة البريطانية.

وفي ٢٥ حزيران ١٩٤١ قال السيد شكري سراج اوغلو امام التجمع الوطني التركي:

« ان العمل الذي حققناه ونحن محاطون بالحرائق والدمار والانهيارات الناتجة عن الحرب كان عملا جميلا ومحظوظا يحقق السلام للشعب الالماني وللشعب التركي بل ولجميع ابناء الانسانية.

ويلاحظ من الاطلاع على متن الاتفاقية ان المساواة بين الطرفين المتفقين يدل على اخلاصهما المتبادل . وأجد من واجبي ان اتقدم بالشكر الجزيل لرجال الدولة الالمانية امام هذا التجمع لأنهم اتاحوا لنا الفرصة لتوطيد علاقاتنا واكدوا صداقة بلادهم لنا ومنحونا الكلمة المخلصة وساهموا معنا في بناء صرح الصداقة الالمانية التركية العتيدة » بعد ستة ايام من ذلك التأريخ وفي الصباح الباكر من يوم ٢٢ حزيران ١٩٤١ اجتازت القطعات الالمانية حدود الاتحاد السوفيتي من ساحل بحر البلطيق الى سواحل البحر الاسود . ولم نكن نحن على بينة من ذلك الامر بطبيعة الحال . وسرعان ما تواترت الانباء عن النتائج الاولية لتلك الحملة الكبرى.

والذي حصل بالنسبة لي هو انني فوجئت بالواقعة كما فوجيء الرسميون الاتراك عندما اوقظت من نومي في الهزيع الأخير من ليلة اليوم المذكور لأستلم برقية من فون ريبنتروپ تتضمن وجوب اخبار الحكومة التركية فورا بالأسباب التي حدت بالمانيا لتنفيذ غزونها الجديدة مع العلم بأن وزارة الخارجية الالمانية جعلت بعثاتها الدبلوماسية في جهل مطبق بشأن خطط هتلر.

وجدت السيد شكري سراج اوغلو في غاية القلق لأن رجال الدولة الاتراك كانوا يخشون من حصول نزاع مسلح بين المانيا والاتحاد السوفيتي قد يمتد الى المضائق وكان هذا الهاجس شغلهم الشاغل كلما تلبد الجو السياسي بالغيوم الخطرة . وقد عبر السيد سراج اوغلو عن شدة تأثره بالواقعة عندما قال لي:

« هذه ليست حرب . انها غزوة صليبية ».

أما السيد نعمان مينمنجي اوغلو فلم يكتم اعجابه بألمانيا عندما قال بأننا اصبحنا اقوى العناصر المؤثرة في ميزان السياسة الاوربية . والواقع

هو اننا اجمعنا على ان قرار هتلر هذا لابد ان يتمخض عن نتائج لا يمكن التكهن بها سلفاء وقد بادرت دون ان اتلقى من برلين اية توجيهات وبتأثير الغزوة المباغتة الى التوجه باقتراح للسيد سراج اوغلو ليكلف السفير البريطاني بمهمة الاستفسار من رئيس وزراء بريطانيا عما اذا كان الوقت قد حان لدفن كل الضغائن القائمة بين الاقطار الاوربية ووضع حد للتقاتل فيما بينها انقاذا لحضارة بلاد الغرب .

وقد عجل السيد سراج اوغلو بمحاولة اللقاء بالسفير الانكليزي سير هيوغ لكي يطرح عليه فكرتي الا ان السفير المذكور كان يقوم بنزهة بحرية بيخته الخاص في بحر مرمرة ولم يكن بالامكان الألتقاء به الا بعد عودته . ولما التقى به في الايام التالية وأوجز له وجهة نظري تعهد تشرشل نفسه بالاجابة على المقترح على امواج الاثير عندما وجه نداءً للعالم قال فيه:

« ان النظام النازي لا يمكن مقارنته بأي شكل مع أسوأ مساويء الشيوعية ... فالنازية تجسد كل اشكال مساويء البشر المتمثلة بقسوتها ووحشية عدوانها ... وان لدينا هدف واحد فقط ورغبة وحيدة لا سبيل للمحيد عنها الا وهي القضاء على هتلر وعلى كل أثر للنظام النازي...»

ان الحلف الذي عقد بين بريطانيا وروسيا في ١٢ تموز ١٩٤١ كان رد الفعل الاول بطبيعة الحال على حرب هتلر الجديدة . الا ان تشرشل اوضح معالم نواياه في خطاباته التي القاها بمؤتمرات طهران وبوتسدام[٩] التي

(٩) عقد مؤتمر طهران خلال الفترة ٢٨ تشرين الثاني — ١ كانون الاول ١٩٤٣ وحضره روزفلت وتشرشل وستالين وكانت اهم قراراته الاتفاق على توسع پولندا بعد الحرب على حساب الاراضي الالمانية وفيه اُخبر ستالين بخطة (اوفر لورد) وهي خطة الحلفاء الغربيين التي تحورت بعدئذ ونجم عنها غزو نورماندي في ٦ حزيران ١٩٤٤ وعقد مؤتمر يالطا (وهي مدينة روسية تقع على الساحل الجنوبي لشبه جزيرة القرم) خلال الفترة ٤—١١ كانون الثاني ١٩٤٥ وحضره روزفلت وتشرشل وستالين وفيه تقرر اقتسام المانيا وكذلك تقسيم برلين وقد حصل الاتحاد السوفيتي في هذا المؤتمر على النصف الجنوبي من جزيرة سخالين بشرط قيامه باعلان الحرب على اليابان بعد سقوط المانيا مباشرة وعقد مؤتمر پوتسدام بعد سقوط المانيا في مدينة پوتسدام ضاحية برلين وموئل العسكرية البروسية العريقة خلال الفترة ١٧ تموز — ٢ آب ١٩٤٥ وحضره هاري ترومان (بعد وفاة الرئيس فرانكلين روزفلت) وتشرشل وستالين وفيه تم اقتسام اوربا بين المنتصرين وتحدد مصير المانيا المحتلة واخبر ستالين رسميا باختراع القنبلة الذرية . — المترجم —

تمخضت عنها الصورة السياسية الحالية لاوربا . وكان السيد شكري سراج اوغلو قد ذكر في خطابه الملمع عنه آنفا امام التجمع الوطني التركي بأن الاتفاقية التي عقدتها مع تركيا لم تكن موجهة ضد روسيا بأية حال من الاحوال وانها كانت اتفاقية صداقة تحقق لتركيا السلام .

وفي هذه الاثناء تدهورت العلاقات الانكليزية ـ التركية حتى وصلت الى الحضيض وفي ١٧ تموز ١٩٤١ وصل الى انقرة السيد شولنبورغ مع هيئة ركنه وقد حدثني عن شكوكه باحتمـال تحقيق هتلر للنجاح المأمول من الحرب ضد الاتحاد السوفيتي.

وفي ايلول ١٩٤١ قطعت ايران[١٠] علاقاتها الدبلوماسية معنا تحت ضغط انكليزي روسي. وكان مبعوثنا الدبلوماسي في طهران نازيا معروفا وسبق ان كان مسؤولا عن تنظيـم النشـاط النازي في ايطاليا باشراف الوزير فون ريبنتروب. وكان اوضح لأحد افراد سفارتي اسرار النجاح الدبلوماسي عند التعامل مع هتلر حيث قال له ان التقـارير التي ترفع للزعيم مباشرة تحظى باهتمامه دوما . كما ان هتلر يستفسر عادة عن صفة كل تقرير وهل هو سلبي أم ايجـابي. فاذا كان سلبيا اودع في خزانات الوثائق دون ان يقرأ واذا كان ايجابيا قرأه بكل اهتمام.

زارني بمقر السفارة الصيفي أمير البحر كاناريس الذي بثني الكثير من معاناته .

وأنا اعرف كاناريس منذ اكثر من ثلاثين عاما حيث دأب على اسداء الكثير من المعاونة لي خلال ازماتي مع النازيين كما في حالتي اغتيال فون بوسه وفون كيتيلر وكنت اتصـوره من الخصـوم الالـداء لطرق هملر وهايدريش . وقد حصل ما كنت اتوقعه عندما اصطدم جهازه السري مع الشرطة السرية للدولة وكان ان وصل الصراع بين تينك المنظمتين في تركيا

(١٠) كانت روسيا وبريطانيا تحتلان ايران بقواتهمـا المسلحة حيث هاجمتها قواتهما يوم ٢٥ آب ١٩٤١ واستسلمت القوات الايرانية في ٢٩ آب ١٩٤١ فنفي رضا شاه بهلوي الى جنوب افريقيا ونصب ولده محمد بدلا عنه .
ـ المترجم ـ

الى عدم تورع احداهما عن الوشاية بالأخرى لدى دوائر الشرطة التركية بينما بقي كاناريس عاجزا عن التدخل ووضع حد لهذه المهزلة. وقد وجدت في كاناريس وطنيا غيورا تصدى للنظام النازي دون ان يحاول التسبب في اندحار بلاده. ولقد كان كاناريس راضيا جدا من فعاليات الملحق العسكري الالماني بأنقرة لأن التقارير التي كان يرسلها الى برلين كانت واقعية ومفيدة بدرجة تفوق تقارير الملحقين العسكريين في العواصم الاخرى وبخاصة اولئك العاملين في الاقطار المحايدة. وكان ملحقنا العسكري في انقرة من المتشككين في عاقبة الحرب ضد الاتحاد السوفيتي شأنه في ذلك شأن العسكريين المجربين الآخرين.

تعاونا في هذه الفترة مع الاتراك لارسال معونة غذائية عاجلة الى اليونان للتغلب على حالة المجاعة التي تعرضت لها بلاد الاغريق. ويطيب لي هنا ان اعترف بجميل الاتراك الاماجد الذين اسدوا تلك المساعدة الانسانية المشكورة لليونانيين المساكين. وفي هذه الاثناء ساعدت الكاهن رونكالي ممثل الفاتيكان في اسطنبول على السفر الى اليونان لرعاية مصالح الكاثوليك في اليونان خلال تلك الازمة.

اضطررت على السفر الى برلين في أيلول ١٩٤١ على الرغم من كوني شبه مريض آنذاك فرافقتني زوجتي ورئيس اطباء المستشفى الالماني الاستاذ الدكتور كوينكه وبعد ان انجزت مهمتي ببرلين حاولت زيارة هتلر بمقره في بروسيا الشرقية[11] وقد رجاني عدة اشخاص ان اصارحه بالانطباع السيء الذي نتج عن مهاجمته لروسيا. ولما ذهبت الى ذلك المقر صحبني السيد لاميرز ولم يكن من الصعب على مباحثة هتلر بشأن الموقف الحرج الذي وضع به نفسه وبلاده عندما هاجم الاتحاد السوفيتي. وكان ان اصغى هتلر لأقوالي بكل اهتمام ثم انحى كعادته باللائمة على النازيين المتطرفين الذين زينوا له هذه الحملة وركز انتقاده هذه المرة على معاونه مارتن بورمان الذي وصمه (بهذا الماجن) ولما ودعت هتلر صحبني السيد لاميرز ايضا.

(١١) كان هذا المقر في راستنبورغ ببروسيا الشرقية. — المترجم —

قابلت ولدي قبل عودتي الى انقرة وكان مشغولا بتصليح دبابته التي أعطبت خلال الحملة على يوغسلافيا حيث اخبرني بأنه سيشترك مع مجموعة الجيوش الهاجمة على موسكو. وكانت الحرب ضد الاتحاد السوڤيتي قد كلفتني خسارة احد ابرز أعواني الاكفاء وأعني به البارون فون مينسنغن نائب القنصل العام في اسطنبول حيث استدعي للقتال ضمن سرب ريختهوفن[١٢] ولما اشترك بالقتال الجوي اسقطت طائرته.

لم تمر علي تلك السفرة الى برلين دون نزاع جديد مع وزير الخارجية فون ريبنتروپ ذلك لأن برلين كانت تعرف مفتاح الجفر للسفارات المعادية والسفارات المحايدة في انقرة وكان هذا في غير صالحي او صالح زملائي الآخرين لأننا ما ان تتحدث بأي موضوع مع أي فرد من رجال السلك الدبلوماسي الا وتصل نسخة من التقرير الذي يشير للمحادثة (مهما كانت لغة ذلك التقرير) في صباح اليوم التالي الى مكتب الوزير فون ريبنتروپ. وقد قال لي فون ريبنتروپ نفسه ذلك فأقترحت عليه التقدم بنصيحة للايطاليين كي يبدلوا نظام الجفرة المتبع لديهم خشية تمكن الانكليز من كسرها وفضح اسرارهم الا ان فون ريبنتروپ رفض ذلك المقترح وكان من رأيه مواصلة الاطلاع خلسة على ما يفكر به زعماء حليفتنا . اما متابعة الانكليز لنشاط الاسطول الايطالي وتأثيرهم بالتالي على سير العمليات التي تشترك بها القوات الالمانية في شمال افريقيا واحباطهم لخطط التموين الحيوية لقواتنا هناك فهذه كلها اقل اهمية في نظر فون ريبنتروپ من تجسسه على صديقه الكونت شيانو واستشفاف مقاصد الأخير ومعرفة طريقة تفكيره لأنه لم يقدر ما تكلفه هذه الوسيلة الخبيثة من ضحايا وأرواح الجنود الشجعان الذين يقاتلون في سبيل الوطن.

---

(١٢) كان سرب ريختهوفن سربا تراثيا متميزا منذ الحرب العالمية الاولى ولما قتل قائده البارون فون ريختهوفن عين النقيب (المشير بعدئذ) هرمان غورنغ قائدا للسرب وقد أعاد الالمان تشكيله قبل الحرب العالمية الثانية حيث برز منه طيارين مقاتلين متفوقين على اقرانهم . ـ المترجم ـ

وفي ٢٦ أيلول ١٩٤١ وصلتني البرقية التالية التي لا تدل على الصعوبات التي صادفتها في تعاملي مع فون ريبنتروب وانما تعطى فكرة واضحة عن تفكيره وقابليته كوزير للخارجية:

أشار السفير خسرو غيريده[١٣] في تقريره الصادر هذا اليوم الى محادثة اجراها معكم واتسمت بالسرية التامة • وقـد وردت في هذا التقرير بعض التفاصيل العسكرية كتقدير حجم القوات الروسية التي في شبه جزيرة القرم بين فرقة ونصف وفرقتين وهي قوة يسهل علينا ابادتها والاندفاع نحو مراكز الصناعة الروسية والتقدم لأحتلال موسكو في تشرين الاول ١٩٤١ ثم ان التقرير المذكور للسيد غيريده اشار ايضا الى ان قضاء الجيش الالماني على القوات المسلحة السوڤيتية سيفسح لالمانيا مجال التوصل الى حل سلمي مع الدول الغربية•

ومما لا شك فيه ان تقرير غيريده هذا لابد ان يتسرب من الاتراك الى الانكليز ومن ثم الى الروس ايضا•

ولابد ان اعدائنا سيستفيدوا من هذه المعلومات العسكرية وكما سبق ان قلت لكم شفويا هنا فان أية محاولة سلمية تتقدم بها المانيا لابد ان تنطوي على اشارة تدل على الضعف وعليـه فانني ارجوكم الحـذر من التطرق للمواضيع المتعلقة بالحركات العسكرية في الاحاديث التي تتم في انقرة لأنها تصل الى مقرنا هذا اولا بأول وذلك حرصا منا على عدم تسربها للعدو • ثم ان الجيش الروسى قد ابيد القسم الاكبر من قواته وسيتم القضاء على البقية الباقية منه خلال هذا العام بالوسائل التقليدية والعلمية • وباستيلاء القوات الالمانية على مصادر الحبوب والمواد الخام والمناطق الصناعية فان المانيا قد حققت الانتصار على روسيا في هذه الحملة • واننا على استعداد لمواصلة الحرب لثلاثين سنة أخرى ضد بريطانيا اذا كانت لها الرغبة في الاستمرار على القتال•

وان ما جـاء في تقرير غيريده بشأن امكانية تحقيق السلام لا يخدم

---

(١٣) هو السفير التركي في برلين آنذاك . — المترجم —

مصلحة المانيا بشيء بالاضافة الى كونه مخالفا لسياستها أضف الى ذلك ان توسط الاتراك لدى الانكليز بهذا الشأن يجعلهم يتشككون بمدى جديتنا في طلب السلام بعد انهيار مقاومة الروس • وسيتردد الانكليز كما سبق ان ذكرت لكم شفويا وعندئذ يجب علينا ان تتصرف وفق الروحية الانكليزية التي تميل الى خوض حرب طويلة الامد •

وعندما يدرك الانكليز بعد انهيار روسيا اننا لا نفكر ابدا بالسلام وانما سنكون على استعداد لمواصلة الحرب ضد بريطانيا (اعتمادا على قاعدتنا الصناعية وبلادنا الكبرى) لسنين عديدة وعند الاقتضاء ضدالولايات المتحدة الامريكية ايضا فلربما ستتنامى لدى الشعب البريطاني الرغبة في اقرار السلام وسنتوقع من بريطانيا نفسها ان تتقدم نحونا برجاء لاقرار السلام• وانني اكرر هنا رجائي لكم للالتزام بما قلته لكم شفويا بهذا الصدد • واؤكد لكم بأننا سوف لن نخطو الخطوة الاولى نحو السلام قط• وعليه فان السياسة السديدة الوحيدة تتمثل بالاستمرار على مواصلة الحرب حتى يتقدم الانكليز نحونا برجاء السلام وهكذا ينبغي الكف عن اجراء أية مناقشة بهذا الشأن•

توقيع فون ريبنتروپ

وقد جرت لي حادثة اخرى مع فون ريبنتروپ نتيجة لاجرائي مقابلة مع الصحفي الاسپاني ماسوليڤر• وكان هذا صحفيا نابها وممثلا لصحيفة (ڤانغارديا) وقد تحدث الي بشأن الموقف الحربي وامكانات السلام• وكان ان أخبرته بامكانات تحقيق السلام خلافا لأمر الوزير فون ريبنتروپ وقد ابرق ماسوليڤر بتقريره الصحفي من فندقه بأنقرة فتلقاه الصحفي الامريكي راي بروك واذاعه بالراديو ــ بشكل محرف بطبيعة الحال ــ مما اثار علي حفيظة فون ريبنتروپ مجددا فأرسل لي برقية صب فيها جام غضبه•

ولا اود هنا التطرق الى الكارثة التي اصيب بها الجيش الالماني على ابواب موسكو الا ان نتيجتها المباشرة كانت اقالة المشير فون براوختش وتولي هتلر مهمة القيادة العليا بصورة فعلية • وقد أدت معركة موسكو الى

اصابة ولدي بجرح بليغ. ثم ما لبث العالم كله ان سمع في ٧ كانون الأول ١٩٤١ بمهاجمة اسراب الطائرات اليابانية وبصورة مباغتة ميناء پيرل هاربر واغراقها القسم الاكبر من الاسطول الامريكي في المحيط الهادي . وواضح ان الزعماء اليابانيين لم يقدروا مدى حراجة الموقف الذي جروا اليه حلفائهم الالمان في تلك الفترة الدقيقة . ومن نافلة القول التأكيد هنا بأن هتلر وجد هذه الفرصة مبررا لأقدامه بعد اربعة ايام من ذلك التأريخ على اعلان الحرب على الولايات المتحدة الامريكية . وهكذا وجد العالم الجديد نفسه مجبرا على خوض الحرب العالمية الثانية.

وقد رجعت بخاطري في تلك الايام الى سنة ١٩١٦ عندما حاولت اسداء النصح للقيصر غليوم الثاني لتجنب خوض الحرب ضد الولايات المتحدة الامريكية مهما كانت الاسباب وها هو التأريخ يعيد نفسه . وقد كنا نتصور آنذاك ما اصبح حقيقة مؤكدة اليوم بأن روزفلت لم يكن قادرا على استدراج بلاده لخوض الحرب لو لم يقدم اليابانيون على فعلتهم. واليوم يدرك الجميع بأن هذا التطور قد اثلج صدور الانكليز وابتهج له تشرشل قائلا:

« لقد كسبنا الحرب. وستبقى بريطانيا العظمى على قيد الحياة. ولم ينته تأريخنا ... فقد تحدد مصير هتلر ...»

ولم يتفهم أحد تطورات الموقف بهذا الشكل الرهيب بصورة تفوق تفهم رجال الدولة الاتراك . حيث كتب لي السيد نعمان مينمنجي اوغلو في بطاقة التهنئة بعيد رأس السنة يوم ٣١ كانون الاول ١٩٤١:

« ان هذا الشتاء القاسي يجعلني آمل ان يكون سببا لانهاء المذبحة الرهيبة الدائرة . وانني اعتبركم من طليعة الرجال العاملين على ايجاد حل جذري للمعضلة التي تهدد حضارتنا ».

ولكنني تساءلت مع نفسي. هل بمقدور احد ان ينقذ الشعب الالماني من هذا النظام وتخليص الامة الالمانية واوربا كلها من ربقته ؟ هذا سؤال وجدت نفسي منهمكا في ايجاد الجواب المناسب له خلال السنوات الثلاث التالية .

الفصل التاسع والعشرون
سؤال لروزفلت

محاولة اغتيال. سنسلح تركيا. محاولات للسلام بوساطة الفاتيكان. صراع حزبي في تركيا . فشل كل مساعي المحور . حــادثة خلال الصيد . اصبح سراج اوغلو رئيساً للوزراء. ستالينفراد نقطة تحول الحرب . التهديد الروسي . « الاستسلام بدون قيد او شرط » . لقاء بين اينونو وتشرشل . محاضـرتي في اسطنبول . غضب فون ريبنتروپ . حركة المقاومة الالمانية . سؤال لروزفلت . الكاردينال شپيلمان يزور تركيا . رســائل اسـرى الحرب الألمان . استسلام ايطاليا . تجربة مع محافظين المانيين . افشاء سر خطير .

كان شتــاء ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ قارس البرد في انقرة ايضا لدرجة يمكن اعتباره معها شتاء سيبرياً . فعلى الرغم من وقوع العاصمة التركية بارتفاع يوازي ارتفاع ناپولي عن مستوى سطح البحر وتمتع اهلها بصيف دافيء وشتاء معتدل الا ان ذلك الشتاء كان زمهريريا بشكل غير مألوف في شبه جــزيرة الاناضول.

اذ غالبا ما كانت تحدث في الصيف مع ارتفاع درجة الحرارة عواصف

رملية متجهة من الجنوب اما في الشتاء فكانت درجة الحرارة معتدلة ويتساقط الجليد فيكسو المنطقة بطبقة خفيفة • ولم تكن في المدينة وسائل تسلية كافية اذ ان فيها القليل من المسارح وصالات الموسيقى وعليه فقد تشاغل الدبلوماسيون الاجانب في الأمسيات بممارسة العاب البريدج والپوكر • وقد رأيت أن من المناسب تغيير طريقة قضاء اوقات الفراغ وقررت السفر بالسيارة الى المناطق الجبلية القريبة من انقرة ــ رغم برودة الطقس ــ لمراقبة الذئاب الجائعة في الليالي المقمرة والتي كانت تقترب من المدينة بحثا عن الطعام• وذلك لكي الهو بضع ساعات في الاسبوع بعيدا عن مزعجات العمل وأغير قليلا من نمط الحياة الرتيبة المملة•

وبينما كنت اتنقل سيرا على الاقدام ــ كما هي عادتي في كل يوم ــ من محل اقامتي ومعي زوجتي الى السفارة زهاء الساعة العاشرة في شارع (بوليڤار اتاتورك) يوم ٢٤ شباط ١٩٤٢ وكان الطريق شبـه خال من المارة القينا فجأة على الأرض بفعل انفلاق مفاجيء لقنبلة قذفت علينا• ثم هببت فورا وتأكدت مسرورا من سلامة عظامي ثم حاولت مساعدة زوجتي (التي اصابها ارتباك طفيف) على النهوض ثم صرخت بها محذرا :

« لا تخطي ولا خطوة اخرى »

لأنني تصورت بأننا مشينا على لغم • ولما القيت نظرة عجلى حول المكان لم اعثر على أي انسان قريب منا • وهكذا يبدو اننا تعرضنا للغم صغير وضعه احدهم باعتناء قبل وصولنا او نصبه أحد سكان البيوت القريبة من المكان• ولكن الحذر كان واجبا لأننا ربما تتعرض للغم آخر• وفي تلك اللحظات الحرجة صادف ان مرت بالقرب منا سيارة أجرة فطلبت من سائقها ايصالنا الى نقطة الشرطة القريبة من السفارة • ولم تكن لتسجيلنا للحادث أية اهمية لأن الانفجار أدى الى تحطم زجاج النوافذ في الأبنية المحيطة به الى مسافة عدة مئات من الامتار • وسبب تجمع عدد كبير من الفضوليين • وقد خف للموقع وبسرعة مذهلة عدد من رجال الأمن الاتراك الاكفاء حيث استعانوا بخبير تحريات سويسري كان قد وصل للبلاد قبل مدة قليلة واجريت تحريات

واسعة واجراءات شديدة منها قطع جميع الاتصالات مع الخارج بينما سرت في اسطنبول اشاعات متضاربة بشأن الحادث.

نقلنا بعدئذ للسفارة وكنت قد اصبت بجراح ادمت احدى ركبتي ومزقت السروال كما اصبت بتمزق في طبلتي الاذنين اما زوجتي فكانت بحمد الله ناجية من كل ضرر . الا ان ظهر معطفها كان ملوثا بقطرات من الدماء وقطع صغيرة من اللحم كانت من جسم المعتدي الذي اختفى وقد نال من سوء فعلته جزاء يستحقه بكل جدارة . وفي خلال ٢٤ ساعة فقط استطاعت الشرطة التركية حل الاجزاء الغامضة من اللغز.

وكانت التحريات الدقيقة في مكان الحادث قد دلت على وجود بعض المتروكات لشخص مجهول منها فردة حذاء معلقة في شجرة قريبة ثم قادت التحريات الى معرفة الفاعل وكان تلميذا يونانيا من مقدونيا التحق بالجامعة في اسطنبول واتخذ لنفسه مسكنا في فندق صغير ثم وصلت التحريات الى بناية القنصلية الروسية في اسطنبول فطوقتها الشرطة على الفور ولم تكترث لاعتراضات السفير وأصرت على التفتيش حتى تم تسليم طالب آخر كان شريكا للفاعل.

وقد ابدى رئيس الوزارة التركي شديد اهتمامه للحادث وشدد الاجراءات الرادعة حيث استمر التحقيق والمحاكمة بضعة اشهر وأراد ان يضرب المثل في صرامة الاجراءات بصرف النظر عن النتائج السياسية التي قد تترتب على ذلك لأنه حرص على عدم جعل بلاده مسرحا لحوادث الاغتيال السياسي. ولذا فقد عوقب الفاعلون بعقوبات شديدة بعد ان ثبت قيام المقدوني قبل الحادث ببضعة اسابيع بالتردد على القنصلية المذكورة وتدربه على اطلاق النار بالمسدس وكان يعلم بأنني اذهب الى السفارة حوالي الساعة العاشرة من صباح كل يوم وان الشارع يكاد يكون خاليا من المارة في ذلك الوقت وهذه فرصة مناسبة لارتكاب جريمة الاغتيال . ثم تبينت معالم الجريمة من الاستنطاق والتحقيق التفصيلي حيث كان على الطالب المذكور ان يهاجمني من الخلف ويطلق على نار مسدس من طراز (والتر) وفي حالة

مضايقته بعدئذ من قبل شخص قريب او من رجل شرطة عليه القاء قنبلة دخان بعد الضغط على نابض الاطلاق فيها ليتوارى عن الانظار . ولكن يبدو ان ذلك الطالب كان حريصاعلى النجاة بجلده وقد رماني بالمسدس بيده اليمنى من مسافة ست خطوات من الخلف بينما كان يحمل قنبلة الدخان بيساره حيث اراد قذفها بعد اطلاق النار مباشرة.

ولربما ضغط الجاني على نابض اطلاق القنبلة قبل الوقت المناسب بثانية او ثانيتين ولما أراد توجيه رصاصته الاولى نحو رأسي بدأت قنبلة الدخان بتشغيل آليتها فأرتبك وطاشت اطلاقته واعقبها فورا انفلاق القنبلة وهي لا تزال بيده فمزقته الى آلاف الأرب وكانت هذه طريقة مثالية لاخفاء آثار جريمة الاغتيال لأن الطالب المنكود الطالع زود بقنبلة تمحيه من الوجود بينما قيل له انها مجرد قنبلة دخان لستر اختفائه . ولشدة انفلاق تلك القنبلة وقربها منا فأن نجاتنا تعتبر معجزة الهية . وقد دلت التحريات العميقة على ان الفاعل المدبر للحادثة كان القنصل الروسي في اسطنبول الذي غادر البلاد بالقطار في وقت مبكر عن طريق ارضروم ولم تقبض عليه نقاط التحري العديدة في مناطق الحدود.

أمطرنا اصدقائنا الاتراك بوابل من التهاني بالسلامة من الأعتداء فأرسل الرئيس التركي وعقيلته لزوجتي اضمامة ورد رائعة . وأرفقا بها بطاقة تتضمن سرورهما لنجاتنا من محاولة الاغتيال على ارض بلادهما . اما رفعت باشا رفيقي القديم منذ ايام الحرب العالمية الاولى فقد اخذني بأحضانه قائلا:

« أي حظ سعيد ان يسمع المرء هدير المدافع دون ان يكون في ساحة القتال ».

وفي المساء استقبلت الوزير علي فؤاد باشا فدار الحديث حول محاولة الاغتيال اللئيمة الفاشلة . ولم تلبث ان سرت بعض الهمهمات التي تشير الى احتمال كون المحاولة من تدبير الشرطة السرية للدولة الالمانية وان القصد منها تصفيتي نهائيا لكنني رجحت كون المحاولة من تدبير السوفيت لأن

محاولاتي في تلك الفترة تركزت على ممارسة سياسة من شأنها الحفاظ على حياد تركيا بقصد منع السوفيت من اجتيـاز المضائق التركية وهكذا كان لمحاولة اغتيالي ما يبررها.

وقد كتب الدكتور يوسف غوبلز في دفتر يومياته ان محاولة اغتيـالي تمت بتنسيق بين الانكليز والروس.

في اواسط آذار ١٩٤٢ طرت الى برلين بعـد ان اجرى لي الجراح التركي الممتاز الدكتور تاپتاس عملية جراحية نـاجحة اعـادت لي سمعي. وأردت ان أقابل هتلر لكي يمنح تركيا تطمينات أخرى. لاسيما وان المضائق التركية لم يكن يهددها في تلك الفترة سوى الروس . الا ان أي تراجع تقوم به في روسيا أو في شمال افريقيا سيحفز الانكليز على الضغط الشديد ثانية على تركيا لأجبارها على دخول الحرب ضدنا . وعليه فقد كان من مصلحتنا الاستمرار على تأييد استقلال تركيا وابعادها عن الانكليز وحلفائهم. وكانت لدينا بعثة عسكرية ارسلت الى انقرة لدراسة متطلبات التسليح الملحة للجيش التركي الا انها لم تكن جادة في عملها لأن تركيا لا هي بالحليفة ولا هي بالتي يحتمل انحيازها الى جانبنا . ورأيت اننا اذا ما تبرعنا للاتراك بالاسلحـة اللازمة لتسليح فرقة او فرقتين مدرعتين فستكون تركيا بموقف يؤهلهـا لممارسة سياسة مستقلة بين المحور والحلفاء.

أجاب هتلر على مقترحي بقوله :

« ولكن الا يحتمل ان يستعمل الاتراك هذه الاسلحـة في يوم مـا ضدنا ؟»

وكان تصوره هذا في غير محله بطبيعة الحال وسرعان ما اقنعته بوجهة نظري فأوفد في صيف ١٩٤٢ الدكتور كارل كلوديوس الخبير التجـاري الألماني الى انقرة لوضع تفاصيل الاتفاقية المطلوبة وما لبثنا ان عقدنا مع الاتراك اتفاقية تتضمن تسليف تركيا مبلغ مائة مليون مارك لتسليحها بموجب تلك الاتفاقية على ان يسدد القرض ببضائع تركية وبخاصة مادة الكروم الخام المهمة للصناعة العسكرية .

ومما لا شك فيه ان الانكليز انتابهم شعور بالتعجب المفعم بالغضب لأنهم لم يجهزوا تركيا بالأسلحة وانما نحن الذين جهزناها بها • الا ان زميلي اللدود سير هيوغ دأب على التصور بأن هتلر سوف لن يحجم عن مهاجمة تركياه واتيحت لي ـ انا ورجال السلك الدبلوماسي الاجانب الآخرين ـ فرصة مشاهدة الدبابات الالمانية الصنع تشارك في مسير الاستعراض بمناسبة العيد الوطني التركي للعام التالي بعد ان تم تسليح اول فرقة مدرعة تركية بأسلحة المانية وكانت هذه المبادرة الالمانية احسن دليل على الصداقة الحميمة لأنها لا يمكن ان تقارن بمجرد الخطب والزيارات المتبادلة لاعضاء البرلمان•

وحيث ان الترك كانوا يتحرقون شوقا لرؤية ميادين القتال للاطلاع على وسائل الحرب الحديثة فقد حصلت على موافقة هتلر لدعوة وفود من القادة الاتراك لزيارة مختلف قواطع الجبهة الشرقية • وكان الفريق الاول علي فؤاد ايردن من اول رفاق الحرب العالمية الاولى الذين وجهت لهم الدعوة لزيارة قواطع الجبهة الشرقية في الجزء الجنوبي منها ومنطقة القرم وكذلك زيارة جدار الاطلسي في الجبهة الغربية • وقد لقى اولئك الضيوف ترحابا بالغا حيثما حلوا في جبهات القتال • وكان الموقف قد انجلت معالمه في هذه الفترة حيث لم يبق لهتلر أي أمل في الحصول على نتيجة حاسمة ضد كل من قوات بريطانيا وامريكا واتحاد السوفيتي في ميادين القتال • اذ لم تستطع موجات الهجوم الالماني اجتياح موسكو او اجتياز حوض الفولغا• وعليه فقدتدبرت رحلة الى روما مع صديقي البارون فون ليرسنر على امل التوصل الى وساطة جادة من رجال الفاتيكان لدى الحلفاء لانهاء الحرب القائمة حتى ولو اقتضى الأمر للتفاهم مع نظام الماني جديد يخلف نظام هتلر • وكان البارون فون ليرسنر من رجال الدبلوماسية الاكفاء وله تجارب غنية في هذا الميدان • وكان يخشى على نفسه من تعقيبات الشرطة السرية للدولة منذ مطلع الحرب • وعليه فقد رجوته مرافقتي بعد الزيارة الى انقرة بصفته رئيسا لجمعية (اتحاد الشرق) وكان قد قابل في روما الكثير من الشخصيات البارزة في دولة الفاتيكان وعلى رأسها الأب ماغليوني ومساعده الأب موتتيني وقد اكد له كلاهما بأن الحلفاء يحجمون عن الخوض في اية محادثات سلمية مع المانيا •

وقد اشتد في هذه الفترة من الحرب ـ كما نعلم ـ احتمال التوصل الى اتفاق بين هتلر والسوڤيت لدرجة باتت وشيكة . ولهذا السبب بالذات رفض الحلفاء محاولاتنا السلمية رفضا باتا. وهكذا ذهبت محاولتنا هذه ايضا أدراج الرياح.

استولت قواتنا في حزيران ١٩٤٢ على سيواستوپول وطبرق واندفع رومل بمبادأته وشجاعته المعروفتين نحو وادي النيل رغم المعوقات الكثيرة التي اعتورت اندفاعه وكان يبغي الوصول الى قناة السويس وفي تموز ١٩٤٢ وصلت قوات رومل الى العلمين(١). ولو تمكن من قطع قناة السويس فلربما أتيحت لنا فرصة سلمية أخرى. وقد قال لي زميلي السفير الياباني بأننا يجب أن نضع حداً لهدر الدماء الألمانية بمحاولة التوصل الى اتفاق مع السوڤيت . وكما تبين لنا الآن بجلاء فان هذه كانت وجهة نظر الحكومة اليابانية آنذاك. الا ان نصائح اليابان اصطدمت هي الاخرى بعناد فون ريبنتروپ.

في هذه المرحلة الدقيقة من الحرب ظهر افتقار المحور للتنسيق بين مجهودات قواته المسلحة. حيث عجز الاسطول الايطالي عن ادامة شحن مواد التموين الضرورية لقطعات الفيلق الافريقي بعد ان وصل قائده رومل الى ابواب القاهرة . ولو تم توحيد الجهود باستخدام القوات الاحتياطية التي كانت لا تزال متيسرة لدى دولتي المحور لاسيما الاساطيل البحرية والقوات الجوية وتشكيلات المظليين لتم التوصل الى انتصارات محققة بفعل التنسيق المشترك للقوات الكبيرة المتيسرة الا انهتلر لم يدرك بأن السوق هو فن التعاون المتبادل مع الابتكار واتخاذ قرارات غير متوقعة من الطرف الآخر.

---

(١) تقع محطة قطار العلمين الصغيرة الكائنة على ساحل البحر الابيض المتوسط على بعد ٨٨ كيلو مترا الى الغرب من الاسكندرية وقد حصلت المعركة جنوب الموقع المذكور . ـ المترجم ـ

دأبت طوال اشتغالي في انقرة على عقد اجتماع شهري يحضره سفيرا ايطاليا واليابان وكان يحضر معنا ملحقونا العسكريون وكبار موظفو سفاراتنا من اجل تبادل وجهات النظر • وكان زميلي السفير الياباني السيد كوري هارا مرهف الحس تهمه كل المسائل العسكرية • واذكر انه اشار الى ان اليابان مشغولة تماما بالقتال الدائر في شرق آسيا لدرجة يتعذر معها عليها المساهمة ولو بقسط ضئيل في التخفيف عن وطأة الحرب التي أخذت تشتد على المانيا• وكان اقصى امانينا ان تشن اليابان تعرضا من جانبها على الاتحاد السوفيتي فتجبره على تحويل جزء من قطعـاته نحو الشرق الاقصى• وكان تحذيري منصبا على وجوب تجاهل المصالح الاقليمية وتوحيد القوى لضرب العدو بكل شدة وبقوات المحور كلها لأننا اذا تصرفنا بصورة فردية فستتسنى للعدو فرصة ضربنا كل على انفراد بالتتـابع وسوف لن تتمكن من تحقيق اية مزايا على العدو • ثم سألت السفير الياباني عن مدى امكانية مساهمة بلاده في حرب الغواصات لتسهيل نشاطنا في هذا المضمار فأجابني ضاحكا:

« ان كل ما لدينا هو بضع غواصـات • وهي لا تكاد تكفي لمجهودنا الحربي »•

فأختتمت ذلك الاجتماع بملحوظة قلت فيها انني لم اقرأ في التاريخ كله عن حلف حربي لم يتحقق به أي تنسيق في مجال تعيين الاهداف والوسائل المتاحة كحلفنا هذا•

وعلى الرغم من ان الحرب تحجب عن الناس اسباب المسرة الا انه ليس من المعقول أن أمارس كل تلك المجهودات مشدودا الى مكتبي طوال خمسة اعوام دون ان أجـد لنفسي ولاعواني متنفسا للترويح عن انفسنا فأنشأت مسبحا وملعبا للتنس في انقرة وفي اسطنبول لكي يمارس منتسبو السفـارة رياضتهم المفضلة حسب اهوائهم • وكان بمقدورنا ممارسة الفروسية في الصيف والتزحلق على الجليد في الشتاء•

أما بالنسبة للمولعين بالصيد فكان بمقدورهم ايجاد الصيـد المناسب في هضبة الاناضول وغالبا ما كنا نتذرع بحفـلات الصيد هـذه للانفراد

بمسؤول دبلوماسي واجراء المحادثات السرية معه بمنأى عن مراقبةالفضوليين أو سرقة المكالمات الهاتفية او لتحاشي الآذان التي للجدران • واذكر انني أردت يوما صيد البط البري على ساحل البحر عندما دوت قرب اذني اطلاقتان مرتا بالقرب من رأسي ورأيت انهمار خردقهما في البحر على لا هدف فأدركت لتوي انني كنت الهدف فلما خرجت من مكمني هرب امامي جمع من الناس ميزت منهم احد موظفي السفارة البريطانية بأنقرة فناديتهم عن كثب:

« انه من العار عليكم اطلاق النار على مكمني فنحن في انقرة غير مشتركين بالحرب »•

وقد حدثني أحد موظفي السفارة الالمانية ـ وكان قريبا من المكان ـ بأن الذي أطلق علي النار بندقيته هو السفير الامريكي شتاين هاردت• ولما قابلني هذا الشخص بعدئذ في عام ١٩٤٦ عندما كنت في سجن نورمبرغ كان الوقت قد فاته لممارسة سياسة مشتركة جيدة او المساهمة برحلة صيد موفقة•

في ٧ تموز ١٩٤٢ رقد رئيس وزراء تركيا رفيق سايدام في الفراش نتيجة لمرض الم به وكان هذا الرئيس القدير وزيرا للصحة في بلاده اضافة لرئاسته للحكومة • وقد كلف الرئيس عصمت اينونو وزير الخارجية السيد شكري سراج اوغلو برئاسة الوزارة بينما اصبح السيد نعمان مينمنجي أوغلو وزيرا للخارجية• وقد ذكر رئيس الحكومة الجديد فيخطاب القاه بمناسبة استيزاره بأن حكومته ستحرص على النأي بتركيا عن الاشتراك بالحرب وانها ستمضي في تنفيذ اتفاقيتها المعقودة مع بريطانيا وستلتزم بالوقت نفسه بمعاهدة الصداقة المعقودة مع المانيا•

على اثر هذه التغييرات الوزارية تم تغيير السفير التركي ببرلين السيد خسرو غيريده فأسفت كثيرا على نقل هذا الدبلوماسي القدير الذي كان يحظى باحترام كل من يعرفه • أما خلفه فقد صار السيد صفوت اريكان وهو مقاتل باسل حارب في معارك الدردنيل ابان الحرب العالمية الاولى بمعية القائد علي فؤاد جبه صوي ثم اصبح بعدئذ وزيرا للدفاع والمؤسف ان هذا الصديق الكريم لألمانيا لم تمتد به الحياة فقضى بعد انتهاء الحرب بأمد

قصير .

أطل علينا الخريف بقلق متزايد نتيجة للانتكاسات العسكرية التي تعرضت لها الجيوش الالمانية في جبهة روسيا . وكان القادة الالمان قد حذروا هتلر بعد احتلال القفقاس من مغبة الاستمرار على التوغل في فيافي روسيا المترامية الاطراف والاندفاع بالوقت نفسه لاحتلال ستالينغراد ولكنه لم يأبه لنصائحهم بطبيعة الحال . فالروس يعرفون المواقع الواهنة على امتداد خط الجبهة. وقد ركزوا هجماتهم في اغلب الاحيان على الفرق الايطالية . وهي تشكيلات يفتقر رجالها للمعنويات ولم يتطور موقفها بعد الحرب . ثم وقعت كارثة ستالينغراد التي فقدت فيها صديقي العزيز هانز ڤيده ماير والذي سقط اثناء المعركة عندما كان على رأس كتيبته كما جرح فيها ولدي جرحا ثانيا استوجب اعادته الى المانيا للمعالجة.

في ايلول ١٩٢٤ دعيت من قبل امير البحر هورتي الوصي على عرش المجر لزيارة بودابست فوجدت الرجل في غاية القلق بشأن مصير ولده الاكبر الذي فقد في الحرب كما انه كان متشائما من عاقبة المعركة القائمة في ستالينغراد[٢][٣]. وقد اظهر لي قلقه الشديد بشأن الفرق الهنغارية التي كانت تقاتل في شمال ستالينغراد . وقد وعدته بمباحثة هتلر وهيئة ركن القيادة الالمانية العليا بشأن الفرق الهنغارية . وكنت في قرارة نفسي شبه يائس من اقناع هتلر لأن هتلر بعد ان ازاح الفريق الاول فرانز هالدر عن منصب رئيس الأركان منذ ٢٥ أيلول ١٩٤٢ اخذ يعالج حتى دقائق الامور المتعلقة بالقتال بقرارات فردية . وبعد تلك الزيارة عرجت على ڤينا لزيارة ولدي الجريح الذي كان يرقد باحدى مستشفياتها لكنني رفضت الامتثال لأوامر

---

(٢) بدات معارك ستالينغراد في ٢ أيلول ١٩٤٢ واحكم الروس تطويق الجيش السادس الالماني في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٢ واستسلم الجيش المذكور في ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٣ . — المترجم —

(٣) فقد الرومانيون نتيجة لاستسلام الجيش السادس الالماني فرقة الخيالة الاولى وفرقة المشاة العشرين الرومانيتين حيث استسلمتا مع القوات الالمانية التي وقعت بالاسر. اما الهنغاريون فقد افلتت فرقهم من التطويق بفضل حصافة قائدهم . — المترجم —

فون ريبنتروب بالسفر الى برلين لمواجهته لأن برقيته لي كانت مجردة من المجاملة الضرورية.

في تشرين الاول ١٩٤٢ شن مونتغومري تعرضه المقـابل على موضـع العلمين فأضطر المشير رومل على التراجع . وقد لاحظت امارات الارتيـاح بادية على وجوه رجال الدولة الاتراك نتيجة لانحدار جيوشنا هنا وهناك ذلك لأن تطويق الجيوش الالمانية لبلادهم من الشمال والغرب والجنوب جعل تركيا في وضـع سوقي غير مريح بالمرة طوال تلك الفترة. وقد اعقبت تلك التطورات عملية الانزال الانكلو امريكي المباغتة في المغرب وفي الجزائر يوم ٧ تشرين الثاني ١٩٢٤ وهكذا انتهى عام ١٩٤٢ بعد ان تعرضت القوات الالمانية لأولى انتكاساتها في روسيا وفي شمال افريقيا . وبدى من الواضح لكل ذي بصيرة ان المبادأة تحولت منذ تلك الأيام من ايدي قادتنا لأيدي قادة الاعداء. الا ان هتلر لم يعترف بهذه الحقيقة وهي اننـا تعرضنا الى نقطة التحول في الحرب لغير صالحنا.

في ٧ كانون الثـاني ١٩٤٣ اجريت محادثات مطولة مع السيد نعمان منمنجي اوغلو وكان تصوره للموقف الدولي السائد مشابها لتصوري له.

فأنحـار الجيش السـادس الالماني في ستالينغراد لاحـت بوادره بالأفق. ولابد للحلفاء الغربيين من أن يعجلوا في اتخاذ اجراء سريع لانقاذ أوربا من الوقوع في براثن الروس . وهذه مسألة تهم تركيا ايضا بطبيعة الحال . وقد ادرك وزير خارجية تركيا الذكي مدى دقة موقف بلاده فتشبث بمبدأ الحفاظ على حيادها وبذل قصارى جهوده للابتعاد عن الحرب. الا انه اعترف بالوقت نفسه بأنه يتوقع ان تكون خطوات التعامل مع الحلفاء المقبلة اصعب فأصعب لأنه لاحظ شروعهم بممارسة ضغوطهم على بلاده بدعوى تنفيذ الاتفاقيـات الودية المعقودة لاسيما وان الموقف المالي لتركيا يلجئها دوما لطلب المعونات الخارجية. وكان رئيس الوزراء سراج اوغلو قد وضع ضرائب جديدة كما أمر بمصادرة بعض الممتلكات الاجنبية الصغيرة فحـاولت انقاذ ما يمكن انقاذه لحماية بعض المؤسسات الالمانية العاملة في تركيا من الافلاس . وكان

ان حذى زميلي الانكليزي حذوي فلجأ الى وسائل مشابهة • والطريف أننا تعاونا مع الانكليز بصورة غير مباشرة في مجال تمويل ميزانية الدولة التركية لذلك العام•

في ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٣ تواترت انباء مؤتمر الدار البيضاء[٤] وتطلع الكل بمنتهى اللهفة نحو مقررات ذلك المؤتمر اشفاقا على مصير اوربا• وقد تمثلت القسوة المتناهية لأعداء المانيا باقرار العبارة اللئيمة «الاستسلام بدون قيد او شرط » وقد تم هذا القرار بناء على مقترح طرحه الرئيس الامريكي روزفلت• ولو قارنا بين هذا النص المميت ووثيقة الاطلسي السلمية التي سبق له ان وقعها مع بريطانيا لوجب علينا الاستغراب لهذا التحول من المحاولة السلمية الى القسوة المتناهية التي تشطب كل أمل في التوصل الى وضع اية صيغة كريمة لانهاء الحرب • ومهما قيل من مبررات لهذا القرار فلابد من التأكيد بأن الضرر الناتج عنه لا يلحق بألمانيا وحدها وانما يتعداها الى اوربا بلا أي شك•

ظننت في الاشهر الاولى التي أعقبت مؤتمر الدار البيضاء بأن هذا القرار كان مجرد محاولة ضغط دعايوية• وكنت قد تصورت بأن الرئيس الامريكي يتمتع بكياسة سياسية كافية تعطيه مرونة في التصرف• والمؤسف هو انني كنت واهما•

جدد تشرشل في مؤتمر الدار البيضاء قراره بوجوب استمالة تركيا الى الاشتراك بالحرب وأراد التفاوض بهذا الشأن مع رئيس جمهورية تركيا ورئيس حكومتها فدعاهما الى جزيرة قبرص• فأجابه الرئيس عصمت اينونو بأن الدستور التركي يمنعه من مغادرة بلاده ولذلك فقد عرض على تشرشل

---

(٤) عقد مؤتمر الدار البيضاء في المغرب خلال الفترة ١٤ـ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٣ واشترك به تشرشل وروزفلت مع رؤساء اركانهما كما دعي اليه ستالين وحضر مراقبا دون أن يشترك بالمؤتمر . وكان اهم قراراته عدم قبول أي صلح او هدنة منفردة او جماعية مع اية دولة من دول المحور والاصرار على مقاتلتها حتى اجبارها جميعا على الاستسلام بدون قيد او شرط .
ـ المترجم ـ

زيارة انقرة • وكان من رأي حكومة الحرب البريطانية ألا يتسرع تشرشل بتلبية دعوة الرئيس التركي• وفي ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٣ كتب تشرشل الى حكومة الحرب رسالة جاء فيها:

« ليس لأحد ان يطالب الاتراك بالاشتراك في القتال خارج حدود بلادهم ولكننا نطالبهم بالسماح لنا باستخدام القواعد الجويـة التركية لكي تنطلق منها طائراتنا للاغارة على حقول النفط الرومانية »•

وأخيرا تم الاتفاق على اللقاء في مدينة اطنة التركية حيث اشترك من الجانب البريطاني مع تشرشل كلا من القادة سير هارولد اليكساندر وسير هنري ماتيلاند وسير الان بروك والفريق الاول الطيار دروموند والقـائد البحري دونداس كمـا مثـل وزارة الخارجية البريطانيـة سير اليكساندر كادوغان • أما الجانب التركي فقد مثله الى جـانب الرئيس عصمت اينونو رئيس اركان الجيش المشير فوزي تشاقماق ورئيس الوزراء ووزير الخارجية وعدد من الاختصاصيين • وتلخص الطلب البريطاني بدعوة تركيا للاشتراك بالحرب • الا ان تشرشل فاجأ الرئيس التركي بتقديم مذكـرة عند افتتاح الجلسة تضمنت التأكيد علىتخويف تركيا من المانيا بتذكيرها بمبدأ «اندفعوا نحو الشرق(٥)» ومحذرا تركيا من خطر وشيك بقوله:

« ربما سيحاولوا في الصيف المقبل شق طريقهم عبر تركيا »•

ثم رجا تركيا قبول ارسال الحلفاء ٢٥ سرب طائرات انكليزية وامريكية للانطلاق من اراضيها•

في المرحلة التالية من المفاوضـات ابدى الاتراك حرصا على توطيد علاقاتهم المقبلة مع روسيا اكثر من رغبتهم في الاشتراك بالحرب • ثم ابدى رئيس الوزراء سراج أوغلو ملحوظة قيمة جاء فيها:

« عندمـا يقضى على المانيا فسيصبح كل جنوب شرق اوربا شيوعيا

---

(٥) هذا نص عبارة استعمارية مشهورة اطلقها الامير فون بسمارك مستشار بروسيا ورائد الوحدة الالمانية ابان الحقبة الاخيرة من القرن التاسع عشر. ـ المترجم ـ

وسلافيا ».

ثم قال بكل صراحة بأنهم لا يشعرون بتهديد المانيا لتركيا كما ان المشير فوزي تشاقماق اكد له مرارا بأن الجيش التركي يفتقر الى التجهيزات الضرورية لجعله جيشا قادرا على مواكبة جيوش الحلفاء. واخيرا اتفق الطرفان على ارسال بعثة عسكرية من الحلفاء لدراسة متطلبات الجيش التركي.

وقد قيل لي ان الرئيس اينونو قال لتشرشل بهذه المناسبة انه يجب ان يضع حدا سريعا لهذه الحرب ذلك لأن الاصرار على تحطيم المانيا معناه منح السوفيت موقف ملائم للاستحواذ على اوربا كلها وتهديد تركيا بخطر جدي. ثم سأل رئيس وزراء بريطانيا عما اذا كان على استعداد لبحث مخرج لهذه الأزمة بالمناقشة معي للتحري عن امكانية اقرار السلام. وقال له بأنني امثل المانيا المؤمنة بحرية اوربا وسلامهـا. الا ان تشرشل رفض مقترح الرئيس التركي قائلا بأن التقائه معي سيكون مدعاة وصمه بالخيانة العظمى.

كتب السفير البريطاني بأنقرة عن نتائج المفاوضات مع الاتراك في مذكراته متهكما :

« لقد تضمنت المباحثات الكثير من العبارات الودية المتبادلة وتمت ضيافتنا بشكل رائع وتبادل الحضور تزيين قوائم الطعام بتوقيعاتهم الكريمة ثم تبادلوها مع اعضاء الطرف الآخر».

لكن نتيجة تلك المحادثات لم تكن غريبة اذ تضمنت مذكرات السفير سيرهيوغ قوله:

« لقد تمخضت محادثات اطنه عن ارتياحنا التام . لأنها أفسحت امامنا المجال لمواصلة ضباط من قواتنا البرية والبحرية والجوية للمفاوضات في انقرة بالمستقبل القريب ».

لكنني يمكن ان اؤكد لزميلي الانكليزي بأنه كان متفائلا اكثر مما ينبغي لأنني أعرف ردود الفعل التركية افضل مما يعرفه بهذا الصدد كما انني سمعت من هتلر شخصيا في مطلع سنة ١٩٤٣ بأنه سيمتنع عن القيام

بأي عدوان على تركيا. اضف الى ذلك انه كان هناك اتفاق ضمني متين الاركان بيني وبين زعماء الدولة التركية يتلخص بما يلي:

« ان ميثاق صداقتنا سيبقى قائما مع استمرار الاتراك على الالتزام بالحلف الانكليزي التركي الا ان تركيا سوف لن تدخل الحرب الا بعد اضطرارها على اتخاذ هذا المسلك ».

ثم ان رجال الدول الاخرى لم يكونوا اقل قلقا من الاتراك بشأن مستقبل اوربا الغامض في تلك المرحلة الحرجة من الحرب فقد كتب الرئيس الاسباني فرانكو رسالة الى السفير البريطاني بمدريد يوم ٢١ شباط ١٩٤٣ رجاه ايصالها الى رئيس الورزاء تشرشل وجاء فيها:

« ان قلقنا البالغ بشأن التقدم الروسي سوف لن يقتصر على الاقطار المحايدة وانما يشمل كل اقطار اوربا التي ستقلق بطبيعة الحال بسبب مصير بلادها المجهول . فالشيوعية خطر داهم يهدد العالم بأسره. وان الجيش الروسي المنتصر سيجعل من روسيا دولة ذات سطوة على النطاق العالمي. واذا استمرت الحرب على هذا المنوال فان القوات الروسية سوف تتوغل في اعماق الاراضي الالمانية . واذا حدث هذا فعلا فستتعرض انكلترا نفسها للخطر بسبب تأسيس دولة شيوعية في المانيا وستستولي روسيا على كل أسرار العسكرية الالمانية وستستفيد من المهندسين والفنيين والخبراء والعلماء الالمان وعندئذ سيتسنى لروسيا انشاء دولة عظيمة تمتد من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادي فهل ستكون هناك ثمة قوة في اوربا يمكنها الوقوف بوجه هذه الدولة لا سيما وان اوربا مؤلفة من عدد كبير من الشعوب التي تفتقر للوحدة وتعاني من الخراب الذي أصاب بلدانها بفعل الحرب القائمة . وستكون عاجزة عن حماية نفسها ازاء خطط ستالين الطموحة.

اننا تتمنى للشعب البريطاني كل الخير . واذا استولت روسيا على المانيا فسوف لن يكون بمقدور أحد ايقاف اندفاع روسيا ».

وقد اجاب تشرشل على رسالة الرئيس فرانكو هذه برسالة مؤرخة في ٢٥ شباط ١٩٤٣ وجاء فيها:

« .. انني آمل ان استطيع البرهنة لكم بأن مخاوفكم ليست لها اية أسس فأنتم تزعمون بأن الشيوعية هي الخطر الوحيد الذي يتهدد اوربا وان انتصار الروس سوف يؤدي الى انتشار الشيوعية في اقطار اوربا الاخرى. وان معنى هذا تدمير الحضارة الاوربية والقضاء على الثقافة المسيحية.

ان تقديراتنا للموقف تشير الى عكس تصوراتكم تماما . فهل تعتقدون حقا بأن احدى الامم يجب ان تكون قوية لدرجة تستطيع معها السيادة على اوربا بعد الحرب؟ فلو افلحت روسيا اكثر من غيرها في اعادة انشاء بلادها بعد الحرب هل بمقدورها انجاز ذلك دون مساعدة بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ... انني استطيع التكهن بأن اقوى قوة عسكرية ستظهر في اوربا بعد الحرب ستكون بريطانيا . وعليه فانني واثق بأن تأثير بريطانيا على اوربا سيكون اقوى من أي وقت مضى منذ ايام سقوط نابليون».

وكانت هاتان الرسالتان تمثلان عالمين متناقضين . ويمكنني القول بلا تحفظ:

لم يكن المحايدون وحدهم مشفقين على مصير اوربا ولديهم الصورة الواضحة عما سيحدث عندما يصل المنتصرون الى أهدافهم النهائية . وانما كنا بدورنا مدركين للخطر الوشيك بكل ابعاده حيث كنا نتوقع ما سيحدث وعليه فقد بذلنا قصارى جهودنا لانقاذ ما يمكن انقاذه .

كانت محاولتي السلمية التالية قد تمثلت بالمحاضرة التي القيتها في اسطنبول يوم ٢١ آذار ١٩٤٣ بمناسبة يوم الشهيد التركي. وكنت متأثرا بطبيعة الحال بالكارثة التي أصابت الجيش السادس الالماني في ستالينغراد. فتوجهت بنداء مخلص للعالم من اجل انقاذ اوربا. وقلت في تلك المحاضرة ان الانتصارات الكثيرة التي حققناها في مختلف ارجاء قارة اوربا لم يكن الغرض الأساس منها تعديل حدود بلادنا او احتلال مناطق جديدة وانما لدواعي الحفاظ على حضارة الغرب . ثم تساءلت .. هل هناك تضامن اوربي؟

ان اوربا الراهنة هي حصيلة التنظيم المتواصل منذ الفي عام وكان محورها الفعال خــلال تلك الحقبــة الطويلة من الزمن المانيا وايطاليا كما ساهمت في تشييد حضارتها بقسط وافر بريطانيا وفرنسا واسبانيا والبرتغال وعدد كبير من الشعوب الصغيرة ولا يمكن التفكير بوجود حضارة الغرب دون اعتبار الدور الرائد الذي قامت به ايطاليا عندما حملت راية الثقــافة المسيحية واحتلت أجزاء واسعة من العالم القديم . كما ان لألمانيا دورهــا البارز ضمن الامبراطورية الرومانية المقدسة عندما واصلت تقدمها الحضاري على انقاض تلك الامبراطورية . وكيف يمكن للغرب ان يواصــل تقــدمه والحفاظ على دوره القيادي في العالم بدون المانيا وايطاليا ؟

ان اوربا هي رمز النضال الحضاري منذ ايام برنهاردس فون كليرفوكس وپيترس فون اميانز وعلينا الاستمرار على مواصلة الصراع في سبيل القيم الروحية التي سبق ان قاتلنا من اجلها وكذلك من اجل الحفاظ على التقدم الحضاري وفي سبيل الحفاظ على وحدة اوربا ».

وطالبت القوى الغربية بمراجعةدراسة التأريخوملاحظة الدور المهم الذي تلعبه اوربا في وسط القارة . وحذرتهم من مغبة مساعدة روسيا علىالانتصار على المانيا لأن انتصارها سيؤدي الى انتشار الفكر الشيوعي في اوربا وصولا الى سواحل المحيط الاطلسي.

ثم عرضت لرجال دولتي بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية فكرة اعادة بناء اوربا الجديدة على أسس الحرية والسلام والتقدم مع احترام القيم الروحية السائدة .

وقد قيل لي فيما بعد ان الصحافة في الاقطار المعادية اسهبت فيتحليل محاضرتي التي تشير الى (التضامن الاوربي) وقد سألني الكثيرون عنكيفية تحقيق هــذه الأمنيــة بدون هتلر . وبعد ان ترددت اصداء الفكــرة بقي يساورني امل واحد هو ان الرئيس الامريكي روزفلت ربما سيستغل هذه الفرصة ويمضي بالفكرة قدما في اتجاه التنفيذ . أما رد الفعل في المانيا نفسها فكان غريبا . ذلك لأنني توقعت سورة غضب جامحة منالوزير فون ريبنتروب

بسبب مناقضتي ثانية لتاكيده على بوجوب الكف عن التحدث بأية مناسبة عن فكرة السلام . لكن هذا لم يحدث . ولربما خشيت الحكومة الالمانية من التشهير بي على رؤوس الأشهاد . لكنني عندما استدعيت بعد ايام قلائل الى مقر القيادة العليا لاحظت على الوجوه امارات الاستحسان والرضا لهذه المبادرة . وكنت قد وصلت الى برلين في منتصف نيسان ١٩٤٣ فصحبني وزير الخارجية فون ريبنتروپ بقطار خاص الى مقر القيادة المذكور في بروسيا الشرقية . وكانت هذه هي المناسبة الاولى للتحادث بعد ايام معركة ستالينغراد . وقد قال لي انه يلقي تبعة الفشل والتسبب في تلك الكارثة على عاتق القادة وعصابة الرجعيين الذين لا تزال لهم كلمة مسموعة في صفوف القوات المسلحة الالمانية ثم قال:

« لو اتيحت لهتلر فترة زمنية كافية كتلك التي اتيحت لستالين خلال عقد الثلاثينات لكي يتمكن من تطهير الجيش لما تعرضنا لهذه النكسة . ولكننا سنعمل جادين على تلافي ما حصل حيث يجب علينا استئصال شأفة هذه الزمرة الرجعية بكل سرعة . وكلما عجلنا بتنفيذ هذه الفكرة كان ذلك افضل».

كان (وجار الذئب) وهذا هو الأسم الذي سمي به مقر القيادة العليا في بروسيا الشرقية يقع داخل غابة صنوبر كثيفة قرب راستنبورغ في بروسيا الشرقية وهو ذو ابنية متناثرة مشيدة من الطابوق ولم تكن بناية مقر هتلر لتختلف عن غيرها من الأبنية . وكانت بنايته تحتوي على جناح للسكن وعدة مكاتب وصالة للطعام. وقد جعلت نوافذ تلك الابنية في غاية الصغر بسبب الحذر من الغارات الجوية .

وكانت كثافة الغابة تجعل المكان مقبضا . وكانت الاضاءة الكهربائية ضرورية في الليل وفي النهار . وكانت رائحة المكان مشابهة لرائحة المستنقعات . وكانت المنطقة محاطة بثلاثة اسيجة منيعة من الاسلاك الشائكة. وكانت الاجراءات الامنية تتضاعف كلما اشتدت وطأة الحرب واصبح من الضروري لكل من يدخل المنطقة ان يحمل وثيقة مرور خاصة . وكان يقتضي

على كل زائر للمنطقة ان يتعرض للتفتيش الدقيق. ولم اقابل هتلر في تلك الزيارة وهذا ما لم اتوقعه او يتوقعه فون ريبنتروب.

وكان هتلر قد تولى القيادة العليا منذ كانون الاول ١٩٤١ بعد اقالة المشير فون براوختش(٦). ودأب هتلر منذ ذلك الحين على اصدار وصايا عامة لقادة القوات البرية ويترك لهم انجاز التفاصيل . ومنذ استلام هتلر لمنصب القائد الأعلى في الميدان لم يعد بمقدور أي قائد الماني اتخاذ قرار حاسم في الميدان لأن هتلر استمر على متابعة تنفيذ ادق التفاصيل طوال فترة استمرار الحرب . والانكى من ذلك ان مقر القيادة العليا في بروسيا الشرقية صار يتدخل في تحرك أية قطعة بمستوى فوج فاكبر. وكان تأثير ذلك النمط من القيادة على ادارة الحركات العسكرية مدمرا . ذلك لأن الاوامر كانت تصل في اغلب الاحيان بعد يومين من صدورها وهذه فترة كافية لتغير الموقف وتحول تلك الاوامر الى اجراءات مغلوطة. ولما اشاد المحيطون به بعبقريته العسكرية آمن هو نفسه بذلك وكأنه اكتشف في نفسه قدرة جديدة . وكان يتخذ القرارات السوقية والتعبوية المرتجلة(٧) التي اثبت بها عدم مقدرته على

---

(٦) كان المشير فون براوختش يشغل منصب القائد العام للقوات البرية.
ـ المترجم ـ

(٧) اعلن هتلر بالراديو عزمه على احتلال ستالينغراد مما حفز الروس على التصدي له بكل قواتهم المتيسرة . ولما تم تطويق الجيش السادس (٢٠ فرقة) اصر هتلر على عدم ترك ستالينغراد بينما كان بمقدور ذلك الجيش كسر التطويق والخروج منها ـ كما ذكر المشير فون مانشتاين قائد مجموعة جيوش الدون في كتابه الموسوم انتصارات ضائعة ـ لكن اصرار هتلر على صمود الجيش السادس في ستالينغراد أدى الى ضياع ستالينغراد واستسلام الجيش السادس في خرائبها .
ـ المترجم ـ

ممارسة هذه المهمة واتخاذ القرارات الصحيحة . وقد رفض هتلر منذ عام ١٩٤١ زيارة الجبهة او القيام بتفقد القواطع المهددة شخصياه

الا انه كان يتمتع ـ والحق يقال ـ بقدرة ممتازة على معالجة القضايا التقنية. ومع انه لم يكن يحسن سياقة السيارة الا انه كان يتقن دقائق الفن الآلي.

وكثيرا ما كان يحوز اعجاب الضباط والمهندسين المشتغلين في قضايا تطوير التسليح وتحسين التجهيزات الفنية الحديثة. وغالبا ما كان يكتشف الحلول المناسبة للمعضلات التقنية التي تصادف الخبراء لدرجة اثارت اعجابهم. وكان بمقدوره تفهم خصائص كل سلاح جديد بعد ايجازه بشأنه مرة واحدة. وكثيرا ما كان يناقش تفاصيل تصاميم المنشآت الجديدة مع المهندس شبير[٨]. وكان تودت من خيرة مستشاريه في هذا المجال وكان هتلر يحب الاطلاع على أدق التفاصيل قبل اصدار موافقته بشأن أي مشروع.

عندما رجعت الى برلين عثرت على عقدة السر الدفين وذلك عند التقائي بنازيين قديمين من الأسر الالمانية النبيلة جداً في العمل ضمن زمرة المقاومة السرية لنظام هتلر وهما غراف هيلدورف مدير شرطة برلين وغراف غوتفريد بسمارك محافظ مدينة پوتسدام . وكانا قد انضما للحركة في وقت مبكر فزوداني بمعلومات مفصلة عن دواعي انقضاضهما واصحابهما على النظام النازي وسردا مساوئه وفضائع المعتقلات وخرق القوانين في لقاء مدبر اجريته معهما في مكتبة «نادي الاتحاد» بعيدا عن الانظار ثم قالا انهما يعملان ضمن زمرة مخلصة عزمت على انقاذ المانيا من شرور هتلر وان زمرتهما برئاسة رئيس اركان القوات المسلحة الالمانية السابق الفريق الأول لودفيغ بيك وقد

---

(٨) كان البرت شپير مهندسا شابا نابها اكتشفه هتلر وجعله وزيرا للانتاج الحربي وهو مصمم منشآت ممتاز وقد حكم بعد الحرب في محاكمات نورمبرغ بالسجن لمدة عشرين عاما ولما خرج من السجن عام ١٩٦٦ كتب يومياته في سجن شپانداو . وقد توفي البرت شپير في المانيا الغربية عام ١٩٨٠ . ـ المترجم ـ

اتخذت هذه الزمرة قرارا بابعاد هتلر عن السلطة ولكنها حرصت على تجنب اشعال نيران ثورة تحطم المانيا في هذه المرحلة الحرجة من تأريخها حفظا لسلامة القوات الالمانية المقاتلة في مختلف الجبهات. وعليه فقد اتجه الرأي الى عدم قتل هتلر وانما اجباره على التخلي عن زعامة المانيا واحالته الى محاكمة علنية. وكان المفروض ان يقوم لواء الخيالة بقيادة العقيد البارون فون بويزيلاغر بمهاجمة مقر القيادة العليا والقاء القبض على هتلر واعوانه تمهيدا لاحالتهم للمحاكمة.

أراد المتآمرون معرفة موقف دول الحلفاء الغربيين منهم في حالة نجاح الحركة وتخلص المانيا من نظام هتلر واستعداد نظامها الجديد لاقرار السلام فتوجه لي السيدان غراف هيلدورف وغراف بسمارك بالسؤال عما اذا كنت على استعداد لابداء وجهة نظرهم هذه للحلفاء الغربيين.

كانت هذه هي المرة الاولى التي اقابل بها اناسا من أعضاء المقاومة الالمانية. وبعد أن اوضحا لي تفاصيل المسألة واطلعت على سير الامور في القيادة العليا كان جوابي بالايجاب طبعا لأن القضية لا تخص المانيا وحدها وانما تخص مصير اوربا برمتها .

لقد كنت وسأبقى غير مؤمن بنظرية القتل السياسي. لأن القتل هو القتل ولذا فان فكرة اعتقال هتلر واحالته للمحاكمة لاقت في نفسي هوى ولو كان رأيهم متجها نحو قتله لما تعهدت بالعمل معهم . كما ان الحافز المباشر الذي دعاني للتعاون معهم هو ادراكي للتوتر والقلق الذي سيصيب المانيا في الصميم بعد تبديل نظام الحكم القائم قسرا وهذه الحقيقة تتطلب الحصول على ضمانات لمستقبل المانيا من الدول المعادية. ويجب علينا قبل كل شيء التثبت من عدم تمسك الحلفاء بتطبيق القرار الجائر القائل بوجوب استسلامنا بدون قيد او شرط بعد ان تتغير حكومة هتلر انقاذا لألمانيا وحفظا لتراثها الحضاري المتميز في وسط اوربا.

تعهدت بالاتصال من انقرة في اول الأمر مع الرئيس الامريكي روزفلت. واتفقت مع المقاومة السرية على جعل السيد آدم فون تروت تسوزولتس

(الذي اوفدته وزارة الخارجيـــة الالمانية لاجراء محـــادثات في انقرة) رجل الارتباط المعتمد فيما بيننا • ولما رجعت الى انقرة رجوت البارون فون ليرسنر الاتصال بمعتمد الرئيس روزفلت فيها جورج ايرل وكان هذا الأخير قد ترك الحزب الجمهوري في عام ١٩٣٢ لكي يلتحق بروزفلت وبعد ستة اشهر اصبح اول حاكم لولاية پنسلفانيا عن الحزب الديموقراطي ثم عمل وزيرا مفوضا لبلاده في ڤينا وانتقل منها الى صوفيا فعمل بها خلال الفترة ١٩٤٠ـ١٩٤٢ ولما طلبت بلغاريا ابعاده عن البلاد اوفده روزفلت الى اسطنبول بصفة ملحق بحري في سفارة الولايات المتحدة الامريكية في تركيا • وبناء على ذلك فهو الشخص الذي يعتبر موضع ثقة الرئيس روزفلت ويمكن ان يكون افضل من يعتمد عليه روزفلت في كل ما يتعلق ببلاد البلقان • وعليه فقد توسمت ان يكون الرجل المناسب لتحقيق الاتصال السري مع الرئيس روزفلت والتوجه اليه بسؤالنا والعودة بجوابه عليه•

في هذه الاثناء حقق الاتصال مع الدكتور ليفركويهن احد اعضاء هيئة المخابرات الامريكية العاملين في اسطنبول فأتصل الاول معي واخبرني بقرب وصول الكاردينال سپيلمان راعي مدينة نيويورك الى تركيا • وكانت الحكومة التركية قد ارسلت من يخبرني بصورة رسمية منذ منتصف آذار ١٩٤٣ بأن الاسقف المحترم سيكون على اتم استعداد للمجيء الى تركيا للالتقاء بممثل للحكومة الالمانية وتبادل وجهات النظر معه • ولما فاتحنا وزارة الخارجية بهذا الشأن رفض الوزير فون ريبنتروپ تلبية الطلب• الا انني كررت الرجاء على الوزارة لأن الكاردينال يوشك على القيام بزيارته للشرق الأدنى بناء على توجيهات الرئيس روزفلت شخصيا • ألا ان ممثل هيئة المخابرات الامريكية أكد لنا بأن الكاردينال يرغب بالحصول منا على صورة للموقف السائد في الشرق دون الالتزام بأي اتفاق رسمي• ولما اخبرنا وزارة الخارجية بذلك منع الوزير فون ريبنتروپ اجراء أي اتصال مع زعماء الكنيسة بهذا الصدد • وعليه فقد وجدت نفسي غير قادر على تحقيق اللقاء مع الكاردينال • امـــا السيد ايرل فلم اسمع عنه شيئا•

تدهور الموقف العسكري في هذه الاثناء لدرجة اشد سوءا وعلمت بأن صديقي القديم منذ ايام القتال في الحرب العالمية الاولى والمرافق الشجاع آنذاك الفريق الاول فون آرنيم قد اضطر على الاستسلام في تونس يوم ٧ مايس ١٩٤٣ وقد ادركت مدى المرارة التي تعرض لها ذلك المسكين بسبب عدم كفاءة هتلر بينما تعرض للجفاء الشديد بعد وقوعه في براثن خصمه الفريق الاول آيزنهاور الذي رفض مقابلته .

لاحظت في تلك الفترة ان الحرب كانت تزداد ضراوة كلما اقتربت الجبهة من المانيا التي أصابها التدمير ومحقت مدنها وقرا ها . واصبحت معرضة لكارثة شديدة الوطأة ويزداد التأثير عليها من يوم لآخر . وفي ١٨ حزيران ١٩٤٣ وصلتني برقية مفادها ان شقيقتي الصغرى انقذت وهي في الرمق الاخير من تحت انقاض بيتها الذي تحطم على رؤوس ساكنيه في ديوسلدورف. كما سقط ولدا أخي شهيدين في جبهة روسيا بفاصلة اسابيع قلائل . وهكذا وجب على الشعب الالماني بذل دمائه في سبيل الوطن . ولم يخل بيت من خسارة ولم تنج أسرة من المعاناة التي تعتبر ضريبة الحفاظ على شرف الوطن.

ولعل اسوأ ما صادفنا في الحرب هو موقف اسرى الحرب الميئوس منه والذين تعرضوا لشتى ضروب المعاملة القاسية دون ان يعلم أهلهم وذووهم بمصيرهم. وقد سمعت في يوم ما من ممثل هيئة الصليب الاحمر السويسري بأنه حصل على ٤٠٠ رسالة من أسرى حرب المان لدى روسيا بصورة استثنائية فرجوته الاطلاع على قائمة بأسمائهم وعناوينهم فلما اطلعت عليها وجدت ان احدهم كان ابن تاجر كتب من جيراننا فأبرقت لذويه مطمنا لهم بأن ولدهم على قيد الحياة .

ترتبت على رسالة ذلك الجندي نتائج عجيبة. فقد انتشرت الانباء في طول المانيا وعرضها سريان النار في الهشيم بأنني حصلت على قوائم مفصلة من الروس تتضمن اسماء الأسرى الالمان.

فأنهمرت علي خلال شهر واحد آلاف الرسائل من المانيا وكلها يرجونني مرسلوها أن اتحرى عن ابنهم المفقود واخبارهم في حالة وجـوده بالأسر. وقد علمت ـ ولكن بعد ان وضعت الحرب اوزارها ـ بأن هتلر منع وصول رسائل جنودنا الأسرى الى عناوين ذويهم.

ولما شاعت أنباء سوء معاملة الاعداء لاسرانا ـ بفضل استطاعة عدد منهم الافلات من الأسر ـ أردت الاحتجاج لدى الصليب الاحمر الدولي على تلك المعاملة اللاانسانية الا ان فون ريبنتروپ منعني من القيـام بأية متابعة بهذا الشأن. الا انني لم اتمكن من تجاهل نـداءات الآباء والامهات المفجوعين بأبنائهم فأستمررت على الاتصال بهيئة الصليب الاحمر الدولية لكي ابحث عن كل من يتصل بي أهله لعلي احصل على نبأ مفرح يطمنهم فكانت سفارتي الملاذ الوحيد لاولئك انحيرى لأنني اهتممت بالجانب الانساني من قضيتهم . لكن فون ريبنتروپ لم يرق له نشاطي في هذا المجال فكتب لي توجيها يتضمن عدم الاجابة عن أي استفسار من هذا القبيل في المستقبل واحالة امثال هـذه الرسائل الى برلين . فأجبته بأنني لم أقم بأي نشاط رسمي يتطلب اصدار توجيهات معينة وانه ليس من حق الوزارة منعي من الرد على الرسـائل الشخصية التي ترسل الي من الوطن . وهكذا استطعت ان ابشر الكثيرين من ذوي المفقودين بوجود ابنائهم في الأسر طوال تلك الفترة التي امتدت لحين قطع العلاقات الدبلوماسية مع تركيا.

في ٢٨ آب ١٩٤٣ توفي بصورة مفاجئة وبظروف غامضة جلالة الملك بوريس في عاصمة بلاده صوفيا . وكان قد قابل هتلر قبل اسبوع من وفاته. ولابد ان تترتب على وفاته نتائج مفجعة لبلغاريا . وكان ولي عهده الأمير سيمون قاصرا ولا يمكن التفكير بتوليه العرش امـا امه فكانت ابنة ملك ايطاليا فكتور عمانوئيل الثاني وهي سيدة عاشت بمنأى عن السياسة. وبعد فترة ليست بالطويلة حلت النكبة بايطاليا ولما ايقن السلاڤيون بأن دور المانيا سيأتي وشيكا انقضوا عليها منتقمين فأفتقدنا عندئذ مدى اهمية صداقة رجل قوي مخلص كالملك الفقيد بوريس . وعليه فان ازاحته عن الوجود كان من

اهداف اعدائنا الثمينة ـ وليس أعداء هتلر ـ على الرغم من ان دعايات الاعداء زعمت بأن الملك بوريس كان من ضحايا النازية وللحق اقول انالنظام النازي كان بريئا من جريمة اغتيال العاهل البلغاري.

أما الملكة الارملة فقد اوضحت لصحيفة (فيغارو) الفرنسية بأن الطيار الذي اعاد الملك بوريس من مقابلة هتلر تلقى منه وصايا تتضمن وجوب التحليق بطائرته على ارتفاع شاهق وبأسرع ما يستطيع ثم الانقضاض من حالق وقد كرر ذلك خلال السفرة فكان يرتفع بطائرته الى عشرة آلاف متر ولما كانت الطائرة غير مزودة بأقنعة الاوكسجين فان قلته في تلك الارتفاعات أثرت على جهاز تنفس الملك. وقد اكد الوصي على عرش بلغاريا الأمير كوريل هذه المزاعم وقال ان هتلر هو الذي سبب موت الملك بوريس لأن الأخير امتنع عن اعلان الحرب على روسيا.

الا ان جميع الحقائق تناقض اتهام المانيا بقتل الملك بوريس. ذلك لأنه رجع من برختسغادن سليما معافى ثم قام قبل مرضه بثلاثة ايام بتسلق قمة جبل موسالا اعلى جبال بلغاريا . وفي ٢٣ آب ١٩٤٣ رقد في فراشه مريضا بصورة مفاجئة وفي ٢٦ آب ١٩٤٣ اشارت النشرة الطبية المعلنة بأن الملك يشكو من مرض اصاب الرئة والقلب والدماغ.

لعب الملحق الجوي الالماني في صوفيا اللواء فون شوينه بيك والذي يتمتع بثقة الملك دورا متميزا في تلك الفترة . وقد اطلعت على مذكرات اللواء فون شوينه بيك والتي يمكن استخلاص المعلومات المهمة التالية منها:

وصلت الى صوفيا جوا مجموعة من الاطباء الالمان بناء على رغبة الملك الملحة وكان بين اولئك الخبراء الجراح المشهور الاستاذ الدكتور زاور بروخ وكذلك الطبيب المشهور في ڤينا الاستاذ الدكتور ايبنغر المختص بالامراض الباطنية . وقد تبين ان البطانة المحيطة بالملك والمتسلطة عليه كانت تمنع اجراء أية فحوصات ضرورية وواضح انها كانت تخشى اكتشاف طبيعة المرض المفضي للموت . وهكذا وجدت زمرة الاطباء الألمان نفسها بلا حول ولا قوة

لأنها لم يكن بمقدورها اتخاذ أي قرار جدي لانقاذ حياة الملك ولكنها اكدت بأن الملكة والمحيطين بها هم المسؤولين عن تدبير موت الملك . وقد تأكد للجنة الطبية الالمانية ان احشاء الملك ودماغه قد اصابها التلف لدرجة لا سبيل معها لانقاذه من حالة التسمم التي اصابته.

والطريف ان هتلر انتابه غضب شديد على البيت المالك الايطالي لأنه كان من رأيه ان الملكة هي المسؤولة عن تدبير اغتيال زوجها.

فأمر فون ريبنتروب ان يتصل بالقنصل الالماني في صوفيا وهو الوزير المفوض بيكيرله لكي يأمر قطعات الحماية التي بأمرته باعتقال الملكة وولدها ونقلهما الى برلين بالطائرة. ولما أراد بيكيرله تنفيذ هذا الأمر بطبيعة الحال تصدى له اعضاء القنصلية الالمانية وحذروه من مغبة الاقدام على تنفيذ هذا العمل. وقد تطرق تشرشل في مذكراته الى وفاة الملك بوريس بقوله:

« وبوفاة الملك بوريس تم القضاء على جميع اصدقاء المانيا في بلغاريا».

كما ذكر وزير الدفاع البلغاري الفريق ڤيلتشيف فيما بعد بأن هتلر هو الذي دبر تصفية الملك بوريس . ولكنني رغم ادانة هتلر عن قضايا أخرى كثيرة اؤكد ثانية براءته من هذه الفعلة.

في ٨ أيلول ١٩٤٣ استسلمت ايطاليا فأحتلت قواتنا روما والتجأ الاسطول الايطالي الى جزيرة مالطة. فأهتبل الانكليز هذه الفرصة واحتلوا بعض جزر الدوديكانيز التي لم تكن قواتنا تحتلها حيث نزلت قواتهم في جزر ساموس وكوس وليروس القريبة من سواحل تركيا . وواضح انهم أرادوا بهذه الحركة ارائة الاتراك مدى تخاذل القوات الالمانية واكتساحهم لها فيؤثروا بذلك على تركيا نفسيا لكي تنحاز الى جانبهم. الا ان قوتنا الجوية منعت الانكليز من تموين قواتهم النازلة في تلك الجزر من التموين بالعتاد والارزاق فأضطرتهم على الجلاء عنها بعد فترة وجيزة وكانت طائراتنا القاصفة تمر يوميا على مقربة من أجواء اسطنبول وازمير فيشاهد سكانهما اعمالها الانتقامية . ويعلق تشرشل على هذه الحالة في مذكراته بقوله:

« لقد ركزت في محادثاتي مع الزعماء الاتراك على استمالتهم للدخول الى جانبنا في الحرب في خريف ١٩٤٣ بعد انهيار ايطاليا ولعل السبب الذي جعلهم يتمسكون بحياد بلادهم يعود لفشلنا في الحركات التي جرت في بحرايجه» .

لم يستطع الالمان ولا الانكليز تفهم طبيعة ذلك الموقف من الناحية النفسية . فقد اجتمع وزراء خارجية دول الحلفاء في موسكو للبحث عن القرار المناسب لانهاء الحرب بأسرع ما يمكن. وقد تمخض ذلك الاجتماع عن قرار الوزير البريطاني انطوني ايدن بوجوب اشراك تركيا في الحرب قبل انتهاء عام ١٩٤٣ دون ان يأبه لرأي الاتراك أو يراعي نتيجة المباحثات التي تمت بين رئيسه تشرشل والرئيس اينونو ودون الالتفات لموقف الجيش التركي الذي كان بأمس الحاجة للتجهيزات الحديثة. وقد علق السفير البريطاني بأنقرة سير هيوغ على هذا القرار في مذكراته بأن هذا القرار المرتجل حمّل العلاقات البريطانية ـ التركية ما لا تطيقه.

تمكن هتلر في هذه الفترة من تحرير صديقه موسوليني من الاعتقال[٩] وسماه «رئيس الجمهورية الفاشية» فعمل هذا بتعاون وثيق مع القوات الالمانية من شمالي ايطاليا.

وبينما سارت الحرب نحو نتيجتها المتوقعة ببطء رتيب حصلت الحادثة الصغيرة التالية :

وصل الى انقرة فجأة رجلان من المانيا واخبراني بأن احدهما تعين بمنصب حاكم جورجيا والآخر حاكم اذربيجان السوفيتيتين وطالباني بتزويدهما بتفاصيل الحالة الاقتصادية . ولما خشيت من تعرضنا للفضيحة في حالة معرفة العدو لما اقدمنا عليه واحتمال استهزاء دعايات العدو بتصرفات حكومتنا فقد رجوت برلين التعجيل باسترجاعهما فعادا بخفي حنين.

---

(٩) نشرت تفاصيل اختطاف موسوليني من قبل مختطفه الرائد في قطعات الحماية اوتو سكورزيني بكتابه الموسوم (مرحبا بالحظر) ترجمة فاروق الحريري ص ١٩٤ ــ ٢٥٧ . ــ المترجم ــ

في هذه الاثناء ايضا تعرضت لتجربة محرجة جداء اذ اتصل بي في ٤ تشرين الاول ١٩٤٣ مدير مصرف الشرق الالماني پوست الذي اعرفه حق المعرفة واخبرني بأن شخصا اجنبيا جاء الى انقرة بصفة سرية جدا ويريد الاختلاء بي للتحدث معي بشأن قضايا بالغة الاهمية . وقال انه مرسل اليه من قبل الاستاذ ريوستوف. وكان الأخير مهاجرا المانيا الى امريكا ولم تكن لي معه اية علاقة رسمية ولكنه معروف لدي بصفته شخصية جديرة بالثقة لشدة تعلق روحه بوطنه القديم.

وهكذا وجدت ان من الضروري اجراء المحاورة المقترحة مع الغريب الغامض الصفة . وقد تضمنت التوصية التي ارسلها لي الاستاذ ريوستوف قوله ان الرسول الذي سيأتيني يحمل جواز سفر برتغالي وهو رجل امريكي الجنسية . وهو يرغب بالتحدث الي بتكليف شخصي من الرئيس روزفلت.

لكنني توجست خيفة من مغبة الالتقاء مع ذلك الغريب خشية ان يكون مدسوسا علي. وحيث ان السيد فون تروت تسو زولتس كان قد اتصل بي في تموز ١٩٤٣ فقلت له بأن روزفلت لم يجب على رسالتي بعد فلربما يكون هذا المبعوث السري مكلفا بايصال اجابة روزفلت المنتظرة. وعليه فقد قررت استقباله.

دخل علي في صباح اليوم التالي رجلا يناهز الثلاثين من العمر وقدم لي جواز سفره البرتغالي . وقد قدرت من الوهلة الاولى انه لم تكن له اية علاقة ببعثة ايرل. وقال انه مكلف من قبل الرئيس روزفلت شخصيا بالاتصال معي لبحث امكانات اقرار السلام بالسرعة الممكنة. وقال ان الرئيس اطلع بكل اهتمام على محاضرتي التي سبق ان القيتها في آذار ١٩٤٣ ويرغب بالحصول على صورة واضحة عن الحالة السائدة في المانيا وانه يتسائل عما اذا كان في المانيا اناس يمكن أن يتحدث معهم بشأن السلام . لأنه اتخذ قرارا بعدم التفاوض مع هتلر واعضاء الحزب النازي مطلقا. ولم يكن الرسول المجهول خالي الوفاض وانما اراد ان يثبت لي سلامة هويته فسلمني اضمامة صغيرة تحوي فلما مصغرا طوله أربعة سنتمترات ويتضمن شروط الرئيس الامريكي

المقترحة والتي يمكن اعتمادها اساساً لاقرار السلام المنشود مع المانيا . وكان الشرط الاولي الوحيد يتضمن وجوب قيامنا بالقاء القبض على هتلر وتسليمه للحلفاء تمهيدا لاحالته لمحكمة دولية . واقترح اختطاف هتلر بطائرة وايصاله للحلفاء . وقد حصلت من محدثي على فكرة بجدية تفكيره. فوعدته بدراسة مقترحة والالتقاء به في اليوم التالي في مكان آخر بعيدا عن مكتبي.

وأود ان اؤكد بأنني ارجعت معي الى المانيا في آب ١٩٤٤ كل مذكراتي واوراقي السرية بما فيها ذلك الشريط المصغر ولكن هيئة الاستخبارات الفرنسية استولت عليها بعد الحرب في قرية غيموندن وعليه فسأسرد للقاريء كل ما يحضرني من معلومات لا تزال عالقة في ذاكرتي.

اتفقت في اليوم التالي على قيام مدير المصرف پوست بدعوة الرسول المجهول الشخصية الى منزله في بويوك آدا[١٠] لكي اوافيه بيختنا الخاص عن طريق آخر.

وفي اليوم التالي اجريت مع الرجل محادثات مطولة جدا . لأن الشريط المصغر والذي قرأته بعدسة مكبرة بعد جهود مضنية تضمن تجاهل دور المانيا المتميز في وسط اوربا . وكان من الطبيعي رجوع المانيا الى حدودها القديمة من الغرب واحترام المانيا لسيادة پولندا . ولما كانت المواد الخام المستخرجة من مناجم المانيا غير كافية لصناعتها ومنتجاتها الزراعية غير كافية لاعاشة سكانها فانها كانت تأمل الاستفادة من اقليم اوكرانيا الذي ينتظر أن يكون

له كيانا مستقلا ويرتبط بالمانيا بشكل ما لكي نضمن لالمانيا مصدرا انتاجيا يتكامل به اقتصادها . الا انني لم اتقبل فكرة فصل اوكرانيا عن روسيا وجعلها مرتبطة بالمانيا بشكل معين لأن هذا التدبير من شأنه خلق مشكلة دائمة وجعل المانيا في نزاع مستمر مع روسيا وسيؤدي بنا الى حروب

---

(١٠) عبارة تركية معناها (الجزيرة الكبيرة) وتقع في بحر مرمره قرب اسطنبول. — المترجم —

عديدة معها في المستقبل . ولذا فقد آثرت وضع اسس السلام الاوربي وفق ما ترتضيه كل شعوب اوربا.

لكنني لم انس التأكيد على الرجل بأنني سوف لن اخطو من جانبي اية خطوة أخرى ما لم احصل على ما يثبت لي صحة هذه المزاعم واتأكد من ان الرئيس روزفلت سيلتزم بما يتم عليه الاتفاق. ويجب على روزفلت ان يزودني بنص مكتوب يؤكد به موافقته على النقاط التي سنتوصل اليها قبل ان نقدم على تنفيذ اية خطوة ايجابية . ذلك لأننا لا نريد التورط بحالة مشابهة لنقاط ويلسون الاربع عشرة التي تم تفسيرها بعدئذ بشكل مغاير لروح المبادرة[١١]. واذا لم اتمكن من الطيران الى القاهرة فأين يمكن ان يتم لقائي مع الرئيس روزفلت لكي نجري مباحثاتنا فورا؟ ثم كررت اسفي لعدم تلبية العرض ما لم احصل على تأكيد تحريري ملزم. اما اذا اقدمت على الهرب الى بلدان الحلفاء لغرض التفاوض فسأفقد قيمتي المعنوية ولن اكون في هذه الحالة ندا للرئيس روزفلت في اية مفاوضات. واخيرا اتفقنا على اعادة اللقاء بعد اطلاع الرئيس روزفلت على اجابتي.

لم يعقب هذه القضية السرية أي تقدم او تطور لاحق واظن جازما بأن الرئيس اقلع عن متابعة هذه المغامرة وآثر الاستمرار مع حلفائه على مطالبة المانيا بالاستسلام دون قيد او شرط. ولكن هل كان امامنا أي مسلك آخر للنجاة ببلادنا من مصيرها المحتوم؟

---

(١١) دعا الرئيس الامريكي وودرو ويلسون الى عقد هدنة عامة لانهاء الحرب العالمية الاولى رغم ان بلاده دخلت الحرب في مراحلها الاخيرة ووضع اربعة عشر بندا تكون اساسا لاقرار السلام فقبلها الطرفان وعقدت الهدنة بالساعة ١١ يوم ١٩١٨/١١/١١ لكن تطبيق هذه البنود لم يرض المانيا والدولة العثمانية بسبب غلو الحلفاء في المطالب الوفيرة التي الحقت بمصالحهما وبسيادتهما الضرر.

— المترجم —

الفصل الثلاثون

عَمليَة شيشرُوَنُ

نعمان يقابل ايدن في انقرة ٠ تزايد ضغط الحلفاء على تركيا ٠ اصبح موقف المانيا العسكري ميئوسا منه ٠ قصف جوي كثيف على برلين ٠ زيارة لهورتي٠ عملية شيشرون ٠ اقالة المشير فوزي تشاقماق ٠ فرار الدكتور فرميهرن الى صفوف الانكليز٠ خطط الحلفاء في البلقان غير قابلة للتنفيذ٠ انقطاع العلاقات الاقتصادية بين المانيا وتركيا ٠ حماية الهاربين ٠ اعاقة طرد اليهود من فرنسا٠ جواب روزفلت المنتظر٠ تقرير السيد ايرل ٠ اصبح تزويدنا بالكروم التركي ممنوعا ٠ مشاجرة اخرى مع فون ريبنتروب ٠ زيارة في باريس٠ فطور مع لافال٠ اقالة نعمان٠ الشروع بعملية «اوفرلورد»٠ تركيا تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع المانيا٠

لوضع مقررات محادثات موسكو موضع التنفيذ فقد دعي وزير خارجية تركيا نعمان منمنجي اوغلو لزيارة القاهرة لاجراء محادثات مع نظيره البريطاني٠ فلبى الرجل الدعوة على الرغم من مرضه لكي يعمل جاهدا على الابتعاد بوطنه عن الحرب٠

امتعض الاتراك من فكرة الاشتراك بالحرب الى جانب الحلفاء اهتبالا لفرصة كونها على وشك الانتهاء بنتيجة معلومة سلفا وهو اندحار المحور بقصد الحصول على حصة مجزية من الغنائم كما نوه لهم الحلفاء في معرض استمالتهم للدخول للحرب الى جانبهم ضدنا وهذا ما اوضحه السيد نعمان منمنجي اوغلو لزميله الانكليزي بكل وضوح مذكرا اياه بالموقف المناقض للشهامة الذي أقدم عليه موسوليني في عام ١٩٤٠ عندما طعن فرنسا من الخلف واثار استهجان كل شرفاء العالم[١]. كما ان تركيا ليست لديها اسباب تدعوها للاشتراك بالحرب اضف الى ذلك ان موقفها السياسي والعسكري لا يستوجب اشتراكها بالحرب.

اختتمت محادثات القاهرة بالاتفاق على اجابة الحكومة التركية عما اذا كانت مستعدة من حيث المبدأ للدخول بالحرب لكي يمكن اجراء مباحثات أخرى ضرورية .

أما في حالة رفض تركيا للطلب فان ذلك سيؤدي الى الحاق الضرر بالعلاقات التركية البريطانية القائمة.

اما مدى خيبة الأمل التي اصابت الطرفين فمبينة بالتقرير الذي رفعته الى برلين بعد مقابلتي لنعمان على اثر عودته من القاهرة والذي جاء فيه ما يلي:

« تتيجة لاستقبالي من قبل السيد نعمان يوم امس تبينت لي مدى حراجة الموقف الحالي لتركيا .. وقد عبر السفير البريطاني بعد عودته من القاهرة عن انقطاع علاقات الصداقة بين تركيا وبريطانيا ولم يعد يستقبل أي تركي بمنزله . كما انه حول اقامة السفارة الى اسطنبول تعبيرا عن عدم

---

(١) بدات معركة فرنسا في ١٠ مايس ١٩٤٠ وفي ١٠ حزيران ١٩٤٠ اعلنت ايطاليا الحرب على فرنسا وبريطانيا وفي ١٤ حزيران ١٩٤٠ سقطت باريس بيد الالمان وفي ٢١و٢٢ حزيران ١٩٤٠ تم عقد الهدنة بين المانيا وفرنسا وبعد يومين عقدت الهدنة بين ايطاليا وفرنسا.
ـ المترجم ـ

التزام بريطانيا ــ كدولة كبرى ــ بالاستجابة لرجاء اتاتورك بالتحول من اسطنبول الى العاصمة الجديدة انقرة • وقد قام السفير البريطاني بتقديم مذكرة باسم بلاده فور عودته يطالب فيها الحكومة التركية بقطع جميع علاقاتها الاقتصادية مع دول المحور • ويبدو من متابعة الصحف الصادرة في بلدان الحلفاء ان هذه الاعمال مدبرة مسبقا وتم الاتفاق عليها•

وقد ذكر لي السيد نعمان بأن تركيا ستتمسك بمصالحها الاقتصادية ضمن مجالات التبادل التجاري المتاحة لها ولكنها ربما ستضطر مرغمة على التوقف عن التعامل الاقتصادي مع دول المحور•

ولما سألته عن وسائل الضغط التي يحتمل ان يتبعها الحلفاء للضغط على تركيا لاجبارها على الانصياع لرغباتهم قال ان تركيا بحاجة دائمة للحصول على بعض المواد الاولية المهمة كالمطاط والقصدير والقطن واحيانا الحبوب كما انها بحاجة ملحة للنفط ووصول كل هذه المواد الى تركيا يتوقف على موافقة الحلفاء• وقال انه سيسعى بكل ما اوتي من قوة لينأى ببلاده عن الحرب•

ولكن تركيا ربما ستضطر على الدخول للحرب اذا ما تعرضت لضغوط اقتصادية شديدة لاسيما وان اقتصادها متوقف على الحلفاء•

وقد اكد بهذه المناسبة على تمسك بلاده بالاتفاقيات المعقودة مع الدول وهو يعلم بأن الاستمرار على تنفيذ تلك الاتفاقيات سيجعل تركيا عرضة لضغوط جديدة أشد وطأة • وعليه فأنه لا يرى ضرورة لارسال وفد الماني آخر للنظر في تجديد اتفاقية التبادل التجاري بالوقت الحاضر•

ويبدو انه ينتظر تغير الموقف العسكري لصالحنا لكي يكون موقفه اقوى تجاه الحلفاء»•

ولما وجدت ان الاتراك انفسهم اخذوا يتوقعون اضطرارهم على الاشتراك بالحرب اذا ما ازدادت عليهم الضغوط السياسية والاقتصادية قررت الطيران الى برلين ثم قدمت تقريرا شفويا في مقر هتلر عن الموقف

السائد في تركيا وزودته بالمعلومات المستجدة وصارت هذه المعلومات مهمة جدا لنا خلال الاشهر القليلة التالية.

ولما اطلعت في ذلك المقر على سير العمليات العسكرية ادركت مدى تدهور موقفنا على مختلف الجبهات وقدرت ان اسباب ذلك ترجع الى عدم مقدرة القيادة العليا . ذلك لأنني لاحظت تدخل هتلر في تحركات بعض الأفواج وضياعه في غمرة التفاصيل غير الضرورية حيث جعل تحركات تلك الافواج رهينة بأمر يصدر عنه لاحقا. وكان هذا الانتحار بعينه لاسيما وان آمرينا وقادتنا تعلموا ــ بموجب كراسات القيادة العسكرية ــ الاستقلال بالتصرف ضمن المهمات المحددة لهم لكي يظهروا ابداعاتهم ومبادراتهم ويستغلوا الفرص الذهبية التي تتاح لهم في الميدان . وعليه فقد قدرت اننا كلما وضعنا حدا أسرع لهذه الحرب كلما كان ذلك افضل. ولاحظت أن غارات الحلفاء الجوية أخذت تزداد شدة يوما بعد يوم على مدن المانيا وتحيلها الى اكوام من الركام وان المانيا اخذت تخسر آلاف الارواح في كل يوم مما حدى بي أن اقرر مضاعفة جهودي للاتصال بالرئيس روزفلت والحصول على جوابه.

وكان من المهم جدا لي ان عشت ليلتين ببرلين لا يمكن ان انساهما ما حييت عندما شهدت بأم عيني شدة وطأة الغارات الجوية عليها . حيث قبعت مع ولدي وبناتي في قبو الفحم ببيتنا الكائن في شارع لينيه رقم ٩ ونحن نسمع اصوات الانفجارات المدوية وتومض امام ابصارنا من كوة القبو الضيقة السنة اللهيب المحرق لمنشآت وطنية عزيزة على افئدتنا . وقد نالت المنزل احدى قنابر الحريق فأتت على غرفة المكتبة ومع اننا كافحنا الحريق حتى اطفأناه الا ان المسكن لم يعد صالحا للسكن بسبب خلع جميع ابوابه وتحطم جميع نوافذه اثناء عملية الاطفاء كما دمر سطح المنزل ايضا. وعليه فقد أردنا قضاء بقية الليلة في فندق ايسپلاناده القريب، لأنه كان البناء الوحيد الذي لم يصبه الضرر في تلك المنطقة. لكننا لم نفكر بالراحة بعد ان انتشرت النيران من حولنا في البيوت المجاورة فساهمنا في عمليات مكافحة

الحرائق. وفي الصباح تبين لي بأن جميع الابنيـــة الممتدة على طوار شارع فيلهلم قد اصابها الدمار وكانت منها أبنية وزارة الخارجية الالمانية . كمـا اتت الغارة الجوية على جميع مباني محطات القطارات لدرجة جعلتني اشك في امكانية السفر مساء ذلك اليوم عائدا الى تركيا . ومن ظهر ذلك اليوم رابطت في محطة قطار سيليزيا املا في الحصول على قطار يتجه نحو الشرق وبعد انتظار طويل خيم الظلام وحدثت غارة جوية أخرى جعلتنا نبحث بلهفة عن مأوى يقينا شر الطائرات المغيرة.

وفي خضم هذه الظروف العسيرة وصل القطار الموعود الى المحطـة مما أثار اعجابي بحسن ادارة سكك الحديد واخلاص رجالها ومهارتهم في تدبير النقل المنتظم حتى في أسوأ الظروف.

جـاني امير البحر هورتي ان اقوم بزيـارة لبودابست. فأستقبلني بحفاوة واخذني بالقطار الى ميزوهيغويس وهي المصيف الهنغاري الممتاز الواقع على حدود رومانيا . وكان الوصي على عرش المجر يقيم لوزرائه في كثير من الاحيان حفلات صيد في تلك المنطقة. وعندما وصلنا اليها عرض علي وزير داخليته كيرستس فيشر وثيقة غريبة هي تقرير عن «عصبة الالمان» في هنغاريا أي (النازيين الهنغاريين) تقترح فيه جعل هنغاريا اقليما المانيا وقـد ابدى الوصي على عرش المجر استهجانه لمثل هذا المقترح الذي يراد به القضاء على سيادة دولة صديقة لالمانيا وكان اسلوبه في الحديث مهذبا الى ابعـد الحدود.

وعدت الوصي هورتي بايضاح وجهة نظره لبرلين وقد بررت بوعدي فور عودتي الى برلين لأن رئيس وزراء هنغاريا السيد نيكلوس فون كالاي قال لي بأنه لم تعد تتوفر لديه اية اتصـالات مع القنصل الالماني العقيد في وحدات العاصفة[٢] هانس فون ياغوف. وقـد زعم هورتي نفسه بأن من

[٢] هي الوحدات المعروفة بمختصر تسميتها SA والتي درج المترجمون العرب على اعتماد مختصر التسمية في كثير من المواضيع المترجمة عن الالمانية او عن الانكليزية .

– المترجم –

الواضح عدم امكانية انتهاء الحرب بتأثير استعمال السلاح وحده . وعليه فقد اراد اشعار زعماء الدول الاجنبية بأنه يرغب بالتعرف على مقاصد الدول الغربية . وقد ايدت من اعماق فؤادي اقدامه على هذه الخطوة التي تدل على حرصه الشديد على الحفاظ على سيادة بلاده بعد ان لمس مطامع الدولة الكبرى التي سبق ان حالفها وخاض الحرب الى جانبها.

أما المنبع الجديد للمعلومات فكان (شيشرون)[٣] ويمكن للراغب في الاطلاع على تفاصيل هذه القضية الرجوع الى الكتاب الذي وضعه الملحق السابق بالسفارة السيد لودفيغ مويتسيش[٤] والمعنون (عملية شيشرون) وكنت من حيث المبدأ ضد نشر هذه القصة لأنني لم اشأ جعل زميلي الانكليزي سير هيوغ بموقف غير مريح بعد الحرب.

وكان ولدي قد تعرف على عائلة سير هيوغ ببكين ولما رجع ولدي من الارجنتين الى أوربا بعد نشوب الحرب عرج على انقرة فتلقاه سير هيوغ بترحاب بالغ وتحدث اليه بكل مودة. وعليه فقد تأثرت بهذا الوفاء وأردت ان اوفي الرجل بعض حقه بالعمل على منع نشر هذه القضية التي تمسه شخصيا . ولكن اقدام معاوني السابق على سرد كل تفاصيل القصة وتكريمه لي بعرضها علي قبل طبعها جعلني بموقف غير القادر على الاستمرار بالوقوف بوجه السيد مويتسيش ومنعه من نشر قصته المثيرة. وكان ان نوهت في

---

(٣) كان شيشرون رجل دولة روماني وقانوني وفيلسوف ومعلم وكاتب بشر بالافكار الجمهورية وقد ولد عام ١٠٦ قبل الميلاد وتلقى علومه في روما وفي اليونان وقد تنقل بين روما واليونان وكتب الكثير من الكتب واليه يعود الفضل في نقل الفلسفة اليونانية الى اوربا وقد قال عنه المفكر الفرنسي ڤولتير (نحن مدينون بالشكر الجزيل لشيشرون لانه علمنا كيف نفكر) وقد قتل شيشرون بعد أسره في ٧ كانون الاول عام ٤٣ ق.م نتيجة للابسات سياسية . وقد اطلق اسم شيشرون كاسم رمزي على الجاسوس (ديلو) في المراسلات السرية بين السفارة الالمانية بأنقرة ووزارة الخارجية الالمانية . ـ المترجم ـ

(٤) الكتاب المذكور مترجم للعربية . وقد عاش السيد لودفيغ مويتسيش بعد الحرب في قريته الصغيرة بالنمسا ولا زال فيها حتى يوم الناس هذا .
ـ المترجم ـ

الترجمة الانكليزية للقصة المذكورة ــ عند تقديمي لها ــ الى ان الذي حدى بي لاقرار نشرها هو الرغبة المخلصة في ذكر الحقيقة ليس الا.

وعلى اية حال فان القضية بدأت بشكل أدهشني تماما . فقد جائني السيد ينكه ــ وهو احد وزيري المفوضين ــ في أحد الايام يحمل تقريرا يتضمن الافادة بأن خادما يعمل ضمن هيئة دبلوماسية اجنبية اتصل به هاتفيا وزوده بمعلومـــات مهمـــة. وكان السيد ينكه صهراً للوزير فون ريبنتروب وسبق لـــه ان عمل في تركيا سنين طويلة بصفة تاجر . وذكر في التقرير ان الخادم الذياتصل به كان يدعى (ديلو) ولكنني علمت ان اسمه الحقيقي هو (الياس). ولم اكترث للقضية عندما اخبرت بها لأول مرة لأنني لم اتصور ان جاسوسا يمكن ان يشرع بعمله عن طريق الاتصال بالهاتف . وعليه فقدامرت السيد مويتيسيش بالتحري عن مدى صدق الرجل في تعامله معنا.

كان السيد لودڤيغ مويتسيش ملحقا تجاريا في سفارتنا ولكنه كان في الحقيقة ممثل ادارتي الشرطة السريـــة للدولة وأمن الدولة . ولكي اوضح وجوده بهذه الصفة بعد ان اشترطت على الحكومة عدم تعامل رجال الشرطة السرية للدولة مع السفارة التي اشغل رئاستها خشية تدخل هؤلاء بأعمالنا الحساسة فانني قبلت وجودهم بعد نشوب الحرب بطبيعة الحال تلبيةلمتطلبات الأمن ولكن بشرط كونهم يعملون بأمرتي وكان السيد مويتسيش من رجال سفارتي الا انه لم يكن يستمزج رأيي بالتقارير التي كان يرفعهـــا . كما انني لم اكن مهتما بالاطلاع على تلك التقارير. ولم نكن من جانبنا نزوده بأية معلومات عن النشاط السياسي والدبلوماسي للسفارة. ولهذا السبب فانه لم يزود بالخطوات التي اقدمت عليها بعد ان زودني بالمعلومات الثمينة التي حصل عليها من البرقيات الانكليزية المسروقة. واذا زعم في كتابه المشار اليه آنفا بأن المعلومات المهمة التي تمكن من الحصول عليها لم تستفد منها المانيا كما ينبغي لأنها قوبلت بالاهمال البالغ فانني اخالفه تماما برأيه هذا.

ولو كنت قد ادركت صحة المعلومات التي زودنـــا بهـــا ذلك الرجل لأوصلتها الى ملحقنا العسكري بدلا عن ممثل الشرطة السرية للدولة . ولو

لجأت الى هـذا الحل لوفرت على نفسي الكثير من المزعجات • ولم يعد بمقدوري بطبيعة الحال تحويل القضية من ايدي رجال الشرطة السرية للدولة الى أيدي رجال الجيش بعد ان انهمك السيد مويتسيش بمعالجة القضيـة بكل أبعادها•

الا انني أظن بأن رجال الجيش ــ لو كانوا قد تولوا معالجة القضيةــ ما كان بمقدورهم التعامل مع (ديلو) بنفس المهارة التي اظهرها زملائهمرجال الشرطة السرية•

سوف لن انسى ذلك اليوم الذي عرض علي به السيد مويتسيش اولى ثمرات اشتغاله مع شيشرون • وكان مويتسيش قد اشتغل بهمـة طـوال الليل في تحميض وطبع اول شريط تلقاه من شيشرون فدخل الى مكتبيمهمل القيافة وغير محلوق اللحية ووضع مجموعة التصاوير التي انجزها قائلا:

« سيدي السفير هذه هي اول نتـائج عمل هذا الرجل الثمين الذي وضع نفسه بخدمتنا»•

وكانت الصور لمجموعـة من البرقيـات الانكليزية • ولما سألته عن مجتوياتها هز كتفه لأنه لم يكن يعرف من اللغة الانكليزية ما يكفي لمعرفـة محتويات تلك المجموعة من البرقيات • ولما تناولت الصورة الفوقانية ادركت من الوهلة الأولى انني ازاء وثائق حقيقيـة فسألت السيد مويتسيش وقد تملكتني خشية الشرب من نفس الدواء:

« هل هناك مثل هذا الرجل بين ظهرانينا بحيث يمكنه تصوير وثائقنا البالغة السرية ؟»•

وكان الباعث الذي دعاني للثقة من صحة الوثائق المصورة هو انها كانت مطبوعة على نماذج انيقة من اوراق وزارة الخارجية البريطانية وهي تشكل مجموعة من البرقيات المرسلة الى سفارتها بأنقرة ولم تكن الصيغة والمضمون لتدع أدنى شك بأصالتها • وكانت من ضمنها رسـالة تحتوي على اجابة السير سير هيوغ كناتشبول على التوجيهـات التفصيلية الواردة اليه من

وزير الخارجية ايدن وكان الغرض منها تحريض تركيا على الاشتراك بالحرب الى جانب الحلفاء.

قام الدكتور ارنست كالتنبرونر - الرئيس المباشر للسيد مويتسيش - باخبار هتلر بأهمية المصدر الجديد المتمثل بالوكيل الذي اتصل بنا من تلقاء نفسه .

ثم تلقى السيد مويتسيش رسائل وتوجيهات عديدة من برلين بصورة مباشرة دون الاتصال بي. فلما اخبرني بأنه تلقى اوامر بوجوب الاتصال ببرلين مباشرة قلت له غاضبا :

« طالما انا السفير الالماني في انقرة فانني لا اسمح بمثل هذا التجاوز قط. اخبر بهذا رئيسك المباشر. فأنت لا تزال تعمل بأمرتي. وانني آمرك بأن تطلعني على كل ما يقع بيدك من معلومات».

وكان هذا اجراء طبيعيا . فالتقييم السياسي للوثائق التي نستولي عليها سيبقى ضمن مجال اختصاصي. ولو كانت لبرلين رغبة اخرى لامكنني الدخول معها بحوار .

أما لو شاء فون ريبنتروپ ان يؤيد كالتنبرونر في حجب تلك المعلومات السرية عني فانني كنت سأستقيل فوراه

أما بصدد اشارة السيد مويتسيش الى فضحي للاسرار فان الواقعة التي اشار اليها كانت كالآتي:

كانت احدى البرقيات الموجهة للسفير البريطاني تنصحه التعجيل بالاتصال بالسيد نعمان واذكر ان تلك البرقية كانت تتضمن وجوب استحصال موافقة الحكومة التركية على نصب اجهزة رادار انكليزية في تراقيا الشرقية لكي يسهل على أسراب الطائرات الانكليزية التوجه لقصف منابع النفط الرومانية . وقد وجدت ان من الضروري ان أبادر بالاحتجاج فوراه وعندئذ وجب علي ان اوضح للسيد نعمان بأنني حصلت على معلومات مؤكدةمن الجانب البريطاني بشكل ما. فزعمت له بأنني حصلت على هذه المعلوماتمن

الملحق الجوي البريطاني أو احد اعوانه الذي تحدث بهذا الشأن امام احد السادة من موظفي السفارات المحايدة. وحذرت وزير الخارجية التركي من مغبة السماح للانكليز بنصب محطات الرادار في تراقيا الشرقية لأن ذلك ربما سيجعل برلين تمتعض وتقدم على شن غارات انتقامية على اسطنبول. فأستغرب الرجل من دقة معلوماتي وعجل بالاتصال بالسفير الانكليزي فورا ليخبره بأقوالي.

وفي صباح اليوم التالي وضع السيد مويتسيش امامي مجموعة برقيات مصورة تضمنت احداها توضيح من السفير البريطاني الى لندن يسرد به كل ما قاله له وزير خارجية تركيا عن مقابلتي له وجاء في تلك البرقية قوله:

« ان فون پاپن يعرف اكثر مما ينبغي»

وقد عرضت هذه الرسالة المسترقة على الوزير فون ريبنتروب ايضا بطبيعة الحال . وكان من رأيه ان مفاتحة السلطات التركية بهذا الشأن لابد ان تؤدي الى تهديد المصدر بالافتضاح. ولما ذكرت له السبب الذي دعاني لهذه المبادرة قال بأنه في حالة كون المصدر بالغ الاهمية فيجب عدم المغامرة لدرجة تهدد حياته.

ومن نافلة القول ان أؤكد في هذا المقام بأنني اعطيت لذلك الوكيل اسمه الرمزي (شيشرون) متوقعا افتضاحه بنسبة عالية . الا انه لم يكن بين افراد السفارة عدا نائبي من يعلم شيئا بأمره. اذ لم يعلم به الملحق العسكري المسؤول عن قضايا الدفاع ولا امينة سري الخاصة الآنسة روزه التي عملت معي سنين طويلة وقد فاتحتني يوما بطلب استقالتها لأنها لاحظت قيامي بحجب جزء من الاسرار عن انظارها وهذا ما اعتبرته دليل على عدم تمتعها بثقتي. وكنت اكتب رسائلي الى برلين بيدي. وكان السبب المباشر لهذه التحوطات المبالغ بها هو فرار امينة سر الملحق مويتسيش والتي تحظى بثقة ادارة الامن العام الالمانية الى صفوف الاعداء حيث أعطتهم صورة واضحة عن طبيعة اشتغال مؤسسات هملر وكالتنبرونر.

وبعد ان اطلعت على كتاب مويتسيش قرأت للمرة الاولى عن البرقية

التي تشير الى قصف صوفيا جوا فأستهجنت اللجوء الى هـذا الاسلوب لاثبات صحة المعلومات واظن ان مثل هذه البرقيات لابد ان تجد طريقها الى مكتب كالتنبرونر • ولابد ان تنجلي الحقيقة لكل ذي عينين اذا مـا اميط اللثام عن ملابسات هذه القضية•

وكانت المعلومات التي حصلنا عليها عن مؤتمر وزراء الخارجية بموسكو واكملتها مقررات مؤتمري طهران والقاهرة والتي استمرت حتى شباط ١٩٤٤ قد جعلتنا في ذلك الوقت الحرج ازاء نتائج لا تقدر بثمن • فقـد تضمنت البرقية المرقمة ١٥٩٤ والمؤرخة في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ والصـادرة من وزارة الخارجية البريطانية الى سفيرهـا في انقرة مقررات مؤتمـر طهران وتضمنت ما يلي:

« ان الخطوة التالية التي نصح بها مستشارونا العسكريون يتوقف تنفيذها على اجابة تركيا • لأن هذه الاجابة ستحدد لنا عما اذا كنا سنتصرف على اساس وجود تعاون انكلو-تركي او عدم وجوده• ويجب ان تتذكروا بهذه المناسبة بأنه تم الاتفاق في مؤتمر موسكو على استمالة تركيا وزجها بالحرب قبل نهاية هذا العـام • وستلجأ الدول الثـلاث الكبرى ــ عند الاضطرار ــ الى ممارسة ضغوطها على تركيا بصورة مجتمعة •• وانا لا اعلم مدى الضغط الذي مارسه سفيرنا في موسكو على سفير تركيا فيها ولكن صار من المعلوم انه تقـدم بطلب اشتراك تركيا بالحرب• حيث قال السيد ليثينوف في اجتماع سفراء الحلفاء بموسكو يوم ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣•• (لقد بات من المتفق عليه دعوة تركيا للاشتراك بالحرب•••) فاذا اراد الاتراك تجنب التهديدات ورغبوا في بحث موضوع دخولهم للحرب معنا على انفراد فيجب أن يستعجلوا ويتخذوا قراراتهم المناسبة »•

وقد أجاب السفير على رسالة ايدن هذه ببرقيته المرقمة ٨٧٥ التي جاء فيها:

« أكد لي نعمان استعداده للمضي معنـا حـالما يصبح من الواضح ان

الحركات في الغرب[٥] ستبدأ بنجاح لصالح الحلفاء أي بعد اسبوعين من الشروع بها مثلا •• واذا لم نحقق ادخال تركيا للحرب خلال هذه الايام فقد يكون من المناسب اتباع رأي نعمان الذي اكد استعداده لبحث تفاصيل هذه الفكرة مع رئيس الوزراء» •

رقد استطعنا بفضل شيشرون الاطلاع على المحادثات التي جرت بين الرئيس التركي وتشرشل وروزفلت في القاهرة • وهكذا تعرفنا على الوسائل التي لجأت اليها الحكومة التركية للتخلص من ضغط الحلفاء المتزايد عليها لاجبارها على الاشتراك بالحرب •

بعد اختتام مؤتمر طهران في ١ كانون الاول ١٩٤٣ والذي حضره تشرشل وروزفلت وستالين تلقى السفير البريطاني في انقرة توجيها من حكومته لدعوة رئيس جمهورية تركيا لمقابلة الرؤساء الثلاثة المذكورين في القاهرة•

الا ان الرئيس اينونو رفض من حيث المبدأ خوض اية مناقشات القصد منها تنفيذ مقررات مؤتمر موسكو بدعوة بلاده للاشتراك بالحرب • الا انه أبدى استعداده لتلبية الدعوة اذا كان القصد من المناقشات ايجاد افضل الوسائل التي تحقق مصالح تركيا • وقد ابدى الحلفاء استعدادهم لاعطائه هذه التطمينات • ولم اتصور كيف يمكن للحلفاء الايفاء بهذا الالتزام اذا كانوا مصرين على تنفيذ مقررات مؤتسري موسكو وطهران • ولكن يبدو ان زعماء الحلفاء ارادوا بهذه الكذبة الصغيرة استدراج الرئيس اينونو للاشتراك معهم بحوار يستطيعوا بنتيجته تحقيق اغراضهم السياسية•

في ٣ كانون الاول ١٩٤٣ غادر الرئيس اينونو انقرة الى اطنة وبصحبته وزير الخارجية نعمان منمنجي اوغلو والامين العام للوزارة السيد أجيكالين حيث كانت بانتظارهم في المطار طائرة الرئيس روزفلت الخاصة•

---

(٥) المقصود انزال قوات الحلفاء في سواحل فرنسا والذي تم بعدئذ في ٦ حزيران ١٩٤٤ •

ـ المترجم ـ

بين الوفد التركي في تلك المفاوضات موقفه بصورة جازمة وواضحة حيث قال الرئيس عصمت اينونو بأنه لا يرغب بالامتثـال لمقررات مؤتمري موسكو وطهران والاشتراك بالحرب وجعل بلاده كأداة من ادوات الشطرنج يلعب بها الحلفاء لتحقيق مراميهـم • وقال انه يبدو له بأن الحلفاء يرغبون باستعمال القواعد الجوية والبحريـة التركية لمواصلة الحرب انطـلاقا من الاراضي التركية دون تكليف القوات المسلحة التركية بمهمات القتال وهذا ما ترفضه تركيا أيضا • الا ان الرئيس التركي ابدى استعداده بطبيعة الحال لمناقشة الخطط التي تهم مصالح تركيا في المرحلة التي ستعقب الحرب • كما ابدى الاتراك قلقهم من تصريح ستالين بأن روسيا سوف تعلن الحرب على بلغاريا حال موافقة تركيا على الانحياز للحلفاء•

ولو اطلعنا على مقررات مؤتمر موسكو وقلق الاتراك من اعلان روسيا الحرب على بلغاريا لتعجبنا عند مطالعة مذكرات السفير البريطاني سير هيوغ التي جاء فيها:

« لم ينس الاتراك كيف كانوا تابعين لألمانيا في عام ١٩١٤ ••• ذلك لأن الالمان استخدموهم ـ دون وازع من ضمير ـ مجرد اداة من ادوات الشطرنج يلعبون بهم على رقعة الحرب • ولم يراعوا مصـالح تركيا وانما كانوا يسعون لتحقيق مطامعهم»•

فيا لها من محاولة مبتسرة لزحزحة الاتراك عن عنادهم بتجنب الدخول للحرب ـ رغم انها لم تستند للحقيقة ـ والاصرار على ذكر مثل هذه الآراء حتى في المذكرات•

بعد مفاوضات عسيرة ومطولة استطاع الحلفاء التغلب على شكوك الاتراك فأعلنوا في القاهرة بأن الحكومة التركية سوف تعلن عن موقفهـا خلال شهر كانون الاول ١٩٤٣ • ويبدو ان الحلفاء لم يرغبوا بجعل خططهم لسنة ١٩٤٤ معلقة بنهايات سائبة • وتضمنت الطلبات التركية (بالاضافة الى تسليح وتجهيز الجيش التركي بمعدات مبالغ بها) دفع تكاليف باهظة في حالة موافقة تركيا مستقبلا على طلبات الحلفـاء كما تعهد الاتراك من جـانبهم

بانجاز متطلبات المؤسسات والمرافق السوقية في الفترة الممتدة لحين اشتراكهم بالحرب • وبعد دراسة موضوع القواعد الجوية والبحرية من قبل هيئة الاركان العامة التركية ذكرت بأنه من المتعذر بقاء تركيا على الحياد بعد استخدام الحلفاء للقواعد الجوية والبحرية التركية.

وفي كانون الاول ١٩٤٣ كتب سير هيوغ برقية الى وزارة الخارجية البريطانية وتمكنا من الحصول على نصها الذي كان مفاده:

« لا ينبغي علينا لوم الاتراك اذا ما قرروا اجابتنا سلبا بشأن اشتراكهم بالحرب».

وتبين من متابعة خطط الحلفاء لسنة ١٩٤٤ انهم كانوا يبغون زج الاتراك في التعرض الشامل لتطهير البلقان من القوات الالمانية. وكانت تلك الخطط تتضمن قيام الحلفاء بانزال في ساحل سلانيك. ولكي تتوفر متطلبات الانزال المذكور فقد ارادوا ان تكون القواعد الجوية التركية المحيطة بميناء ازمير التركي جاهزة قبل ١٥ شباط ١٩٤٤ ، وكان المطلوب من الاتراك السماح بتكديس مقادير وفيرة من القنابر في بلادهم والسماح بهبوط اعداد كبيرة من اسراب المقاتلات والقاصفات الحليفة استعدادا لتنفيذ مهمات الاسناد.

ادى حصولنا المستمر على مراسلات السفارة البريطانية بأنقرة مع لندن بفضل شيشرون الى مضاعفة نشاطنا السياسي والدبلوماسي لأننا استطعنا الحصول على صورة واضحة عن تبادل الآراء بين تركيا والحلفاء والمناقشات المتواصلة بشأن المستقبل بعد اندحار المانيا الذي اصبح مسألة وقت ليس الا كما اننا حصلنا على فكرة عامة عن خطط حركات الخصم في وقت مبكر.

وقد تبين لنا وجود اختلاف في وجهات نظر زعماء الحلفاء الثلاثة بشأن مستقبل المانيا نتيجة لما حدث في مؤتمر طهران.

فالاتفاق فيما بينهم على فرض استسلام المانيا دون قيد او شرط لم يحل التناقضات التي نتجت عن اختلاف آرائهم. فبينما كان تشرشل وستالين

يعتبران هذا الطلب وسيلة تعبويـة رديئة لأنهمـا كانا يريدان تحطيم ارادة شعبنا ــ ومعه ارادة هتلر ــ على المقاومة باستنزاف آخر طاقاته في حين كان رأي روزفلت مختلفا عنهما.

تم اخبـار هتلر ببرقياتي ولم تحصـل مراسلـة روزفلت لنـا في ٢٤ كانون الاول ١٩٤٣ على اقل اهتمام في مقر قيادتنا. وجاء في تلك الرسالة:

« ان الأمم المتحدة ليس في نيتها استعباد الشعب الالماني. فنحن نرغب باعطائه فرصة طبيعية ليعيش بسلام ويكون عضوا نافعا في الاسرة الاوربية».

وكان هذا كلاما رائعا لو انه كان جادا في تحقيق عرضه هذا. وأرى على ضوء مؤتمر طهران وموقف روزفلت بأنه كان من الممكن حدوث تغير في سير الاحداث لو ان هتلر كلف هملر بتوسيط شخص سويدي مؤتمن للقيام بمحادثات في لندن خلال كانون الاول ١٩٤٣ من اجل وضع تفسير محدد لعبارة «الاستسلام دون قيد او شرط».

ويشير كوردل هول[٦] في مذكراته الى هذه النقطة بقوله:
« أخبرنا الانكليز بأنهم يرون بأن اجابتنا لالمانيا يجب ان تقتصر على القول بأن الأمم المتحدة تطالب المانيا بالاستسلام دون قيد او شرط دون الاشارة الى أي تفسير للعبارة . فأيدنا من جانبنا ضرورة اعطاء مثل هذا الجواب،».

والطريف اننا تمكنا بفضل شيشرون من القاء نظرة على مقررات لجنة رؤساء اركان جيوش الحلفاء المنبثقة عن مؤتمر طهران وتبين من الاطلاع عليها وجود اختلافات في وجهات النظر بشأن خطط الحركات الواسعة.

اذ كان تشرشل يصر بعناد على جعل الانزال الرئيسي في البلقان بالهجوم على سلانيك او عبر البحر الادرياتيكي بدلا عن الانزال في سواحل شمال فرنسا . ثم حصل الاتفاق على القيام بانزال ثانوي في سلانيك ــ كان ذلك

(٦) هو وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية خلال وبعد الحرب العالمية الثانية .

ـ المترجم ـ

بناء على رغبة ستالين ـ على ان تندفع القوات الانكليزية بجهدها الرئيسي في عملية (اوڤر لورد) التي تحدثت عنها الكثير من البرقيـــات التي صورها شيشرون.

ومع ان رغبة تشرشل كانت منصبة على تحرير بلدان البلقان من الالمان ومنع وقوعها بيد السوڤيت الا ان رغبة ستالين كانت مناقضة لذلك تماما لأنه كان يرى ان (تحرير) بلدان البلقان يدخل ضمن مهمته وهذا معناه ان أي هجوم انكليزي من هذا الاتجاه من شأنه اعاقة خطط ستالين المقبلة.

اتاح لنا الاطلاع على محادثات القاهرة وقرارات طهران فرصة التعرف على نوايا العدو لدرجة جعلتنا نتعرف على دقائق فعاليات العدو المقبلة.

وقد ذكر السيد مويتسيش في كتابه الملمع عنه آنفا ـ وهو في هذا على صواب ـ ان المعلومات التي وردت في برقيات شيشرون لم يصدقها رجال المقر الأعلى الالماني. لأنهم تصوروا انها لعبة استخبارات ماكرة يمارسهـا الخصم ضدنا. ولربما كان فون ريبنتروپ من ضمن الناس الذين ايدوا هذه الفكرة لأنه دأب على حجب الأنباء السيئـة عن هتلر . الا ان التنبؤ المسبق بقصف مدينة صوفيا جوا يوم ١٥ كانون الثاني ١٩٤٤ ـ والذي تطرقت له آنفا ـ قطع دابر الشك بصحة الوثائق التي حصل عليها شيشرون.

لم اتلق من هتلر ولا من فون ريبنتروپ أية وصايا بشأن السيـاسة العامة الواجب اتباعها بهذا الصـدد او ذاك. بينما كان السفراء الآخرون يحصلون من وزارات خارجيتهم على المعلومات المهمـة والوصايا الدقيقة وآراء حكوماتهم بشأن كل قضية ومواقفها من كل مسألة. وعليه فقد كان لزاما على وزارة الخارجية الالمانية ان توضح لي كيفية التصرف بالمعلومات المهمة المكتسبة عن طريق شيشرون . ولكن هل صحيح ما زُعم بعد الحرب من ان خطط الحركات التي اراد تشرشل تنفيذها ازاء البلقان قد قلصت بصورة تدريجية الى حد الاضمحلال ؟ وللاجابة على هذا السؤال فان طبيعـة الجواب تتوقف على القرار الذي سأتخذه بهذا الصدد.

فهذه القضية تتطلب قدرا كبيرا من تحمل المسؤولية. ويبدو لي ــ اذا ما ناقشت الموضوع من وجهة النظر العسكرية البحتة ــ ان الاندفاع من سلانيك الى الشمال باتجاه اليونان ومقدونيا ويوغوسلافيا يعتبر من الامور البالغة الصعوبة بسبب الطبيعة الجبلية للمنطقة وافتقارها للطرق. ولو اندفعت قوات الحلفاء عبر ايطاليا في ربيع ١٩٤٥ وصولا الى جبال الالب لكان من الأسهل عليها التوغل في بلاد البلقان.

انني لا ارى ان مدعاة السبيل الذي سلكه الحلفاء الغربيون هو مجرد تقصير امد الحرب. ولكن لو اقدم الحلفاء الغربيون على الاندفاع في البلقان فهل كان عليهم ان يتحاشوا سيل القوات السوفيتية أم انهم يوقفون ذلك السيل؟ ان الذي حدث هو ان اخليت هذه الساحة لصالح الروس بناء على طلب ستالين وبتأييد من روزفلت. الا ان الأمر الذي لاحظته عن كثب هو محاولة الروس الدائبة للوصول الى المضائق التركية والحصول على موطيء قدم فيها. ولقد تذكرت ملياً مقترحات مولوتوف التي عرضها علينا في تشرين الثاني ١٩٤١ فلو منحنا تركيا ومضائقها للروس لاصبح الطريق في شرق البحر الابيض المتوسط مفتوحا لنا ولأصبحت الجبهة الاوربية مغلقة من الجنوب.

ادى استرسالي بهذه الافكار الى التصور بأنه كان من الصحيح والمهم للمستقبل ان اعمل من موقعي على احباط اية حركات يزمع الحلفاء تنفيذها ضد البلقان. وهذا ما يتوائم مع مراقبتي للموقف الذي ساد أوربا بعد ان وضعت الحرب اوزارها. كما اننا نعلم الآن كيف ان الحلفاء الغربيين كانوا حريصين على منع تحقق الكابوس المتمثل باحتمال توصل ستالين الى شكل من الصلح المنفرد مع المانيا.

لهذه الاسباب فقد حرصت خلال الاسابيع التالية على استغلال المعلومات المكتسبة من الرسائل التي زودنا بها شيشرون من أجل تعزيز موقف الاتراك ضد خطط حركات الانكليز. وكان وزير خارجية تركيا وقادة جيشها على ثقة من ان انطلاق القوات الانكليزية من قواعد جوية وبحرية تركية لابد ان يؤدي الى هجوم مقابل الماني يعرض بلادهم للخطر وهذه حالة لا يمكنني

التصدي لها والعمل على منعها بأية حال من الأحوال. وكنت قد ذكرت لهؤلاء بصورة واضحة بأن انتقامنا سيتمثل بقصف جوي شديد على كل من اسطنبول وازمير بحيث يجعل عاليهما سافلهما.

بناء على ذلك فقد شرعت هيئة الأركان العامة التركية بمطالبة حلفائها الجدد بالتعجيل بتجهيز القوات المسلحة التركية بأسلحة مقاومة الطائرات وجعلوا تعاونهم مع الحلفاء رهين بوصول تلك الاسلحة والمعدات وعندئذ جد رجال البعثة العسكرية البريطانية باعداد قوائم مطولة بهذه الاسلحة واعتدتها ومعداتها الضرورية وقد لاحظت من الاطلاع على البرقيات المتبادلة فيما بينهم ان الانكليز يميلون لمماطلة الاتراك بهذا الصدد.

وقد لاحظنا ان الأسلحة المطلوبة بدأت تصل الى موانيء ثانوية امثال الاسكندرونة ومرسين ولكن ببطء شديد ثم تنقل منهما الى الاناضول بقطار طوروس ومعنى هذا التلكؤ ان التجهيز سيستمر زهاء السنة.

جاء في المذكرة الجوابية التي قدمتها الحكومة التركية للحكومة الانكليزية في ١٢ كانون الاول ١٩٤٣ والتي استرقها شيشرون من خزانة السفير الانكليزي سير هيوغ بعد ايام قلائل ووجدت سبيلها الى مكتبي اعتذار نعمان عن مساهمة تركيا في الحركات ضد سلانيك في ١٥ شباط ١٩٤٤ مالم يتم تجهيز القوات المسلحة التركية بتجهيزات ضرورية وبمقادير كافية.

اضطرب الحلفاء لوصول هذه المذكرة التركية الى ابعد الحدود . وكان من رأي السفير سير هيوغ صرف النظر عن التودد الى تركيا وانهاء علاقات الصداقة القائمة معها. الا ان وزير الخارجية سير انطوني ايدن اخبره ببرقية جوابية بأن هذا الاجراء العدائي غير ممكن في الظروف الدولية السائدة . لكنني اكدت لهتلر بأن تشرشل سوف لن ينفذ هجومه المزعوم على سلانيك في شباط ١٩٤٤ وكانت هذه المعلومات مهمة جدا لتوزيع القوات المسلحة الالمانية وفق الحركات الجارية.

اقتصرت معلوماتنا عن عملية (اوفر لورد) على معرفة هذا الأسم الرمزي

فحسب . ولقد بذلت جهودا مضاعفة في شتى الاتجاهات لمعرفة المزيد عن هذه العملية وتوخيت الحصول على مكان وزمان تنفيذها ولكن دون جدوى.

كان القرار التركي بالحصول على مقادير وفيرة من الاسلحة والتجهيزات من الحلفاء قبل الاقدام على الاشتراك بالحرب من القرارات الصائبة بطبيعة الحال وقد تفهمناه بكل ابعاده . وكنت لا ازال متعلقا بأمل الالتقاء في يوم ما مع كل من تشرشل وروزفلت ووضع اسس الدفاع المشتركة عن اوربا اذا قبلا بتجنب تعريض المانيا لذل الاستسلام بدون قيد او شرط. وكان السيد ايرل قد اكد للبارون فون ليرسنر مرات عديدة بأنه يتوقع الحصول قريبا على اجابة الرئيس روزفلت والتي ستكون لصالحنا.

اعطت مقررات مؤتمري طهران والقاهرة (التي اطلعنا عليها جميعا بفضل نشاط شيشرون) لهتلر وفون ريبنتروب صورة مجسدة عما سيحدث لالمانيا بعد انتهاء الحرب لصالح الحلفاء. وأردت من جانبي ان اشرح لهتلر محاولات التوسط وفتح الحوار مع روزفلت للتوصل الى نهاية مشرفة للحرب واردت مفاتحته بذلك في اول زيارة اقوم بها للمقر الأعلى. الا ان كانون الثاني ١٩٤٤ أطل علينا بأعمال وفيرة لم تدع لي مجالا للسفر الى المانيا . كما ان موقفي الشخصي تدهور في هذه الاثناء في نظر هتلر والزمرة المحيطة به وعليه فان الزيارة المنتظرة لم تتحقق الا في اواخر نيسان ١٩٤٤.

وعلى كل حال فانني يمكنني ان ازعم بأن المعلومات التي حصلت عليها بفضل عملية شيشرون اوضحت لي بجلاء مصير المانيا المنتظر ولذا فقد بذلت قصارى جهودي للتعجيل بانهاء الحرب. ووجب علي في تلك الفترة ان احاول الاتصال بالرئيس روزفلت بأمل تخليص المانيا من ذل الاستسلام بدون قيد او شرط وان لم اتمكن فالعمل على انهاء الحرب مع الحلفاء الغربيين لانقاذ المانيا من الخطر الشيوعي. ولم تكن مصلحة الأمن الالمانية ولا السيد مويتسيش على علم بفعالياتي هذه بطبيعة الحال.

لطالما سئلت عما آل اليه مصير شيشرون بعد الحرب . وقد قيل لي

انه امتهن الغناء في اسطنبول دون ان يحقق أي نجـاح يذكر ثم انه شرع بالتظلم بين آونة واخرى زاعماً بأنه تعرض للتضليل فأصابه الفقر وساءت حالته. ومـا لبثت شركة فوكس الامريكية ان صورت شريطا سينمائيا يعرض قصة شيشرون بصورة مشوهة ويدعى ذلك الشريط (الأصابع الخمسة) وهو مفعم بالاسائة الى زميلي الانكليزي سـير هيوغ . كما ان الأميرة البولندية التي حشرت شخصيتها في الرواية لم يكن لها أي وجود بالواقع.

تزايد عـدد افراد البعثة البريطانيـة في تركيا بصورة مضطردة رغم المذكرات العديدة التي وجهها السيد نعمان . كما ظهر إتجاه واضح بين قادة القوات التركية الى التصور بأن الحرب واقعة لا محالة . ولو ان اصدقاء المانيا الكثيرين ومنهـم سفير تركيا السـابق ببرلين السيد خسرو غيريده اكدوا لي مرارا بأن الحكومة وحزب الاكثرية ليست لهما أية رغبة في خوض غمار الحرب او حتى قطع العلاقات مع المانيا . ولم يتغير موقف الحكومة مني في مطلع العام الجديد حيث اهدى السيد نعمان لزوجتي بمناسبة رأس السنة تحفة فضية من أواني الطعام التركية القديمة.

أدى لوم الانكليز على تأخر تجهيز الجيش التركي بمتطلباته الضرورية الى نشوب ازمة داخلية حادة ضد قيادة الجيش ورئيس اركانه المشير فوزي تشاقماق. فقد زعم البعض ان الرجل اصبح في سن عالية وهو لا يتفهم ادارة الحرب الحديثة بالاضافة الى كونه منحاز للالمان بشكل سافر.

ويبدو ان الرئيس عصمة اينونو رأي أن من المناسب استبعاد صديقـه القديم ومساعده الكفوء تلبية لمتطلبات الموقف . وقد لعبت الولايات المتحدة الامريكية دورا مؤثرا في هذا المضمار . ولما اقيل المشير تشاقماق حل محله الفريق الأول قاسم اورباي ثم خلفه الفريق الأول صالح اومورتاغ وكلاهما من ذوي الميول الموالية للحلفاء الغربيين. لكن المشير فوزي باشا تشاقماق الذي قاتلت واياه سويا في جبهة الاردن عام ١٩١٨ والذي قاتل بشكل متميز الى جانب الرئيس الراحل اتاتورك وصديقه الحميم الرئيس عصمة اينونو في حرب الاستقلال كان اكثر من رئيـس هيئة اركان اعتيادي لأنه كان خبيرا في

جميع المسائل العسكرية وتتجسد بشخصيته الرائعة جميع المثل العليا وبخاصة الروح الوطنية الاصيلة وحب الشعب التركي. وانني لأعتبر نعت خصوم تركيا لهذا الرجل المجبول على المجاملة والمشهور بحسن الشمائل بأنه ميال للالمان او نعت قائد آخر بأنه ميال للانكليز من الاخطاء التي لا تغتفر ذلك لأن جميع القادة الاتراك كانوا من الوطنيين المتحمسين وكانوا جميعا يتصرفون وفق مصالح بلادهم ويخدمون شعبهم بكل اخلاص.

ويظهر ان برلين لم تكترث لهذه التغييرات لأنها كانت منشغلة بالاحتفال بيوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٤ وهو ذكرى وصول هتلر الى السلطة حيث تحتفل الاذاعة الالمانية في مثل ذلك اليوم من كل عام بكلمة يلقيها عادة هانز فريتشه وهو رجل حصيف عرفته فيما بعد عن كثب عندما سجن معي في نورمبرغ فبقينا معاً لفترة طويلة.

سافرنا في احد تلك الايام من اسطنبول الى بورصة بقصد المكوث في حماماتها بضعة ايام لمعالجة الروماتيزم المزمن الذي اعاني منه . لكن الهدوء الذي استمتعت به في عاصمة العثمانيين الرائعة لم يلبث ان انقطع بصورة مفاجئة بعد ان زارني أحد أعواني في السفارة وهو الدكتور الاردت واخبرني بأن أحد افراد ادارة الامن الالمانية العاملين في اسطنبول وهو الدكتور فرميهرن قد هرب الى صفوف الانكليز. والدكتور فرميهرن متزوج من البارونة پليتنبرغ وهي من قريباتي البعيدات وقد كان صدى هروب الرجل في برلين سيئا للغاية . وقد بالغ بعض خصومي الالداء فطالبوا باحالتي للمحاكمة فورا ولعل اسوأ النتائج المترتبة على ذلك الحادث هو ان ادارة الامن العسكري للقوات المسلحة التي كانت لا تزال برئاسة اميرالبحر ڤيلهلم كاناريس اسرعت باخبار هملر بالواقعة الذي اسرع بدوره باخبار هتلر . ومع انني عجلت بالسفر الى اسطنبول الا أن ذلك لم يحسن موقفي الذي اصبح فجأة في غاية الحرج. وقد علمت فيما بعد ان هملر تطوع بعرض فكرة انتقامية تتلخص بارسال طائرة خاصة تحمل مجموعة من رجال قطعات الحماية الذين يرتدون الملابس المدنية الى انقرة لاختطافي والعودة بي

تحت تأثير السلاح الى برلين ومع ان فون ريبنتروپ تحمس للفكرة الا ان هتلر لم يقبل تلك الخطة ورفضها جملة وتفصيلا.

في ٣ شباط ١٩٤٤ غادرت تركيا البعثة العسكرية الانكليزية وكان على رأسها الفريق الاول الطيار لينيل والملاحظ ان الاستحضارات لعملية الانزال المقررة يوم ١٥ شباط في سواحل سلانيك شملت الاستعدادات لاشراك القوة الجوية ايضا لكن هذه المحاولة اصطدمت بعناد الاتراك الذين آثروا التريث قبل الاقدام على خوض غمار الحرب . ولما فشلت عملية الانزال في سلانيك هاجمت الصحافة البريطانية حكومتها بسبب فشلها دبلوماسيا وعسكريا في تنفيذ هذه الخطة . بينما وصلت العلاقات الانكليزية ــ التركية الى اسوأ حالاتها لذات السبب.

في ٨ شباط ١٩٤٤ وجهنا الدعوة لاعضاء الحكومة التركية ولعدد من اصدقائنا لحضور حفلة موسيقيــة يعزف فيها على الپيانو العازف الالماني المشهور ڤالتر غيسه‌كنغ وقد حضر الحفلة السيد نعمان الذي يهوى الموسيقى ولم يخف على شعوره بعدم الارتياح للموقف السائد . وزعم بأن تركيــا لم يعد بمقدورها الاستمرار على التسبب في تدهور العلاقات القائمة بينها وبين الانكليز وحلفائهم الامريكان . وانه يرى ان من واجبه محاولة ايجاد مجال آخر للتقارب معهم. ففهمت انه كان يقصد المجال الاقتصادي.

ثم ان حكومة برلين لم تتفهم موقف الحكومة التركية وبالتالي فهي لم تسهل عليها الامور من جانبهــا . فقد حدث ان تأزمت العلاقات بين الحكومتين الالمانية والهنغــارية حتى خشي رئيس الوزراء الهنغاري فون كالاي على حياته فلجأ تحت جنح الظلام الى القنصلية التركية في بودابست فاستشاط وزير الخــارجية الالماني فون ريبنتروپ غضبا وكلمني بالهاتف طالبا من الحكومة التركية الامتناع عن منح فون كالاي حق اللجوء السياسي الى بلادها. ولم اكن لأقبل ــ بطبيعة الحال ــ تعريض حياة رجل الدولة الهنغاري للخطر . وبعد محاورة ودية للغــاية مع وزير الخارجية التركي

نعمان اقنعته بابقاء ذلك اللاجيء في قنصليتهم متمتعا بحصاناتها الدبلوماسية. ثم أخبرت فون ريبنتروپ بأن الاتراك لم يوافقوا على الطلب.

وأراد هتلر في تلك الفترة ملاحقة اليهود الالمان الفارين من المانيا لأنه لمس مكائدهم والحاقهم الضرر بالمجهود الحربي الالماني فأمر بسحب جوازات سفر جميع الالمان اللاجئين الى تركيا واعلان تجريدهم من الجنسية الالمانية. فأتصلت بفون ريبنتروپ هاتفيا واخبرته بصعوبة تنفيذ هذا الطلب لأن أغلب الالمان المقيمين في تركيا هم من اساتذة الجـامعات وقد اشتغلوا في تركيا بموافقة الحكومة الالمانية . ثم انني ذكرت له بأن بعض الالمان المقيمين في تركيا ليسو من اليهود وانهم يحبون بلادهم ويتعاطفون معها الى ابعدالحدود ولذا فليس من المعقول مقابلة حمـاسهم الوطني بسحب جوازات سفرهـم وتجريدهم من صفة المواطنة الالمانية . والواقع هو اننا سوف لن نؤثر على هؤلاء وهؤلاء باجراءاتنا هذه قيد انملـة . وقد قوبلت على موقفي هذا بالسخط والادعاء بأنني كنت اشتري حوائجي من مخازن اليهود في تركيا وهو زعم ظالم لا اساس له من الصحة.

وحدث ان قمت بعمل انساني لصالح اليهود في هذه الفترة عندمـا اتصل بي صديق يهودي قديم هو الاستاذ الدكتور مارشيونيني الاختصاصي بالامراض الجلدية بالمستشفى المركزي بأنقرة ورجاني قبول زيارة امين سر اللجنة الصهيونية في تركيا بارلاخ فلمـا زارني الأخير اخبرني بأنه يود ان يوسطني لانقاذ زهاء عشرة الاف يهوديعزلوا في جنوبفرنسا تمهيدا لسوقهم الى معسكر الابادة في پولاندا وهؤلاء اليهود كانوا من حملة الجنسية التركية وقد هاجروا الى فرنسا قبيل الحرب. فوعدته ببذل المساعي لانقاذ ارواح هؤلاء الناس . وكان ان اتصلت بنعمان منمنجي اوغلو واخبرته بأنه ليس هناك ثمة امل في انقاذ اولئك اليهود لأنهم ليست لهم صفة المواطنة التركية قانونا لكنني اقترحت عليه توجيه رسالة رسمية الي لكي استحصل موافقة هتلر على اخلاء سبيلهم حفظا لعلاقات الصداقة القائمة بين بلدينا وكان ان نجحت الفكرة عندما استجاب هتلر للطلب التركي ولم يأمر بتصفية اولئك اليهود.

أدت المصائب المتعاقبة التي لحقت بألمانيا في تلك الفترة الى معاودتي التفكير في انقاذ بلادي وتجديد محاولة الاتصال مع الرئيس الامريكي روزفلت على امل التوصل الى صلح مشرف تخرج به المانيا محافظة على كرامتها وسيادتها دون ان يتعرض الشعب الالماني للهوان فرجوت صديقي البارون فون ليرستر في آذار ١٩٤٤ ان يجدد الاتصال مع ايرل واكدت عليه ضرورة الامتناع عن تزويده بأية مستمسكات مكتوبة والحصول منه على اجابة الرئيس روزفلت. واتخذت الترتيبات اللازمة لسفر السيد ايرل الى برلين. والالتقاء بأصحابي فيها (وهما السيدان فون بسمارك وفون هيلدورف) لوضع اسس التصرف لتحديد مصير هتلر واحالته للمحاكمة بعد القاء القبض عليه. وعلى الرئيس الامريكي ان يتخذ قراره العاجل لايقاف القتال على طول الجبهة الغربية[٧] وتحويل قوات الحلفاء والقوات الالمانية الى الشرق لايقاف اندفاع القوات الروسية وضمان استقلال المانيا وفق حدودها لعام ١٩٣٨ مع ضمان استقلال دول البلقان المتحالفة مع المانيا . ويجب ان تكون هذه المباديء هي الاساس المعتمد في المفاوضات السرية القائمة لانقاذ أوربا.

واذا وجد الرئيس الامريكي نفسه على استعداد لقبول مقترحي هذا أي انه في حالة تبديل النظام النازي القائم بنظام وطني الماني بديل فيجب التخلي عن طلب استسلام المانيا بدون قيد او شرط لكي تتمكن من التفاوض على اسس مشرفة لانهاء الحرب . وحتى أضمن سلامة رفيقي غراف هيلدورف وغراف بسمارك عند التقائهما سرا مع المفاوض الامريكي ايرل فقد اقترحت ان يكون اللقاء في مكان ما من البلقان ليكون الثلاثة بمنجاة من مراقبة الشرطة السرية للدولة .

وقد اوضح السيد ايرل في مقابلة صحفية اجراها يوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٩ لصحيفة (فيلادلفيا انكوايرر) ما يلي بشأن الواقعة المذكورة :

---

(٧) كانت القوات الالمانية مشتبكة بقوات الحلفاء في ايطاليا فقط ولم يكن انزال الحلفاء في نورماندي شمال فرنسا قد تم تنفيذه بعد.
ـ المترجم ـ

«اوصلنا هذا المقترح مع رسول خاص للرئيس روزفلت فورا . فلما اطلع عليه اصدر اوامره التي تنص على ان أي تفاوض مع العدو لا يمكن ان يتم الا مع القائد العام لقوات الحلفاء الفريق الاول آيزنهاور».

وبذا وصلت محاولتي الى طريق مسدود . ذلك لأنني ليس لدي اية امكانية للاتصال بالقائد الامريكي آيزنهاور بالاضافة الى انه ليس بمقدوره اتخاذ أي قرار سياسي مهما كان مستواه بله اتخاذ مثل هذا القرار الحاسم. ثم ان السيد ايرل اوضح بأن قرار الرئيس هذا دعاه للطيران الى واشنطن لكي يقابل الرئيس شخصيا ويجدد المحاولة لتحريضه على عقد صلح جزئي مع المانيا من اجل انقاذ اوربا من الخطر الروسي الداهم . وقد قال بشأن اجابة الرئيس روزفلت على هذه المحاولة:

« الا ان الرئيس اوضح لي بأن غزو فرنسا بات وشيكا وان الالمان سيتم دحرهم خلال أشهر معدودة. ثم ان روسيا العديدة القوميات والتي يتكلم سكانها عدة لغات مختلفة لا يمكن ان تشكل خطرا جديا . وسيصبح الغرب هو المتفوق بعد الحرب دون منازع».

عندئذ قال ايرل بأنه هدد الرئيس روزفلت بقوله انه اذا لم يستجب لنداء السلام خلال اسبوع واحد فسيشهر بسياسته علنا ويفضح اصراره على الحرب ويخبر الشعب الامريكي بخطل سياسة الرئيس روزفلت لأنه سيتسبب في تعريض امريكا لخطر مباشر مصدره روسيا . فذكر ايرل تفاصيل تلك المقابلة بقوله:

« عندئذ كتب الرئيس فورا وبصورة لا تقبل الشك : انني امنعك من عرض اية معلومات او آراء بهذا الشأن بصورة علنية لأنك حصلت على هذه المعلومات بحكم اشتغالك بالأسطول الامريكي او بوسيلة اتاحتها لك وظيفتك بشكل ما طالما بقيت بالخدمة الرسمية . ثم ان الرئيس جعل قراره هذا بأثر رجعي. وأصدر امره بانهاء وظيفتي كملحق بحري في سفارة الولايات المتحدة الامريكية بتركيا . وطلب من قيادة الاسطول جعلي بمنصب نائب حاكم جزر ساموا في المحيط الهادي حيث سأساهم في حكم منطقة يبلغ تعداد

سكانها ١٦٠٠٠ نسمة ».

وانني احيي موقف السيد ايرل واتخاذه القرار بمقابلة الرئيس روزفلت شخصيا وقد ذكرني العقاب الذي تعرض له بتجربة مشابهة سبق ان عشتها مع المستشار الالماني بيتمان عندما سألني رأيي بشأن حرب الغواصات في عام ١٩١٦ فلما اجبته بغير ما يشتهي ونشرت الصحف ذلك اصدر اوامره للقائد فون فالكنهاين بالحاقي بفوج مشاة مقاتل في الجبهة الغربية خلال ٢٤ ساعة.

ما ان حلت ايام عيد الفصح لسنة ١٩٤٤ الا ووجدنا انفسنا في خضم ازمة عائلية كان مسرحها مدينة اسطنبول. فقد سقطت اوديسا بيد الروس واصبحت شبه جزيرة القرم مطوقة من جميع الجهات واصبحنا بقلق شديد بشأن مصير ابنتنا ايزابيلا التي حاولت الالتحاق بعد تمتعها بالاجازة بمستشفى الميدان في القرم . وقد حاول سفير البابا في انقرة المطران رونكالي التخفيف علينا من وطأة الحادث فصور لنا الموقف بشكل يوحي بالأمل. ولما وجدت لديه عطفا شديدا على الشعب الالماني حاولت توسيطه لدى الحلفاء لعل الفاتيكان يؤثر على زعمائهم فيستجيبوا لنداء الانسانية.

في ٢٠ نيسان ١٩٤٤ اتصل بي وزير خارجية تركيا السيد نعمان واخبرني بأنه يأسف كثيرا لأن حكومته اتخذت قرارا بايقاف تزويد المانيا بمعدن الكروم اعتبارا من ١ مايس ١٩٤٤ وكنت اتوقع مثل هذا القرار منذ امد بعيد لأن الحلفاء كانوا متعضين من تزويد تركيا لنا بهذه المادة . ومن الطبيعي لن هذا القرار جاء ضربة شديدة لبرلين بسبب حاجة صناعة فولاذ الدبابات لهذه المادة الحيوية . ولابد ان يكون افتقاد هذه المادة معوقا لمجهودنا الحربي. وكان ان عمدت برلين الى مضاعفة احمال القطارات من الكروم خلال الايام العشرة المتبقية واستطعنا بفضل تعاون رجال سكك الحديد الاتراك نقل اكبر كمية ممكنة من هذه المادة خلال تلك الايام العشرة.

كان رد فعل فون ريبنتروب على الاجراء التركي شديدا . حيث ابرق لي يأمرني بالعودة فورا الى برلين . وفي ٢٦ نيسان ١٩٤٤ طرت الى برلين

وبصحبتي ابنتي الصغرى. وكانت تلك السفرة معقدة للغاية لأن الطيران فوق تراقيا الشرقية لم يكن مسموحا . كما ان الطيران بطائرة غير مسلحة من طراز يونكرز فوق البلقان في الوقت الذي تفاقم به شر طائرات الحلفاءفي تلك المنطقة اصبح من الامور البالغة الخطورة . وفي ٢٧ نيسان ١٩٤٤اعلنت الحكومة الالمانية بأن السفير الالماني في انقرة سوف لن يعود الى تركيا . ولما اخبرني فون ريبنتروپ بهذا الاجراء وقال لي انه سيوجه مذكرة شديدة اللهجة للحكومة التركية تتضمن التهديد باتخاذ اجراءات انتقامية قلت له ان مثل هذه المذكرة ستكون عديمة القيمة وستكون مصدر تندر الحلفاء وانني ارى ان أي اجراء من شأنه التسبب في توتر علاقاتنا مع تركيا لابد ان يكون قرارا مغلوطا. فالسفير يجب ان يبقى بموقفه حتى في حالة نشوب نزاع سياسي بين الدولتين . واذا اراد ابعادي عن منصبي في هذه الفترة بالذات فمن الافضل الاعلان عن منحي اجازة اعتيادية . ويمكنه بعدئذ الاعلان عن استقالتي الا ان فون ريبنتروپ لم يتقبل هذا الرأي وقال ان القرار في هذه القضية سيصدر عن الزعيم نفسه.

قابلت هتلر وكان معي وزير الخارجية فعرضت عليه الموقف بكل تفاصيله ثم طرحت عليه مقترحي كما بين فون ريبنتروپ مقترحه هو الآخر وعندئذ اتخذ قراره الذي يتضمن عدم الاقدام على اصدار أي تهديد بالانتقام طالما نحن غير قادرين فعلا على تنفيذ الوعيد الذي سنقدم على توجيهه للاتراك. وايد مقترحي مؤكدا ان السفير يجب ان يبقى في موقعه حتى في حالة نشوب نزاع سياسي بين الدولتين وامرني بالطيران فورا الى انقرة.

ذكرت في معرض وصفي للموقف السائد كيف ان شيشرون زودنا ببرقيات تتضمن مقررات مؤتمر طهران . فأعاد هتلر على مسامعنا ما يضمره الحلفاء من شر لالمانيا وكيف انهم يبغون تمزيق المانيا واجبارها علىالاستسلام بدون قيد او شرط. ثم اكد رفضه لفتح أي حوار مع الحلفاء بقصدالتوصل الى اتفاق سلمي. الا انه كان يعتقد باحتمال تغير آراء الانكليز والامريكان في حالة تقدم الروس بخطى حثيثة نحو اوربا وقد ايده فون ريبنتروپ بطبيعة

الحال لأنه كان يرى عدم وجود أي امل في مناقشة الاعداء.

في ذلك اليوم بالذات وصلني نبأ اصابة ولدي (الذي كانت وحدته ـ وهي كتيبة استطلاع مدرعة ـ ترابط في رينز بفرنسا) بجرح شديد اخلي بسببه الى احدى مستشفيات پاريس فرجوت هتلر السماح لي بزيارة قصيرة لباريس فوافق على سفري اليها.

سافرت بالقطار مارا بساربروكن وميتز وشالون سورمارن فتأثرت كثيرا لاصابة هذه الاخيرة بالتدمير الشديد بتأثير غارات الحلفاء الجوية نظرا لكونها عقدة مهمة لسكك الحديد . وكانت القوات الجوية للحلفاء قد دأبت منذ اسابيع عديدة على مهاجمة سكك الحديد الفرنسية وجسور السكك ومنشآت المواصلات الاخرى في طول فرنسا وعرضها . ولم يبق في ميتز سوى خط حديد واحد صالح للتنقل بعد ان بذلت جهود مضاعفة لجعله صالحا. وهناك اكتشفت وجود سفيرنا الذي خدم فترة طويلة بموسكو فريدريش ڤيرنر غراف فون دير شولنبورغ الذي كان مسافرا الى باريس هو الآخر ليبقى بها بضعة ايام. وكانت تلك المناسبة هي المرة الاخيرة التي شاهدته فيها لأنه فقد حياته بعدئذ عندما اصبح احد ضحايا محاولة اغتيال هتلر الفاشلة في ٢٠ تموز ١٩٤٤ .

بعد ان اطمأننت على ولدي وتأكدت من نجاح العملية الجراحية التي اجريت له حاولت الحصول على انطباع واضح عن طبيعة الموقف السائد في فرنسا . فزرت المشير غيرد فون روند شتيدت بمقره لكي احصل على ايضاح مطمن عن الاجراءات الدفاعية المتخذة ازاء الانزال المعادي المحتمل وشيكا. وكان فون روندشتيدت متشككا من مقدرة دفاعاتنا على الصمود بعد ان افلح الطيران المعادي في تدمير شبكات المواصلات وبخاصة سكك الحديد الفرنسية لدرجة جعلت تنقل الاحتياطات في غاية الصعوبة. وقال لي انه سبق ان اخبر هتلر بهذا الموقف . ولم اتمكن من مفاتحته بشأن التآمر لازاحة هتلر عن السلطة لأننا لم نكن على انفراد.

ولما زرت حاكم باريس العسكري الفريق هـاينريش فون شتولپناغل وجدت تشاؤمه يفوق التشاؤم الذي ابداه المشير فون روند شتيدت.

اقام السفير الالماني اوتو آبيتس بمناسبة وجودي بباريس وليمة فطور دعى اليها رئيس وزراء فرنسا پيير لاڤال وبعض الزعماء الفرنسيين الآخرين. وقد اختلى بي الوزير لاڤال وقال لي بأنه بذل قصارى جهوده بعد اندحار فرنسا متعاونا مع المانيا في سبيل اعادة ترتيب اوربا الموحدة . ولكن هتلر لم يشأ تحقيق هذه الامنية العزيزة. والآن وقد اصبح الغزو متوقعا من يوم لآخر فاذا نجح الحلفاء في الاندفاع من فرنسا نحو اعماق اوربا فمعنى هذا نهاية الحرب ونهاية هتلر معاً. وان انقاذ هتلر من وهدته لن يتم الا بتعاون الشعب الفرنسي مع الالمان لاجتياز هذه المحنة. ولن يتم هذا التعاون الا بعد وضع اسس جديدة للتعاون الالماني الفرنسي.

ثم رجاني ان اوضح لهتلر بأن هذه الفترة ربما تكون آخر فرصـة متاحة لنا لتحقيق التعـاون بين الشعبين وإذا اردنا ضمان بقـاء الشعب الفرنسي الى جانب المانيا عندما يقوم الانكليز والامريكان بالغزو المحتمل لفرنسا فيجب ان يثبت له هتلر انه يبادله اخلاصا باخلاص ويأمر بالتخلي عن جميع التحديدات والاجراءات القسرية المفروضة عليه.

تأثرت كثيرا لمصارحة رجل الدولة الفرنسي لاڤال الذي تعاون معنا الى ابعد الحدود وحافظ على العلاقات الالمانية الفرنسية في تلك الفترة الحرجـة من تاريخ فرنسا . ومع انني لم استطع منحه الا امل ضئيل القدر الا انني تعهدت له بنقل اقواله هذه الى هتلر في اول فرصة.

بعد ٢٤ ساعة كنت مع هتلر . وقد توضحت امام ناظري بكل جلاء الاوهام التي تعلق بها هذا الرجل . فقد طالبت يوغسلافيا آنذاك بالحصول على ميناء كاتارو على ساحل دالماسيا الا ان هتلر لم يقبل بذلك لأنه اعتبر الميناء المذكور (ميناء حربي الماني) وموقع مهم لسيطرة المانيا على شرق البحر الابيض المتوسط. كما انه رفض المقترحات التي نوه عنهـا رئيس وزراء فرنسا.

ما ان رجعت الى انقرة الا واجرى الحلفاء غزوهم المنتظر لساحل فرنسا يوم ٦ حزيران ١٩٤٤ بتطبيق خطة (اوفر لورد) التي كنا نجهل زمانها ومكانها . وبعد عشرة ايام اقيل السيد نعمان منمنجي اوغلو من منصب وزير خارجية تركيا وكنا نحن المسببين لاقالته . فقد رجت قيادة الاسطول الالماني استحصال موافقة الاتراك على مرور بضعة سفن صغيرة من الموانيء الرومانية عبر المضائق التركية وبحر ايجه وأكد الملحق البحري بسفارتنا امير البحر فون دير مارفتز للاتراك بأن تلك السفن خالية من اية صفة حربية وهي لا تحمل اية اسلحة او مهمات كما ان ركابها كلهم من المدنيين وهم غير مسلحين ولا تتوفر على ظهور السفن اية اسلحة للرمي الفوري. وما ان مرت اول سفينة المانية عبر المضائق الا وقابلها الحلفاء بتوجيه أشد الاحتجاجات للحكومة التركية.

أخبرني الوزير نعمان بأن السفن التالية سوف لن يسمح لها الاتراك بالمرور ما لم اؤكد له شخصيا بأنها لا علاقة لها بالمجهود الحربي الالماني كما يزعم الحلفاء. فكلفت الملحق البحري بمهمة التحري شخصيا في تلك السفن وتقديم تقرير بحمولتها وركابها . ولما اكدنا لوزير الخارجية التركي خلو السفن من المحظورات أوعزت السلطات التركية لادارة الموانيء بالسماح للسفينة الثانية بالمرور . ولما فتشها رجال الكمارك الاتراك اخبروا حكومتهم بأن السفينة كانت محملة بأسلحة خفيفة واجهزة رادار كما وجدت في مخازنها ملابس عسكرية تخص الرجال الذين يرتدون الملابس المدنية وهم على ظهرها. وبناء على ذلك فقد منعت تلك السفينة من المرور . وانني على ثقة من ان ملحقنا البحري تعرض للتضليل بشأن طبيعة حمولات السفن المذكورة . فهو دبلوماسي مجرب ولا يمكن ان يعرضني للمأزق المحرج الذي جعلني بموقف لا احسد عليه ازاء الحكومة التركية . وكانت النتيجة المؤسفة التي ترتبت على تقديمنا تقارير غير صحيحة للوزير نعمان مما جعله عرضة للوم والتأنيب لدرجة فقد معها منصبه الرفيع. ولم يأسف احد على اقالة السيد نعمان منمنجي اوغلو مثل اسفي عليه. فهذا الرجل الذكي الذي لا مثيل

له تميز بالحصافة والمرونة في ادارة السياسة الخارجية لبلاده • الا ان عزائي هو ان اقالته عن منصبه لم تؤثر على صداقتنا الشخصية قيد شعرة •

لم تتمكن القوات الالمانية من القضاء على قوات الحلفاء الغازية لفرنسا وكان الخرق الواسع في منطقة آفرانشيبه بداية الصفحة النهائية للغزو التي اراد بها الحلفاء ترسيخ اقدامهم على ارض قارة اوربا، واصبح من الواضح تماما ان تركيا اخذت تتعرض الى ضغوط اشد لزجها بالحرب • وقد صح ما توقعناه تماما عندما قدم الحلفاء مذكرة لتركيا يخبرونها فيها بأنها اذا ما أرادت مراعاة موقفها في مفاوضات السلام فعليها الاسراع بالدخول في الحرب الى جانبهم• ثم ان روسيا التي ستخرج منتصرة من الحرب لابد ان تهدد تركيا بمطالبها الباهظة وعندئذ سوف لن يكون بمقدور الحلفاء الوقوف الى جانب تركيا ما لم تكن الى جانبهم في الحرب• وهكذا اصبح اشتراك تركيا بالحرب الحل الوحيد الذي ينقذ تركيا من مطالبات الروس بالمضائق والمناطق الكائنة شرق البحر الابيض المتوسط•

وعلى الرغم من هذا الموقف الدقيق الذي تعرض له الاتراك فقد قيل لي ان عددا كبيرا من ممثلي التجمع الوطني التركي نادوا بضرورة الحفاظ على الصداقة التقليدية القائمة بين تركيا والمانيا • ولكن ذلك كل لم يجد فتيلا، فقد حم القضاء واتخذ التجمع الوطني قراره في ٢ آب ١٩٤٤ بقطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا وهو قرار تقبلته بتفهم تام• وكنت قد اخبرت برلين باحتمال حصول هذا الأمر منذ أمد بعيد•

كانت حادثة انتهاء مهمتي الدبلوماسية في تركيا مؤلمة جدا، وعندما زرت الرئيس عصمة اينونو مودعا تبادلنا ذكرياتنا في الايام السالفة الجميلة وقد قال لي الرجل بهذه المناسبة:

« عندما يدعو الموقف توسطي لصالح المانيا فانني سأكون دوما على اتم استعداد للنهوض بمثل هذه المهمة • كما ان علاقاتنا الشخصية لا يمكن ان تتأثر رغم الاحداث التأريخية التي مرت بنا»•

وقبل ذلك اليوم بأسبوعين وافتنا الاخبـار بحصول محاولة فاشلة لاغتيال هتلر في ٢٠ تموز ١٩٤٤ وقد علمت بالمحـاولة في عصر ذلك اليوم نفسه عندما كنت في ثيرابيا ضـاحية اسطنبول. وقيل لي ان المدبر الأول للمحـاولة هو العقيد الركن كلاوس غراف فون شتـاوفنبرغ. وفي المساء تأكدنا من فشل المحاولة . ثم وافتنا الاخبـار بأن الشرطـة السرية للدولة استأصلت شأفة المشتركين بالمؤامرة والعالمين بها. ثم القى روبرت لاي كلمة في دار الاذاعة حمّل بها وزر المحاولة هيئة ضباط الجيش الالماني والمحافظين الالمان ثم اذاع راديو برلين بعض اسماء المتآمرين الذين القى القبض عليهم ولاقوا مصيرهم وكان بينهم غراف هيلدورف وغراف بسمارك ولا يمكنني وصف حالة الحزن التي تعرضت لها بسبب هذه الواقعة.

وقد اقترح علي السيد ينكه ارسال برقية تهنئة لهتلر احمد الله بها على سلامته وبقاء حياته الثمينة للشعب الالماني.

استمعت في مساء يوم ٢ آب ١٩٤٤ لخطاب القاه تشرشل في الاذاعة تطرق فيه لانتصارات الحلفاء المتوالية واشار الى محاولة اغتيال هتلر الفاشلة والنتائج التي ترتبت عليها . وفي الختام ذكر انه مسرور لانقطاع العلاقات الدبلوماسية بين تركيا والمانيا . وقال ان سفير المانيا بأنقرة الذي سبق ان نجا من حمام الدم في ٣٠ حزيران ١٩٣٤ لابد ان يصيبه هذه المرة شيء من التصفية التي اعقبت محاولة الاغتيال الفاشلة .

ويبدو ان لتحذير تشرشل ما يبرره . فقد سبق للرئيس اينونو ان حدثه بشأن المساعي التي ابذلهـا في سبيل تحقيق السلام المشرف لألمانيا . ولربما اخبره الرئيس الامريكي روزفلت بشأن الرسالة التي سبق ان وجهتها له. وهو يعلم ان هتلر ــ اذا ما ساوره ادنى شك بأمري ــ فسوف لن يغفر لي تصرفاتي هذه قط.

في هذا الموقف الحرج بالذات اتصل بي احد رؤساء البعثات الدبلوماسية المحايدة بتكليف من الحلفاء يطلب الي المكوث في تركيا وعدم مبارحتها ابدا زاعماً ان مصيري اصبح واضحا تماما ولذا فان عودتي الى المانيا اصبحت

محفوفة بالخطر . وقال ان الحلفاء يضمنون سلامتي اذا ما اعلنت اداتني للنظام النازي وانفصالي عنه . الا انني ربأت بنفسي عن الانحدار الى حضيض الخيانة وقلت له بأنني افضل الموت في بلادي على اللجوء الى بلد اجنبي بهذا الشكل المخزي. وبعد يومين رحلت الى المانيا متمثلا بالكلمة المأثورة التي قالها الفريق مونك للملك كارل الأول وكروموبل:

« ان من واجبنا ان نناضل دوما في سبيل وطننا بصرف النظر عن شكل الحكومة القائمة في بلادنا ».

الفصل الحادي والثلاثون

تم اعتقالي



الرجوع الى المانيا . الموقف بعد محاولة الاغتيال . محادثة مع الامير بسمارك . آخر محاورة مع هتلر. رجعت الى السار . الجدار الغربي بلا اسلحة وبلا جنود . الحلفاء يمارسون تعبية غير مفهومة. احتججت لدى هتلر بسبب اخلاء اقليم السـار . خرق امريكي. آخر محاولة المانية للصمود في الجبهة الغربيـة . وفاة روزفلت. معسكرات الاعتقال. في مقر آيزنهاور. لقاء مع هورتي. عزلت لأنني مجرم حرب . العقيد اندروس . رسالة من هورتي الى تشرشل . وصلت الى نورمبرغ .

أمرني فون ريبنتروپ بمغادرة تركيا خلال ٢٤ ساعة . وهذا ما يجعل تسليم مسؤولية رعاية مصالحنا للسفارة السويسرية في انقرة متعذراه وفي ٥ آب ١٩٤٤ غادرت تركيا التي قضيت فيها افضل سنوات خدمتي مستقلا عربة وزير الخارجية بقطار الشرق السريع الذي اجتاز بي الحدود الى بلغاريا وكانت معي زوجتي وحفيدتي التي كان ولدي قد ارسلها لتتربى في احضان جدتها.

وكان صدى انقطاع العلاقات الالمانية ـ التركية شـديد الوطأة على حلفائنا البلغار الذين تطيروا من هذه البادرة الخطيرة . وظهرت للعلن امارات التعاطف مع روسيا التي ترتبط مع بلغاريا برابطة القومية السلافية كما ظهرت للعلن بعض النداءات العدوانية الموجهة ضد تركيا والتي كانت كامنة في نفوس القوم. وشعرت اينما حللت في تلك البلاد بأنني محاط بحفاوة بالغة . وعندما وصل القطار الى محطة صوفيا وجدت جمعا غفيرا من المستقبليـن وهـم يحملون لنا اضمامات الورود ويهدون لنا سلال الفواكه النفيسة. اما افراد القنصلية الالمانية في صوفيا فقد كانوا قد غادروا المدينـة قبل مدة وجيزة خشية وقوعهم بأيدي رجال الجيش الروسي الذي كان يسعى حثيثا نحوها.

وقد حياني وزير خارجية بلغاريا السيد دراغنوف ـ وكان من زملائي القدماء ـ بترحاب بالغ لأنه سبق ان خدم معي سفيرا لبلاده في ڤينا ابان مدة خدمتي فيها. كما انه خدم بمنصب مشابه في سفارة بلاده ببرلين لمدة طويلة وقد تلقاني الرجل من فيليپ پول وصحبني بالقطار حتى اوصلني الى صوفيا . وقد تحدث الي ملياً بشأن تطورات الموقف المحرج الذي وصلنـا اليه . وكان ان توصل الدبلوماسي الذكي الى استنتاجات تدل على الحصافة فأصاب بها كبد الحقيقة مستجليا اسرار الأيام القابلة . فتكاشفنا ولم نخف قلقنا العميق بشأن المستقبل فأسديت له نصيحة مفادها ان على بلاده التملص من النزاع الناشب في جنوب شرق اوربا بأسرع ما يمكن بالانحيـاز للدول الغربية.

تحرى عني في صوفيا رئيس وزرائها ولاحظت ان عاصمة بلغاريا ـ شأنها شأن بلغراد ـ قد أصابها دمار ماحق بفعل الغارات الجوية التي شـنها عليها الحلفاء. وكان المشير فون ڤايكس قد أمر بتخصيص عربة قطار بالغة الاناقة لي اذ وجدت ان جدرانها مطلية بلون سماوي مريح وعليها شـارة البيت المالك اليوناني. ولما وصلنا الى بوداپست ـ لؤلؤة الدانوب ـ الفيتها سالمة من الدمار وقد ران عليها هدوء يوحي بالسلام وتمتع اهلوها بشمس الخريف . الا ان امير البحر هورتي كان قد عزله هتلر من الوصاية على عرش

المجر. وفي صباح اليوم التالي عبر قطارنا الحدود الالمانية وكنت اتوقع ظهور رجال من الشرطة السرية للدولة لالقاء القبض علي في اية لحظة لأن احتمال وجود اسمي في اوراق الكثير من الرجال الذين القي القبض عليهم نتيجة لمحاولة اغتيال هتلر الفاشلة يوم ٢٠ تموز ١٩٤٤ او ان اسمي ربما ورد في التحقيق مع البعض منهم. وعلى أية حال فانني اعطيت حفيدتي الوصايا الضرورية لمعرفة طبيعة الموقف الذي اعيشه وتصرفاتها الواجبة في حالة احتجازي وابعادي عنها.

ولكن الله سلم ولم اتعرض الى اية مزعجات فلما وصلنا الى دريسدن رأيت سائقي الامين بانتظاري فأرسلت معه حفيدتي وعفشي الى ڤالرفانغن. وفكرت انني ربما سيتم اعتقالي بعد وصولي الى برلين تجنبا للضجة الناجمة عن اعتقالي حال وصولي للوطن. ولما وصلنا الى محطة قطار پوتسدام حانت اللحظات الحرجة التي توقعت فيها ظهور الرجال المكلفين باعتقالي في اية لحظة. الا انني استغربت كثيرا عندما وجدت بانتظاري جمع من كبار موظفي وزارة الخارجية برئاسة الوزير المفوض البارون فون دوينبرغ. وقد لاحظت من الوهلة الأولى ان التحفظ الشديد هو السيماء المميزة لتصرفات اولئك السادة . وقد علمت من البارون فون دوينبرغ بأسماء بعض المعتقلين من رجال وازرة الخارجية وكان منهم السيد فون تروت تسو زولتس والسيد فون هيفتن وقال بأنه يتوقع اعتقال السفير غراف فون دير شولنبورغ خلال ساعات قلائل . أما انا فقد اخبرني بوجوب الحضور في اليوم التالي بمقر الزعيم . كما علمت بأن الأمير اوتو فون بسمارك كان يسعى لمقابلتي بلهفة شديدة فدعوت الأمير لتناول طعام العشاء في منزلي مساء ذلك اليوم . فلما وافاني الرجل ابدينا قلقنا بشأن مصير أخيه الصغير غراف غوتفريد فون بسمارك وكان هذا عضوا سابقا في الحزب النازي ومحافظاً لمدينة پوتسدام. وقد رجاني الأمير اوتو ان اتوسط لدى هتلر لانقاذ حياة شقيقه السجين من الموت الزؤام الذي يوشك ان يعصف بها. وللمرء ان يقدر مدى حراجة موقفي ازاء هذا الرجاء في تلك الفترة التي لم اكن بها آمناً على حياتي ولما

لم يكن من الفطنة في شيء ان أخيب ظن الأخ الملهوف على حياة اخيه فقد وعدته ان ابذل ما في وسعي بهذا الصدد.

استقللت القطار من محطة القطار التي محقتها الغارات الجوية وسافرت في ساعة متأخرة من تلك الليلة الى پروسيا الشرقية وكان ركاب القطار قليلين. وفجأة التقيت بمارتن بورمان المتلفع بقناع المكر والغموض فبادرني بابتسامة ملؤها التهكم وقال لي:

« ها قد اصبحت انت ايضا من المرشحين للتصفية ».

فتجملت بالصبر معللا نفسي بالأمل. ولما وصلت الى المقر الأعلى وجدت الوجوم هو الحالة السائدة على وجوه القوم. ولم اجد من صديقي اللذين اعتمدت عليهما وهما السيد فون شميدن والدكتور ميغيرله أية نصيحة او مشورة نافعة. اما الوزير فون ريبنتروپ فكان قد اعتراه غضب شديد (لخيانة) الأتراك وكان في غاية الخنق على المساهمين في محاولة اغتيال هتلر يوم ٢٠ تموز ١٩٤٤ وقد اشتد غضبه على موظفي وزارة الخارجية الذين شاركوا في تلك المحاولة . وترتب علي خوض مناقشة حساسة بشأن انقطاع العلاقات الدبلوماسية مع تركيا . وقد علمت بأن احد المتآمرين وهو غراف ليهندورف قد القي القبض عليه ثم تمكن من الهروب فكتبت له النجاة.

قابلت هتلر عصر اليوم التالي حيث تم ايصالي الى المنعة التي يتحصن بها بعد اجراءات امنية معقدة . حيث كانت الحراسة مضاعفة في نقاط السيطرة وصار كل زائر يتعرض لتفتيش دقيق يشمل القبعة والسترة ومحتويات الحقيبة وكل ما يحمله معه. وكان رافقني رجلان من قطعات الحماية حتى اوصلاني الى باب المنعة.

وبعد بضع دقائق دخل علي ادولف هتلر وكان ذراعه ملفوفا بالضماد وكان شاحب الوجه وقد بدى كأنسان محطم ولكنه حاول ان يتلقاني بتحية حارة. ومن البديهي انه استهل حديثه عن حادث يوم ٢٠ تموز ١٩٤٤ وكانت عباراته غير مترابطة وقد اعطاني انطباعا بأنه يريد ان يهوّن من شأن الواقعة.

ثم تحولت ملامحه فجأة الى تشكيل غريب يجسد القسوة المتناهية وتوسعت حدقتا عيناه السوداوين وهو يقول:

« لقد خامرني شعور غامض بأن السادة الرقيقي الحاشيــة من ابناء الطبقة العليا سيحاولون ازاحتي. ولم ينجح هؤلاء السادة في تحقيق أمنيتهم ولذا فسأمضي في اداء مهمتي حتى النهــاية . وانني لسعيد لأن الاغلبيــة الساحقة من ضباط الجيش الالماني تقف ورائي بكل اخلاص كما يقف ورائي شباب المانيا . والآن ما الذي عندك يا سيد فون پاپن؟»

حاولت ان اوجز له التطورات الأخيرة للمقف السياسي في انقرة وذكرت له ضغوط الحلفاء الشديدة وتهديداتهم المتواصلة لتركيا لكي يدخلونها في الحرب الى جانبهم ويبدو انهم استطاعوا اخيرا اجبارها على قطع العلاقات الدبلوماسية معنا. ثم اوجزت له محاورتي الوداعية مع رئيس جمهورية تركيا وذكرت له استعداد الرئيس اينونو للتوسط في اية مساع سلمية لانهـاء الحرب. ولم اذكر له ذلك لأنني اعتقد باستجابة هتلر لهذه المحاولة وانما لمجرد منعه في آخر لحظة من التأثر بآراء فون ريبنتروپ المتطرف الحاقد والايعاز باتخاذ اجراء انتقامي ضد تركيا بتوجيه بضع طائرات تشن غارات جوية على بلدانها الآمنة وتثير علينا غضب الاتراك فتجرهم الى الحرب لقاء هذا الاجراء الأهوج الذي لا سبيل لتسويته اذا ما جرى تنفيذه. وقد تبينت رضى هتلر وارتياحه لأقوالي وعدم احتمال تأثر تركيا بضغوط الحلفاء منذ فقدان القرم.

وقد استغللت انشراح نفسه فحـاولت الاسترســال بالحديث نحو الاحتمالات السياسية المتوقعة نتيجة لتطورات الحرب وحاولت ان اوضح له بأن المانيا اصبحت تحت وطأة ضغطين شديدين موجهين من الشرق والغرب. وهذا معناه اننا يجب ان نحصل على نتيجة حـاسمة على احدى الجبهتين وفقا لمباديء السوق وهذا الحسم لا يمكن ان نحققه ما لم نقذف الروس الى ابعد ما يمكن عن حدود المانيا بحشد كل القوى المتيسرة لدينا ضدهم ــ حتى ولو اقتضى الأمر بعد عقد هدنة مع الحلفاء الغربيين ــ لكي نحقق الانتصار المنشود.

كما ان معلوماتنا عن مؤتمري طهران والقاهرة نتيجة لاستراق المراسلات السرية بعملية شيشرون جعلتنا على بينة تامة من نوايا الأعداء. والآن اصبح بمقدورنا انقاذ اوربا على الاقل من خطر الغزو المحدق بها من الشرق. فهل لهتلر ان يوافق على ايفادي الى اسبانيا لعرض هذه الفكرة بصورة رسميةعلى الحلفا ءالغربيين؟

رفض هتلر هذه الفكرة بمرارة واضحة وقال ان التوصل الى مثل هذا الاتفاق غير ممكن قطعا. ورفض فكرة التفاوض جملة وتفصيلا عندما شد على اسنانه وزم شفتيه بقوة قائلا:

« يجب ان تستمر هذه الحرب حتى النهاية دون اية محاولة للاتفاق. واذا انجزنا صنع الأسلحة الجديدة فسوف نري الامريكان مغبة محـاولتهم التسلل الى اوربا . وان أي اتفاق مع هؤلاء الناس يعتبر أمرا غير ممكن » .

ثم امتقع وجهه وبان عليه شيء من الوهن وقد تبينت وجود بقع داكنة وتجعيدات غائرة على محياه . وعاد مجددا للتنديد بفعلة من تآمروا عليه في ٢٠ تموز ١٩٤٤ وبعد ان فرغ من كلامه قلت له:

« لقد تناهى الى سمعي ان بعض المقربين اليكم قد شملتهم الاتهامات ومنهم غراف غوتفريد بنسمارك. وأنا لا اعلم بطبيعة الحال عن هذه الواقعة ولست ادري ما اذا كان توقيفه نتيجة مساهمة فعليـة او مجرد الظن به . واود الاشارة هنا الى انكم يجب ان تتفادوا مزاعم الصحافة الاجنبية من ان حفيد المستشار الحديدي من المساهمين في هذه القضية . واذا كان حقاً من المشتركين بالمحاولة فأرجو ان يكون عقـابه السجن المؤبد وليس الاعدام الذي ستهلل له ابواق الدعاية المعادية وتشهر بنا لاقدام الحكومة على اعدام حفيد مؤسس المانيا الكبرى الحديثة ومحقق الوحدة».

بهت هتلر لاقوالي هذه وحدق بي ملياً زهاء ثانية ثم دمدم مزمجرا :

« أجل . هذه العصابة من النبلاء جحدت كل افضالي التي لا يمكن ان تضاهيها اية افضال لأحد على أحد».

ولكنني كنت لا ازال متصورا بأن كلامي اثر في نفسه بعض الشيء، وتاكدت من ان بسمارك سوف لن يشنق ولكنه سيبقى رهن الاعتقال الى ان تثبت اداناته.

وفي ختام المقابلة فاجأني هتلر باهدائي علبة صغيرة كانت تحتوي على (صليب الفارس لصليب خدمة الحرب) وقال لي بهذه المناسبة:
« لقد اسديت للوطن الكثير من الخدمات الممتازة . وانا واثق ان انتهاء مهمة بعثتك في تركيا ليس ذنبك. وقد كنت هناك جنديا باسلا في الخطوط الامامية لتلك الجبهة وليس أدل على ذلك من محاولة الروس لاغتيالك».

ثم مد يده الي مصافحا ايذانا باختتام اللقاء وكان ذلك آخر عهدي به. ولما غادرت القاعة تلقاني رجال الصحافة لتصويري وانا احمل الوسام الرفيع بينما كنت مؤمنا في قرارة نفسي بأنني لا استحقه. وقد لاحظت وجود هرم من الخرسانة يرقى ارتفاعه الى العشرة امتار وكان قد شيد فوق مقر جديد اعد لضمان حياة هتلر لكنه لم يقم به ولا دقيقة لأنه ما ان انجزت كل مرافقه الا واضطر المقر الأعلى على الانسحاب من پروسيا الشرقية كلها بشبه هزيمة قبل ان يتعرض لخطر التطويق من القوات الروسية الزاحفة نحو المنطقة.

ما ان رجعت الى برلين الا وحاولت ــ مستغلا تكريمي بالوسام الرفيع ــ الاتصال بهملر لانقاذ ارواح بعض الاصدقاء والمعارف ــ وكنت اشغل منصب رئيس نادي اتحاد سباق الخيل منذ احد عشر عاما . وقد اعتقل من الهيئة الادارية واعضاء ذلك النادي فقط خمسة عشر رجلا بسبب علاقتهم بمحاولة اغتيال هتلر الفاشلة يوم ٢٠ تموز ١٩٤٤ وقد علمت بأن بعض اولئك التعساء لاقوا مصيرهم . كما كان بين المعتقلين عدد من زملائي السابقين في كتيبة الحرس الامبراطوري ممن كنت على ثقة من عدم تورطهم القضية التي اوقفوا بسببها . ولكي انقذ ارواح اولئك الناس من الموت فقد أدمت الاتصال مع هملر والالحاح عليه حتى شهر شباط ١٩٤٥ ومع ذلك فانني

لم أستطع تخليص امين سر الدولة السابق ارڤين پلانك حفيد صديقي القديم ڤيده ماير ولا القس بونهويفر ولا السيد كامينيجي كما لم تُجدِ النداءات التي وجهتها المنظمات الدولية الانسانية فتيلا ازاء قسوة نظام هتلر .

رجعت من برلين للاقامة بمدينتي الصغيرة ڤالر فانغن في مطلع ايلول ١٩٤٤ فازداد ضغط القوات الفرنسية على الجيش الالماني في تلك الانحاء مما دعى الكثير من السكان الى الفرار بأرواحهم باتجاه فرنسا .

واندفعت موجات الهجوم المعادي عبر نهر الراين كسيل جارف لا سبيل لايقافه . وترتب علينا ان تتجرع مرارة الاحتلال الذي اذقناه للفرنسيين طوال أربعة أعوام. ولما اكتسحت منطقتنا ارتال الاقسام الأرضية من القوة الجوية الفرنسية لاحظت ان عجلات الحمل كانت موقرة بأحمال متنافرة فكنت تجد الپيانو والاجهزة المنزلية المنهوبة ومعها الابقار ودجاجات القرويين كما جلب نظري وجود عدد كبير من الفتيات الفرنسيات الفاتنات يرتدين الزي العسكري ويرافقن الارتال الى كل مكان . ومع ان النسبة الكبرى من اولئك الاوانس والسيدات كن يقمن بواجباتهن الوطنية في ميدان الشرف الاآن عين العسكري المحنك الذي عركته الحياة لم تفتها ملاحظة وجود بعض النسوة اللائي رافقن الرتل لأغراض أخرى مع الأسف.

لم يكن مقر القيادة العليا للزعيم مهيأ للاخلاء ازاء هذا الاندفاع الفرنسي السريع . ولذا فقد زارني في احدى تلك الليالي نائب الحاكم العسكري الالماني لمنطقة ڤيزبادن الذي كان قاطعنا ضمن مسؤوليته عن الجدار الغربي. وقال ان طلائع الجيش الامريكي وصلت الى مدينة ميتز على جانبي نهر موزل ويظهر ان مقصدها اجتياح خط ترير ــ ساربروكن .

وقد أمر هتلر بمنع القيام بأي انسحاب من السار وطلب وجوب الاحتفاظ بهذا الاقليم مهما كانت الظروف . ولكن هتلر فاته ان جدار الغرب أضحى مجرد وهم لا قيمة له. فأسلاكه الشائكة ممتدة ولكن منعاته غير مشغولة ورشاشاته ليس ورائها رماة وليس ثمة مدافع تحتل مواضع رمي وكل ما تيسر في ذلك القاطع هو احتياط واهن يمتد على جبهة طولها ثمانين

كيلومترا في قاطع ترير ـ ساربروكن وقوامه افراد من مدرسة ضباط الصف بمدينة سار لويس.

ولو اراد القائد الامريكي العام الفريق الاول آيزنهاور الاندفاع بعزم لما وجد مقاومة جادة ولاستطاع خلال يوم واحد اكتساح منطقة السار برمتها بقواته الآلية السريعة.

رأينا ـ انا ونائب الحاكم العسكري لمنطقة ڤيزبادن ـ ان لا مخرج لنا من هذا المأزق ولكنني قلت لذلك القائد الالماني بأنني ارى ضرورة التخلي عن اوسع مناطق المانية ممكنة لكي يحتلها الحلفاء الغربيون قبل ان يدهم الروس المانيا ويحتلون القسم الاكبر منها . ولكن حدث ما يحصل عادة في أغلب الحروب من مواقف غير متوقعة . فقد تسمرت قيادة الحلفاء على امتداد نهر موزل وبقيت سادرة دون ان تقدم على الاندفاع بينما جد الروس في الاندفاع وكأنهم يخوضون سباقا في ركض المسافات القصيرة . في الوقت الذي كانت به قيادة الحلفاء الغربيين تخشى من مقاومة التشكيلات الالمانية المحطمة . حيث لم يكن يدافع عن قلعة ميتز الحديثة سوى حفنة من الشباب الشجعان من منتسبي مدرسة عسكرية صغيرة وتمكنوا من الصمود فيها طوال اسابيع عديدة بوجه اندفاع جيوش الحلفاء.

استمر الاعداء على تدمير المدن الالمانية بلا هوادة وبلا انقطاع. بينما بقي هتلر عاجزا عن اتيان اية ردود فعل حاسمة . وفي هذا الموقف الشديد الحراجة أردت أن اقوم بآخر محاولة سلمية بالاتصال مع الدول الغربية على أمل الحصول على تفاهم بشأن ايقاف القتال لكي تتاح لقواتنا فرصة التصدي للروس وصدهم عن حدودنا الشرقية على الرغم من مصارحة هتلر لي بعدم الموافقة على مثل هذا الاجراء فقد رجوت البارون فون شتينغراخت وكيل وزارة الخارجية لكي يتصل بالوزير فون ريبنتروپ ويخبره بأنني على استعداد للتوجه الى مدريد بقصد محاولة الاتصال مع القوى الغربية لوضع حد للحرب على الجبهة الغربية لكي تتفرغ لمقاتلة العدو القادم من الشرق ونحقق الاتفاق مع الحلفاء الغربيين على التراجع الوئيد فنتيح لهم فرصة احتلال المانيا

خطوة فخطوة بينما نستمر على مواصلة القتال في الجبهة الشرقية.

كان البارون فون شتينغراخت رجلا واضح الرؤية وكنت على ثقة من انه سوف يعرض فكرتي للوزير فون ريبنتروپ بشكل جيد مع اسناده للرأي الذي بادرت بعرضه . ولكن هلاّ يقدم الامريكان على ايجادحل لمعضلة اوربا دون اعطائها لقمة سائغة للروس؟ وهل كان كرم تشرشل بمنح پولندا شريحة كبيرة من الأرض الالمانية بموجب الوعد الذي اعطاه لستالين في مؤتمر طهران مجرد هدية من القوى الغربية لارضاء ستالين ؟ انني لم اعلم بطبيعة الحال في حينه بموافقة بريطانيا على جعل حدود پولندا الغربية تمتد مع نهر الأودر مع اعطائها ميناء شتيتين بموجب المذكرة التي كتبها سير اليكساندر كادوغان الى رئيس وزراء حكومة المنفى البولندية في ٢ تشرين الثاني ١٩٤٤ والتي جاء فيها:

« لقد اردتم ان تعرفوا فيما اذا كانت حكومة صاحب الجلالة توافق من حيث الأساس على جعل حدود پولندا تمتد على خط نهر الاودر مع اعطائها ميناء شتيتين . والجواب هو ان حكومة صاحب الجلالة ترى ان لپولندا الحق في الاستحواذ على الاقاليم التي تجعل حدودها تمتد للخط المشار اليه ».

وقد فات اولئك الناس الذين وهبوا اجزاء من بلادنا للآخرين انهم وافقوا بهذا ضمنا على اعطاء لروس موطيء قدم على سواحل بحر البلطيق.

رجع الي البارون فون شتينغراخت بجواب فون ريبنتروپ الذي كان مفاده ان أية محاولة من هذا القبيل ما هي الا دليل على الانهزامية وان مجرد محاولة فتح حوار سلمي مع الاعداء سيفت في عضد مقاتلينا الشجعان ويثبط هممهم.

تلقى الآمر المحلي لجدار الاطلسي في هذه الأثناء امرا بمنع وقوعي او عائلتي بأيدي العدو مهما كانت الظروف ووجوب اخلائي الى الخلف مع العائلة. الا انني رفضت الامتثال لهذا الأمر طوعا فالجندي القديم يجب الا يعطي انطباعا سيئا لمواطنيه في تشبثه بالحياة في الظروف المحرجة والفرار

من وجه العدو • ولذا فقد قررت البقاء حتى صدور الأوامر بنسف جسور ساربروكن•

في اواخر تشرين الثاني ١٩٤٤ اصدر هتلر امره باخلاء القرى الكائنة غرب نهر السار دون ابطاء• لكنني بعد ان عقدت مؤتمرا مع المحافظ ومدير الأمن روشلنغ اتصلت بهتلر هاتفيا وأخبرته بأن اخلاء القرى المذكورة سوف لن يسبب فقدان آلاف المواطنين الالمان لمساكنهم وما تحتويه من مقتنيات ثمينة بالاضافة الى اضطرارهم على التخلي عن مواشيهم الا ان هذا الاخلاء ينطوي على التفريط بقطعة غالية من ارض الوطن بلا قتال • واقترحت عليه ابقاء السكان غير القادرين على حمل السلاح وسحب القادرين على القتال فقط•

تلقيت في تلك الايام رسالة من قس زير بورغ وهو الكاهن ديشانت هيلد وكان قد تجمع في كنيسته زهاء ثلاثة آلاف مواطن بينما شرع رجال من قطعات الحماية بتهديدهم بنسف طرق المواصلات في حالة عدم انسحابهم من المنطقة واخلائها من السكان• فأستصدرت امرا للضابط المسؤول يسمح بموجبه للسكان بالبقاء في املاكي• وقد علمت بعد الحرب بأن اولئك الثلاثة آلاف انسان حافظوا على وجودهم في تلك المنطقة حتى نهاية الحرب وهم برعاية ذلك الكاهن الشجاع•

وصلت طلائع الجيش الامريكي الى موضع السار في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٤ وفي صباح اليوم التالي تركت منزلي القديم مخلفا ورائي ذكريات الاحقاب الماضية للاسلاف الاماجد وكانت بنايته تحفة نادرة وهو يحتوي على مكتبة رائعة وفيه ٢٤ لوحة فنية ثمينة لم نستطع حمل أي منها معنا•

وقد فررنا من مسكننا التليد لاجئين الى مسكن صديقنا البارون فون زاليس ومع ان الرجل تلقانا بكل ترحاب ومودة الا اننا لم ننس ابدا بأننا اصبحنا بلا مأوى•

ولما فشل تعرض فون روند شتيدت الاخير في الآردين نهب الجنود

الامريكان كل شيء يمكن الاستفادة منه ثم اشعلوا النيران بمنازل قالرفانغن.

وقد جائت ابنتي ايزابيله باجازة عيد الميلاد القصيرة من مستشفى الميدان الذي كانت تعمل به في جبال تاترا[1] وقد خدمت متطوعة بهذه المهمة منذ بداية الحملة على روسيا . ثم عزمت على الرجوع رغم الموقف الغامض الذي يهدد بنسف كل شيء. ومع اننا سعدنا بوجودها معنا في فترة العيد الا انني كنت فخورا بها لأنها كانت تؤثر البقاء في العيد الى جانب الجرحى في الجبهة.

اسست الشرطة السرية للدولة نقطة مراقبة في قريتنا لكي تتمكن من مراقبة تحركاتي. وقد اخبرني آمر تلك النقطة بطبيعة مهمته سراً.

في اواسط آذار ١٩٤٥ عبرت الدروع الامريكية نهر موزل بجبهة واسعة متجهة نحو الجنوب ووصلت الى ضواحي غميوندن.

وفي مساء ١٥ آذار ١٩٤٥ اتصل بي مرافق الفريق الأول هاوزر قائد مجموعة الجيوش وهو البارون فون تيونغن واخبرني بأنه تلقى امراً من مقر قيادة الزعيم يتضمن وجوب نقلي مع جميع افراد أسرتي عبر نهر الراين . ومن البديهي انني وازنت هذا الأمر وقدرت عواقب الموقف فتوصلت الى قراري الجازم بوجوب الاستسلام ومما لا شك فيه انني بقيت قلقا بشأن اولادي الثلاثة الذين تركتهم عرضة لانتقام رجال الشرطة السرية للدولة ولو انني انا الذي آثرت ابقاء زوجتي وبناتي في مكانهم لأنني لم اشأ تعريضهم لمغامرة ثانية لا مبرر لها.

اضطربت موازين القيادة في الصفحة الختامية من الحرب لأن هتلر استمر على ادارة القتال بالهاتف من مقره البعيد وصار يتدخل حتى في تحركات السرايا. واخذ يصر على الصمود في كل خط دفاعي ويصدر أوامر الاعدام في حالة خرق العدو للجبهة واكتساحه لتلك الدفاعات الواهية . وقد اضطر القادة في كثير من المواقف على التضحية بفرق كاملة لأنهم لم

(١) تقع جبال تاترا في تشيكوسلوفاكيا.

ـ المترجم ـ

يتلقوا اوامر بالانسحاب وكانوا يخشون اتخاذ القرارات الضرورية.
واصبحت الجيوش الالمانية التي في منطقة السار مهددة بالتطويق لأن القيادة لم تتبع مفاهيم قيادة القطعات التي تقضي بنقل تلك القطعات عبر الراين والدفاع وراء ذلك المانع الممتاز.

حاولت الوصول عبر الطرق المخربة وبين القطعات المنسحبة بلا انتظام الى بيت ابنتي المتزوجة بمدينة شتوكهاوزن في مقاطعة ويستفاليا. وكانت هذه المدينة قد اضحت محطة استراحة للاجئين الهائمين على وجوههم قبل انهيار المانيا.

وكان ان تم تطويق منطقة الروهر الصناعية برمتها بعد وصولي الى بيت ابنتي بقليل . وقد لاحظت ان الدمار اصبح مظهرا شاملا لالمانيا . واصبح اجتياز اية منطقة مرورا على الطرق محفوفا بالخطر بسبب التعرض للغارات الجوية التي تشنها طائرات الاعداء من ارتفاعات واطئة . ولم يتورع الطيارون المستهترون بالقيم الانسانية عن مهاجمة النساء والاطفال والفلاحين في الحقول وابادتهم.

الا ان فلاحي ويستفاليا حافظوا على رباطة جأشهم وتمسكوا بعناية الله الصمدانية وكان من عادة اولئك الطيارين الاغارة على المدنيين بالاستفادة من ضوء القمر ايضا عندما يكون ضوء النهار باهتا. وقد قررنا جمع النساء والاطفال في كوخ صيد صغير كائن في اعماق الغابة . بينما قام ولدي رغم كونه في دور النقاهة ومعه صهري بحراسة الكوخ من مئات اسرى الحرب الروس الذين فروا من الأسر واخذوا يسلبون كل ما تقع ايديهم عليه للحفاظ على ارواحهم من البرد والجوع.

في ٩ نيسان ١٩٤٥ تكامل الطوق حول الكوخ واخذ الرجال الى معسكرات الاعتقال . وفي ظهر اليوم التالي ظهرت قطعة من المشاة امام الكوخ فاستسلمت لعريف يحمل مسدسا وطلب مني ابراز هويتي. ومع انني قلت له بأنني لم تكن لي اية صفة عسكرية وانني ابلغ من العمر اكثر من خمس وستين سنة فأنه اشار لي بأنني موقوف . عندئذ رجوناه ان يستريح قليلا في الكوخ

ريثما احتسيت مع ابنائي صحنا من الحساء ثم جمعت حوائجي المهمة في حقيبة ظهر واستقللت معه سيارة جيب انطلقت بنا نحو المجهول.

قضيت السنوات الاربع التالية من حياتي سجينـا متنقلا بين سجون الاشغال الشاقة ومعسكرات العمل وكان كل ما معي من متاع ما استوعبته حقيبة الظهر وكنت أسفر من مكان الى آخر وانا لا اعلم عمـا يضمره لي المستقبل. ولم تكن المرحلة الاولى منتلك الفترة تستأهل التطرق لتفاصيلها. وكل ما اذكره هو ان الضباط الامريكان عاملوني بأدب واخذوني في اول الأمر الى مقر الفرقة في ريوتهن. وهناك التقيت بولدي وبصهري. ثم انتقلنا سوية الى ڤيرل وديولمن ومنها الى هالترن حيث مقر الجيش. ومن مهازل القدر انني مررت في اليوم الأول من أسري من المدينة التي قضيت فيها سنوات لا تنسى من شبابي ثم منحتني بلديتها بعدئذ شرف مواطنتها فأوصيت بدوري أن يتم دفن رفاتي فيها.

كانت المعالم القديمة للمدينة مسحوقة بتأثيرالحرببحيث يصعبالاستدلال على الطريق ومع ذلك فقد مررنا عبر الطريق المرصوفـة بالحجر والبوابـة الأثرية الى المطار فاستقللت طائرة أوصلتني الى هالترن وكنت في ديو لمن أعرف كل بناية وكل بيت بحكم اشتغالي محافظ شرف لتلك البلدة. الا ان المدينة كانت ممسوحة من الوجود وابنيتها مسواة بالأرض. ورأيت اطلالها ماثلة على ضوء القمر وقد شمل التدمير كنيستها وقصر الامير فون كروي ايضا.

حظينا في مقر الجيش بهالترن باستقبال لائق. وفي اليوم التالي نقلت بالطائرة ايضا الى مقر مجموعة الجيوش. وهناك حاول ضباط الاستخبارات ان يحصلوا منا على اسرار كنا نجهلهـا . ولكنهم كانوا لطفـاء معي لأنهم سمحوا لي بجلب بعض الملابس من دار البارون فون زاليـس في غميوندن . والأهم من ذلك بكثير هو انني حصلت هناك على معلومات تفيد بأن زوجتي وابنتي قد سلمتا من خطر القتال واستقرتا بمنزلنا.

عندما وصلنا الى ڤيزبادن علمت بوفـاة الرئيس الامريكي روزڤلت. ولم نكن قد أدركنا ان رجل الدولة هذا كان حاقدا على المانيـا النازية لدرجة

لا يمكن معها ان تتوقع أية رحمة فان من الواضح ان وفاته كانت خاتمة السراب الذي سعيت ورائه في سبيل انقاذ ما يمكن انقاذه . فلقد كان السلام الذي حققته معاهدة فرساي رديئا لأن تلك المعاهدة التي اريد بها توطيد السلام بعد الحرب العالمية الاولى صارت من اهم اسباب نشوب الحرب العالمية الثانية نظرا لتلاعب الدول الكبرى المنتصرة بالالفاظ لدرجة اخلت بالمفاهيم التي جاء بها الرئيس الامريكي الأسبق وودرو ويلسون . وتساءلت مع نفسي بقلق. هل ستتكرر مثل هذه المأساة ؟ فروزفلت لم يكن رجلا خياليا مثل ويلسون . وانما كان رجلا عمليا . وكان تدخله في الحرب مدعاة انقاذ بريطانيا واوربا من شرور هتلر . وكان تأثيره الشديد على الحلفاء كفيلا بتحقيق سلام رائع لأوربا. ولكن وفاته جعلتنا في تلك الفترة المصيرية اشد جهلا بالمصير الذي ستؤول اليه أوربا. ذلك لاننا كنا نجهل بأن المستقبل ينطوي على التخلي عن نصف قارة اوربا في لعبة السلام الجديدة.

كما لم نكن نعلم بخطة مورغنتاو لجعل المانيا بلد زراعي وتجريدها من كل مقومات الصناعة ولذا فقد حزنت كثيرا لوفاة روزفلت واعتبرت موته خسارة كبيرة للعالم كله. وكنت على ثقة من ان خلف روزفلت لن يكون بنفس مقدرته وذكائه ومعلوماته الواسعة بشأن مشكلات العالم. وقد اتجهت انظارنا بعد وفاة روزفلت نحو تشرشل الذي اظهر خلال الحرب مواقف واقعية جدا في كثير من المناسبات وابدى حرصه الشديد على حماية اوربا من مطامع الروس ولأنه كان يعرف الضرورات الاوربية بشكل يفوق معرفة خليفه روزفلت لها. والمؤسف ان تغير الاوضاع السياسية الداخلية في بريطانيا جعله يتخلى عن مسؤولياته لخلفه كليمنت اتلي كما انه من الخطأ القاء تبعة التساهل مع الروس في مؤتمر پوتسدام على اتلي وحده . ذلك لأن تشرشل ساهم ايضا في وضع خطط مؤتمر پوتسدام بقدر ليس بالقليل.

فوجئت خلال وجودي في ڤيزبادن باكتشاف سر خطير آخر. فقد علمت من الضباط الامريكان باكتشافهم لآثار جرائم رهيبة قام بها النظام النازي في معسكرات الاعتقال الالمانية . ولم نتصور نحن الذين لم تكن لدينا ادنى فكرة سابقة عن مثل هذه الافعال الشنيعة حصول الافعال المذكورة حقا

لو لم يؤكدوا لنا بأنهم شاهدوا تلك المعسكرات بأنفسهم وكنا نعتبر وجود معسكرات الاعتقال العوبة دعائية ماهرة دأب الاعداء على ترديد وجودها بينما انكرت الحكومة الالمانية وجودها • وقد اعقبت ذلك الاكتشاف فضيحة التشهير بالمانيا في صحف العالم لممارسة حكومتها لتلك المجازرالمنافية للانسانية•

والواقع هو ان وجود تلك المعسكرات كان مؤكداء والمعروف لدينا انها وجدت منذ عام ١٩٣٣ حيث أصبحت أسماء اورانينبورغ وزاكسن هاوزن وداخاو معروفة لدى عامة ابناء الشعب الالماني• ولا ازال اتذكر بيتا من الشعر دأب الاطفال الالمان على ترديده آنذاك وكان مفاده:

« يا الهي العظيم اجعلني تقيا ولا تدعني بداخاو اقيم»•

وكنت اعلم قبل الحرب ان هذه المعسكرات كانت اماكن اعتقال نموذجية روعيت فيها التدابير الصحية وكان تجهيزها نموذجيا وطعام السجناء جيدا وقد حدثني عن هذا بعض معارفي من الاجانب الذين دُعوا لزيارتها آنذاك وكان بينهم عدد من ضباط الشرطة• ولم يطلع اولئك الضيوف بطبيعة الحال على الوسائل القسرية التي يعامل بها المعتقلون ولا الضغط النفسي الذي يتعرضون له فيها• حيث كانت تدابير الكتمان شديدة جدا حتى في ذلك الحين• كما كان المعتقلون الذين يتم الافراج عنهم مسلوبي الارادة ويفضلون الصمت على التصريح بأي شيء مما كابدوه•

وبعد نشوب الحرب تضاعف عدد المعتقلات الى حد كبير• ولما برزت الحاجة لتأسيس معسكرات العمل الكثيرة لأسرى الحرب في الجبهة الشرقية اصبح من الصعوبة بمكان التمييز بين معسكرات الاعتقال ومعسكرات اسرى الحرب ومعسكرات العمل وكانت الصيغة السائدة مع مرور الزمن هي التشدد في الكتمان وممارسة الارهاب واستمرت هاتان الظاهرتان بصورة مضطردة مع استمرار الحرب • ولا يمكن اعتبار الحالة الرهيبة التي صورتها افلام الدعاية والتي عرضت علينا في نورمبرغ بأنها كانت حالة مستمرة وانما الذي حصل فعلا هو ان بعض معسكرات الاعتقال التي كانت تحت ادارة

رجال من الشرطة السرية للدولة تم فيها اعدام السجناء قبيل انتهاء الحرب تخلصا منهم.

كما ان شحة المواد الغذائية مع استمرار الحرب ادى الى تعريض ملايين الاسرى والمعتقلين للجوع لأن الحكومة الالمانية وجدت صعوبات جمة في اطعام جنودها المقاتلين وابناء الشعب فجاء اطعام تلك الجموع الغفيرة من الاسرى والمعتقلين ضغثا على ابالة. وبات الحفاظ على ارواح اولئك المنكودين من الامور البالغة الصعوبة.

وفي الفترة الاخيرة من الحرب اصبحت اية ملحوظة او نقد يوجه نحو معسكرات الاعتقال سواء من حيث وجودها او نمط ادارتها او تزايد عددها يؤدي بصاحبه الى الاعتقال بطريقة فورية. ومن الطبيعي ان شدة الكتمان ادت الى جهل الصحافة الاجنبية بوجود الكثير من المعتقلات ولم يعرف احد بوجود معسكرات بيلسن ورافنسبروك وفلوسنبيورك الا بعد الحرب عندما اكتشفت فعلا.

وللتدليل على شدة الكتمان المعتمد في هذا الشأن اذكر ان ولدي خدم لمدة ستة اشهر تقريبا في مدرسة عسكرية كانت تقع قرب غوتا وكان معسكر اعتقال بوخنفالد يبعد زهاء ٢٥ كيلومترا عن تلك المدرسة كما كان على بعد ثمانية كيلومترات من ڤايمار بينما لم يعلم ولدي بوجود ذلك المعسكر مطلقا وكل ما كان يعلمه هو ان بوخنفالد فيها معسكر لأحدى وحدات قطعات الحماية المشهورة.

في أواخر نيسان ١٩٤٥ نقلنا بصورة سرية جدا بالطائرة الى ريمس حيث مقر القائد آيزنهاور وهناك تم استنطاقي من قبل زمرة قوامها أربعة ضباط برئاسة اللواء سترونغ وكان معه ضابطان روسيان والعميد الامريكي باتس . وكنت لا ازال في جهل تام بشأن الأسباب التي دعت لتوقيفي.

وكان سؤالي الاول للواء سترونغ:

« لماذا انا موقوف هنا؟ هل انا معتبر اسير حرب لديكم فأنا لم اشغل

أي منصب عسكري خلال الحرب. كما انني تجاوزت السن المقررة لاعتقال اسرى الحرب وفقا لاتفاقية جنيف لأسرى الحرب ».

فأجابني بقوله :

« انني غير قادر على تزويدكم بأية معلومات عسكرية لسبب بسيط هو انني لا اعرف شيئا عنها . لكنني اعلم من الاحاديث العامة بأن هتلر عازم على المقاومة حتى النهاية في جبال الألب الباڤارية والنمسوية».

ثم سألني:

« هل تعتقد بوجود امكانية لتقصير امد الحرب؟ ان هذا لابد ان يكون من مصلحة المانيا ايضا».

فأجبته :

« اجل انا اعتقد بهذا بكل تأكيد »

عندئذ سألني:

« هل انت على استعداد لتوجيه نداء للشعب الالماني بالراديو تناشد به مواطنيك القاء السلاح وانهاء الحرب لأن اية مقاومة اخرى اصبحت غير مجدية ؟»

فأجبته:

« سأكون على استعداد لتوجيه مثل هذا الطلب . وانا اعتقد بأنني سألقى استجابة من كثير من الاوساط الالمانية . ولكنني ارى ان توجيه مثل هذا النداء وانا اسير لديكم وبناء على أمر منكم يعتبر امراً غير لائق بي وانما افضل ان اوجهه وأنا رجل طليق بمحض ارادتي. ولذا اظن ان من الأفضل أن تقوم طائرة بنقلي الى أي قاطع من الجبهة لكي أقوم بالاتصال المباشر مع قادة الميدان الالمان».

عندئذ سألني اللواء سترونغ:

« من هم القادة الالمان الذين تعتقد انهم على استعداد للاستجابة لندائك؟»

وبعد لحظة تأمل اجبته:

« الفريق الاول بلاسكوفيتز والفريق غراف شفيرين».

عندئذ توقفت المحادثة . فأدركت ان اولئك الضباط ارادوا الرجوع الى قائدهم الاعلى لتلقي توجيهاته. وفي صباح اليوم التالي اجريت معي محاورة جديدة وقيل لي ان مقترحي قد رفض. وبعد بضعة ايام نقلت من ريس بصورة سرية ايضا وكان تنقلي هذه المرة باتجاه الشمال . ومررنا عند سيدان قرب منزل فون دونشيري وهو المكان الذي تحدث فيه المستشار الحديدي بسمارك مع الامبراطور الفرنسي الأسير نابليون الثالث. ولما ذكرت ذلك للضابط الانكليزي الشاب الذي كان مكلفا بمرافقتي قال لي ان بسمارك وغيره من البروسيين المتطرفين هو المسؤول عن ظهور هتلر الذي تسبب في هذه الكارثة . ووجدت من غير المجدي الاسترسال في المناقشة لاثبات خطأ وجهة نظره . اذ كيف اتمكن من الاشادة بمحقق الوحدة الالمانية لعدو مأخوذ بنشوة الانتصار.

في المساء وصلنا الى شاتو دي ليزبيوليه بالقرب من شبا حيث تنازل الامبراطور فيلهلم الثاني عن العرش فأدى بنا الى الكارثة التي نشهد آخر فصولها. وتم استقبالنا بترحاب واضح حيث قال لنا الرائد زيغر من الجيش الامريكي والنقيب روبرت شو من الجيش الانكليزي بأننا سنعامل بصفتنا ضيوف الحلفاء. وقد حافظ الرجلان على علاقاتهما الودية معنا منذ تلك اللحظة.

والمؤسف انني فصلت هناك عن ولدي الذي ارسل الى معسكر اسرى الحرب في ريفان. اما صهري ماكس فون شتوكهاوزن فقد اخلي سبيله. ثم انني التقيت بالوصي على عرش المجر امير البحر هورتي فوجدته بحالة يرثى لها. وكان آخر عهدي به قبل ذلك الحين في كانون الاول ١٩٤٣ عندما وجه لي دعوة للصيد في بلاده. فلما رأيته ثانية بعد سنة ونصف من ذلك التأريخ بدى لي وكأنه تقدم بالعمر خلال هذه الفترة سنين عديدة . وقدرت ما كابده الرجل من احزان علاوة على مقتل ولده البكر الطيار . والجحود الذي لقيه من هتلر وتصرفات القنصل الالماني الذي كان مع رجال الشرطة السرية .

للدولة الالمانية يتصرفون في المجر تصرف رجال العصابات. ثم كان اختطاف ولده الثاني ولما وعد الرجل برؤية ذلك الولد حيا لم يبر هتلر بوعده وانما اعتقله فجأة ووجد هورتي نفسه اسير هتلر في احدى قلاع باقاريا حيث مكث في سجنه ستة اشهر حتى حررته جيوش الحلفاء ثم مـا لبث الامريكان ان اعتقلوه فألتقيت معه بالمعتقل؟

لم تستمر اقامتنا في ذلك المعتقل المريح فترة طويلة . فقد نقلنا بصورة سرية ايضا في مايس ١٩٤٥ الى فندق صغير في باد موندورف القريبة من لوكسمبورغ. والذي أثار تعجبنا هذه المرة ان الفندق كان محاطا بسلسلة كثيفة من الاسلاك الشائكة ويقوم على حراسته جنود امريكان مسلحون بالرشاشات ويتحصنون في ابراج مرتفعة تحيط ببناية الفندق.

وفي الداخل كان المكان خاليا من الاثاث ما عدا الفراش وبعض الكراسي. وقد تسائل هورتي بعجب عما اذا كان هذا نوعا جديدا من معسكرات اسرى الحرب المخصصة لزعماء الدول المندحرة . ولم يتمكن الضباط المرافقون لنا من الاجابة على هذا السؤال. الا انهم وعدوا بايصال اسئلتنا الى مقر القائد آيزنهاور لكي نحصل على ما يضمن تجنب أي سوء فهم لموقفنا.

علمنا بعد قليل ان الفندق يقع على بعد ١٠٠٠ متر فقط عن فندق آخر يدعى (غراند هوتيل) وجعل موئلا لاقامة جميع زعمـاء المانيا العسكريين والسياسيين الذين اتهموا بممارسة جرائم الحرب وانهم سيحالون الى محكمة خاصة. ولم اتصور في تلك الفترة ان هذا الاجراء سديدا او قانونيا.

ثم ما لبثنا ان وجدنا انفسنا معزولين عن العالم الخارجي اعتبارا من تلك الفترة. وكنا نحصل على الطعام يوميا من مطبخ سجن (غراند هوتيل) وهو محفوظ في علب قديمة وكان يقدم باردا بطبيعة الحال وبمقادير غير كافية. رفض هورتي تناول أي طعام وسرعان ما تدهورت حالته الصحية الى حد خطير.

اصبحنا تحت سلطة عقيد امريكي يدعى برتون اندروس[٢]. وادركنا من الوهلة الاولى ان الفريق الاول ايزنهاور وجده الرجل المناسب لأدارة مجرمي الحرب.

وكنا نظن في اول الأمر خطأ ان آسرينا يبذلون قصارى جهودهم للاهتمام بوضعنا في السجن. ولكننا سرعان ما اكتشفنا الوهم الذي انسقنا ورائه عندما انهار امير البحر هورتي واوشك على الهلاك فرجوت ضابطا امريكيا ان يستدعي لنا طبيبا عسكريا من (غراند هوتيل) ولكنه عاد بعد قليل ومعه العقيد برتون اندروس وكان الاخير رجلا متوسط القامة ممتلئا حليق الوجه عدواني النظرات يرتدي خوذة فولاذية لامعة ويحمل بيده سوطا وكانت نبرته الصوتية واضحة الاصطناع لدرجة لا تطاق لأنها كانت غير طبيعية بالمرة.

وكانت تلك هي المناسبة الاولى التي رأيته فيها ولم يكذب ظني به عندما قرأت على وجهه كل آيات الحقد واللؤم الواضحة ولكنني رغم ذلك بادرته بقولي:

« كيف تسوغون لانفسكم معاملة رئيس دولة مثل هذه المعاملة المهينة المجردة من الحياء؟ وكيف يمكنكم تحمل مسؤولية حياة رجل اربى على السبعين بحيث اصبح مشرفا على الهلاك بسبب سوء معاملتكم له ؟ الا تعلموا بأن الولايات المتحدة الامريكية من الدول الموقعة على اتفاقية لاهاي الدولية التي تنظم التعامل الانساني لأسرى الحرب ؟».

ويبدو ان كلماتي هذه فاجأت العقيد الامريكي تماما لكنه اجابني:

« أنا لا اعرف ابدا هوية المعتقلين هنا. وانا لم اسمع بوجود رئيس دولة معتقل هنا قط. ان علي ان اتدبر الحراسة المشددة فحسب. وما سوى ذلك فلن يهمني».

فقلت له:

---

(٢) كان برتون اندروس وغيره من المتعاملين مع الاسرى ومجرمي الحرب من اليهود الالمان والنمسويين المتجنسين بالجنسية الامريكية.
— المترجم —

« عليك اذا ان تخبر المقر الذي تتبعه بأن الوضع المزري الذي وصلنا اليه يتطلب مساعدة فورية ».

ومع انه لم يحر جوابا الا ان نظراته فضحت خبيئـة نفسه التي اربأ بنفسي عن تكرار وصفها. وكانت نتيجة كلامي معه ان اصبح الطعام بمقدار اكثر بقليل واصبح انظف ولكن العقيد ازال فراشنا وابدله بأكياس من التبن وأمر بازالة زجاج نوافذنا ووضعت طبقات من النسيج السلكي على النوافذ وفي هذه الفترة تم تحويل عدد من سجناء (غراند هوتيل) ليقيموا معنا وكان من المنقولين معنا وزير المالية السابق غراف شفيرين كروسيك وآخر امين سر للدولة البارون شتينغراخت وتم حشرنا بواقع ستة الى ثمانية اشخاص في كل غرفة . ولما رجوتهم جعل امير البحر هورتي في غرفة لوحده بسبب مرضه تلقيت زجرا ورفض طلبي. كما نقل خادمه الأمين ـ وهو رجل مدني لم يسبق له ان ارتدى ملابس عسكرية وتطوع لمرافقته بالأسر ـ الى احد معسكرات الاعتقال.

وأخذت منا ملابسنا ومقتنياتنا القليلة التي اخذناها معنا خلال فرارنا. والشيء الوحيد الذي تمكنت من تحقيقه للمسكين هورتي هو انني استطعت الاقامة معه بنفس الغرفة واتيحت لي فرصة تزويده ببطانيات اضافية غطيت بها فراش القش الذي أعد لمنامه.

وحدثت لي مشادة اخرى مع اندروس عندما سألته فيما اذا كنا نعتبر سجناء مدنيين أم اسرى حرب. حيث قال لي:

« انتم اسرى حرب »

فقلت له:

« اذاً فنحن لنا الحق بموجب اتفاقية لاهاي الدولية بكتابة رسائل الى ذوينا».

فصرخ بوجهي:

« كلا . ليست لكم اية حقوق »

عندئذ اجبته بهدوء:

« اذا يمكننا اعتبار الولايات المتحدة الامريكية من الدول التي لم تعد موقعة على اتفاقية لاهاي».

فقال :

« ان هذا لا يهمني ابدا »

فأجبته :

« لكن هذا يهمنا . فنحن نرى ان جيش الولايات المتحدة الامريكية لا يمكن ان يغمط حقوقنا التي ضمنتها لنا القوانين الدولية ».

فأنفتل راجعاً دون ان ينبس ببنت شفة. وبعد بضعة ايام تلقينا اوراق ومظاريف حيث اتيحت لكل منا فرصة كتابة رسالة لذويه.

حاول امير البحر هورتي توجيه رسالة لجلالة الملك جورج السادس ملك بريطانيا ولما لم ينجح في محاولته هذه رجاني مساعدته في توجيه رسالة لونستون تشرشل . وقد حصلت على اذن منه لنشرها نظرا لاهميتها بالنسبة لمقررات مؤتمر بوتسدام:

« عندما احرر لكم هذه الرسالة شعورا مني بالواجب فانني ارجو من سعادتكم الا تسيئوا فهمي رغم اهمية اعمالكم ومسؤولياتكم الجمة . ذلك لأنني اعتبر سعادتكم رجل الدولة الاوربي الوحيد الذي يقدر مدى خطورة الموقف بصورة صحيحة. ولذا فان لي الرغبة الشديدة ان اعرض لكم مسألة شعبي العزيز التي تكمن في سويداء قلبي والذي اضطررت على الابتعاد عنه.

وحيث انني لم اتصور في حينه ان النظام النازي كان يضللني ويكذب علي ولأنني لا ازال الرئيس الشرعي لدولة المجر فانني لا ازال اشعر بمدى المسؤولية الملقاة على كاهلي واقدر مدى تأثير النتائج المترتبة على القرارات المتعلقة بمسؤولية شعبي.

وكنت قد رجوتكم في رسالتي الاولى عدم اتخاذ أي قرار سياسي بشأن المجر دون الاستئناس برأي الشعب المجري نفسه ـ كما حصل بعد الحرب العالمية الاولى ـ لأن ما اخشاه هو انني قرأت في الصحف نبأ تخلي

تشيكوسلوفاكيا عن روتينيا الكرپات للاتحاد السوڤيتي وهو اقليم لا يسكنه تشيك ولا سلوڤاك وانما يتألف سكانه من الروتينيين والمجريين . وحيث ان هذه المنطقة تتدفق منها الانهار الضرورية لزراعة المجر ويسكنها المجريون فانها مهمة جدا للمجر وان التخلي عنها للغير سيجعل التوصل الى اتفاقية بشان توزيع المياه من الأمور البالغة الصعوبة في المستقبل.

وأود ان اذكركم بأن المجر فقدت بعد الحرب العالمية الاولى زهاء ثلثي اراضيها التي عاش بها الشعب المجري منذ اكثر من الف عام وذلك بتأثير وجود اقليات رومانية وصربية ولكن تلك الاراضي المفقودة بقيت ذات اغلبية مجرية حتى الوقت الحاضر.

كما ان توقيع وثيقة الأمم المتحدة كان محاولة جادة لتجنب شرورالحرب ولضمان الحق والعدالة ويمكن اعتبار هذه المؤسسة املنا الوحيد للحفاظعلى حضارة العالم الغربي. وتعلمون سعادتكم الدور المهم الذي قامت به المجرفي الماضي للمحافظة على التراث. كما ان شعبنا متمسك بالقيم الروحيةوبالتقاليد المتوارثة ومما لا شك فيه انشعبنا مقدر لمسؤولياته وسيدافع عن قيمه هذه بكل قوة.

ويجب منح الشعب المجري ــ بطبيعة الحال ــ فرصة الدفاع عن التراث الاوربي في بلدان البلقان. ونحن نأمل ان تتولوا سعادتكم معالجة هذه القضية شخصيا.

ان تصنيف وثيقة الامم المتحدة للشعوب بكونها «اصدقاء واعداء» يبدو لي مجانبا للصواب ذلك لأن اناسا من مختلف الشعوب قاتلوا ضد الاتحاد السوڤيتي ــ منهم فرنسيون وبلجيكيون وهولنديون ودانماركيون ــ اما بصفة متطوعين او مجبرين على المساهمة في الحرب.

وقد آثرت (بدلا عن الفرار الى المنفى او تقبل معاهدة جائرة كما فعل السيد ادوار بنيش عندما رضيباتفاقية ميونيخ التي ضيعبها تشيكوسلوفاكيا او كما فعل الرئيس اميل هاشا عندما فتح للالمان الطريق المؤدية للاستيلاء على براغ) البقاء على الجسر لكي اناشد القبطان في لحظة الخطر ابداء

المساعدة الممكنة لانقاذ بلادي.

ومن الطبيعي ان ابذل جهودي لمحاولة الاتصال بوزراء بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية لكي ابين لهم حقيقة مهمة هي ان التشيك والسلوفاك كانوا من ضمن الشعوب التي ساهمت في مقاتلة الاتحاد السوفيتي فحصلوا على الاستقلال بينما اهديت للاتحاد السوفيتي مقاطعة من تشيكوسلوفاكيا تضم مئات الآلاف من المجريين.

واود ايضا ان ابين بأن في يوغسلافيا أربعة احزاب هي قوات نيدش وقوات ميخائيلوفيتش والمسلمين والكرواتيين وقد اهملت اصوات هؤلاء كلهم عندما اعطيت الثقة للشيوعيين وحدهم . ومما لا شك فيه ان معاداة قوات ميخائيلوفيتش ادت الى ابعاد يوغسلافيا عن التضامن مع اوربا. ثم ان الصرب والكرواتيين تستحكم بينهم عداوة مذهبية شديدة منذ عهد بعيد نظرا لأنهم ارثدوكس ورومان كاثوليك . ثم ان شعوبا ناضلت في سبيل الحرية طويلا مثل الكرواتيين والسلوفاك لا يمكن جعلهم تابعين بصورة مطلقة لشعوب اخرى يكرهونها . ثم هل يمكن ان تحيا كرواتيا والمجر دون احياء الاتحاد القائم بينهما منذ اكثر من ثمانمائة عام واعطائهما ميناء فيومي لكي يكون لهما منفذ على بحر الأدرياتيكي. ويشبه هذه الحال ضرورة منح النمسا ميناء تريست الذي يعتبر حيويا لوجودها.

ولو اتيحت للمجر الامكانات الاقتصادية الممكنة والضرورية لوجودها لاصبحت تتمتع بالقوة الكافية للنضال سياسيا واقتصاديا ضد النظام الذي بات يهدد العالم كله الآن.

وانني اؤكد بأن المجر اذا ما اعطيت هذه الامكانات فستكون حجر الزاوية في رعاية مصالح وافكار العالم الغربي في هذا الجزء المهم من اوربا.

واخيراً هل لي ان اؤكد لكم املي الوطيد في ان الشعب البريطاني لابد ان يجدد ثقته بكم من اجل ضمان مستقبل افضل لشعوب اوربا بشكل يعجز عن تحقيقه أي رجل آخر . وان مصير شعبي بين أيديكم .

معسكر السجن في ١٩٤٥/٧/٥

التوقيع

نيكولاس هورتي(٣)

وكنت قد كتبت عبارة «فرصة الدفاع عن التراث الاوربي» بحروف كبيرة للتأكيد على اهميتها، ولكن ماذا كانت النتيجة؟

في ١٠ حزيران ١٩٤٥ كنت قد كتبت مذكـرة للفريق الاول آيزنهاور دافعت فيها عن وصمنا بالجرائم الجماعية وذكرته بالوعود اليومية التي كانت تكيلها دعايات الحلفاء زاعمة «ان الاستسلام بدون قيد او شرط ليس معناه العبودية ولكنه يعني معاقبة جميع المجرمين وهو يعني ايضا العـدالة لكل الآخرين» وهذا هو كل ما ارجو تحقيقه ليس الا.

كما كتبت بشأن مصير هورتي رسالة لملك السويد . ولكنني لم أحصل على جواب واحد على كل رسائلي. وفي اوائل آب ١٩٤٥ نقلت الى جناح منفصل في فندق (غراند هوتيل) بموندورف. حيث قيل لنا باننا سننقل الى مكان آخر وشيكا. وبعد ايام قلائل تركنا هورتي واغلب الآخرين الى مكان اجهله.

وبعد يومين اوقظت في الفجر لكي انقل بطائرة نقل ووجدت معي في المطار المشير هرمان غورنغ والوزير فون ريبنتروپ والفريد روزنبرغ وڤيلهلم شترايشر فلم تتحدث مع بعضنا البعض وكانت تحيتنا لبعضنا باردة.

لقد لاحظت على رجال الدولة الالمانية السابقين ان ملابسهم كانت مهلهلة وهم بلا اربطة عنق واحذيتهم بلا اشرطة فخطرت ببالي صورتهم الانيقة المشرقة في احتفالات يوم الحزب النازي بنورمبرغ عام ١٩٣٧.

طرنا بطائرتي نقل من احد مطارات لوكسمبورغ وكان معي في الطائرة كل من الفريد روزنبرغ وهانزفرانك ويوليوس شترايشر وآخرين ثم ركب

---

(٣) توفي امير البحر هورتي بمنفاه بالبرتغال يوم ٩ شباط ١٩٥٧ .
— المترجم —

بجانبي العقيد اندروس وكان سوطه الذي لا يفارقه بيده. ولما اقلعت طائرتنا ادركت انها اتجهت شرقا ولكنني تعذرت علي معرفة الاتجاه بسبب كثافة الغيوم ولما حطت طائرتانا على المدرج ميزت معالم المدينة التي محقتها الغارات الجوية فكانت نورمبرغ.

الفصل الثاني والثلاثون

في السِّجْن



وراء قضبان السجن. استجوابات . علماء نفس مستنطقين. الاتهامات . اختيار المحامي عني. الحـالة في السجن . شاخت والمصور . ملاحظات بشان المتهمين معي.

صعدت سلم قصر قديم يحرسني جنديان ثم ولجت بابا ضخما مصنوعا من الحديد. وكانت تلك هي المرة الاولى التي رأيت فيها تلك القلعة في حياتي. ولم يكن هناك أي شك في تعذر الافلات من ذلك المكان الرهيب. فهي ذات ثلاثة طوابق في كل منها ممر طويل جدا تتراصف على جـانبيه زنزانـات حصينة ترتبط ببعضها البعض بمدخل ضيق. ولكي لا يحاول أي سجين منا الانتحار بالقاء نفسه من الطابق الثـالث فقد غطيت جميع النوافذ بمشبك سلكي سميك جدا. وهذا ما ادى الى حصول تيار من الهواء البارد الذي يشبه برودة السرداب يمر على امتداد الممر بصورة دائمية مما استوجب علينا الانزواء وراء جدران سجننا تخلصا من ذلك الزمهرير.

قادني العقيد اندروس شخصيا الى الزنزانة رقم ٤٧ ملقيا نظرة ازدراء مهينة وتركني فيها قائلا:

« يبدو ان هذا هو المكان الذي يناسبك »

ثم اغلق علي باب الزنزانة حيث تركني وحدي واردت ان اخلو لنفسي واتأمل واقعي. وادركت ان هـذا السجن اعد لنا على عجل وكانت نـوافذ الزنزانة عالية وعليها قضبان غليظة من الحديد تحجب الرؤية الى الخـارج. وكانت مصابيح السقف مقطوعة اسلاكها وكانت الزنزانة خالية من أي سلك. وكان في الزاوية سرير منام يطوى وعليه بطانية رمـادية اللون . وكان في الزنزانة كرسي ومنضدة صغيرة هما كل اثاث الزنزانة. وكانت عتبة الباب قابلة للطي حيث يعبر لنا منها الطعام. كما كانت في الباب كوة تتيح للحارس ان يرصد وجودنا وما نفعله في اية لحظة يشاء.

وواضح ان الزنزانة كانت خالية من جميع المواد والادوات التي يمكن استعمالها للانتحار . فكانت النوافذ بلا زجـاج واستعيض عنها بالنسيج السلكي. والحمد لله الذي جعل الطقس دافئا في تلك الفترة.

كان الطعام غير كاف ابداء وقد قيل لنا بأننا سنحصل على تعيين الماني من الارزاق وان حالة الطعام ستتحسن ولكننا شعرنا بأننا اصبحنا عرضة للايذاء المتعمد بشتى الوسائل. ولما كانت الزنزانات بدون اضاءة فاننا كنا ننام في ظلام دامس ونظرا لضيق النوافذ فقد كان الظلام يخيم في السـاعة السادسة خلال شهري ايلول وتشرين الاول بحيث تصبح المطالعة من الامور المتعذرة علينا فنضطر على اللجوء لفراشنا حال هبوط الظلام. وكان اسوأ ما عانيت منه في تلك الفترة هو انني لم اعرف ابدا طبيعة الاتهام الموجه لي.

كانت المشكلة التي اقضت علي مضجعي هي اختيار المحامي الذي يدافع عني. ووجدت ان اختيار المحامي سيكون وفق الطريقة التي كانت مألوفة في العهد النازي الذي اضطربت فيه مفاهيم العدالة وذلك لأننا ازاء محكمة دولية اعدها لنا المنتصرون وليس لدينا أي خيار. لكنني بقيت قلقا اكثر لأنني لم اعلم بالقاعدة القفهية التي ستتبع في المحـاكمة وهل هي نظـام المحلفين أم

النظرية القديمة (العين بالعين والسن بالسن).

لم تكن لدي اية معلومات او انباء منذ عيد الميلاد عن ابنتي اللتين كانتا في الجبهة الشرقية وهل انهما لقيتا حتفيهما أم استقرتا في المعتقلات الروسية او انهما عادتا بلطف من الله الى الوطن سالمتين. وهكذا لم يبق لي سوى الأمل والدعاء. وفي ايلول ١٩٤٥ علمت من القس الكاثوليكي العسكري الامريكي بأن زوجتي وابنتاي وصلن الى نورمبرغ سعياً وراء وسائل خلاصي.

تعجبت كثيرا عندما كنت مارا من حمام السجن الى الزنزانة وشاهدت امير البحر هورتي. وكان معزولا لوحده هو الآخر. ولم تتمكن من التحدث الى بعضنا البعض بطبيعة الحال. ولاحظت ان حالته العامة قد تحسنت بشكل ظاهر. وعلى الرغم من شدة رقابة الحراس ونظراتهم الصارمة فقد تبادلنا نظرات ودية عبرنا بها عن الاحترام الذين يكنه احدنا للآخر.

شغلت نفسي خلال تلك الاسابيع الطويلة من السجن الانفرادي الرهيب مستفيدا من الكتب التي تحتويها مكتبة السجن. فقرأت كتبا كثيرة من مؤلفات غوتيه واستمتعت كثيرا بمطالعة كتاب (المبررات) للكاردينال نيومان.

في ٣ أيلول ١٩٤٥ تم استنطاقي لأول مرة. وقد لاحظت ان مستنطقي السيد دود كان رجلا مهذبا وشريفا بل وودوداً معي. وقد حاولت ان اشرح له مسيرتي السياسية . ولما وصفت له ملابسات وصول هتلر الى السلطة قال لي:

« اجل . وبعد ذلك مباشرة أي في شباط ١٩٣٣ قمت انت بتأسيس المحاكم الشعبية مما ادى الى اضطراب موازين العدالة في المانيا وايصالها الى مستوى يثير السخرية».

فأستنكرت قوله هذا وقلت له:

« لابد ان تكون قد توهمت بتصورك هذا . فالمحاكم الشعبية لم

تؤسس لا في عهدي عندما كنت مستشارا ولا في الوقت الذي صرت فيه نائبا للمستشار . ولابد انها تأسست بعد ذلك بمدة طويلة».

ويبدو ان السيد دود خلط بين تأسيس المحاكم الشعبية واعلان تأليف المحكمة الخاصة بعد حريق بناية مجلس النواب. وكانت تلك المحكمة قد تألفت من ثلاثة قضاة كان احدهم فقط غير خبير بالقانون وهو السيد رونالد فرايزلر[1] الذي سماه هتلر بالذات للمشاركة في تلك اللجنة.

وقد تبينت من ملحوظات المستنطق انه لديه معلومات سطحية عن حقائق الامور التي جرت في المانيا خلال فترة حكم هتلر . ولما تطرقنا الى انقلاب ٣٠ حزيران ١٩٣٤ ابدى استغرابه لقبولي منصب السفير في النمسا بعد ان عانيت شخصيا من عداء هتلر واستهانته بي. فحاولت ان اصف له مدى دقة الموقف السياسي آنذاك وبررت له قبولي بالمنصب لأن مقتل دولفوس جعل المانيا على حافة الاشتراك في نزاع اوربي. الا ان السيد دود لم يقتنع بتبريري هذا عندئذ حاولت انهاء المحاورة عندما قلت له بمرارة:

« يؤسفني كثيرا انك لا تريد ان تفهم الموقف الذي يؤدي به المرء دوره الوطني متجاوزا الضغائن والاحقاد الشخصية ».

وعندها اظهر المستنطق دود مشاعره الانسانية متجاوزا دوره كحاكم يمثل الدول المنتصرة واعتذر مني قائلا انه يقدر القيم الوطنية التي حدت بي الى قبول ذلك المنصب. وكانت هذه المحاورة سببا في قيام جسر من الثقة بيني وبين هذا الإنسان الرائع رغم جهلي بما يخبئه لي التحقيق من اتهامات أخرى. ولما رأيته آخر مرة ــ وكان ذلك قبل ان أُبلغ باتهامي بجرائم الحرب

---

(١) كان فرايزلر اسير حرب لدى الروس عام ١٩١٤ ثم انتمى للحزب الشيوعي وصار في عام ١٩٢٠ قومسيرا شيوعيا في اوكرانيا . الا انه انتمى للحزب النازي عام ١٩٢٥ حيث اشغل منصب وكيل وزارة العدل الالمانية واشتهر بكونه اقسى القضاة في المانيا النازية وهو الذي نكل بالمتآمرين على اغتيال هتلر في ٢٠ تموز ١٩٤٤ وقد قضى نحبه بتأثير غارة جوية على برلين يوم ٣ شباط ١٩٤٥ .

ــ المترجم ــ

امام المحكمة العسكرية الدولية ــ ودعني بقوله:

« ما عليك الا ان تحافظ على رباطة جأشك وعندئذ ستسير الامور كما تشتهي»•

ولما اعلنت براءتي بعث لي علبة من سيكار هافانا النفيس تعبيراً عن سروره ولا ازال اذكره بخير ما حييت•

لقد اضاء لي السيد دود وراهبين كاثوليكيين من رهبان الجيش الامريكي هما الأب فلاين وخلفه الأب سيكستوس اوكونور بصيصا من الأمل في ذلك الموقف القاتم من حياتي• وعلى الرغم من تعرضنا للاستنطاق والتحري من اناس كثيرين الا انني لم الاحظ ان أحدهم كان من علماء النفس او الخبراء في مواضيع التحليل النفسي•

وكان ان اجرى لنا اختبار للذكاء من قبل رئيس المحققين الامريكان النقيب غلبرت حيث قدم لنا اوراق مؤشرة بخطوط ونقاط وثقوب فقلت له انني افضل توجيه اسئلة بالتأريخ والجغرافيا والسياسة والاقتصاد بدلا من هذه الوريقات المبسطة• ويبدو انه لم يهيء الاسئلة التي اردتها فقام باعداد اختبار آخر بالحساب • وبعد مدة اخبرنا بنتائج فحوص الذكاء فكان الاول الدكتور هيالمار شاخت وهذا أمر لم نفاجأ به مطلقا اما الثاني فكان المهندس البرت شبير وكنت انا الثالث اما الاخير فكان يوليوس شترايشر•

ولكي اكون على بينة من تواريخ الاحداث رسمت على جدار زنزانتي تقويما تابعت به تعاقب الأيام• فقد اغلقت ورائي بوابة السجن يوم١٢ آب ١٩٤٥ وفي ٣ أيلول كان قد جرى اول استنطاق لي كما اسلفت وفي ١٩تشرين الاول ١٩٤٥ دخل العقيد اندروس واتباعه الى زنزانتي لأول مرة• وقد لاحظت من اول وهلة ان اتهامي «بجريمة الحرب والاجرام ضد الانسانية» لا اساس له من الصحة• وان اخطر ما يهددني هو الاتهام بالمشاركة في الاستحضار لحرب عدوانية • ولما كنت على بينة من طرق المحاكمة الجارية في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية فقد تأكدت من امكانية تبرئة نفسي من هذه

التهمة ايضاً. وعندما علمت بأننا سنحاكم بصورة فردية كتبت لزوجتي رسالة مفرحة قلت فيها:

« ستبدأ المحاكمة في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٥ ومن المؤكد انها ستستمر يومين او ثلاثة فقط. ولما كنت على ثقة من انني بريء وانني اقل المتهمين حظا من خطر الادانة فأتوقع ان اعود اليكم طليقاً قبل نهاية شهر تشرين الثاني ١٩٤٥».

لكنني كنت برسالتي هذه كثير التفاؤل لأن المحاكمة الفضيعة التي حدثت بعد سنة تقريبا شملت ٢١ متهماً واتخذت صفة دولية وطنطنت لها الصحافة اجريت لنا بصورة مجتمعة وكان الغرض منها ادانة الشعب الالماني.

عرضت علينا يوم تبليغنا بالاتهامات قائمة بأسماء المحامين الالمان الذين يمكننا تسمية احدهم ليمثل كل متهم. ولما وقع اختياري على الدكتور دكس قيل لي ان الدكتور شاخت كلفه بالدفاع عنه قبلي. فأرسلت رسالة الى الدكتور شاخت ارجوه الموافقة على قيام الدكتور دكس بالدفاع عن كلينا بصورة مشتركة واخباري في حالة عدم موافقته على ذلك لكي اختار محاميا آخر. الا ان رسالتي لم تصل للدكتور شاخت. وكانت حصيلة ذلك ان بقيت حتى ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٥ بلا محام.

لكنني تلقيت مساعدة ثمينة لحسن الحظ من صديق حميم هو غراف شافغوتش الذي سمع بمحام نابه من برسلاو هو الدكتور كوبوشوك فكلفه بمهمة التوكل عني فأبدى الرجل براعة رائعة في المحاكمة لأنه كان يعالج كل موقف بسرعة وبدهاء. وكان الرجل قد احاط بكل ما يحدث من ملابسات في محاكمات نورمبرغ علماً وادرك ان المحاكمات السياسية تختلف بطبيعتها عن المحاكمات الاعتيادية المألوفة في المانيا . ولما لم اكن على معرفة شخصية سابقة بالمحامي فقد اردت ان يكون ولدي الى جانبه لأنه رافقني لفترة طويلة من حياتي السياسية بحيث يمكنه اسداء مشورة جيدة للمحامي يكمل بها الجوانب غير الواضحة لديه. وبعد جهد جهيد تدبرنا قضية الحصول على اجازة لولدي من معسكر اسرى الحرب في شتيناي ليكون متفرغا للدفاع عني

طيلة مدة المحاكمة • ولولا خدمات الدكتور كوبوشوك والمساعدات القيمة التي اسداها لي ولدي لكانت نتيجة المحاكمة بشكل آخر بكل تأكيد•

ولعل القاريء الكريم يجد بعض المتعة عندما احدثه قليلا عن التجارب النفسية التي خضعت لها انا وزملائي خلال الاحد عشر شهراً التي عشناهـا في السجن الانفرادي • وكان الحلفاء قد استولوا على آلاف الوثائق التي يمكن جعلها ادلة تثبت اداتتنا • وكما حاول العقيد اندروس ايجاد وسائل خبيثة لأزعاجنا كتعتيم الزنزانات وممارسة الحرب النفسية فقد تعرضنا لوسائل أخرى مؤذية جعلتنا نقضي تلك الليالي الحالكة تحت وطأة السهاد منها وضع حرس أمام كل زنزانة يتم تبديله كل ساعتين ليلا ونهارا لمراقبتنا باستمرار خشية محاولة أي منا الانتحار • وكانت كل محاولة من هذا القبيل تقاوم باجراءات مضادة مستعجلة • وكانت في الممرات مصابيح مبهرة توجه نحو الزنزانات لمراقبة فعاليات السجناء وهذا ما جعلنا عرضة للتصرفات الكيفية واللهو الذي قد يحلو لبعض الحراس ممارسته كأن يوجهوا المصباح القوي نحو وجه المتهم ليعذبوه او قد يشفقوا عليه فينحون المصباح الملعون جانبا• وقد اجبر المتهمون على الاستلقاء عند النوم على جوانبهم اليمنى لكي تتاح للحراس امكانية مراقبة وجوههم بصورة مستمرة• وعندما كنت اتقلب في نومي من ذلك الجنب للجنب الأيسر كان الحارس يمد يده فيهدهدني من كتفي قائلا :

« انقلب غلى جنبك الأيمن لكي اتمكن من رؤية وجهك»•

وليس غريبا ان هذه الوسيلة القسرية تجعل المرء نصف نائم طوال الليل لكنه يتم ايقاظه عند الصباح بالضوضاء المفتعلة • اضف الى ذلك ان موعد تبديل الحراس يسبب جلبة وضوضاء تشمل البناية كلها وتتردد اصداء تحركات الجنود وايعازاتهم فتقض علينا مضاجعنا مرة كل ساعتين•

وقبل ان يتبع نظام اضاءة الممر بالمصابيح الموجهة نحو الزنزانات كان الحراس مجهزين بمصابيح جيب وكان هؤلاء يوجهون اضواء مصابيحهم على وجوه المتهمين• ولما اشتكيت لضابط اجنبي في صباح احد الايام من احد حراسه لأنه اضاء مصباح اليد على وجهي خلال نصف ساعة فقط من الليلة

وعندما كنت أجد فرصـــة للتحدث مع الحراس ليلا كنت اسألهم عن تجاربهم في الحرب وآرائهم في السبب الذي حدى بالولايات المتحدة الامريكية لتشن حربا ضد المانيا قبل ثلاثين سنة في الحرب العالمية الاولى فكان جواب أغلبهم:

« ربما بسبب النازية ».

وكانوا يستغربون كثيرا عندما اواجههم بالحقيقة واقول لهم ان هـــذا المبدأ السياسي لم يكن معرفا آنذاك وانما زعمت الحكومة الامريكية بأنهـــا اقدمت على الحرب انتقاما لفعاليات الغواصات الالمانية ضد السفن الامريكية ومن المؤكد ان اغلب اولئك الجنود لم يعرفوا ملابسات اشتراك بلادهم بالحرب ضد المانيا آنذاك لأن القـــرار بالحرب اتخـــذه الرئيس الامريكي وودرو ويلسون وهذه حقيقة تأريخية لم يعد يعرفها اغلب ابناء الجيل الجديد من الشباب الامريكان.

وغالبا ما كنت اجد بين اولئك الحراس بعض الشباب الكرام الذين يرون ان تكليفهم بمهمة حراسة مجرمي الحرب اهانة لمسلكهم العسكري . وبلغ العطف بأحدهم مبلغه ــ وهو من اصل ايطالي ــ فمنحني خلسة الصليب الذي كان يعلقه في سلسلة برقبته.

كانت تحدث بعض الحوادث المؤسفة بين آونة وأخرى خلال وجودنـــا بالسجن فعندما كنا نحصل على استراحة الظهيرة خلال المحاكمات ويقدم لنا فيها الفطور كنا نجمع كل اربعة في غرفة صغيرة حيث يجلس كل سجين وامامه منضدة صغيرة ووجهه نحو احد جدران تلك الغرفة . وحدث ان اجلست في احدى المرات بغرفة كان معي فيها البارون فون نويرات وامير البحر كارل دونيتز وهايلمار شاخت فدخل علينا صحفي امريكي محاولا تصويري خلال احتسائي صحن الحساء فأنفجرت بوجهه غاضبا وقلت له ان هـــذه الفعلة تدل على قلة الحياء مما اضطره على الانهزام من امامي ومعاودة المحاولة مع الدكتور شاخت الذي نهره هو الآخر وصب على وجهه القهوة الساخنة التي كانت ملء فنجانه . فصرخ الصحفي من الألم ونادى الحراس فخف لنجدته

العقيد اندروس الذي اراد السيطرة على الموقف. وكانت حصيلة الحادث ان عوقب الدكتور شاخت بمنعه من ممارسة رياضة التمشي لمدة اربعة اسابيع ومنعه من احتساء القهوة لمدة مماثلة . وكانت تلك الحادثة من الطرائف الممتعة القليلة التي ادخلت السرور الى نفوسنا.

وكانت رياضة التمشي من الممارسات المؤذية اكثر من كونها مفيدة لأن ساحة السجن كانت ضيقة وكنا نجبر على ترك فاصلة خمسة عشر خطوة بين سجين وآخر وتقتصر مدة التمشي على عشر دقائق في كل يوم.

اتخذت ادارة السجن تدابير صارمة لمنع محاولات الانتحار بعد ان افلح اثنان من المتهمين بالانتحار وهما الدكتور كونتي رئيس نقابة الاطباء النازيين والدكتور روبرت لاي رئيس اتحاد نقابات العمال الالمان حيث تمكنا من شنق نفسيهما بشرشف الفراش المربوط بعتلة تنظيف مياه المرحاض في الزنزانة . وبعد ان انتهت محاكماتنا تمكن القائد العسكري المشهور الفريق الاول بلاسكوفيتز[٢] من القاء نفسه من الطابق الثالث فمات لتوه.

كما استطاع المشير هرمان غورنغ الانتحار هو الآخر بعد ان حكم عليه بالموت قبيل شنقه بفترة وجيزة. وقد قيل الكثير بشأن من اوصل اليه السم الزعاف ولكنني لا اظن ان عقيلته او محاميه او أحد الالمان العاملين في مطبخ السجن[٣] استطاع ان يزوده بالسم اعتمادا على تجربتين خضتهما

(٢) كان الفريق الاول يوهانس بلاسكوفيتز قائدا ميدانيا اشغل مناصب رفيعة خلال الحرب العالمية الثانية بدئا من قائد الجيش الثامن من مجموعة جيوش الشمال في الحملة على بولندا عام ١٩٣٩. ووصولا الى قائد قوات (قلعة هولندا) حيث استسلم للحلفاء في ٥ مايس ١٩٤٥ وكان انتحاره في ٥ شباط ١٩٤٦ بسجن نورمبرغ وعمره ٦٣ عاما .
— المترجم —

(٣) هناك رواية يزعم فيها الصحفي النمسوي (بلايب تروي) انه هو الذي زود هرمان غورنغ بالسم وانه ثبته باللبان تحت حافة المنضدة في قاعة المحكمة واشر نحو مكانه بسهم بالطباشير وراح يراقب غورنغ اثناء الجلسة فلم يلاحظ شيئا ولما انتهت المرافعة وجده قد اخذ السم من مكانه ومسح السهم المؤشر ثم انتحر به في غرفته قبل اعدامه بثلث ساعة فقط ولم ينفع جرس الانذار ومحاولات ادارة السجن غسل معدته لأنه كان قد فارق الحياة. — المترجم —

بنفسي في تلك الفترة • فقد عرض علي احد الحراس ان انتحر بتناول بعض حبوب السم ولكنها لم تكن من سم سيانيد البوتاسيوم الذي انتحر به غورنغ• كما حاول حارس آخر اعطائي مطواة جيب صغيرة لكي اقطع بها شرايين رسغي بسرعة فأضع بذلك حدا لحياتي• لكنني رفضت العرضين ولما الحّ علي الجندي المذكور هددته بالنداء على ضابطه فكف عن الالحاح•

ولما بدأت محاكمتنا كنا نرتدي الملابس المدنية في صباح كل يوم لكي نمثل امام المحكمة الدولية وعليه فقد اعيدت لنا اربطة العنق واشرطة الاحذية• وواضح ان هذه الاجراءات كانت تتم لاظهار حسن معاملة ادارة السجن لنا• وكنا في هذه الفترة نحلق وجوهنا في كل يوم تحت اشراف جنديين من الحراس•

كانت الدراسات النفسية والتجارب التي اجريت على السجناء خلال عام كامل وفيرة ومجدية الى ابعد الحدود لأننا تعرضنا في تلك الفترة للضغط الشديد المتواصل• الا اننا اصبح بمقدورنا التحدث بايجاز شديد خلال المحاكمات أو تبادل قصاصات صغيرة من الورق بحكم جعلنا متقاربين وبخاصة مع الاشخاص الجالسين مباشرة فقد كان يجلس الى يميني خلال المرافعة الفريق الأول الفريد يودل وهو رجل لم تكن لقضيتي اية علاقة بمجال اختصاصه والقضية المرفوعة ضده اذ كان دفاعه مركزا على الجانب العسكري البحت• وقد القى دفاعه بطريقة عسكرية ومنطقية متميزة بالوضوح والجزم ولما صدر عليه حكم الاعدام تلقى الحكم بهدوء وصبر• اما الى شمالي فكان يجلس الوزير النمسوي زايس انكوارت• وهو رجل شاركني فعالياتي خلال فترة تحقيق الوحدة مع النمسا• كما انني انا الذي رشحته لهتلر لكي يتعاون مع الحكومتين النمسوية والالمانية خلال تلك المرحلة الدقيقة من تأريخ المانيا لانني كنت على ثقة من اخلاصه• وكان تصرفه سديدا في كل فعالياته آنذاك• والانتقاد الذي يؤاخذ عليه انه كان ضعيفا بعض الشيء في تعامله مع المتطرفين•

قال الرئيس النمسوي السابق ميكلاس في شهادته بقضية غوبدو شميت بأن زايس انكوارت لم يخدم النمسا في فعالياته آنذاك• فأستنكرت هذا

القول ولم اشأ ان اكون شيطانا اخرس حيث شهدت لصالحه قائلا انه كان بنظري يمثل مصالح النمسا خير تمثيل وان شمائله وتصرفاته كانت نمسوية بحتة ولما تحققت الوحدة اصبح من خيرة المخلصين للدولة الالمانية ولعل من سوء طالعه ــ ليس اكثر ــ ان رشحه هتلر في وصيته ليكون وزيرا لخارجية المانيا.

كان يجلس امامي مباشرة في الصف الاول هانز فرانك الذي لم اتبادل معه خلال الفترة ١٩٣٣ــ١٩٤٥ عشر كلمات على اكثر تقدير وقد احيل للمحاكمة بسبب فعالياته عندما اشغل منصب حاكم بولندا المدني. وكنت امقته لأنني اشعر بأنه يبادلني نفس الشعور . وقد صدق ظني عندما حدثني عنه القس الكاثوليكي اوكونور الذي قال بأن فرانك على ثقة من مصيره المحتوم وهو يعرف تماما ان أي دفاع لن يجدي لانقاذ رأسه. فصار يقضي وقتــه بالتأمل ويعد نفسه لتلقي الحكم المتوقع. وهو من المجموعة الصغيرة التي تشكل طائفتنا الدينيــة في السجن (انــا واياه وارنست كالتنبرونر وزايس انكوارت) وتتلقى معونات القس اوكونور . وعندما كنا نلتقي في الصلاة كانت تتاح لنا فرص التحدث لبعضنا البعض. حيث اكد لي مرة بأنه لا يفهم ابدا كيف انساق وراء هتلر حتى تسبب انسياقه هذا في معاناته التي استمرت طوال عام كامل لا يتوقع خلاله غير تلقي حكم الموت.

اتخذ يواكيم فون ريبنتروب مجلسه في الصف الامامي. وقد قيل لي بأنه اتكل كليا على جهود محاميه لأنه غير قادر على المساهمة في الدفاع عن نفسه. فهذا الرجل الذي تولى مهمة تسيير سياسة هتلر الخارجية طوال اثنى عشر عاما ظهر في محنته مجردا من كل مقدرة وكأنه ثمرة ذات قشر ولكنها بدون لب او كواجهة جميلة دون خلفية ذات قيمة ومن البديهي انه استفاد من القانون غير المكتوب الذي تمسكنا به جميعا والذي ينص على ان كل فرد منا يسوغ له الدفاع عن نفسه ولكن دون ان يتهم الآخر بشيء. وعليه فانني لم اوجه ضد فون ريبنتروپ في دفاعي ولا كلمة واحدة.

بقي الفريد روزنبرغ ويوليوس شترايشر بدون اكتراث لما ينتظرهمــا

وقد تشاغل الاول برسم تخطيطات كثيرة بقلم الرصاص ، وكانا بنظري بلا حول ولا قوة. وكنا نسمع في ساعة متأخرة من بعض الليالي صرخات منكرة يطلقها يوليوس شترايشر ولست ادري ان كان ثمة من يعتدي عليه غلاً او انه كان يعاني من حالة نفسية معينة. وقد شكى لي البارون فون نويرات مرة بقوله:

« اية معاناة يتعرض لها المرء عندما يجبر على الجلوس بجانب مثل هذا المتهم المنهار نفسيا ».

كان جل عطفي على العسكريين الذين اتهموا معي موجها نحو اميري البحر اريش ريدر وكارل دونيتز. اما المشير ڤيلهلم كايتل فكنت اعتبره من «قادة المكاتب» ولم يحظ بعطف متميز مني او من الآخرين اما القائدين البحريين فقد نافحا عن نفسيهما بجدارة وبخاصة دونيتز[٤] الذي تعرض لاتهامات شديدة وكان يفندها بمقدرة رائعة.

كانت روحية البارون فون نويرات عالية دوما ، الا انه كان متأثرا مع الاسف بلهجته الشڤابية[٥] ولم يتمكن من التغلب على هذا الجانب السلبي الذي لم يكن لصالحه. كما لم يتمكن من تبرئة نفسه من الفعاليات التي قام بها خلال فترة توليه منصب وزير الخارجية في عهد هتلر.

---

(٤) كان كارل دونيتز قائدا للغواصات الالمانية ابان الحرب العالمية الثانية ثم منح رتبة أمير البحر الاكبر وتولى منصب قائد البحرية الالمانية اعتبارا من ٣١ كانون الثاني ١٩٤٣ ولما انتحر هتلر اوصى به مستشارا لالمانيا فتولى هذه المسؤولية اعتبارا من ٥ مايس ١٩٤٥ وفي ٢٣ مايس ١٩٤٥ اعتقلته القوات البريطانية مع اعضاء حكومته وقد احيل لمحاكمات نورمبرغ وحكم عليه بالسجن لمدة عشرة اعوام ثم اطلق سراحه ولا يزال يعيش في قرية صغيرة قرب هامبورغ.
— المترجم —

(٥) الشڤابيون هم سكان مقاطعة ڤيرتمبرغ التي عاصمتها شتوتغارت.
— المترجم —

كان البرت شپير وبالدور فون شيراخ اصغر المتهمين سناه وكان الثاني قد بذل جهودا جبارة في تنظيم الشباب الالمان قبل ان يتولى مهمة محافظ ڤيناه اما شپير فكان متفائلا ويتحدث كثيرا عن المستقبـل وكان يزعم ان الامريكان ينوون تكليفه بمهمة تعمير الأسكا(٦).

أما ڤيلهلم فريك وزير داخلية هتلر فقد بذل قصارى جهوده ليصور نفسه (موظفا صغيرا) في ادارة هتلر لكنه لم يفلح وقد انكشف لنا الرجل لكونه ضحلا الى درجة مفجعة وغير قادر على اتخاذ أي قرار وعليه فانه كان الوحيد من نوعيته بين صفوفنا ، ولعل الفضيلة الوحيدة التي تحلى بهـا فريك انه آمن بمصيره وايقن ان أية محاولة لانقاذ رأسه لن تكون مجدية.

لعب رودولف هيس دور المجنون فأتقنه لدرجة لم يصدق معها احد منا بأنه كان يمثل ، ومن المؤكد انه بطيرانه الى بريطانيا بمحض ارادته حاول أن يضع نهاية للحرب ، وكان آنذاك متمتعا بكامل قواه العقلية ، ولما فشل في مسعاه ترتب عليه تسديد ثمن اخطائه الماضية رغم قراره الشجاع ، ويكفيه فخرا انه حذر العالم من مغبة عدوان هتلر ــ الذي كان وشيك الوقوع ــ على الاتحاد السوڤيتي كما انه قدر بصواب تام مدى تأثير خسارة المانيا وانتصار الروس على اوربا برمتها والمؤسف ان رجـال الدولة البريطانية لم يقبلوا بتحذيره هذاه لقد كانت تصرفات هيس في قاعة المحكمـة وفي السجن غير طبيعية بالمرة، اذ دأب على الجلوس في قاعة المحكمة بدون انتبـاه وبدون اكتراث وكأن الأمر لا يعنيه ، كما رفض التحدث الى محاميه، وعليه فقد قرر الاخير التقدم بطلب اجراء فحص طبي على موكله للقرار على مدى قدرته على الاشتراك بالمرافعة ، فقامت لجنة طبية بفحص هيس لمدة عدة اسـابيع قررت بعدها سلامة حالته العقلية، وفجأة بـاغت هيس محـاميه والمتهمين

(٦) حكم على هذين المتهمين بالسجن ٢٠ عاما وخرجا سوية بفترة متقاربة ولم يرسل الامريكان البرت شپير الى الاسكا وانما عاش في المانيا الغربية والف كتابا ممتعا عن حياته في سجن شپانداو بعد اطلاق سراحه عام ١٩٦٦ وقد توفي عام ١٩٨٠ اما بالدور فون شيراخ فلا يزال يعيش في بلاده بعد اطلاق سراحه.

ــ المترجم ــ

الآخرين بقوله انه كان يدرك عدم جدوى الدفاع وعليه فقد آثر مقاطعة المحكمة تماما ولم ينطق بعبارة واحدة وانه تظاهر بالجنون طوال هذه الفترة ليتجنب اية فعالية في مهزلة نورمبرغ وقال انه بحالة عقلية طبيعية ولما ادرك مدى الخطر الذي يتعرض له في حالة استرساله بالتظاهر بالجنون آثرالتوقف عن المضي في لعبته هذه.

وكان لتصريحه هذا دويا كدوي القنبلة . الا انه استمر على الصمت طوال فترة المحاكمة ولم ينطق بكلمة واحدة. وكنت انا من ضمن الذين ايقنوا بأن الرجل مصاب بمرض نفسي. وليس ادل على ذلك من عبارته التي اطلقها بعد انتهاء المحاكمة[٧].

كان الدكتور هيالمار شاخت يجلس في اقصى الصف الاول ولم تزايله روحه المرحة وتفاؤله قط. ولقد حافظ ـ كعهدي به دوما ـ على ذكائهالوقاد وطريقته التهكمية في القاء نكاته اللاذعة. وكان يتصدى لكل هجوم يتعرض له بهجوم مقابل اعنف. ولكنه كان حتى في ذلك الموقف انانيا بعض الشيء كما كنا نعهده من قبل حيث حاول الاستشهاد بهانس غيزيفيوس الذي قام بدور الوسيط بين الشرطة السرية للدولة وأمير البحر كاناريس والذي كانبالواقع من وكلاء مصلحة الاستخبارات الامريكية كما عرض بعض الوثـائق التي تؤكد مساهمته في التآمر على الدولة الالمانية مؤملا نجاته ـ كما حصـل فعلا ـ حتى ولو شنق المتهمون العشرون.

وعلى الرغم من انتحار الدكتور يوسف غوبلز الا ان هانس فريتشه كان يمثله في محاكمتنا على الرغم من معرفة كل الالمان لنبرته الصوتيةالمتميزة عندما كان يلقى احاديثه من اذاعة برلين مستهلا كل حديث بقوله:

« الآن يتحدث اليكم هانس فريتشه »

---

(٧) يذكر البرت شپير في مذكراته الموسومة (يوميات شپانداو) مراسيم اعدام المحكومين بالشنق وكيف انهم عزلوا عن الآخرين وجعلوا بالطابقالارضي. ولما نادى الجـلاد على يوليوس شترايشر سمع احد المحكومين بالسجن يهتف بصـوت عال (حييت يا شترايشر) وكان ذلك الهاتف رودولف هيس.

ـ المترجم ـ

وقد انصب دفاع الرجل المجيد على الترديد بأنه كان ينطق (بصوت سيده) ليس الا . وذلك على الرغم من اعتقاده المخالف لما كان يقوله.

وأخيرا وليس آخرا يطيب لي ان اتحدث بشيء من الاسهاب عن المشير هرمان غورنغ الذي كان المتهم الرئيس في هذه المحاكمات لاسباب عديدة. لاسيما بعد انتحار هتلر وغوبلز وهملر وغيرهم من الأشرار. والآن اصبح غورنغ المرشح الوحيد لتحمل المسؤولية الكبرى اما سواه فيعتبر متهما من الدرجة الثانية بالنسبة له. كما انه كان المتهم الوحيد الذي يتمتع بشجاعة نادرة تؤهله للدفاع عن نفسه بكل جدارة. وبقى متمتعا بسلطته ونفوذه على المتهمين الآخرين عندما قال لنا جميعاً في غفلة من الحراس محذرا:

« ولا كلمة ضد هتلر»

وهدد من يخالف امره هذا بالشهادة ضده بشكل يبرر اعدامه.

وقد وجدت ان غورنغ لم يتغير عما الفته عنه عندما تحدث في ختام المحاكمة معي ومع فون نويرات وكايتل وكل الفرق بين حالته السابقة وحالته الأخيرة هو انه مجرد من اوسمته ونياشينه التي كان يزهو بها على الدوام ابان فترة مجده. وقد تجاهل المستقبل المجهول متحدثا عن مراحل حاسمة من الماضي. كما حاولت في مناسبة أخرى ان اذكره بمكانته عندما كان يدعى (ولي عهد المانيا) مستفسرا عن السبب الذي دعاه الى عدم التدخل ومنع هتلر من زج المانيا بالحرب والتسبب في تخريبها. وكررت المحاولة مرة ثانية ولكن من الواضح انه لم يشأ التحدث بهذا الموضوع المهم فتصام عنه. ولما عاودت الاستفهام قال لي:

« لقد تقبلت تحمل كل المسؤولية . بالقدر الذي استطيع ولكنني لم اتمكن من منع وقوع الحرب. على الرغم من اعتباري لها قضية مجردة من الحظ. ولربما كان بمقدورك او فون نويرات الحفاظ على السلام. الا ان فون ريبنتروب لم يستطع ذلك لأنه دأب على الثرثرة بكل ما يرضي هتلر».

وقد اكد لي في تلك المحادثة انه لاحظ ان هتلر اصبح في السنةالاخيرة من الحرب مجردا من القابلية على اجراء الحسابات السديدة . ولكنني ادركت

ان غورنغ احجم عن التدخل لانقاذ المانيا لاسباب انسانية تعود لعلاقـاته الحميمة التي كانت قائمة مع هتلر .

هذه حقائق غريبة عن محاكمات نورمبرغ ولعل اغرب ما فيها ان هذه المحاكمات لم يشر احد من المتهمين أو الحكام بكلمة واحدة ضد هتلر بينما كان المفروض أن تكون هذه المحاكمات مخصصة لادانة المتهم الأول هتلر لأنه هو الذي تسبب في كل ما حصل. وكان المفروض محاكمة هتلر حتى ولو مات وهذه افضع غلطة نفسية ارتكبتها هيئة المحكمة في نورمبرغ.

الفصل الثالث والثلاثون

المحاكمة

النظام الاساسي . نظام المحكمة . ساحة المحاكمة . القضاة . المتهمون يهاجمونني . صعوبات اعداد الشهود . اهمال وثائق مهمة. قضية النمسا . شهادة غويدو شميت . محاورتي مع سير ديڤد ماكسويل فايف عند استنطاقه لي. الحكم. كلمتي الاخيرة. افكار بشأن المحاكمة.

كانت محاكمات نورمبرغ بادرة جديدة في العلاقات الدولية عبر التأريخ الطويل للمسيرة الانسانية . وسوف لن احاول هنا تقديم تقرير مفصل عن سير المحاكمات لأن محضر المحاكمات الذي يتضمن التقارير الرسمية الشاملة لاقوال المتهمين والدفاع والمناقشات والمحاورات والوثائق المبرزة من الحكام والمحكومين تتألف مما لا يقل عن اثنين واربعين اضبارة ضخمة. ويمكنني هنا بيان بعض الملحوظات الموجزة التي اذكر فيها ما شاهدته شخصيا مع ملحوظات عامة بشأن طبيعة الاسلوب الذي اتبع معنا والنتائج التأريخية والقانونية المترتبة عليه . وان تقييم محاكمات نورمبرغ بعد اجرائها بخمسة

اعوام يمكنني من عرض الحقائق دون الوقوع بأخطاء ناجمة عن التسرع او الانسياق وراء العواطف وانما بموضوعية تامة.

تم اقرار النظام الاساسي لمحاكمات نورمبرغ باعتبارها اداة لتنفيذ القانون الدولي نتيجة لاتفاق ممثلي الدول المنتصرة بالحرب العالمية الثانية بلندن في ٨ آب ١٩٤٥ باعتبار الشخصيات القيادية الالمانية مسؤولة عن نشوب الحرب وكان المسؤول عن اعداد النظام الاساسي المذكور هو عضو المحكمة العليا الامريكية القاضي جاكسون وجاء في المادة الثالثة من ذلك النظام حرمان المتهم وهيئة الدفاع من حق مناقشة القضاة او أي عضو من هيئة المحكمة. كما منحت المادة السادسة من النظام لهيئة المحكمة حق توقيف الاشخاص بسبب فعالياتهم الفردية او انتمائهم لمنظمات تعتبر منظمات اجرامية معادية للسلام ساهمت في شن حرب عدوانية مناهضة للبشرية . كما اعتبر قادة القوات المسلحة الالمانية من المجرمين الذين يستحقون العقاب لمجرد اصدارهم الاوامر لقطعاتهم في الحرب.

ولعل المادة التاسعة من ذلك النظام اشد مواده اجحافا بحق المتهمين لأنها تمنح المحكمة حق اعتبار منظمات معينة منظمات اجرامية فيكون مجرد اثبات عضوية أي فرد لأية منظمة منها دليلا كافيا لادانته.

وقبل ان نمثل امام المحكمة لم يكن بمقدورنا فهم المعاني المحددة المقصودة في القانون الذي نحاكم بموجبه. اضف الى ذلك ان مفاهيم العدالة السائدة في امريكا وفي بريطانيا تختلف اختلافا جذريا عن المفاهيم السائدة في قارة اوربا.

كما ان أحد القضاة الاربعة يمثل دولة اوربية عريقة أما الرابع فيمثل الاتحاد السوفيتي ذو السيماء الشرقية الواضحة.

وتتضمن المادة الثالثة عشرة منح المحكمة حق مصادرة الوثائق التي بحوزة المتهمين اما المادة الرابعة عشرة فتمنح القضاة الاربعة حق توجيه أي اتهام لأي من المتهمين وقبول الشهادات او رفضها. وكان هذا اجراء جديد وغير مألوف في القوانين المرعية . وتعطي المادة التاسعة عشرة للمحكمة حق

تقدير اعتبار اية دلائل مهمة او غير مهمــة. واخيراً فان المادة الســادسة والعشرون تعتبر لوحدها مسألة مثيرة للانتباه ذلك لأن الحكم الصادر عن المحكمة ليس هناك اية سلطة يمكن ان تنقضــه ويعتبر قرار المحكمة مبرما وواجب التنفيذ.

لقد سبق ان ذكرت الاتهامات الاربعــة الرئيسة التي وجهت ضدي. وتم تزويدنا جميعا بنماذج تتضمن النقاط الشخصية التي يمكن ان تفند بها كل ما موجه نحونا من تهم. وكان اتهامي بالاشتراك في اثارة حرب عدوانية يستند على الزعم بأنني كنت خلال الفترة ١٩٣٢ حتى ١٩٤٥ عضوا في الحزب النازي (وهذا ما لم يحصل) وانني كنت عضوا في البرلمان ومستشارا ونائبا للمستشار وقومسيرا فوق العادة لاقليم السار ورئيس لجنة مخول بعقــد الاتفاقيات وسفيرا في ڤينا وفي انقرة. وانني قمت من جميع هــذه المواقع بالتأثير شخصياً على الآخرين وانني ادمت الاتصال الوثيق مع هتلر لكي اعزز موقف الحكومة الالمانية لتسيير المصالح النازية وترصين مركز هتلر الاستبدادي والاستحضار لشن حرب عدوانية.

ولابد ان القاريء الذي تابع مسيرة حياتي في كتابي هذا يدرك تماما مدى حرصي على السلام ومناوأتي للحرب ولابد ان يدرك ايضا بأن اتهامي بالاستحضار لشن حرب عدوانية يعتبر امرا غير ممكن.

ثم ان القوانين الالمانية لا تعرف مصطلح (التآمر) بهذا المفهوم وليس بمقدوري معرفة الترجمة الدقيقــة لهذا المصطلح من القوانين الانكليزية ــ الامريكية للغة الالمانية . وقد تطلب تفهمي للمقصود بذلك المصطلح معاناة شهرين كاملين.

في اليوم السابق لبدء المحاكمة قدم المحامون مذكرة مشتركة للمحكمة اعترضوا بموجبهــا على اتهام موكليهم (بجريرة الأجرام ضد السلام) لأنه لا يوجد اجرام بهذه الصيغة في القانون الدولي وبالتالي فلا يمكن اصدار اية عقوبة لهذا السبب.

الا ان المحكمة رفضت هـذا الاعتراض مستندة على المادة الثالثة من القانون كما رفضت الطلبات الأخرى المشابهة دون بيان الاسباب.

افتتحت الجلسة الاولى للمحكمة الدولية بالساعة العاشرة يوم ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٥ وادخلنا الى ساحة المحكمة للمرة الاولى وترتبعلينا التردد عليها زهاء سنة كاملة ننتظر خلالها مصيرنا المجهول. ولاحظت من الوهلة الاولى ان القاعة المذكورة كانت تغص بجمع غفير من الناس لدرجة تعتبر معها حالة غير اعتيادية بالنسبة للمحكمة ؛ وقد احاط بالمتهمين رهط من رجال الانضباط العسكري الامريكان الذين يعتمرون خوذهم الفولاذية المطلية باللون الابيض الناصع اللامع وهم مصطفين بصفين متراصين احدهما امام المتهمين والآخر خلفهم. وجلس المحامون في الصفوف الثلاثة من المصاطب التي كانت امامنا . كما جلس المترجمون في ممر ضيق الى يسارنا وجلس قبالة الممر الضيق ممثلو الادعاء العام للدول الأربع وكان جلوسهم على امتداد اربع مناضد طويلة . وفي نهاية الساحة كانت هناك فسحة كبيرة نسبيا مخصصة للصحفيين والمصورين الذين تقاطروا من جميع ارجاءالعالم. وكانت هناك فسحة اخرى صغيرة للمتفرجين . وقد احتشد فيها عدد كبير من العسكريين الذين يرتدون قيافات مختلفة بشكل ظاهر وهم يمثلون الدول التي سبق ان قاتلتنا.

وكانت الامة الوحيدة التي لم يمثلها أي فرد في هيئة المحكمة او هيئة الادعاء العام او الصحافة او المتفرجين هي الأمة الالمانية لسبب واضح وبسيط معاً هو ان المتهمين جميعاً كانوا من ابنائها.

انقطع همس المتحدثين بصورة مفاجئة عندما اعلن المنادي عن دخول اعضاء هيئة المحكمة الى القاعة فنهضنا جميعا احتراما لهم. وتطلعنا باهتمام زائد نحو وجوه قضاتنا للمرة الاولى لكي نحصل على فكرة عن شخصياتهم.

كان رئيس المحكمة هو القاضي الانكليزي لورنس . وهو شخصية قانونية مرموقة يتدفق حيوية ويتميز باستقلال الرأي والاخلاص لمهنة القضاء. وغالبا ما ساورني شعور جارف بأنه لابد ان يجد لنفسه منفذ من القيود التي

فرضتها عليه وثيقة لندن التي مهدت للمحاكمة . وقد لاحظت عليه فيما بعد انه قلما كان يوجه لي اسئلة شخصية خلال المرافعة.

وكان جاره الجالس الى يساره هو القاضي بيدل الذي اعتبره اذكى القضاة قاطبة. لأنه كان يتابع سير المحاكمات بكل اهتمام وكانت اسئلته للمتهمين وللشهود تدل على المقدرة والحصافة لأنها دقيقة ومهمة. والذي جلب اهتمامنا بصورة خاصة هو نقيضه ممثل الادعاء العام الامريكي القاضي جاكسون الذي لاحظت عليه وعلى معاونه پاركر جهلهما الفاضح بمسار الدعاوي.

اما ممثل فرنسا فكان الاستاذ دونيديه دي ڤابر فكان قاضيا غامضا لم نستطع ان نكون عنه اية فكرة. فهو لم يوجه لأي منا أي سؤال طوال فترة المحاكمة وكان دؤوبا على الكتابة لايام واسابيع او اشهر دون كلل او ملل. ولابد ان ملحوظاته التي دبجها يراعه تملأ مجلدات ضخمة.

واخيرا فان ممثل روسيا الفريق نيكيتشنكو لم يحظ باهتمام أي فرد منا فنحن نعرف مشاعر السوڤيت تجاهنا سواء في هذه المحاكمة او بدونها. كان وجهه ينم عن شباب متدفق ويبدو عليه الحماس فيتحفز بشكل ظاهر عندما يذكر ممثل الادعاء العام السوڤيتي اللواء رودنيكو ملحوظة ما وقد عانى كليهما من الحرج عندما تطرقت المحكمة الى المعاهدة التي عقدت بين هتلر وستالين قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية وعندما تم التطرق الى مذبحة كاتين [١].

---

(١) بعد ان اكتسحت القوات الالمانية النصف الشرقي من پولندا في عدوانها على الاتحاد السوڤيتي واندفعت متوغلة بالاراضي الروسية اكتشفت في ربيع ١٩٤٣ وجود جثث ٤١٤٣ ضابط پولندي مطمورة في غابة كاتين التي تقع على بعد ٢٠ كيلومترا الى الغرب من سمولنسك. وقد تبادل الروس والالمان التهم بشأن تحديد الفاعل ثم استقدم الالمان مجموعة من اطباء هيئة الصليب الاحمر الدولية لتحديد تاريخ قتل الضحايا. وقد شاع في حينه ان ستالين هو الذي اصدر الامر بقتل اولئك الضباط البولنديين.

— المترجم —

كانت الاتهامات الموجهة لكل منا تعسفية الى ابعد الحدود وقد تضامن في توجيهها لنا ممثلو الادعاء العام للدول الأربع المنتصرة.

وتم الشروع بمحاكمتي يوم ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٦ عندما القى الرائد هاركورت بارنغتون نائب المدعي العام الانكليزي لائحة الاتهام الموجهة ضدي. وزعم فيها انني اتحمل مسؤولية النشاطات التي قمت بها خلال الفترة الممتدة من ١ حزيران ١٩٣٢ حتى تحقيق الوحدة مع النمسا في آذار ١٩٣٨. وجرى اتهامي بأنني سايرت النازيين وشجعتهم رغم علمي بخططهم ووسائلهم بممارسة تأثيراتي الشخصية من اجل تبوء هتلر مكانته الرفيعة وانني ساعدته في الوصول الى السلطة وانني ساهمت في استحضار هتلر لتولي منصب المستشار وسهلت له ذلك. كما انني بايقاف نظام تحريم منظمة وحدات العاصفة في حزيران ١٩٣٢ جعلت الحزب النازي يحصل على امتياز كبير الاهمية ساعد في توليه السلطة. وبخاصة عندما اقدمت على الاشتراك بالاجتماع الذي حدث في منزل السيد فون شرويدر بمدينة كولن في ٤ كانون الثاني ١٩٣٣ فكان ذلك الاجتماع ـ بنظر الادعاء العام ـ التمهيد المباشر لايصال هتلر الى منصب المستشار.

ولكي يثبت الرائد بارنغتون هذا الاتهام ضدي فانه استشهد بشهادة مطولة مشفوعة باليمين ادلى بها البارون فون شرويدر ثم قال بأن البارون متهم هو الآخر في قضية لاحقة. كما تم اتهامي بقضية تصفية اليهود في نيسان ١٩٣٣ استنادا على قرار الحكومة الالمانية المتخذ آنذاك وكذلك اتهمت بتقويض الاتفاقية الالمانية ـ الفرنسية. ثم ما لبث المدعي العام المذكور ان تطرق بصورة مفاجئة الى محاضرتي في جامعة ماربورغ. وقال عنها انها كانت اول انتقاد علني للنظام النازي الا ان وجه اتهامه لي بهذا الصدد هو قوله:

« لو أن المتهم قطع علاقاته بالنازية آنذاك لوفر على العالم الكثير من الآلام. ذلك لأن هتلر عندما يفقد نائب المستشار ويقوم هذا بشرح اخطار النازية للعالم كله فان المانيا لن تكون قادرة على اعادة احتلال اقليم الراين ولما وقعت الحرب العالمية الثانية».

ووصف الادعاء العام فعالياتي في النمسا بالادعاء انها كانت استحضارات تمهيدية لشن حرب عدوانية . واستشهد الادعاء العام بهذه المناسبة بفقرات من تقاريري المرفوعة الى هتلر عرضها السفير الامريكي بفينا آنذاك السيد ميزو شميت الذي شهد بعد ان اقسم اليمين زاعما انني سبق ان قلت له في عام ١٩٣٤ بأنني جئت الى النمسا لسبب واحد هو القضاء على حكومتها واحلال الحكومة الالمانية بمحلها وتوسيع نفوذ دولتي ليمتد الى حدود تركيا. كما زعم في شهادته ايضا بأنني رغم كوني كاثوليكي مؤمن استغللت صفتي هذه للتأثير على شخصيات مهمة مثل الكاردينال انيتسر فضللته وأوقعته بخطأ فاحش. وزعم ان الاتفاقية التي افلحت بعقدها بين النمسا والمانيا في ١١ تموز ١٩٣٦ كانت مجرد مناورة ماكرة للايقاع بالنمسا . لأنني اجبرت النمسا بموجب تلك الاتفاقية على اشراك النازين النمسوين في حكم البلاد فأوصلتهم الى السلطة.

والحقيقة هي ان جزءا من تلك الاتفاقية كان سريا ـ وقد تم جعله سريا في حينه بناء على رغبة المستشار النمسوي فون شوشنيغ ـ بينما اصبحت هذه الملحوظة مسألة سلبية اضافية ضدي.

واود ان اوضح نقطتين مهمتين بهذا الصدد. اولاهما هي انني يمكنني ان اثبت بأن فعالياتي السياسية خلال الفترة ١٩٣٢ـ١٩٣٤ لم تكن موجهة قط لهدف ايصال هتلر الى السلطة او تقوية مركزه بأي شكل كان.

وثانيتهما هي انني يمكنني ان اثبت بأني لم احاول ابدا اللجوء الى وسائل ملتوية للايقاع بحكومة فون شوشنيغ وانما على العكس من ذلك بذلت قصارى جهودي لاحباط خطط النازين النمسوين وكبح جماحهم نظرا لأن الغرض الاساس من مهمتي في النمسا هو تطوير العلاقات القائمة بين البلدين الشقيقين وصولا لتحقيق الوحدة . فكيف يمكنني تبرئة ساحتي من هذه التهمة؟

لقد تصورت ان افضل وسيلة للدفاع عن نفسي هي ايضاح وجهة نظري

السياسية للمحكمة وتفنيد الاتهامات الموجهة نحوي تباعاء لكنني لم احدس بطبيعة الحال مدى تصديق اعضاء المحكمة لأقوالي واعتراضاتي. ولعل الصعوبة الكبرى التي صادفتني هي ان قوات الحلفاء المنتصرين اعتقلت كل الماني كان يشغل منصبا مهما في الدولة الالمانية بتهمة جرائم الحرب وهكذا لم يعد بمقدوري ايجاد الشهود الذين يمكنهم تبرئة ساحتي. كما لا تتوفر لدي اية وثائق ولم يكن هناك أي مصدر لتزويدي بالوثائق الضرورية لأحقاق الحق. ذلك لأن وثائق الدولة الالمانية إما انها اتلفت بتأثير القتال او انها وقعت غنائم بيد القوات المحتلة. وكانت اضباراتي الشخصية التي حرصت على الاحتفاظ بها في ڤالرفانغن وبرلين قد احترقت او فقدت نتيجة لظروف الحرب.

وانهارت منظومة المواصلات الالمانية لدرجة يمكن اعتبارها معها غير موجودة. ولم تتوفر لدي اية امكانات لمعرفة عناوين اصدقائي ومعارفي بل انني لم اكن متأكدا عما اذا كانوا على قيد الحياة . كما لم يكن بمقدوري تحقيق أي اتصال مع أي فرد غريب خارج السجن. وحتى لو ثبت لدي بأن الصديق أو الشخص الذي أعرفه لا يزال على قيد الحياة فانني لست متأكدا عما اذا كان ذلك الشخص على استعداد للشهادة لصالح احد (مجرمي الحرب) أمام المحكمة العسكرية الدولية في نورمبرغ وهي محكمة ذات نظام فريد يحرم المتهم من ابسط حقوق الدفاع.

تم توقيف عدد كبير من الشخصيات الالمانية التي كانت تشغل مناصب رفيعة في الدولة وكان هؤلاء يخشون الادلاء بشهاداتهم لكي لا يتحولوا الى متهمين. ولم نكن نحن المتهمين لنميز بين الشاهد المطلق السراح والشاهد المتهم في قضية أخرى المحاكمة هو الآخر.

كما لم تتوفر لدينا اية فكرة عن طبيعة ومقدار الوثائق التي بحوزة الادعاء العام . ففي حالة قضيتي مثلا عرض الاتهام مجموعة من التقارير التي ارسلتها من السفارة في ڤينا الى وزارة الخارجية الالمانية خلال الفترة من آب ١٩٣٤ حتى ربيع ١٩٣٨ مما دعاني للتصور بطبيعة الحال ان الادعاء العام

حصل على جميع التقارير التي ارسلتها في تلك الفترة . فأردت الدفاع عن نفسي بابراز الوثائق السرية التي سبق ان اخفيتها في أحد مصارف سويسرا ولما تقدمت بطلب استرجاع الوثائق المذكورة رفضت المحكمة طلبي هذا معللة ذلك بأن الاتهام لا تتوفر لديه اية وثائق اخرى تدينني. وللقاريء الكريم ان يقدر مدى قبول هذا الزعم.

وقد ادركت في تلك الفترة مدى صعوبة عمل المحامين الالمان المدافعين عنا لأنهم كانوا يواجهون صعوبات متتابعة ويتعرضون لمناقشة وثائق مكتومة يبرزها الادعاء العام في مختلف مراحل المحاكمة . اضف الى ذلك ان نمط المحاكمات المألوف في المانيا يختلف تماما عن طبيعة المحكمة العسكرية الدولية في نورمبرغ من حيث ان القاضي الالماني يتمتع بحق مناقشة المتهم والشهود في معرض تحريه عن الحقيقة. اما في محكمتنا فقد اصبح من المألوف نشوب نزاع بين الدفاع والادعاء العام دون ان يتدخل القضاة.

وثمة قضية اخرى ذات طابع حساس في محاكمتنا هي اشتراك الروس معنا في غزو بولندا عام ١٩٣٩ بينما جلس فريق روسي في صف القضاة ليحاكمنا عن مهاجمة بولندا . اضف الى ذلك ان الحلفاء الغربيين مارسوا ايضا وسائل مشابهة للوسائل التي مارسناها في الحرب وصاروا يحاكموننا عنها. وقد قال القاضي الانكليزي اللورد لورنس:

« نحن لا نرغب هنا بسماع ما فعله الحلفاء ».

يعتبر الانفعال والهجوم وسيلة رديئة للدفاع عن النفس امام المحاكم. الا ان حالتي التي لم اكن احسد عليها امام تلك المحكمة كانت تستدعي المغامرة بالتصدي للتهم الظالمة التي تعرضت لها لكي ابريء نفسي منها.

وللحق اقول ان حالة فريدة فقط دلت على حب الانصاف وتجلت في تلك المحاكمات حيث اتهمنا في ادارة حرب الغواصات بأغراق السفن المعادية دون اعطائها انذار مسبق مما يستدعي ادانتنا بجريمة اخرى من جرائم الحرب. وقد كتب امير البحر الامريكي نيميتز القائد العام للقوات البحرية

الامريكية في المحيط الهادي موضحا للمحكمة بأن الغواصات الامريكية تلقت منذ اليوم الاول من الحرب امراً بأغراق اية سفينة معادية دون اعطائها أي انذار مسبق وكانت هذه الرسالة كافية لإسقاط التهمة المذكورة عن امير البحر الأكبر كارل دونيتز لكونه القائد السابق للغواصات الالمانية.

حاولت في تلك الفترة الاستشهاد ببعض الشهود الذين قدرت امكانية حضورهم امام المحكمة للادلاء بشهاداتهم لصالحي وكان من هؤلاء الوزير المفوض السابق لدولة الفاتيكان لدى تركيا المطران رونكالي والوزير الهولندي الدكتور فيليب فيسر والوصي على عرش المجر امير البحر هورتي. وصديق العمر البارون فون ليرسنر ومعاوني السابق ابان اشتغالي نائبا للمستشار وسفيراً في ڤينا فون تشيرشكي ومستشار السفارة في ڤينا الأمير ارباخ وغيرهم. والشاهدين اللذين رجوتهما رجاء شخصيا للادلاء بشهادتيهما هما مستشار السفارة السابق في انقرة الدكتور كرول وامين سري الشخصي لسنين عديدة غراف كاغنيك.

وحدث ان جاءتني معونة غير متوقعة عندما اعترف غورنغ بتحمله مسؤولية ادارة كل التفاصيل المتعلقة بالوحدة مع النمسا في آذار ١٩٣٨ وقد أكد بهذه المناسبة ان هتلر كان على استعداد لتحقيق الوحدة باللجوء للقوة.

ثم ان موقفي تجلى بصورة اوضح عندما أدلى وزير خارجية النمسا الدكتور غويدو شميت بشهادته بناء على رجاء زايس انكوارت. حيث تمكن شميت بشهادته من دحض المزاعم غير المعقولة التي ادعاها السفير الامريكي السابق في ڤينا السيد ميزر شميت والتي سردتها آنفاً.

وجاء في شهادة الدكتور غويدو شميت توضيح شامل للمفاوضات التي قمت بها حتى توصلت الى عقد اتفاقية تموز ١٩٣٦ مع النمسا وقال انها تمت بمبادرة من النمسا وان المستشار النمسوي فون شوشنيغ كان راضيا عن كل ما جاء فيها. واضاف قائلا ان البنود السرية من تلك الاتفاقية جعلت بهذه الصفة بناء على رغبة المستشار النمسوي فون شوشنيغ. وقال في معرض

وصفه لمقابلة فون شوشنيغ لهتلر في برختسغادن يوم ١٢ شباط ١٩٣٨ انني لم امارس أي ضغط عليه او على المستشار فون شوشنيغ وانما حاولت التوسط بين النمسا والمانيا ليس الا • كما اثبت عدم علمي بالنقاط المتفق عليها بين فون شوشنيغ وصديقه تسرناتو قبل اجراء مقابلة الاول لهتلر في برختسغادن•

واود التأكيد في هذا المقام على اجابتين ادلى بهما الدكتور غويدو شميت لا لانهما تعطيان انطباعا واضحا عن موقفي من قضية النمسا آنذاك فحسب وانما توضحان دوري بشكل محدد المعالم• ففي اجابته على اتهام الادعاء العام لي بتضليل النمسا في اتفاقية تموز ١٩٣٦ قال الدكتور شميت:

« كلا فأنا لا اتصور ابدا بأن هذه الاتفاقية كانت مضللة وانما كانت اتفاقية الند للند بين المانيا والنمسا وهذا لا يغير شيئا من حقيقتها حتى ولو اخلت بها المانيا فيما بعد»•

وللاجابة على سؤال آخر عما اذا لم تكن الحكومة الالمانية متهمة لكونها لم تلتزم بتعهدها في عدم تغيير سياسة النمسا الداخلية خلافا لما جاء بالاتفاقية المعقودة بينها وبين النمسا قال الدكتور غويدو شميت:

« اجل لقد ساورتنا شكوك كثيرة بهذا الشأن• وكان هذا هو جوهر الصراع الذي نشب بين البلدين فقد اضطررنا على خوض صراع مرير ضد النازية من أجل ضمان استقلال بلادنا بينما كنا قد تعهدنا بالوقت نفسه بالتعاون التام مع حكومة المانيا التي كانت قيادتها نازية• وهكذا بات من المتعذر علينا التوفيق بين مناوأة النازيين النمسويين لنا وولائنا لدولتنا الموحدة التي يتزعمها النازي الاول هتلر • وقد صادفت هذه الصعوبة كل فرد يعمل لصالح الوحدة وازعجته• وكان ممن تعرض لهذه المضايقة بصورة شديدة السفير الألماني لدى النمسا»•

كان الدكتور شميت موقوفاً آنذاك وقد ارسل مخفورا الى النمسا بعدئذ ليحاكم بتهمة الخيانة العظمى ثم ما لبث ان ابرئت ساحته واخلي

سبيله . اما الشاهدين الاخرين اللذين رجاهما الوزير السابق زايس انكوارت الأدلاء بشهادتيهمـا لصـالحه فكانا الفريق فون غلايزه هورستيناو وامين العاصمة النمسوية السابق الدكتور راينر . وقد وصفا باسهاب في شهادتيهما صراعي المرير ضد المتطرفين من النازيين النمسويين . وهكذا تجلت للجميع برائتي من التهمة التي وجهت لي عن فعالياتي ابان خدمتي في النمساء

بدأ استجوابي في ١٤ حزيران ١٩٤٦ ولما شرع غورنغ بالادلاء بشهادته المتعلقة بتطور الحركة النازية بالتفصيل قررت المحكمة عدم تحـديد مدة معينة لتلك الشهادة المهمة. الا ان المحكمة لم تعد تسمح بالأستماع لأيـة شهادة مشابهة عند مناقشة أي متهم آخر وكان هذا الاجراء سلبيا بالنسبة لي لأنني كنت متهما باسناد هتلر وتشجيعه على الوصول الى السلطه . ولمـا كنت متهما عن فعالياتي السياسية بدئا من يوم تولي منصب المستشـار في حزيران ١٩٣٢ واصبح من المتعذر على بطبيعة الحال وصف الملابسات التي اوصلتني الى منصب المستشار لأنني لم اكن نازيا مثل غورنغ لكي اتشدق بمدح الفكر النازي. ولكي افند مزاعم الادعاء العام بصدد محاضرتي في جامعة ماربورغ فقد عرضت للمحكمة نص المحاضرة المذكورة بغية التمعن بما جاء فيها. وقد استمر دفاعي النهائي امام المحكمة ثلاثة ايـام كاملة. وبعد عطلة يومي السبت والأحد ثم باشر باستجوابي سير ديفد ماكسويل فايف بعدظهر الاثنين المصادف ١٨ حزيران ١٩٤٦ .

كان سير ديفد اكفأ المدعين واوسعهـم علما بالقوانين . وقـد اظهر بتصرفه معي كل مقـدرة وسار في استجوابه لي على النمط الانكليزي ـ الامريكي المألوف وقـد كان سياسيـا محترفا وعضوا في مجلس العمـوم البريطاني. ولذا فهو يتمتع برؤية واضحة للتطورات السياسية بدرجة تفوق زملائه الامريكان. لقد استهل محاورته معي باتهـامي بمساعدة هتلر على الوصول الى السلطة رغم معرفتي الوثيقة لمساوىء المبدأ النازي. الا انه لم يتمكن من اثبات فعاليات من هذا القبيـل في فترة اشغـالي لمنصب نائب المستشار . ثم عاد فأتهمني بالتعاون مع النظام النازي لقبولي منصب السفير

في ڤينا بعد انقلاب روهم. واتهمني ايضا بعدم جديتي في مناوأة النظام النازي رغم انني كنت معروفا بمعارضتي العلنية لنظام هتلر . ولم يكن بمقدوري تفنيد هذه المزاعم الا بترديد وحوب الرجوع الى التطور التأريخي للحركة النازية ثم قلت ان سكان المانيا يعرفون واقع الحال الذي عاشوه في تلك الفترة افضل من غيرهم لاسيما وانهم كانوا متأثرين بالاجحاف الذي اصاب المانيا نتيجة لتطبيق معاهدة فرساي الجائرة بعد الحرب العالمية الاولى مما اتاح لهتلر المتطرف امكانية الوصول الى سدة الحكم.

ثم ان سير ديڤد خاض معي مناقشة مطولة بشأن مراسلاتي الشخصية مع هتلر بعد محاولة روهم الانقلابية . وقد بررت تلك المراسلات الى حرصي على ادامة الاتصال مع رئاسة الحكومة الالمانية آنذاك لانقاذ العاملين معي واصدقائي من الاعتقال المفاجيء والقتل والتعقيبات التي شملت عددا منهم. مؤكداً لهتلر بأن نائب المستشار واعوانه لا علاقة لهم بقضية روهم من قريب او بعيد وان غرضي الوحيد هو انقاذ اولئك الرجال من المصير المظلم الذي تعرضوا له دون ذنب. ولما حاول سير ديڤد تأكيد الاتهام بتضليلي النمسا خلال فترة اشتغالي سفيرا لديها كان اثبات براءتي من السهولة بمكان.

والواقع ان سير ديڤد لم يحاول اداتتي بتهمة الاستحضار للحرب والمشاركة في تدبير حرب عدوانية ومناوأة السلام العالمي. وانما قال لي:

« نحن نلومك لأنك كنت على علم تام بطبيعة ما حدث لالمانيا قبل وقوعه. وقد رأيت بأم عينك كيف تعرض اصدقائك واصحابك للقتل. ولعل السبب الوحيد الذي حدى بك لقبول منصب بعد آخر في النظام النازي هو انك كنت متعاطفا مع سياسته . وهذا ما ندينك به يا سيد فون پاپن».

فأجبته :

« هذا هو رأيك يا سير ديڤد. اما انا فقد قدرت بتأمل عما اذا كنت سأستمر على خدمة بلادي وخدمة المثل التي آمنت بها وخدمة الأمة الالمانية او ان انسحب من الميدان لاتوارى في زوايا النسيان وكان ان آثرت العمل على الهزيمة».

الا ان سير ديڤد استمر على مناقشتي على ضوء الافادات التي ادلى بها الشهود وبخاصة افادة الدكتور كرول مما اكد لي ان تهمة الاشتراك بالاستحضار لشن حرب عدوانية كانت لا تزال قائمة ضدي وعليه فقدتحولت للتركيز على جهودي المتواصلة التي بذلتها خلال اشتغالي سفيرا في انقرة من أجل تقليص أمد الحرب.

والأمر الوحيد الذي اقلق بالي هو خشيتي من التعرض الى عقوبة جماعية تشمل كل المتهمين بجريرة المساهمة في ايصال هتلر الى سدة الحكم والتعاون في الاستحضار لشن حرب عدوانية وتعريض سلام العالم للخطر.

ولقد زعم اغلب المتهمون وكثير من المحامين ان هذه القضية هي قضية سياسية ولذا فاننا لا يمكن ان نتوقع صدور البراءة علي أي فرد منا وكان ان تحقق هذا الرأي بعد سماع الكلمة الختامية للأدعاء العام والتي علمت منها ان المدعي العام الفرنسي طالب بأعدامي وكذلك فعل المدعي العام الروسي وعليه فقد اخبرت المحامي في تلك الليلة بوجوب عدم اعطاء أي توقع لعائلتي عن الحكم قبل صدوره. الا انه قال لي بهذه المناسبة انه يرى ان فرصة البراءة الى الأدانة تبلغ ٥٠ الى ٥٠ بالمائة . ثم ان المحكمة اجلت جلساتها الى نهاية آب ١٩٤٦ وبذا أخرت النطق بالاحكام لشهر آخر.

وقبل منح هذه الفترة طالبت المحكمة جميع المتهمين بتقديم (كلمة اخيرة) وحددت لكل متهم منا مدة سبع دقائق فقط يلقي خلالها تلك الكلمة الأخيرة. وقد قلت انا كلمتي مشيرا في مستهلها الى آمالنا بعد الحرب العالمية الأولى:

« لقد كان من الواضح بالنسبة لي ان بعث الوطن يمكن ان يتم بانتهاج طريق السلام واعتماد القيم الروحية. ولم يكن هذا المسلك هو المسلك الكفيل بمعالجة المشكلات السياسية فحسب وانما معالجة المشكلات الاجتماعية المتفاقمة ايضا. كما انني آمنت بأن اللجوء للدين حالة ضرورية لنبذ موجة الالحاد العاتية المتخذة مظهر التقدمية تضليلا. ثم انني لاحظت

في خضم هذه التناقضات ان مصير المانيا معلق الى حد كبير بالسلام الأوربي• ولكن المؤسف هو ان قوة النازيين الغاشمة تغلبت في بلادي على قوة الخيرين فأدى ذلك الى مسير المانيا حثيثاً نحو الكارثة • فهل يبرر اندحار المانيا احتراق الأخضر مع اليابس؟

واذا وجدنا انفسنا في بلاد خسرت الحرب فهل يترتب علينا جميعا تسديد ثمن الخسارة ؟ انني اعتقد بأنني اديت واجبي وتحملت مسؤولياتي وفق ما آمنت به دوماً دون ان افرط بحقوق وطني وامتي»•

تقرر النطق بالاحكام في ٣٠ أيلول ولم تخرج طبيعة الاحكام الصادرة عن التخمينات المجردة من كل أساس • واتخذت تدابير أمنية صارمة للحفاظ على أسرار المحكمة لدرجة ابقي معها المترجمون محبوسين في بناية المحكمة طوال فترة اصدار الاحكام وترجمتها وبلغ التوتر غايته في ختام المحكمة ولدرجة فاقت التوتر الذي عشناه يوم افتتاح المحاكمات•

غصت قاعة المحكمة بأناس من مختلف اصقاع الارض وكلهم لهفة لكي يخبروا مواطنيهم بما ستتمخض عنه محاكمات مجرمي الحرب ولكن يبدو ان تلك القاعة ــ على سعتها ــ لم يكن فيها مكان لألماني واحد عدا المتهمين ورجل متحمس لأداتنا لدرجة فاقت خصومنا هو رئيس وزراء باڤاريا هويغنر• اما نحن فقد ارقنا السهاد في الليلة التي سبقت النطق بالأحكام لأن القلق أخذ منا كل مأخذ وبالنسبة لي فانني لم يغمض لي جفن في تلك الليلة•

قام القضاة بالتشاور فيما بينهم وقرروا ادانة من ثبتت عليهم قضايا معينة ثم أصدروا أحكامهم بعد روية وامعان• ولما حان موعد النطق بالاحكام ران على قاعة المحكمت صمت رهيب ثم شرع رئيس القضاة الانكليزي باعلان أحكام المحكمة بدئاً بهرمان غورنغ وكان قلقي يزداد من آونة الى أخرى انتظاراً لدوري لأنني كنت الرابع قبل الأخير •

بقي رجال الصف الاول من المتهمين واجمين دون ان يطرف لهم جفن• ثم جاء دور الدكتور شاخت الذي نال البراءة وعندئذ جاء دوري بعده ولما

نطق القاضي ببرائتي لم تصدق اذني ما سمعت فبقيت واجماً وحرصت على عدم اتيان اية حركة تنم عن الابتهاج لكن الحكم ببرائة ثلاثة متهمين فقط هم انا والدكتور شاخت وهانس فريتشه اثار غضب رئيس وزراء اقليم باقاريا هويغنر الذي قال لعدد ضئيل من الصحفيين الالمان:

« ان هذه البرائة فضيحة لا تطاق • وسأبذل جهدي لاعادة توقيف هؤلاء السادة حال خروجهم من باب السجن»•

وعلى الرغم من ابتهاج البعض وانزعاج البعض الآخر لبرائتنا نحن الثلاثة فان المعنى العميق الذي انطوت عليه تلك التبرئة هي أنها أول اشارة من الحلفاء الى عدم رغبتهم في ادانة الشعب الالماني بجريرة اثارة الحرب العالمية الثانية•

أصدر رئيس المحكمة اوامره باخلاء سبيلي من السجن حال انتهاء الجلسة• وكان الوقت ظهرا عندما نطق القاضي بالحكم على آخر متهم• ولما جاء رجال الانضباط العسكري لاطلاق سراحي هنأني بعض المتهمين وكان بينهم هرمان غورنغ الذي قال لي:

« أهنئك على برائتك وهذا ما لم اشك به ابدا»•

فلم احر جوابا لأن الكلمات لم يعد لها أي معنى ازاء رجل حكم عليه بالموت وراح يهنيء الآخر بالحياة• فصافحته وفي النفس حسرة• وكذلك صافحت الفريق الاول الفريد يودل والوزير زايس انكوارت الذين قضيت معهم بضعة اشهر مفجعة•

والآن وانا اكتب هذه المذكرات بعد خمسة اعوام من المحاكمة يطيب لي ان اعود بذاكرتي متأملا الاحداث المريرة التي مررت بها في تلك التجربة فنحن نعلم الآن ان ستالين اقترح في مؤتمر يالطا اتخاذ قرار بتصفية زهاء خمسين الف شخصية سياسية قيادية في المانيا الهتلرية وبذا ستحل معضلة التعامل مع المانيا • ولم يعترض الرئيس روزقلت على هذا المقترح وانما ايد ولده[٢] هذه الفكرة • الا أن تشرشل رفض ذلك بقوله ان الحكومة البريطانية

(٢) كان احد ابناء الرئيس الامريكي الاسبق فرانكلن روزقلت مرافقا عسكريا لابيه. كما خدم ابن آخر له وهو جيمس روزقلت ضابط ارتباط لدى الحملة البريطانية على العراق عام ١٩٤١ .

ـ المترجم ـ

لا يمكن أن تقر مثل هذه الخطة . ولابد لنا من عرفان جميله هذا لأن الشر الذي أضمر لنا اقتصر على تلك المحاكمات . أما مدى أحقية الدول المنتصرة في محاكمتنا بموجب القانون الدولي فهذه بطبيعة الحال مسألة أخرى .

لقد كانت محكمة نورمبرغ مجرد وسيلة عبر بها المنتصرون عن رغبتهم في الانتقام ولم تضم بين قضاتها قضاة المان ولا محايدين. ولو صحت مزاعم الادعاء في محاسبة رجال الدولة التي شنت حربا عدوانية في عام ١٩٣٩ فان اولئك الرجال كان يمكن ان ينالوا نفس العقوبات تقريبا فيما لو جرت محاكمتهم من قبل قضاة المان لأن القوانين الالمانية تدينهم على الافعال التي قاموا بها . وانني أظن أن محاكمات نورمبرغ كانت بادرة مغلوطة في العلاقات الدولية يخشى من تكرر حدوثها.

ثم ان المنتصرين اباحوا لانفسهم ممارسة نفس العمل الذي مارسه هتلر وحاكمونا عن افعال قاموا بها في تلك الحرب فقد اقتسمنا بولندا مع الروس في أيلول ١٩٣٩ ثم كان العدوان على فنلندا وابتلاع دويلات البلطيق واحتلال اجزاء من رومانيا[٣] وهي أفعال مشابهة تماما لما قامت به المانيا نحو جيرانها . اضف الى ذلك ترحيل الملايين من الالمان بصورة قسرية من بلادهم في الاقاليم التي صارت ضمن اراضي تشيكوسلوفاكيا وروسيا وبولندا[٤] وهذه الافعال مشابهة تماما لما فعله هتلر في الاتحاد السوفيتي وبولندا ابان فترة الاحتلال الالماني.

---

(٣) عوضت بولندا عن المناطق التي فقدتها بمناطق أخرى استحوذت عليها من المانيا فوصلت حدودها الى نهر الاودر وفرعه نايسه فحصلت بذلك على نصف بروسيا الشرقية (وحصلت روسيا على النصف الآخر) كما حصلت على نصفي اقليمي بوميرانيا وسيليزيا وصولا الى مدينة برسلاو . اما رومانيا فقد حصلت لقاء الاقليم الذي ضم للاتحاد السوفيتي على منطقة بنفس مساحتها من المجر . كما ان تشيكوسلوفاكيا تخلت هي الاخرى عن منطقة صغيرة لصالح الاتحاد السوفيتي.
— المترجم —

(٤) المقصود اقليم بروسيا الشرقية الذي اقتسمته روسيا وبولندا .
— المترجم —

ولو تصفحنا القانون الدولي واتفاقيات لاهاي(٥) المعقودة في عام ١٩٠٧ لوجدناها خلوا من الاشارة للنتائج المترتبة على الغارات الجوية على المدنيين والتعامل مع السكان في المناطق المحتلة.

وأخيراً اود ان انوه عن تأثيرات الصحافة المناهضة لنا ابان محاكمتنا سواء في المانيا ـ حيث كانت الصحافة خاضعة لادارة الحلفاء ـ أو فيمختلف اقطار العالم. ولكن على الرغم من تشويشاتها المنكرة فان محاكمات نورمبرغ لم تؤد الى النتائج المرجوة منها للتأثير على الشعب الالماني. ذلك لأن الاجحاف والاكاذيب واللهجة العدوانية لابد ان تؤدي كلها الى نتائج عكسية.

اضف الى ذلك ان التقارير التي كانت تذيعها محطات الاذاعة في المانيا كانت تمثل وجهات نظر الحلفاء. ويسيطر عليها ويسيرها آنذاك غاستون اولمان وهو الماني سابق متجنس بالجنسية الكوبية وقد مكث مع الحلفاء وتحت ظلال حرابهم طوال فترة وجودهم في المانيا ثم هرب متلفعا بظلام الليل خشية الانتقام. وكانت كل التقارير التي يذيعها ذات جانب واحد وهي بعيدة عن الموضوعية والانصاف لدرجة استفزازية أدت معها الى نتائج معكوسة. كما انني اود أن اقدم للقاريء الكريم نموذجا من التقارير التي كتبتها عني الصحافة العالمية أبان فترة محاكمتي لكي يحصل على فكرة واضحة عن مسار الصحافة العالمية المناهضة لنا في تلك الفترة. فقد كتبت مجلة (لوك) الامريكية بعددها الصادر في ٣٠ نيسان ١٩٤٦ مقالا بقلم السيد جورج بيدل جاء فيه:

« فرانز فون پاپن ـ الجاسوس الاول والدبلوماسي في الحربالعالمية الثانية هو فون پاپن سفير المانيا الذي كان معيناً للعمل في تركيا .. ولپاپن هذا وجه حيوان وذكاء انسان وله مخطم كلب من فصيلة الذئاب او ثعلب او ابن آوى او جرذ... فهو دائب الحركة هنا وهناك ويدس انفه في كل

---

(٥) نظمت اتفاقيات جنيف حقوق اسرى الحرب والمدنيين الذين يتعرضون لويلات الحرب لكن تطبيقها من قبل مختلف دول العالم يختلف عنالاسس الانسانية الوارد فيها. ـ المترجم ـ

قضية، وهو لا يقوم بأية حركة مباشرة من الأمام وانما لابد ان يلتف نحوها من الجانب او من الخلف، ولعله من العسير وصف الغضب الذي يعتري ذلك الحيوان وهو يقترب نحو حتفه»،

الفصل الرابع والثلاثون

كُرهٌ وانتقامٌ وتوبَةٌ

متطوع لدخول السجن . ليلة المشانق . ردود الفعل . اعادة توقيفي. التطهير من النازية . في المعتقلات والسجون . محاكمتي الثالثة في نورمبرغ. ملحوظات ختامية.

عزلت أنا والدكتور شاخت وهانز فريتشه عن بقية المتهمين الذين صدرت بحقهم احكام مختلفة بعد اداناتهم. الا ان رئيس وزراء بافاريا السيد هويغنر خلافا لرفاقه الآخرين من اعضاء الحزب الاشتراكي الديموقراطي لم يساهم بالمقاومة من على ارض الوطن وانما آثر السلامة باللجوء الى سويسرا وقد ابدى أسفه لبراءتنا نحن الثلاثة وتوعد باعادتنا الى السجن ــ كما اسلفت ــ مما جعلنا نفكر باحتمال العودة لزنزاناتنا المقيتة.

اتصلت بالادارة العسكرية الامريكية لتخصيص من يرافقني في الوصول الى القطاع الفرنسي أو الانكليزي من المانيا وقلت للمسؤولين الأمريكان ان السيد هويغنر لا يعترف بالبراءة التي اصدرتها المحكمة الدولية وهو عازم

على الحاق الاذى بنا وانني افضل الذهاب الى القطاع الفرنسي بغيةالالتحاق بزوجتي المقيمة هناك ورؤية اولادي الذين اودعوا المعتقلات منذ عام ١٩٤٥ الا ان السلطات العسكرية الفرنسية رفضت قبولي في القطاع الفرنسي من المانيا. اما السلطات العسكرية الانكليزية فقد أرادت استطلاع رأي سكان ويستفاليا في مدى قبولهم لرجوعي الى قريتي. وكان ان اخبرها المجلس البلدي الذي يسيطر عليه الحزب الاشتراكي الديموقراطي بأن جيراني لا يمانعون بعودتي الى مسكني. ومع ذلك فان الادارة العسكرية الانكليزية اعتبرت قضيتي مسألة سياسية مهمة فأرادت الاستئناس برأي لندن وكان ان رفضت لندن بدورها قبولي في القطاع الانكليزي رغم استعدادي للمثول امام اية محكمة المانية.

كان شاخت وفريتشه اقل صبرا مني. فقد تركا سجن نورمبرغ حال اطلاق سراحهما منه وتم القاء القبض عليهما ثانية بنفس الوقت. اما انا فقد اضطررت على ترك زنزانتي الكائنة بين زنزانتي الفريد يودل وزايس انكوارت لكي اشغل زنزانة اخرى في الطابق العلوي فأصبح بمقدوري مراقبة كل ما يجري في الطابق الارضي وكنت ألاحظ طريقة اقتياد المحكومين وتصفيد قسم منهم تمهيداً لقيامهم بالتمشي اليومي.وفي ١٤ تشرين الأول ١٩٤٦ نقلت فجأة الى جناح آخر من أجنحة السجن فبات من الواضح لي أن تنفيذ احكام الاعدام اصبح وشيكا. فتنفيذ مثل هذا الاجراء الرهيب لابدان تسري أنباؤه سريان النار بالهشيم في جميع سجون العالم مهما كانت الاجراءات الأمنية وتدابير الكتمان المتخذة. وهكذا ايقنا جميعا بأن شنق المحكومين منا بالاعدام سيتم في ليلة ١٥/١٦ تشرين الاول ١٩٤٦ فلم يطبق لأي منا جفن على جفن في تلك الليلة الليلاء التي وضعت نهاية مأساوية للمحاكمة التي استمرت خمسة عشر شهرا وعانينا خلالها من العنت والاذلال. اما المحكومون الذين ينتظرون تنفيذ حكم الموت بحقهم فقد كان بعضهم محافظين على اعتدادهم بأنفسهم رغم علمهم بأن تنفيذ الحكم بات مؤكدا. كما حاول البعض الآخر منهم الاعتذار عما بدر منهم وبرروا افعالهم بأنها كانت تنطوي على الطاعة المطلقة للزعيم. اما المجموعة الثالثة منهم فلم يكن افرادها اذكياء

بدرجة كافية ولم تكن لديهم المقـدرة التي تؤهلهم لنفي تهمة الاجرام بحق السلام والانسانية وهي تهمة رددها القضاة والمدعي العام والمحققون طوال فترة المحاكمة بغية التأثير علينا نفسيا وقانونيا.

وحيث اننا وجب علينا تسديد ثمن الاتهام الذي الصق بنا جميعا فقـد تساءلت مع نفسي بالحاح ــ وانـا استعرض مواقف المتهمين الاخيرة ابان وجودهم بالسلطة ــ عن مدى حماسهم الثوري وايمانهم بالاشتراكية الوطنية (النازية) فخلصت الى نتيجة مهمة هي ان الثوري الوحيد بين كل هؤلاء كان المشير هرمان غورنغ.

وتحضرني بهذه المناسبة كلمة قالها دانتون[1] امام هيئة محكمة الثورة التي قضت باعدامه وكان قد صرخ بوجه القضاة قائلا:

« لقد وضعتم ايديكم على حياتي كلها. ولعلهـا تبعث في يوم مـا وتطالبكم بتسديد الثمن . انكم تريدون التوصل للديموقراطية على انقـاض هذه الحرب بينما جعلتم بلادكم تنوء تحت وطأة الارهاب وتغرق في بحر من الدماء.

لقد تمزق الحجاب الذي يتلثم به طغاتكم الذين سيبتهجون لموتنـا. ولكن الى أي مدى سيرتقون السلم المؤدي الى الحرية والمشيد بشواهـد القبور ؟».

لقد كان الفرنسيون ثوارا اما الالمان فلم يكونوا كذلك قط. ذلك لأن الالمان اتسموا بالطاعة وحب الانتظام. وهم يحيون مهتمين بشؤونهم دون ميل فطري للانتقاد. وعلى الرغم من تركيز الدعاية التي مارسهـا غوبلز الا انهم حافظوا على سجاياهم التي جبلوا عليها.

---

(١) يعتبر جورج دانتون من رجـال الثورة الفرنسـية الكبرى الذين لعبوا دورا مهما في مراحلها الاولى وهو حقوقي وشخصيـة قيادية متميزة وقد ولد بشامبين عام ١٧٥٩ ونال شهـادة الحقوق عام ١٧٨٤ واعدم بباريس مع مجموعة من اصدقائه في ٥ نيسان ١٧٩٤ .

ـ المترجم ـ

تقرر اغلاق ابواب سجن شپانداو[٢] على المحكومين الذين افلتوا من حكم الاعدام لكي يقضوا بقية ايام اعمارهم وراء جدرانه ٠ وعليه فقدقررت مغادرة السجن وليكن ما يكون٠

كان من المألوف ابان العهد النازي ان يعاد توقيف المرء بعد برائتهمن التهمة الموجهة اليه حال خروجه من التوقيف اذا لم يرق للنظام النازي ابقائه مطلق السراح٠ ويبدو ان اتفاقا حصل بين رئيس وزراء باڤاريا والفريق كلاي لاتهاج نفس الطريقة النازية ضدي ولكن بتحوير بسيط حيث لا يتم توقيفي عند باب سجن نورمبرغ وانمـا ابقى تحت مراقبة الشرطـة وترفض ادارة الاسكان تأجيري غرفة للاقامة فيها٠ ولما كنت غريبـا في مدينـة نورمبرغ فستقبض علي الشرطة بتهمة التشرد٠ ولكن هذا الترتيب احبطه رفيق قديم من رفاقي ابان عهد اشـتغالي في كتيبة اولان قبل الحرب العالميـة الأولى هو مدير مكافحة الاجـرام في نورمبرغ السيد آدم الذي تدبر لي مسكنا آوي اليه٠ وسوف لن انسى له هذا الصنيع ما حييت٠ وقد اقمت في ذلكالمسكن الذي نصبت امامه ادارة الشرطة نقطة مراقبة٠

ولما كانت حالتي الصحية تتطلب معالجة ضرورية فقد رجوت صديقي آدم ان يحصـل لي على سرير في مستشفى قريب من نورمبرغ٠ ولما تأكد للحكومة المحلية ان الشيوعيين المحيطين بضواحي المدينة سيحاولون تهديد حياتي بالخطر فقد منع السيد زاكس رئيس لجنة التطهير تحويل اسكانيالى المستشفى٠

الا أن المجلس البلدي رفض ادخـالي مستشفى نورمبرغ لأنني مجرم حرب رغم المساعي النبيلة التي بذلها رئيس الأطباء لقبولي في المستشفى٠

واخيرا حصلت على سرير في مستشفى سانت تريزيا وقد بذلت فتيات الطائفة الكاثوليكية شجـاعة نادرة في رعـايتي بينما خصصت ادارة الشرطة

---

(٢) يقع سجن شپانداو في مدينة برلين وسمي بهذا الاسم نسبة الى ضاحية شپانداو التي يقع فيها السجن المذكور.

– المترجم –

نقطة حراسة لمراقبتي طوال فترة مكوثي بالمستشفى وجعلت مكانها في المدخل الرئيسي للمستشفى.

ولا اريد الاستطراد في وصف المعاناة التي لقيتها خلال السنوات الثلاث اللاحقة باسهاب ولكنني اذكر جيدا ان دعوى جديدة اثيرت ضدي في اواسط كانون الثاني ١٩٤٧ عندما ابلغني وزير التطهير من النازية في اقليم باڤاريا لوريتس بأنه اصدر اوامره باتخاذ التعقيبات القانونية ضدي. وكان الموما اليه قد اشار في مناسبات عديدة بأنه سوف يحرص على عدم افلات مجرم مثلي من العقاب الصارم. وتألفت المحكمة من سبعة اشخاص اغلبهم من الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين وكانت برئاسة كاميل زاكس وهو حقوقي مجرب.

وعلى الرغم من برائتي بموجب قرار المحكمة العسكرية الدولية في نورمبرغ الا ان هذه المحكمة اخذت تحاكمني عن تهمة جديدة هي (المساعدة في وصول النازيين للحكم) واتخذت من وصية المشير فون هندنبورغ وثيقة لاداتتي وفي خلال فترة المحاكمة صرح الوزير لوريتس بأنني ينبغي ان يحكم علي بالسجن لمدة عشرة اعوام مع الاشغال الشاقة بينما حذر القاضي زاكس من (خطر التواطؤ) لتبرئة ساحتي وقال انه سيرميني بالسجن على اية حال وانه سوف لن يسمح باخلاء سبيلي مطلقاً. وعليه فقد منعت من توكيل أي محام. بينما تضمنت لائحة الاتهام المطالبة بسجني ثمانية اعوام مع الاشغال الشاقة وتغريمي مبلغ خمسة آلاف مارك وحرماني من الحقوق المدنية مدى الحياة.

وأود ان اشير بهذه المناسبة الى حادثة لها علاقة بهذه الدعوى للتدليل على مدى الاجحاف الذي تعرضت له آنذاك. فقط حط في احد المطارات التركية في مطلع سنة ١٩٤٣ طيار الماني شاب بصورة اضطرارية فقمت له بواجبات الضيافة الرسمية والشخصية وابديت له كل معونة ممكنة خلال فترة مكوثه في تركيا. الا انه هرب في عام ١٩٤٤ الى بريطانيا لأن دمائه كانت غير صافية حيث كانت امه يهودية ـ كما صرح هو نفسه بعد وصوله الى

بريطانيا ـ وقال انه لم يشأ الاستمرار على الخدمة في القوة الجوية الالمانية لذلك السبب بالذات • والآن ظهر ذلك الطيار الشاب بصفة ـ شاهد الملك ـ ليشهد ضدي مستشهدا بخطبة القيتها في آذار ١٩٤٣ بمناسبة يوم الابطال الالمان وقال انني اشدت فيها بهتلر.

ولم يكن من الصعب تزويد المحكمة بنص الخطبة التي القيتها آنذاك وقلت في معرض تبريري لاقوالي آنذاك بأن الشاهد كان صغير السن لدرجة لم يدرك معها المعاني التي قصدتها في الخطبة المذكورة.

تدهورت حالتي الصحية في هذه الفترة الى درجة استوجبت ادخالي المستشفى فأدخلت في مستشفى العمال بمدينة نورمبرغ ثم نقلت منها الى مستشفى آخر في فيورت ولما تقرر نقلي الى مستشفى ثالث في مدينة غارمش وجد المسؤولون ان المستشفى الاخير اكثر من مريح بالنسبة لي فأمروا باعادتي الى معسكر الاعتقال في ريغنزبورغ. لكنني نقلت من هناك بصورة اضطرارية الى مستشفى الارسالية الكاثوليكية فحظيت بعناية الاخوات المرضات اللائي بذلن قصارى جهودهن لمعالجتي من الازمة القلبية التي تعرضت لها.

لكنني تعرضت في تلك الفترة لحادث كاد يودي بحياتي. فقد هاجمني وانا بالحمام احد رجال قطعات الحماية السابقين بصورة مفاجئة وانهال علي بالضرب فأصاب عظم الوجنة وقصبة الانف ومزق الشفتين واهاب العينين مما استوجب نقلي الى غرفة العمليات فورا. وكان ذلك الرجل قد هاجم اشخاصا آخرين فأصابهم ايضا قبل وصوله الى مستشفى ريغنزبورغ ولم يكن الطبيب الخفر الذي استقبله على علم بتلك الافعال.

ولما جرى فحصه من قبل اللجنة الطبية تبين انه مصاب بلوثة تستوجب احالته الى مستشفى الامراض العقلية • أما انا فقد كان من حسن حظي وجود طبيب اختصاصي بالتجميل ضمن المعتقلين معي فقام بمهمته الانسانية وحباني برعايته حتى ابللت من تلك الاصابات الموجعة التي تلقيتها قضاء وقدرا.

ولما اقتضت اجراءات اعادة البناء اخلاء مستشفى ريغنزبورغ في عام

١٩٤٨ نقلت الى مستشفى غارمش ثانية. وفي هذه الاثناء استدعاني الدكتور كيمبنر المدعي العام لمحكمة نورمبرغ عدة مرات لاستجوابي دون ان تؤخذ افادتي. ثم ما لبث ان أمر بنقلي الى السجن حيث مكثت به هذه المرة سنة ونصف كنت انتظر خلالها تعليقي بحبل المشنقة.

وكان ذلك السجن يحمل لوحة كبيرة على واجهته كتب عليها (مخصص للمشبوهين والمتشردين) ولما اعيد بناء السجن المذكور ايضا نقلت منه الى معسكر (لانغ ڤاسر) قرب نورمبرغ حيث زارتني هناك السيدة فريدا اوتلي المشهورة بكتابها النفيس «الثأر الباهظ» وقد تحدثت الي تلك السيدة الفاضلة بشأن حقوقنا القانونية وأكدت خطأ القائد الامريكي كلاي في التعامل معنا وفي سياسة الاحتلال التي مارسها ويطيب لي هنا ان اجزل لها شكري العميق.

في كانون الثاني ١٩٤٩ تمكن المحامي من استئناف قضيتي وتحولت المحاكمة نحو اتجاه جديد . فقد اصر السيد زاكس على حرماني من الحقوق المدنية طوال حياتي وهذا معناه حرماني من حقوقي التقاعدية وانا الذي خدمت بلادي في المجال العسكري لمدة خمسة وعشرين عاما وفي المجالين السياسي والدبلوماسي مدة مشابهة.

وكان القانون صارما معي هو الآخر هذه المرة اذ تعذرت براءتي تماما لانني كنت متهما بتسهيل ارتقاء هتلر للسلطة. كما انني تعرضت لحساب عسير لأنني لم أعمل على الاطاحة بهتلر . ولربما أثرت تلك السنين القليلة التي اعقبت الحرب على بعض الناس فتصوروا ان الاطاحة بهتلر كانت من الامور السهلة دون ان يفكروا بالنتائج المترتبة على ازاحة هتلر في الوقت الذي كانت به جيوشنا مشتبكة مع الاعداء في مختلف جبهات القتال بينما كان اولئك الاعداء متفقين على وجوب استسلام المانيا دون قيد او شرط. وهذا معناه ان الحكومة الجديدة التي ستعقب هتلر عليها ان تسلم الوطن ومقادير الشعب الالماني للاعداء طواعية فهل هناك ابلغ من هذه الخيانة؟ ومن الذي له الحق بمطالبتي بخيانة وطني بالتصدي لرئيس الدولة الالمانية؟

ولما حاولت استئناف القضية في مقاطعة شمـال الراين - ويستفـاليا رفض وزير العدل في تلك الولاية اميلونكسن اقرار برائتي لأنه لم ينس ان نائبي في ولاية بروسيا أقصاه من منصبه كمدير عام في ديوان الحكومة بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٣٢ ٠

عندئذ استشطت غضبا وقلت لقضاتي بكل صراحة:

« انني لا ارجو منكـم أية رحمة، وكل ما اريده هو احقـاق حقي والاعتراف بأنني لم اكن نازيا قط»٠

وكان ان نلت البراءة لسبب بسيط هو انني كنت بريئا٠

وقبل ان اختتم هذا الكتاب الذي جعلته سجلا لحياتي اجدني ملزما بالاشادة القلبية بالمدينة التي أنجبت آبائي وأعني بها (ڤيرل)[٣] فقد استقبلت عند زيارتي لها في عام ١٩٣٣ بالاعلام المنشورة والموسيقى والورود ثم منحني المجلس البلدي فيها عضوية مواطن شرف مدى الحياة وكرم أسرتي بتسمية احد شوارعها بأسم الأسرة لأن اجيالا عديدة سكنت في ذلك الشارع٠

ولما كانت عضوية مواطن شرف وتسمية الشارع بأسم الأسرة الغيتا في عام ١٩٤٥ فقـد تقـدمت بطلب لمجلس بلدية المدينـة عام ١٩٥١ أرجوه النظر في اعادة تسمية الشارع بأسم اسرتي لكي لا يصيب الأسرة كلها حيف بسبب ادانة احد أفرادها الا ان المجلس رفض هذا الطلب٠

ولعله من غير المألوف ان يتضمن كتاب السيرة الذاتية التعبير عن رغبة في تحديد مكان القبر بعد الممات ومع ذلك فانني اوصي على رؤوس الاشهاد وعلى آخر صفحة من هذا الكتاب ان يكون دفني بأقليم السـار الذي كان مجال همتي طوال حياتي في مسعـاي نحو التقـارب الالماني ــ الفرنسي٠ ويطيب لي أخيرا وليس آخرا ان اشيد بمدينة ڤيرل التي قضيت فيها طفولتي وأحببتها مدى حياتي وأحبني أهلها ولقيت منهم كل تقدير ٠ وسأبقى أتسائل :

---

(٣) تقع مدينة ڤيرل شرق اقليم الروهر الصنـاعي بولاية شمـال الراين ويستفاليا٠

ــ المترجم ــ

« اين ستستقر عظامي التي اصبحت في يوم ما بلا وطن فتجد راحتها الابدية ؟»

وعندما احرص على موئلي بعد الممات بهذه اللهفة فان هذا يدل على مدى الغرور الذي يصيبنا في هذه الحياة الدنيا الفانية[٤].

---

(٤) توفي فرانز فون پاپن في ٢ مايس ١٩٦٩ بمدينة ساسباخ ودفن باقليم السار وفقا لوصيته.

الطبعة الاولى

رقم الايداع ١٤٢١
في المكتبة الوطنية
بغداد لسنة ١٩٨٥

دار افاق عربية للصحافة والنشر



تصميم وطبع دار آفاق عربية للصحافة والنشر

منشورات مكتبة التحرير 1985 3,500 ديناراً